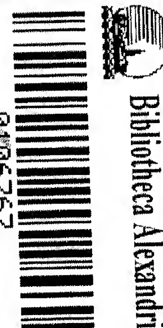
الدكتور كمال مظهر احمد

دراسات

في تاريخ ايران

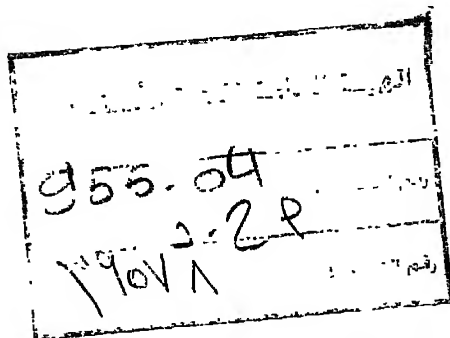
الحديث والمعاصر



ساعدت الأمانة العامة للثقافة والشباب
لمنطقة الحكم الذاتي على طبع الكتاب

١٩٨٥

الدكتور كمال مظهر احمد



دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر

ساعدت الأمانة العامة للثقافة والشباب
لمنطقة الحكم الذاتي على طبع الكتاب

بغداد ١٩٨٥

المقدمة

يحظى تاريخ ايران باهتمام كبير من لدن المؤرخين في جميع الاقطار المتقدمة في العالم. وربما يكفي ان نشير بهذا الصدد الى ان مالايقل عن عشرة مراكز علمية في الاتحاد السوفيتي وحده تولي هذا الموضوع اهتماما خاصا، وان الاوساط الاكاديمية في الولايات المتحدة الامريكية باشرت منذ سنوات باعداد دائرة معارف خاصة بتأريخ ايران من المقرر ان تقع في عدد من المجلدات الضخمة[1]. وبالمقابل لم يول هذ الموضوع ما يستحق من اهتمام من لدن مؤرخينا، لذا تعاني مكتباتنا من نقص كبير فيما يخص تأريخ ايران في جميع مراحله. فان المكتبة العربية، والعراقية منها بالتحديد، لاتعاني من فقر مدقع فيما يخص تأريخ ايران حسب، بل فيها، ايضا، مالايشرف العلم على اي حال. فمثلا، وهذا غيض من فيض، ان فتح علي شاه، ثاني ملوك آل قاجار الذي، كما نلاحظ، ابتلى هووجيشه وبلاده باطماع القياصرة الروس، ونجاحاتهم المتلاحقة التي أدت الى ان تفقد ايران كل ماكان لديها من سيطرة ونفوذ على جورجيا (كرجستان) وارمينيا واذربيجان الشمالية، انه، لاغيره، قد «استولى على كرجستان وضمها الى روسيا، وضم روسيا الى بلاده، كما انه ارسل ابنه عباس للحرب مع الروسيين (!) والذي (!) دام (!) حوالي عشرة (!) سنوات» (نقل النص حرفيا).

ان هذا «الكلام» ورد بعد ٧١ صفحة من اللغو المشابه في كتاب يحمل مثل هذا العنوان الضخم والفخم:

---

(١) تسمى «Iranica»

«موجز ترجمة التأريخ الفارسي مع مقدمة في الاحوال الاجتماعية»[٢]. وحكم الافشاريون ايران من عام ١٧٣٦ حتى عام ١٧٩٦، ومن ثم بدأ حكم الزنديين في العام ١٧٩٦ وانتهى عام ١٩٢٦[٣] في كتاب سليم واكيم الذي سماه «ايران في الحضارة. دراسة علمية»[٤].

وتحول الثوري الايراني المعروف مرزا كوجك خان[٥] الى «قائد للحملة الروسية» على ايران لدى محمد الهاشمي[٦]، الذي يؤكد ايضا على ان رضا شاه تمكن من «القضاء على الامية والجهالة»[٧]، مع العلم ان نسبة الامية بين الايرانيين بلغت ٨٥٪ حسب المعلومات الواردة في وثائق الاحصاء الرسمي للعام ١٩٥٦، اي بعد مرور عقد ونصف عقد على انتهاء حكم مؤسس العهد البهلوي في ايران.

كما ان المراجع العربية المتوفرة عن تأريخ ايران مشحونة باغرب الاخطاء فيما يخص اسماء الاعلام والمواقع. وقد امتدت آثار هذا النقص الى الكتب المعربة ايضا. ففي كتاب «نفط ودماء» الذي ترجمه عبدالغني الخطيب[٨] تحول اسم بشت كوه الى «يوشدى كوه»، والبارون رويتر الى «دى ريدر»، وروسيا القيصرية الى «روسيا السارية»، وتحولت لاحقة الدين في اسم الشاه القاجاري مظفر الدين الى «التين والتيني»، فتحول اسم الملك القاجاري الخامس الى «مظفر التيني» بكل بساطة. وتحول نهر كارون الى

---

(٢) «موجز ترجمة التأريخ الفارسي مع مقدمة في الاحوال الاجتماعية»، ترجمة وتلخيص سعيد علي، النجف، ١٩٦٠. لم يكلف المترجم نفسه بذكر اسم المؤلف واللغة التي ترجم منها الكتاب.

(٣) ينقسم تأريخ ايران الحديث، والمعاصر على العهود التالية: الصفوي من عام ١٥٠٢ حتى عام ١٧٣٦، مع العلم ان الملوك الصفويين فقدوا السلطة فعليا منذ عام ١٧٢٢ عندما انتقل حكم ايران الى محمود شاه الافغاني (١٧٢٢ - ١٧٢٥)، ثم الى اشرف شاه الافغاني (١٧٢٥ - ١٧٣٠)، ثم الى نادر شاه الافشاري (١٧٣٠ - ١٧٤٧)، ثم الى علي قلي مرزا افشار المعروف بعادل شاه (١٧٤٧ - ١٧٤٨). ومنذ العام ١٧٤٨ لم تبق بيد الافشاريين سوى خراسان التي كان يحكمها شاهروخ، حفيد نادر شاه، فقد انتقل حكم ايران الى الزنديين في الفترة الواقعة بين عامي ١٧٦٠ و١٧٩٤، وبدأ العهد القاجاري عام ١٧٩٦ لينتهي في العام ١٩٢٥ الذي يعتبر بداية للعهد البهلوي.

(٤) سليم واكيم، ايران في الحضارة. لمناسبة مرور ٢٥٠٠ عام على تأسيس الامبراطورية. دراسة علمية، بيروت، ١٩٧١، ص ٨.

(٥) عنه راجع موضوع «حقائق عن النضال التحرري الكردي في ايران».

(٦) محمد الهاشمي، الابطال الثلاثة. الملك فيصل - الغازي مصطفى كمال - البهلوي رضا شاه، بغداد، بلا، ص ٧٦.

(٧) المصدر نفسه، ص ٨٦.

(٨) هاكوب ق. توريانتز، نفط ودماء، تعريب عبدالغني الخطيب، بيروت، ١٩٦٢.

«نهر قروت»، وحقل نفط مسجد سليمان الى «مجيد سليمان». والانكى من كل ذلك ان يحول الخطيب الشيخ خزعل الى «الشيخ غزال»[8]. مع العلم ان المعرب يقول ان بين دفتي الكتاب «مالم يتضمنه اي كتاب اخر نشر عن سياسة البترول وصناعة البترول، فكانت هذه الكتب ملهاة للشعوب عن المأساة الحقيقية، خلافا لسفر صديقي الاستاذ هاكوب ق. توريانتز الذي سبر غور الرأسمالية بحثا عن الحقيقة، تماما كما سبرت الرأسمالية غور الارض بحثا عن الذهب الاسود»[10]. ولئن كان في هذا القول الكثير من المبالغة، لان في المكتبة العربية دراسات مخلصة ومجدية عن النفط، اولها كتاب يوسف ابراهيم يزبك الرائع اسما ومحتوى[11]، الا ان الكتاب الذي عربه عبدالغني الخطيب بهذ الاسلوب المشوه كتاب جيد على مايبدو.

ولم تسلم دراسات بعض الاساتذة والكتاب، وكذلك بعض الرسائل الجامعية من اخطاء علمية كان من المفروض ان لاتقع فيها. واذا استثنينا عددا قليلا من الدراسات الجادة، فان مايتوفر في المكتبة العربية من مراجع لايمكن لها ان تقدم للمتتبعين صورة واضحة عن تأريخ ايران الحديث والمعاصر، الامر الذي يجعل من دراسة ذلك التأريخ مهمة علمية ضرورية وملحة.

المواضيع التي اقدمها بين دفتي هذا الكتاب حصيلة جهد علمي تعود بداياته الى اواخر العام ١٩٦٠ عندما بدأت اهتم بجوانب من تأريخ ايران الحديث والمعاصر بحكم اختصاصي. وبعد مخاض عسير وجد قسم قليل منها الطريق الى النشر في السنوات الاخيرة في مجلتي «آفاق عربية» و«دراسات للاجيال»[12]، كما القي البحثان «صفحات من تأريخ العلاقات الايرانية ـ السوفيتية» و«حقائق عن المؤسسة الدينية في ايران» في ندوة «ايران الحاضر والمستقبل» التي نظمها المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية التابع لجامعة المستنصرية في نيسان عام ١٩٨١.

---

(٩) المصدر نفسه، ص ٩٦.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٣ ـ مقدمة المعرب.

(١١) يوسف ابراهيم يزبك، النفط مستعبد الشعوب، بيروت، ١٩٣٤. وردت في الكتاب معلومات مهمة عن نفط ايران، وعن اطماع الدول الكبرى الاستعمارية فيه.

(١٢) نشر موضوع «العراق وايران بين سازانوف وغراي. وثائق جديدة» في العدد الثاني، تشرين الاول ١٩٨٢ من «آفاق عربية» (ص ٢ ـ ١٠)، وموضوع «رضا المازندراني والعرش الايراني» في العدد الثالث، تشرين الثاني ١٩٨٢ من المجلة نفسها (ص ٣٥ ـ ٦٤)، وموضوع «تاريخ ايران الحديث في الوثائق الروسية» في مجلة «دراسات للاجيال» (العددان الرابع والخامس، تشرين اول ١٩٨٣، ص ٦٧ ـ ٨٤).

الموضوع الأول

من تاريخ الحروب الايرانية - الروسية

(صفحة من العلاقات الدولية في الشرق الاوسط قبل ظهور الامبريالية)

المدخــــل :

تعتبر الحروب الايرانية ـ الروسية من أهم مواضيع التأريخ الحديث لايران وروسيا ومناطق القفقاس وما وراء القفقاس، وحتى اواسط اسيا. كما مست آثارها رقعة حساسة من الشرق الاوسط بصورة مباشرة. ولكن رغم ذلك لم تجد تلك الحروب ماتستحق من اهتمام من لدن اوساطنا الاكاديمية، بل وردت اخطاء كبيرة بصددها في بعض دراساتنا ومؤلفاتنا بلغت حد التجاوز على اطارها التاريخي، واسماء اهم وقائعها[1]. ولاشك ان هذا الاهمال وجد له قدرا واضحا من الانعكاس بين اوساط الرأي العام الذي نسج شيئا كثيرا من الخيال حول وقائع الحروب الايرانية ـ الروسية.

ان السبب الاول والاساس الذي مهد الطريق الى الصدام المباشر بين روسيا وايران يكمن في الاختلاف الكبير الذي طرأ على سرعة مدى التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في البلدين المتجاورين منذ بدايات العصر الحديث. ففي النصف الثاني من القرن السابع عشر دخلت ايران مرحلة جديدة من تأريخها تميزت بالانحلال الاقتصادي والسياسي. ومما زاد من تفاقم هذا الانحلال ان ايران التي ظلت تؤلف على مدى مئات السنين حلقة وصل رئيسة بين الشرق الاقصى الاسيوي والغرب الاوربي، فقدت اهميتها تلك بصورة مفاجئة اثر الاستكشافات الجغرافية الكبرى في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، والتي تمخضت عن ايجاد طرق مائية مباشرة تربط اوربا ببلاد البهارات والعطور. ولقد حاول الحكام، وكبار الاقطاعيين التعويض عما لحق بهم من خسائر مادية بسبب ذلك بممارسة ضغط متزايد على الفلاحين وحرفيي المدن، الامر الذي ادى الى ان تتعمق عوامل الخراب الاقتصادي للبلاد اكثر فاكثر. وللاستدلال على ذلك يكفي ان نشير الى انه في عهد السلطان حسين (١٦٩٤ ـ ١٧٢٢)، آخر شاه صفوي، ارتفعت نسبة الضرائب المفروضة على الايرانيين بمقدار يتراوح مابين مرتين الى ثلاث مرات، ولم تنج من الضرائب الجديدة حتى العشائر المتنقلة التي ماكانت تخضع للضرائب الحكومية من قبل[2].

---

(١) راجع على سبيل المثال مقالة الدكتور محمود علي الداود في مجلة «النفط والعالم»، بغداد، العدد ٨٩، تموز ١٩٨١، ص ١٤ وكتاب حربي محمد «تطور الحركة الوطنية في ايران من ١٨٩٠ ـ ١٩٥٣»، بغداد، ١٩٧٢

(2) M S Ivanov, Ochirk istorii Irana, Moscow, 1952, P 79

(م. س. ايفانوف، موجز تاريخ ايران، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٥٢، ص ٧٩)؛

D Wilber, Iran. Past and present, sixth edition, Princeton - New Jersey, 1967, PP 1 - 2.

جعل تفاقم الاستغلال الاقطاعي بالتزاماته المرهقة، وضرائبه الجديدة، القرية الايرانية في ازمة اقتصادية حقيقية أدت الى تقلص التبادل التجاري الداخلي بصورة ملموسة، والى تدهور الانتاج البضاعي الى حد كبير، فتعمقت التناقضات الاجتماعية بصورة لم يسبق لها مثيل. ولم يكن مجرد صدفة ان شهدت مناطق مختلفة من ايران، في اواخر القرن السابع عشر وطيلة القرن الثامن عشر، عددا كبيرا جدا من الانتفاضات والحركات الثورية، خصوصا بين شعوبها غير الفارسية من افغانية وتركمانية وكردية وارمنية واذرية وجورجية. ولايخلومن مغزى ان انفجرت سلسلة من الانتفاضات المسلحة القوية في كل من القفقاس وفارس واستراباد وسيستان وكرمان في غضون السنوات الاربع الاخيرة فقط من عهد اقوى ملك ايراني ظهر في تلك الفترة، وهو نادر شاه الافشاري (١٧٣٦ - ١٧٤٧) الذي غدا بنفسه ضحية واحدة من مؤامرات البلاط التي تحولت الى ظاهرة ثابتة من ظواهر تاريخ ايران يومذاك. وبعد مقتل نادر شاه بدأت فترة فوضى سياسية في البلاد استمرت لغاية اواخر القرن الثامن عشر[٣] عندما حسم صراع دموي مستفحل بين الاسرتين الزندية والقاجارية لصالح الاخيرة منهما، ليبدأ منذ سنة ١٧٩٦ عهد جديد في تاريخ ايران الحديث يعرف بالعهد القاجاري الذي تعمقت ازمة البلاد السياسية والاجتماعية والاقتصادية في ظل ملوكه السبعة دون استثناء[٤]. ولابأس من ان نشير ايضا الى ان ايران لم تشهد طيلة القرن الثامن عشر شاعرا كبيرا، او فيلسوفا معروفا، او فنانا بارزا من النوع الرفيع الذي اشتهرت به في العصر الوسيط.

كان الوضع في الجانب الاخر على اختلاف بين من ذلك. فمنذ القرن السابع عشر بدأت روسيا تعيش تغييرات اجتماعية واقتصادية وسياسية مهمة، فقد شهدت في ذلك القرن ميلاد اولى العلاقات الرأسمالية في الانتاج ادى الى نمو التبادل البضاعي على الصعيد الاقتصادي، والى امتزاج اجزاء مختلفة من البلاد في وحدة متماسكة على الصعيد السياسي. وفي مطلع ذلك القرن بالذات جاءت اسرة رومانوف الى الحكم[٥] والتي انتقلت روسيا في عهد ملوكها الى مصاف الدول الكبرى، لاسيما في عهد بطرس الكبير (١٦٨٢ - ١٧٢٥) ابرز قياصرة روسيا قاطبة. فقد ادرك بطرس ان تحقيق طموحات بلاده، والوصول الى بحار الاسود وقزوين في

---

(٣) يستثنى من ذلك عهد كريم خان الزند الذي شمل الفترة الواقعة بين عامي ١٧٦٠ و ١٧٧٩.

(٤) وهم على التوالي اغا محمد خان وفتح علي شاه ومحمد شاه وناصر الدين شاه ومظفر الدين شاه ومحمد علي شاه واحمد شاه.

(٥) ظلت في الحكم لغاية ثورة شباط ١٩١٧.

الجنوب، والبلطيق في الغرب، يتطلب بناء اقتصاد رصين وجيش قوي واسطول متطور ونظام اداري مركزي حديث. واكتملت «سمير اميس الشمال»، الالمانية الاصل كاترين الثانية (١٧٦٢ - ١٧٩٦)، ما بدأه سلفها بطرس الكبير. فيعتبر عهدها الذي يوافق النصف الثاني من القرن الثامن عشر تقريبا زمن تطور الرأسمالية في اقتصاد روسيا. ففي منتصف ذلك القرن شغلت روسيا المكان الاول في مجال صهر الحديد الصب، ومكانا متقدما في مجال التعدين عموما على صعيد العالم (في العام ١٧٥٠ بلغ عدد مؤسسات التعدين في روسيا حوالي ١٠٠ مؤسسة)[٦]. وفي اواخر القرن نفسه تجاوز عدد المؤسسات الصناعية الروسية الالفين، كان نصفها يدخل في عداد المؤسسات الصناعية الكبيرة حسب مقاييس ذلك الزمن، اذ بلغ مجموع العاملين في هذه، وتلك حوالي ٢٠٠ الف شخص. وعند حلول القرن التاسع عشر تضاعف الرقم الاخير، فقد بلغ عدد العمال الاجيرين في روسيا انذاك اكثر من ٤٠٠ الف[٧].

ولئن اصبحت روسيا متقدمة بذلك قياسا مع الشرق المجاور لها، الا انها بقيت متخلفة قياسا مع الغرب المنافس لها. من هنا فان مصالح روسيا النامية تطلبت الاستمرار في البحث عن الاسواق، وعن مصادر للخامات، وعن طرق مائية صالحة لتجارتها، وعن اراض خصبة جديدة ان امكن ذلك. وبعد ان بلغ التوسع الروسي غربا مداه الاقصى بسبب الاقتراب من قوى اوروبية متمكنة، جاء دور الجنوب باتجاه القفقاس وبحري الاسود وقزوين حيث مناطق حساسة وغنية كانت تعاني الامرين من ظواهر الانحلال والتفكك والاضطهاد لتؤلف بذلك نوعا من الفراغ السياسي امام دولة اوروبية كبرى على تخومها. ويعتبر ردع تتر القرم، الذين كانوا يشنون غزوات منهكة على حدود روسيا الجنوبية، عاملا اضافيا حفز بطرسبورغ اكثر للتوجه نحو الجنوب.

تمكنت روسيا القيصرية من تحقيق هذه الاهداف بفضل سلسلة من الحروب خاضتها ضد تركيا وايران. ففي الفترة الممتدة بين عامي ١٦٧٦ و١٨٧٨ خاضت

---

(6) «Istoria SSSR», Vol I, Moscov, 1970, P 82

«تاريخ الاتحاد السوفيتي»، باشراف البروفيسور. د. داتسيوك، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٧٠، ص ٨٢.

(7) Ibid, PP 82, 97 - 98;

«تأريخ اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية. موجز»، موسكو، بلا، ص ١٠٦، ١٠٩.

روسيا عشر حروب ضد تركيا[٨] تحول ما حققتها من مكاسب بفضلها، خصوصا في حربي ١٧٦٨ - ١٧٧٤ و١٧٨٧ - ١٧٩١، الى عامل محرك اخر لتوجهات حكامها نحو ايران .

بدايات التوجه الروسي نحو ايران :

منذ أواخر العصر الوسيط توجهت انظار الروس نحو ايران ضمن اهتمامهم المبكر بمناطق الشرقين الاوسط والاقصى في اطار تجاري وديني . فقد ورد اسم مدينة تبريز مرارا في كتابات الرحالة الروس الاوائل الذين زاروا مناطق شرقية مختلفة[٩] . فقبل ان ينتهي القرن الخامس عشر مر افناسي نيكيتين بالمدينة المذكورة في طريق عودته من الهند[١٠]، فوصفها كمركز مهم للقوافل التجارية[١١] .

---

(٨) هي على التوالي :

١- حرب عام ١٦٧٦ - ١٦٨١ .
٢- حرب عام ١٦٨٦ - ١٦٩٩ .
٣- حرب عام ١٧١٠ - ١٧١٣ .
٤- حرب عام ١٧٣٥ - ١٧٣٩ .
٥- حرب عام ١٧٦٨ - ١٧٧٤ .
٦- حرب عام ١٧٨٧ - ١٧٩١ .
٧- حرب عام ١٨٠٦ - ١٨١٢ .
٨- حرب عام ١٨٢٨ - ١٨٢٩
٩- حرب عام ١٨٥٣ - ١٨٥٦ .
١٠- حرب عام ١٨٧٧ - ١٨٧٨ .

(٩) للتفصيل حول الموضوع راجع :

B.M. Dantsig, Russki putishestviniki na Blijnim Vostoke, Moscow, 1965, PP 23 - 24.

ب . م . دانتسيك، الرحالة الروس في الشرق الادنى ،باللغة الروسية ، موسكو، ١٩٦٥، ص ٢٣ - ٢٤ .

(١٠) قام نيكيتين بسفرته الى الهند عبر ايران ذهابا وايابا في الفترة الممتدة بين عامي ١٤٦٦ و ١٤٧٢ . للتفصيل راجع :

L Lockhart, The Fall of the Safavi Dynasty and the Afghan occupation of Persia, Cambridge, 1958, PP. 55 - 58

(11) B.M Dantsig, Blijnii Vostok v russkoy nauke i literature, Moscow, 1973, PP. 20 - 21.

ب . م . دانتسيك، الشرق الادنى في العلم والادب الروسيين، باللغة الروسية ، موسكو، ١٩٧٣ ، ص ٢٠ - ٢١

وبعـــد مرور نصف قرن دخلت اعتبـارات جديـدة ومهمـة لدفـع الـروس باتجـاه الجنوب. ففي سنة ١٥٥٦ تمكن القيصر الروسي ايفان الرابع الملقب بالرهيب، من الاستيلاء على خانية استراخان، فانتقلت بذلك كل الفولغا، اطول انهار اوروبا[١٢]، من منـابعهـا حتى مصبهـا في بحـر قزوين الى أيـدي الـروس، ممـا ادى الى ازديـاد اهميتهـا التجـارية، اذ بدأت مئات السفن المحملة بالبضائع تقطعها شمالا وجنوبا. وتبعا لذلك ازدادت اهمية المناطق المجاورة لوادي الفولغا واستراخان، وفي مقدمتها السـواحـل الشمـاليـة لبحـر قزوين. ويمكن تأشير ذلك بمثابة بداية طريق روسيا الى ايران والمناطق الغنية التي كانت بحوزتها. فلم ينقض عهد ايفان الرهيب (مات في موسكـو سنـة ١٥٨٤) حتى وصل التجار الروس الى شماخي في منطقة شيروان التي كانت تخضع لايران يومذاك[١٣]. وفي سنة ١٦٦٤ وصلت اصفهان بعثة روسية تتألف من سفيـرين ومـا لايقـل عن ٨٠٠ تابع، حملت رسالة خاصة وجهها القيصر الكسي ميخـائيلوفيتش الى الشـاه عبـاس الثـاني. وبعـد ثلاثـة عقـود من ذلك التأريخ وصل تاجران روسيان مدينة اصفهان، ذهبا منها الى ميناء بندر عباس على الخليج العربي ليسافرا من هناك الى الهند بحرا[١٤].

لم تتخـذ بدايـات التـوجـه الـروسي نحـو ايـران طابعـا سلميا صرفا. ففي العام ١٦٦٨، مثلا، قامت قوة روسية من القوزاق بالهجوم على المدينة الشمالية الايرانية مازندران[١٥].

ان هذه الامور، مع امور غيرها مشابهة لها، هيأت في مجملها خلفية، او اساسا لتوجه روسي لاحق نحو ايران، سرعان ماتخذ طابعا جديدا في عهد بطرس الكبير.

---

(١٢) يبلغ طول نهر الفولغا حاليا ٣٥٣٠ كيـومتـرا، امـا في ذلك العهد فقد كان يبلغ من الطول ٣٦٩٠ كيلومترا.

(١٣) تدخل حاليا ضمن اذربيجان السوفيتية.

(١٤) للتفصيل راجع:

L. Lockhart, Op. Cit., PP. 55 - 58.

(15) G N Curzon, Persia and the Persian Question, Vol. I, second impression, London, 1966, P. 374

الحملة او المسيرة الفارسية الاولى ونتائجها:

يعتبر عهد بطرس الكبير (١٦٨٢ ـ ١٧٢٥) نقطة تحول مهمة على صعيدي السياستين الداخلية والخارجية في تأريخ روسيا الحديث. فقد اجرى بطرس اصلاحات كبيرة في حقول الاقتصاد والثقافة، والشؤون العسكرية والادارية. وكان بطرس يدرك حاجة البلاد الملحة الى منافذ بحرية كان يعتمد على ايجادها تطور روسيا اللاحق، واصبح قوله المعروف «ان روسيا بحاجة الى البحر» دليل عمل جاد للموسط الحاكم في بطرسبورغ، خصوصا وان «البحر كان قريبا، ولكن الوصول اليه كان متعذرا» حسب التعبير الموفق للبروفيسور بيوتر بيبفانوف[١٦].

ولم تحقق روسيا في عهد بطرس القليل في هذا الميدان الحيوي، والمتشعب. ففي عامي ١٦٩٥ و١٦٩٦ شنت القوات الروسية ماعرف بحملات آزوف[١٧] التي انتهت بالاستيلاء على حصن آزوف المهم الذي كان يقع عند مصب نهر الدون في البحر الاسود[١٨]. وبعد اربع سنوات، وعلى مدى حوالي ربع قرن (من عام ١٧٠٠ حتى عام ١٧٢١) خاضت روسيا ماعرف بالحرب الشمالية ضد السويد، والتي انتهت باستيلائها على جزء حساس من سواحل بحر البلطيق[١٩].

وفي اطار السياسة نفسها ازداد اهتمام روسيا بايران في عهد بطرس الكبير بصورة ملموسة، خصوصا وان بطرس كان يفكر في اقامة تجارة مباشرة بين روسيا والهند اما عن طريق بحر قزوين مرورا بايران، اوعن طريق خيوه وبخارى. وفي كل الاحوال كان القيصر الروسي يخطط من أجل السيطرة على تجارة الحرير الايراني الشهير،

---

(١٦) بيوتر بيبفانوف وايفان فيدوسوف، تأريخ الاتحاد السوفيتي، ترجمة خيري الضامن ونقولا طويل، موسكو، بلا، ص ١٩٩.

(١٧) نسبة الى بحر آزوف الذي يؤلف امتدادا للبحر الاسود، وتبلغ مساحته ٣٨ ألف كم^2، ومعدل عمق مياهه ٨ أمتار، وعمقه الاقصى ١٤ مترا.

(١٨) يقع ميناء ازوف على نهر الدون قبل مصبه في بحر ازوف بمسافة سبعة كيلومترات. احتل الاتراك موقعه عام ١٤٧١ وحولوه الى قلعة عسكرية بعد احتلال القلعة من قبل قوات بطرس الكبير اعيدت ثانية الى تركيا سنة ١٧١١، ثم ضمت الى روسيا نهائيا بموجب بنود معاهدة «كوجك ـ كينارجى» في العام ١٧٧٤.

(١٩) للتفصيل راجع:

B D Datsiok Op Cit, PP 88 - 91

وعلى قزوين الــذي كان يرغب في ربطــه بأواســط روسيـا بواسطـة عدد من الانهـر والقنـوات. ولئن كان اهتمـام بطـرس بقـزوين نابعـا في البـداية من رغبته في تحويل تجـارة التـرانسيت المهمة للحرير والبضائع الاخرى بين ايران واوروبا الى بلاده بدلا عن حلب وسميرنا، فان اهتمامه به قد ازداد اكثر فاكثر باعتباره ممرا الى مناطق معينة في ما وراء القفقاس واواسط اسيا، فضلا عن كونه بداية الطريق الى الهند عبر ايران[٢٠].

انصب اهتمـام بطـرس الكبيـر بايـران في ظواهر واحداث متباينة، قسم منها كان سلميا، والاخر كان عسكريا. ففي العام ١٦٩٧ بعث ممثلا عنه الى اصفهان بهدف تحريض حكام ايران على اعلان الحرب ضد الدولة العثمانية. وبعد احد عشر عاما بعث بطـرس اسـرائيـل اوري (Israel Ori) سفيـرا عنـه الى ايـران، وقـد اثـار وصـوله المخـاوف لدى ممثلي الـدول الاوروبيـة الاخـرى في البـلاط الصفوي. وفي العام ١٧١٥ ارسـل بطـرس، الـدبلومـاسي الشـاب ارتيم بيتـروفيتش فولينسكي (Artemii Petrovich Volynsky) الى ايـران ليمثـل بلاده هنـاك حسب الاصول الرسمية المتبعة يومذاك. وقد زود القيصر سفيره الثاني بتعليمات تقضي بالعمل من أجل:

١ـ عقد معاهدة تجارية مع ايران.

٢ـ اقناع الشاه ووزرائه بتحويل طريق نقل الحرير الايراني الى اوروبا من قبل التجار الارمن عبر الاراضي السورية والتركية الى الاراضي الروسية.

٣ـ اذا فشل في تحقيق مهمته المذكورة في البند السابق، حينذاك عليه ان يبذل كل ما في وسعه لوضع العراقيل والصعوبات في طريق التبادل التجاري بين ايران والاقطار الاوروبية.

٤ـ جمـع معلومـات تفصيلية عن ظروف ايران، وعن طرق مواصلاتها، وانهارها التي تصب في بحر قزوين، ومعرفة ما اذا كان بينها نهر تقع منابعه داخل الهند.

٥ـ جمع اكبر مايمكن من المعلومات عن قوة ايران العسكرية[٢١].

استقبلت بعثة فولينسكي في العاصمة الايرانية اصفهان بحفاوة، واسكن افرادها في احـد قصـور الشـاه هناك. وعلى ما يبدو ان فولينسكي انجز مهمته بنجاح، فوضع

---

(٢٠) للتفصيل راجع.

L Lockhart Op Cit P 59

2 Ibid PP 61, 103 - 104

تقارير مسهبة عن أهمية ايران، وعن واقع انحلال الحكم الصفوي الذي كان بطرس يرغب في معرفة كل ما يتعلق به(٢٢).

أثرت تقارير فولينسكي عن ايران على شخص بطرس الكبير الذي اصدر تعليمات جديـدة تقضي بالتوسع في جمع المعلومات عن سواحل قزوين، وعن الطرق العسكرية في المناطق الشمالية من ايران. فانهمك المختصون بوضع خرائط عن قزوين تعتبر الاولى من نوعها، وبوضع تقارير مفصلة عن الطرق الصالحة للعمليات العسكرية داخل الاراضي الايرانية، خصوصا في منطقة كيلان(٢٣).

اعطت توجهات بطرس الكبير الايرانية ثمارها بسرعة. فلم ينته القرن السابع عشر الا واصبح لدى روسيا عدد من السفن في مياه قزوين. وفي العام ١٧١١ توصل الروس الى اتفاق مع تجار الحرير في ايران، الذين كانوا من الارمن اساسا، بصدد تصدير الحرير الايراني الى اوروبا عن طريق روسيا بدل الاراضي العثمانية، الامر الذي عززه الروس فيما بعد بعقد اتفاق مشابه مع التجار البريطانيين حول نقل البضائع الاوروبية المصدرة الى ايران، وكذلك كل الحرير المصدر من قبل الاخيرة الى اوروبا عبر الاراضي الروسية(٢٤). وفي العام ١٧١٧ تم ابرام معاهدة تجارية بين روسيا وايران نصت بنودها على منح التجار الروس حق شراء الحرير الايراني، وممارسة اعمالهم بحرية في البلاد كلها. وبموجب احد بنود المعاهدة تعهدت الحكومة الايرانية بأن تضمن الحماية للرعايا الروس. كما تم في أواخر سنة ١٧١٩ تعيين اول قنصل روسي في رشت هو سيميون افراموف (S. Avramov) (٢٥).

ولكن روسيا كانت تطمع في اكثر مما حققت، الامر الذي ادى الى وقوع اول صدام عسكري مباشر لها مع ايران. وعلى مايبدو ان بطرس الكبير قد خطط لهذا

---

(٢٢) تعتبر المراكز المختصة بالدراسات الايرانية في الاتحاد السوفيتي تقارير فولينسكي مصدرا اصيلا ومهما لدراسة المراحل الاخيرة من العهد الصفوي. راجع:

M S Ivanov, Ochirk istorii Irana, P. 86

(23) L Lockhart, Op Cit , PP 176 - 177

(24) S.G W. Benjamin, Persia and the Persians, London, 1887, PP. 416 - 417

(25) L.Lockart, Op. Cit., PP. 103 - 104, 177; N.G. Kukanova, Ochirki po Istorii russko - iranskikh torgovikh otnoshenii xvii - pervoi polovine xix veka, Saransk, 1977, P. 263.

ن. ك. كوكالوفا، موجز تاريخ العلاقات التجارية الروسية الايرانية في القرن السابع عشر حتى النصف الاول من القرن التاسع عشر، باللغة الروسية، سارانسك، ١٩٧٧، ص ٢٦٣.

الامر قبل وقوعه بسنوات[٢٦]، الا ان انشغاله باحداث الحرب الشمالية مع السويد أخر تنفيذه. وعلى اي حال بدأت بوادر الخلاف بين الدولتين بسبب باكو- الميناء القزويني المهم المعروف بنفطه منذ القديم[٢٧]، والذي جلب انظار بطرس الكبير بصورة خاصة، فطلب ان يبعث له بنموذج منه[٢٨].

في سنة ١٧٠٠ طالب الروس من الايرانيين بأن يمنحوهم حق الدخول في ميناء باكو بحرية، الا ان الشاه رفض الطلب، وأمر باقامة التحصينات الضرورية في الميناء.

ولئن لم يؤد الموقف الى تردي العلاقات بين الدولتين بصورة مباشرة، الا انه كان يدل على اطماع روسيا، وتوجهاتها نحو السواحل الجنوبية لبحر قزوين، والتي تجسدت مباشرة مع انتهاء الحرب مع السويد سنة ١٧٢١. فلم يمض سوى عام واحد على انتهاء الحرب المذكورة حتى بعثت بطرسبورغ بمندوب الى البلاط الايراني في اصفهان طالبة تعويضا ماليا عما لحق من اضرار بعدد من التجار الروس في مدينة شماخي الاذرية الشمالية على أيدي اللزكين[٢٩] الذين كانوا في ثورة ضد الفرس. وعندما وصل السفير الى اصفهان وجد الشاه السلطان حسين الصفوي قد تركها[٣٠]، وان الغازي الافغاني محمود يحتل عرش طاوس[٣١]. وقد رفض الاخير الاستجابة للطلب الروسي، وكان رده:

---

(٢٦) في رأي لوكخارت ان فكرة غزو ايران اختمرت في رأس بطرس الكبير في حدود العام ١٧١٥ (L. Lockhart, Op. Cit., P. 176)

(٢٧) ظلت نيران منابع النفط تشتعل في حقول سوره خاني المجاورة لمدينة باكو لغاية العقد الاخير من القرن الماضي.

(28) L Lockhart, Op. Cit , P 244

(٢٩) مجموعة اتنوغرافية صغيرة جورجية الاصل، تعيش في منطقة القفقاس، وفي تركيا.

(٣٠) ثار الافغانيون ضد الحكم الصفوي، وغزوا اراضي ايران سنة ١٧٢٢، وتمكنوا من وضع نهاية للعهد الصفوي بعد حصار العاصمة اصفهان، الامر الذي حاول بطرس الكبير استغلاله لتنفيذ خططه فيما يخص ماوراء القفقاس وبحر قزوين

(٣١) «تخت طاوس» (عرش طاوس) مصطلح يطلق عادة على العرش الايراني، وهو عبارة عن كرسي مزخرف، ومطعم بالاحجار الكريمة، كلف في حينه مابين ١٠٠ الى ٢٠٠ ألف باون، قدمه الزعيم الروحي لاصفهان محمد حسين خان «هدية متواضعة» الى فتح علي شاه بمناسبة احدى زيجاته الألف.

«ان على القيصر حماية تجارته بنفسه»[٣٢]

تحول هذا الموضوع الى السبب المباشر لتنظيم الحملة التي دخلت التأريخ باسم «الحملة الفارسية الاولى» أو «حملة بطرس على ايران»، والتي عجل في أمرها ايضا تدخل الاتراك النشط في شؤون منطقة شيروان يومذاك. وقد حاول بطرس تبرير حملته في بيان له بالتأكيد على ضرورة معاقبة اللزكين، و«حماية مسيحيي ماوراء القفقاس من جورجيين وأرمن»[٣٣]. ومما له مغزاه الكبير ان القيصر الروسي قاد بنفسه حملة قواته على ايران. ثم انه حاول بذكاء استغلال السياسة القومية والدينية القصيرة النظر لحكام ايران تجاه شعوب ماوراء القفقاس التي غدت ترنو الى روسيا لانقاذها من وضع مأساوي دفع حتى أهل باكو ودربند ورشت، وهم شيعة مسلمون، للاستغاثة بحكام روسيا[٣٤]. وأثناء حملته الاولى على ايران تعاون مع بطرس باخلاص كل من القيصر الجورجي كارتلي فاختانغ السادس[٣٥] وعيسى الزعيم الروحي للارمن.

في أوائل صيف عام ١٧٢٢ بدأت حملة بطرس على ايران، وكان قوامها حوالي ٤٤ ألف رجل[٣٦]، نصفهم من المشاة اقلتهم ٢٧٤ سفينة عبر نهر الفولغا الى استراخان في ١٨ تموز، والنصف الاخر منهم كان يتألف من الخيالة. وبعد ان اجتمعت القوتان في استراخان توجهت الحملة صوب داغستان، ومن ثم دخلت اراضي اذربيجان الشمالية. واثر هزيمة السلطان اوطميش امام الجيش الزاحف في أواخر آب، دخل الروس دون قتال الى مدينة دربند.

وبحكم مجموعة من العوامل توقف الزحف الروسي في اولى مراحله عند دربند. فقبل كل شيء جابهت القوات الروسية صعوبات جمة في تجهيز رجالها بالمؤن، وخيولها بالعلف جراء الظروف المناخية التي عرقلت تحرك الاسطول في قزوين والفولغا. كما ان بلوغ الروس دربند، وعزمهم على احتلال باكو اثارا حفيظة الباب العالي الذي كان يدعي السيادة على مناطق القفقاس. فحضر مقر بطرس في دربند

---

(32) G.N. Curzon, Op. Cit., Vol. I, P. 374

(33) M.S. Ivanov, Ohirk..., P. 86.

(34) L. Lockhart, Op. Cit., PP. 186, 245

(٣٥) فاختانغ السادس (١٦٧٥ - ١٧٣٧) قيصر جورجيا الشرقية منذ عام ١٧٠٣. مثقف وسياسي بارز، اسس اول مطبعة في تبليس سنة ١٧٠٩.

(٣٦) تشير بعض المصادر خطأ الى ان الحملة كانت تتألف من ٣٠ ألف رجل

(راجع: G.N. Curzon, Op. Cit., P. 374)

مبعوث عثماني حاملا معه انذار السلطان الذي هدد بالتعاون مع الايرانيين لوقف التقدم الروسي[٣٧].

ومهما يكن من امر فان القيصر الروسي قرر الانسحاب من دربند الى استراخان قبل حلول فصل الشتاء، ومن هناك عاد الى بطرسبورغ بعد ان عهد بقيادة الحملة الى الجنرال م . أ. ماتيوشكين . كما ترك حاميتين، الاولى في دربند، والثانية في حصن ستراتيجي قريب بناه حديثا واطلق عليه اسم «الصليب المقدس».

وقبل ان يغادر بطرس مدينة استراخان جاءه مندوب يحمل رسالة من زعيم كيلان يقترح عليه تسليمه مدينة رشت مقابل تعاون الطرفين لردع الغزو الافغاني الذي بدأ يهدد المناطق الشمالية الايرانية. وقد رحب القيصر بالاقتراح، فتوجهت السفن الروسية الى رشت التي دخلتها في كانون الاول عام ١٧٢٢ ، لتغدو منطقة واسعة من كيلان تحت سيطرة روسيا اثر ذلك[٣٨].

بعد احتلال رشت جاء دور باكو التي دخلت سفن الاسطول الروسي مياهها في تموز من السنة التالية. وبعد قصف مدفعي دام اربعة ايام دخلت القوات الروسية المدينة نفسها يوم ٢٦ تموز، الامر الذي ادخل بهجة غامرة في نفس بطرس الكبير لانه كان يعتبر باكو «مفتاحا لكل اهدافه» حسب تعبيره[٣٩].

ان تقدم القوات الروسية، وواقع الانحلال الداخلي في ايران بسبب الغزو الافغاني دفعا بتركيا الى ارسال قواتها بدورها الى عمق مناطق ماوراء القفقاس واحتلال جورجيا مع عاصمتها تبليس، مما ادى الى تراجع الشاه طهماسب امام الروس، فوقع سفيره اسماعيل بيك «معاهدة تحالف» مع بطرس الكبير يوم ٢٣ أيلول ١٧٢٣ في بطرسبورغ، نصت على اربع نقاط رئيسة هي :

١ـ ان يقدم القيصر الروسي مساعدات عسكرية للشاه الصفوي ضد الغزو الافغاني والتهديد التركي، ومن أجل تثبيت عرش طهماسب.

٢ـ يعترف الشاه مقابل ذلك بعائدية مدينتي دربند وباكو، ومايتبعهما من مناطق لروسيا «الى الابد»، كما يتنازل لها ايضا عن مدن كيلان ومازندران واستراباد.

٣ـ يتعهد الشاه بتزويد القوات الروسية التي تدخل الاراضي الايرانية بالمؤن والجمال.

٤ـ اقامة «علاقات ود ثابتة» بين البلدين، وضمان حرية التجارة والتنقل لاتباع كل واحد منهما لدى الطرف الاخر.

---

(37) G.N. Curzon, Op. Cit., P. 374

(38) Ibid; M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 86

(39) L. Lockhart, Op. Cit., P. 246

ان معـاهـدة بطـرسبـورغ وان كانت «مجـرد اقـرار لواقـع راهن» حسب تعبيـر كيرزن[٤٠]، الا انها كانت مؤ شرا مهما لما حققته توجهات روسيا الايرانية في مراحلها المبكـرة، اتبعتهـا مكـاسب آنية جديـدة في اطـار آخـر لمـوازين القوى في المنطقة نفسها. ففي البداية توترت العلاقات بين بطرسبورغ واستانبول اكثر من السابق جراء التـوقيـع على المعـاهـدة المـذكورة، مما حدا بالاتراك للتوغل في المناطق الشمالية الغـربيـة الايرانية، واحتلال مدينة كرمانشاه الكردية. وكاد ان يؤدي ذلك الى اندلاع نيـران حرب جديـدة بين روسيـا والدولة العثمانية لولا تدخل الفرنسيين لاصلاح ذات البين، فبـدأت مفـاوضـات مباشرة بين الدولتين اللتين كانت كل واحدة منهما تخشى تزايـد نفـوذ الطـرف الاخـر في ايـران، فاتفقتا على امور كان من شأنها ايجاد نوع من التـوازن بينهمـا في اطـار معـاهـدة وقعتا عليها في ٢٤ حزيران ١٧٢٤، نصت بنودها على تقسيم المنـاطق الشمـاليـة، مع جزء من المنـاطق الغربية الايرانية بينهما. فقد وافقت تركيا على ان تضم روسيا اليها جميع المناطق الايرانية التي تنازل عنها الشاه طهمـاسب بمـوجب معاهدة بطرسبورغ دون الاشارة اليها بالاسم. وبالمقابل وافقت روسيـا على ان تضم تركيـا اليهـا كل اذربيجـان وكـردستان الايرانيتين الى حد مدينة همـدان. ووافق الطـرفـان على ابـداء العـون للشاه طهماسب في حالة موافقته على مضمون المعاهدة الجديدة، والا فانهما هددا بالعمل من أجل تنصيب شخص آخر مكانه[٤١].

لم يستمـر اتفـاق بطـرسبـورغ واستـانبـول بصـدد ايران طويلا، خاصة لان تركيا سرعـان مابـدأت بالتجـاوز على ماحددته لها معاهدة حزيران ١٧٢٤. فلم تمر سوى اشهـر قليلة على ابـرام المعـاهـدة عندما استولت تركيا على قزوين واستراباد، ومدن ايـرانيـة اخـرى ابقتها بنود المعاهدة في حوزة الشاه طهماسب. ولم ينته العام ١٧٢٥ حتى توجهت القـوات التـركيـة صوب العـاصمـة الايرانية اصفهان. وفي غضون فترة وجيـزة استـولى الاتـراك على جورجيـا وارمينيـا واذربيجان وكردستان، وعلى جزء من داغستـان وشيـروان، مع قسم كبيـر من اواسط ايران. ولم يبق في حوزة الروس سوى جزء من داغستان وشيروان.

ولكن سرعـان ماطـرأ تغييـر مهم آخـر على السـاحـة الايرانية رافق ظهور نادر شاه الافشـاري فوق المسـرح في اواخر العقد الثالث من القرن الثامن عشر[٤٢]. فبعد ان

---

(40) G N Curzon, Op. Cit., P. 735

(41) M.S Ivanov, Ochirk , PP. 87 - 90; L Lockhart, Op. Cit., PP 233 - 235

(٤٢) برز نادر شاه الافشـاري (١٦٨٨ - ١٧٤٧) في حيـاة ايـران السيـاسية منذ عام ١٧٢٦. تسنم العـرش سنـة ١٧٣٦ ليبـدأ بذلـك مايعرف في تاريخ ايران بالعهد الافشاري، نسبة الى اسم عشيرة الافشار القزلباش الذي تحول الى لقب لنادر شاه

نجح الزعيم الافشاري في طرد الافغان من ايران توجه نحو تركيا التي دخل في حرب ضدها استمرت من عام ١٧٣٠ حتى عام ١٧٣٦، تمكن بفضلها من استعادة ارمينيا وجورجيا وداغستان واذربيجان وكردستان وغيرها من المناطق التي استولت عليها القوات التركية. وقد ابدى الروس المساعدة العسكرية للقوات الايرانية العاملة ضد القوات التركية في اطراف ماوراء القفقاس[٤٣].

اتخذ التقارب الروسي - الايراني في عهد نادر شاه مدى ابعد من ذلك، الامر الذي نجم عن جملة عوامل تأتي في مقدمتها تردي العلاقات بين بطرسبورغ واستانبول[٤٤]، وموت القيصر الطموح بطرس الكبير في كانون الثاني ١٧٢٥، وتثبيت نادر شاه[٤٥] لاركان حكمه، ونمو قوته. وبما ان روسيا كانت على وشك الدخول في حرب جديدة ضد تركيا، فانها حاولت في العقد الرابع من القرن الثامن عشر خطب ود ايران، فوقعت معها في ١ شباط ١٧٣٢ معاهدة في مدينة رشت نصت على ان تعيد روسيا لايران مدن كيلان ومازندران واستراباذ التي منحتها اياها «معاهدة بطرسبورغ ١٧٢٣». والتزمت روسيا بسحب قواتها الموجودة في المدن المذكورة الى ماوراء نهر كورا الذي اعتبر حدا فاصلا بين ممتلكات الدولتين في ماوراء القفقاس. وبموجب «معاهدة رشت» حصلت روسيا على امتيازات اقتصادية، بما في ذلك اعفاء صادراتها الى ايران، ووارداتها منها من كل انواع الضرائب الكمركية.

وبعد عامين ونيف، وقعت الدولتان معاهدة جديدة قرب مدينة كنجه[٤٦] الاذرية الشمالية (٢١ آذار ١٧٣٥) اعادت روسيا الى ايران بموجب بنودها مدينتي دربند وباكو وما والاهما من مناطق، والتزمت ايران بأن لاتسمح لطرف دولي ثالث بفرض سيطرتها عليها. وبموجب البند الثاني من «معاهدة كنجة» تعهدت ايران بأن تستمر في حربها الجارية مع تركيا لغاية ان تستعيد منها كل المناطق التي كانت تخضع سابقا للنفوذ الايراني، وان تعيد من بينها الجزء الشرقي من جورجيا الى مملكة كارتيل فاختانغ السادس. كما التزم الطرفان المتعاقدان بعدم الدخول مع تركيا في مفاوضات من شأنها ان تضر بمصالح احدهما، وان لايعقد اي منهما صلحا منفردا

---

(43) M S. Ivanov, Ochirk.., PP. 94 - 95

(٤٤) دخلت روسيا في حربها الرابعة ضد تركيا سنة ١٧٣٥ والتي استمرت لغاية سنة ١٧٣٩.

(٤٥) تلقب بالشاه في العام ١٧٣٦، الا انه تحول الى الحاكم الفعلي لكل ايران قبل ذلك التأريخ بسنوات.

(٤٦) كان كنحه مركزا اسلاميا مهما في القفقاس، تعرف حاليا بكيروفاباد (مدينة كيروف)، وتعتبر ثاني مدينة بعد العاصمة باكو في اذربيجان السوفيتية.

مع تركيا[٤٧]. ومن جديد اكدت بنود المعاهدة مصالح روسيا التجارية في ايران.

وهكذا لم تبق لدى روسيا في ايران في اواسط القرن الثامن عشر سوى مقيمية في ميناء انزلي على قزوين، ووكيل تجاري في دربند اقتصرت مهمتهما اساسا على الاشراف على تجارة الحرير هناك[٤٨]. وبالطبع لم يعن ذلك وضع حد لتوجهات روسيا الايرانية التي دخلت مرحلة جديدة قبل نهاية القرن الثامن عشر.

مرحلة جديدة في العلاقات الايرانية - الروسية:

مع تطور العلاقات الرأسمالية في روسيا، وتشعب سياستها ومصالحها الدولية، ازدادت اهمية ايران في نظر حكامها اكثر فاكثر، خصوصا بعد ان بدأوا بدورهم يرنون الى الهند الاسطورية كورقة مؤثرة في العلاقات الدولية. ففي العام ١٨٨٥ وضع الجنرال كرابوتكين (Krapotkin) خطة سرية لغزو الهند أخذت بنظر الاعتبار ضم كيلان ومازندران واذربيجان وخراسان في اطار ماوصف «بالمرحلة الايرانية للعمليات»[٤٩].

وفي الوقت نفسه استمر الروس في محاولاتهم لاستغلال استياء شعوب ماوراء القفقاس من سياسة حكام ايران، محققين الكثير في مجاله، فقد تحولت بلادهم الى ملجأ لكبار ساسة جورجيا المضطهدين. ففي العقد الرابع من القرن الثامن عشر بلغ عدد اللاجئين الجورجيين الى مدينة موسكو وحدها حوالي ثلاثة الاف شخص، من بينهم فاختانغ السادس، وعدة مئات من رجاله ظلوا على اتصال مباشر ببني جلدتهم، واسهموا كثيرا في توطيد علاقاتهم بالروس. وازداد التقارب بين الطرفين اكثر في عهد القيصر الجورجي هيراكلي الثاني (Heraclius II) (١٧٤٤ - ١٧٩٨)[٥٠] الذي وقع في كانون الثاني عام ١٧٨٣ «معاهدة صداقة» مع الروس وضع بلاده

---

(٤٧) لم يلتزم نادر شاه بهذا البند من «معاهدة كنجه»، ففي اواخر عام ١٧٣٥ دخل بصورة منفردة في مفاوضات الصلح مع تركيا، والتي اسفرت عن توقيع معاهدة استانبول يوم ٢٨ أيلول ١٧٣٦، فيما استمرت روسيا في حربها الرابعة مع تركيا مدة ثلاث سنوات اخرى.

(48) G.N. Curzon, Op. Cit., PP. 734 - 735

(49) Ibid, P. 386

(٥٠) هيراكلي الثاني (١٧٢٠ - ١٧٩٨) سياسي جورجي متنور، اصبح قيصرا على جورجيا الشرقية سنة ١٧٤٤. بذل جهودا كبيرة من أجل توحيد بلاده وتطويرها.

بموجب بنودها تحت حمايتهم[٥١]. وفي السنة نفسها وصلت العاصمة تبليس حامية روسية.

ولكن رافق الانعطــاف الجـديـد، والخطيـر في علاقـات ايـران وروسيـا ظهـور القاجاريين فوق المسرح السياسي في اواخر القرن الثامن عشر.

استغـل اغـا محمد خان القاجاري (١٧٤٢ ـ ١٧٩٧) انحلال حكم الزنديين[٥٢] في ايران، فدخل منذ اواسط العقد التاسع من القرن الثامن عشر في صراع مستميت معهم استمـر لمـدة حوالي عقـد من الـزمن، لينتهي في اواخـر سنـة ١٧٩٤ بانتصـار ساحق له دشن بداية عهد جديد في تأريخ ايران الحديث يعرف بالعهد القاجاري[٥٣] الذي استمر لغاية اواسط العقد الثالث من القرن العشرين.

كان اغـا محمـد خان يحلم ببعث سطـوة الصفويين، واحياء امبراطورية نادر شاه الافشاري الواسعة. فقد كان يخطط من أجل اقامة دولة شاسعة تضم كل خراسان، وسهوب تركمانيا، وكل مناطق القفقاس، وهرات في افغانستان، وكل كردستان[٥٤]، دون ان يأخذ واقع تناسب القوى على الصعيد الدولي بنظر الاعتبار. فما ان استتبت

---

(٥١) دكتور علي بينا، تاريخ سياسي و ديبلوماسي ايران، جلد اول (از كلناباد تا تركمانجاى ١١٣٤ ـ ١٢٤٣ هـ)، جاب سوم، تهران، ١٣٤٢، ص ٣٨؛

P. Avery, Modern Iran, London, Second Impression, 1965, P. 25.

(٥٢) الـزنـد عشيرة كردية معروفة تسكن غرب ايران وجنوبها. تمكن زعيم الزنديين المعروف محمد كريم خان (١٧٠٤ أو ١٧٠٥ ـ ١٧٧٩) من استغــلال ظروف التسيب التي سادت البـلاد، ففـرض حكمه على كل ارجائها. استمر العهد الزندي من عام ١٧٦٠ حتى عام ١٧٩٤، وقد حكم خلاله كريم خان الزند (١٧٦٠ ـ ١٧٧٩) الذي يطلق عليه المؤرخون الغربيون لقب «الملك الصالح»، وابـو الفتـح خان (١٧٧٩ ـ ١٧٨٢)، وعلي مراد خان (١٧٨٢ ـ ١٧٨٥)، وجعفـر خان (١٧٨٥ ـ ١٧٨٩)، ولطف علي خان (١٧٨٩ ـ ١٧٩٤).

(٥٣) القـاجـاريون ـ نسبة الى القاجارية وهي عشيرة تركية الاصل، شيعية المذهب، تقطن شمال اذربيجـان ومـازنـدران، أبـدت مسـاعـدات قيمـة للصفـويين، مكنتهم من فرض سيطـرتهم على اذربيجـان اولا، ثم على كل ايـران في القـرنين الخـامس عشر والسادس عشر (للتفصيل عن اصل القاجاريين راجع الدراسة العلمية التي اجراها المؤرخ الايراني سعيد نفيسي في كتابه:

«تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر»، مجلد اول (از اغاز سلطنت قاجارها تا بايان جنك نخستين با روسية)، تهران، ١٣٣٥، ص ٥ ـ ١٩.

(54) N A. Kuznitsova, Politicheskoya sotsialno - i economicheskoe polojenie Irana v kontse XV 111 - pervoy polovine X1X v., «Ochirk novoy Istorii Irana», Moscow, 1978, P. g.

أ. ن. كوزنيتسـوفـا، الوضع السياسي والاجتماعي ـ الاقتصادي لايران في اواخر القرن الثامن عشر ـ النصف الاول من القـرن التـاسـع عشـر، في كتـاب «موجز تأريخ ايران الحديث»، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٧٨، ص ٩.

له الامور في الداخل[٥٥] حتى بدأ يخطط لاعادة سيطرة بلاده على مناطق ماوراء القفقاس، وخصوصا على وادي نهر كورا الاوسط وكل جورجيا. ولتحقيق احلامه اولى مؤسس الدولة القاجارية الجيش جانبا كبيرا من اهتمامه[٥٦]. كما مارس ضغطا مباشرا على القيصر الجورجي، هيراكلي الثاني. ففي نيسان ١٧٩٥ بعث اليه رسالة تهديد يطالبه فيها بالاعتراف بسيادة ايران على بلاده، ودفع ماترتب عليه من اموال. وعبر الزعيم القاجاري في رسالته عن استغرابه لتوجه هيراكلي الى الروس، مع ان جورجيا «كانت خاضعة لايران على مدى مئات السنين». وكتب له ايضا «صحيح اننا لسنا على دين واحد، الا ان علاقاتكم كانت دائما مع ايران». وفي الختام بدأ سيل التهديد، فقد ذكر مانصه:

«انني اليوم في منتهى قدرتي اخطركم بقطع كل علاقاتكم مع روسيا، والا فانني سأزحف بجيشي على جورجيا قريبا، واريق نهرا من دماء الروس والجورجيين»[٥٧].

جاء جواب هيراكلي الثاني مخيبا لآمال اغا محمد خان، فقد اكد له انه «لايعترف الا بسيادة روسيا»[٥٨].

وكان من الطبيعي ان تسوء العلاقات بين روسيا وايران في العهد القاجاري بسرعة. ففي بداية حكمه سمح اغا محمد خان للروس باقامة وكالة تجارية لهم قرب استراباد عرفت بدار المعاملة او «تجارتخانه»، الا انه سرعان ماطرد العاملين فيها

---

(٥٥) لغاية اواخر عام ١٧٩٤ تمكن اغا محمد خان من فرض سيطرته على جميع ارجاء ايران فيما عدا خوراسان وجزء من كردستان.

(٥٦) كان الجيش الايراني في العهد القاجاري يتألف من قوات ثابتة قوامها حرس الشاه الخاص، والقوات التي تقدمها الولايات. للتفصيل راجع:

K.S. Lambton, Landlord and Peasant in Persia A study of land tenure and land revenue administration, London, 1953, P. 137.

(٥٧) نشرت مجلة «Revue du Monde Musulman» الفرنسية نص رسالة اغا محمد خان بعددها الصادر في كانون الثاني ١٩١٠.

(٥٨) للتفصيل حول الموضوع راجع:

دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٣٩ ـ ٤٠؛

«History of Persia under Qajar rule», translated from the persian of Hasan-e Fasa'i's «Farsnama-ye Naseri», by H. Busse, New York and London, 1972, PP. 65-66.

بحجة انهم اقاموا هناك مايشبه قلعة عسكرية[٥٩]. وسرعان ماتوالت الاحداث التي انتهت بوقوع صدام واسع بين ايران وروسيا، تحول غزو اغا محمد خان لجورجيا الى سببه المباشر والاساس.

ان اغا محمد خان الذي تصفه المصادر الفارسية كشخص قاسي القلب، لئيم الطبع، ماكر السريرة[٦٠]، قد هيأ لحملته على جورجيا بكتمان كبير، فجمع في ضواحي طهران، التي اتخذها عاصمة لملكه، جيشا جرارا قوامه ٦٠ ألف مسلح، دون ان يعلم أحد بوجهته على وجه التحديد[٦١]. وفي ربيع عام ١٧٩٥ تحرك على رأس قواته صوب القفقاس، فاحتل قره باغ واذربيجان الشمالية، ثم دخل اراضي جورجيا متوجها نحو عاصمتها تبليس التي اضطر هيراكلي الثاني الى تركها، والتوجه الى الجبال المجاورة بعد ان ابدى مقاومة يائسة للقوات الغازية، اذ لم يكن بوسعه ان يجمع اكثر من خمسة الاف مسلح لردع المعتدين[٦٢].

دخل اغا محمد خان مدينة تبليس يوم ١٢ ايلول ١٧٩٥ دون قتال، وعلى مدى ثمانية أيام اطلق العنان لرجاله ليفعلوا ما يشاءوا باهلها، فارتكبوا جرائم فظيعة اسهبت في وصفها المصادر الفارسية والغربية على حد سواء[٦٣]، والتي ذهبت ضحيتها الاف مؤلفة من الابرياء، مع قدر غير قليل من الاثار الحضارية الجورجية. ولم تكن ضحايا الجورجيين في المناطق الاخرى أقل من ذلك، بحيث ان بعض الوثائق التي تعود الى تلك الفترة تؤكد على ان عدد سكان جورجيا قد تقلص الى النصف تقريبا

---

(٥٩) ابراهيم تيموری، عصر بی خبری يا تاريخ امتيازات در ايران، تهران، ١٣٣٢، ص ٢٥٠.

(٦٠) راجع:

سعيد نفيسى، تأريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، جلد اول، ص ٤٦ - ٤٩، ٥٢ - ٥٤.

(٦١) عبدالله رازي، تاريخ مفصل ايران از تاسيس سلسله ء ماد تا عصر حاضر، جاب دوم، تهران، ١٣٣٥، ص ٤٥٦ - ٤٥٧؛ سعيد نفيسى، تاريخ اجتماعي وسباسي ايران در دوره معاصر، جلد اول، ص ٥٠.

(٦٢) «وزارة الخارجية. السياسة الخارجية لروسيا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وثائق وزارة الخارجية الروسية. التسلسل الاول (١٨٠١ - ١٨١٥)، المجلد الاول (آذار ١٨٠١ - نيسان ١٨٠٤)، ص ٧٣، الوثيقة رقم ١٧.

(٦٣) دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسى ايران، جلد اول، ص ٤٤؛ سعيد نفيسى، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٥٠، ٦٤؛

M S Ivanov, Ochirk , PP 113 - 114.

قيـاسـا مع ماكـان عليـه عام ١٧٨٣ (من ٦١ ألف اسـرة الى ٣٥ ألف)[٦٤]. وحسبما يؤكد المستشرق السوفيتي المعروف البروفيسورم. س. ايفانوف فان اغا محمد خان نظم حملة دعاية لتغطية اعماله في جورجيا التي اعتبرها «نضالا من أجل الدين، من أجـل الاسـلام»[٦٥]، الا انـه لـم يتـردد أثناء الحملة نفسها في استخدام قدر كبير من القسـوة ايضـا مع المسلمين من سكـان طالش الجبليين[٦٦]، وسكان بعض المناطق في قره باغ لمجرد انهم لم يعلنوا الولاء له مباشرة[٦٧].

بعد ان أمضى اغا محمد خان تسعة ايام في العاصمة الجورجية قفل راجعا الى بلاده مستصحبا معه ١٦ ألف شاب وشابة حول معظمهم الى خدم في بيوت الامراء والاثرياء[٦٨]. ولقد بلغ اعتزازه بما حققه في القفقاس حد انه بعد عودته فقط وافق ان يتبـوأ العـرش، ويلقب باول شاه قاجـاري، ويتقلد السيف الـذي كان فوق قبـر الشاه اسمـاعيـل الصفوي في أردبيل[٦٩]. ومنذ ذلك الوقت اصبح يعرف بلقبه الجديد اغا محمد شاه.

كان رد فعل روسيا على حملة اغا محمد خان قويا، فاصدرت بطرسبورغ الاوامر الى «حامية قزوين» المؤلفة من ١٣ ألف رجل، يقودهم الجنرال فاليرى زوبوف .V) Zubov)، ويسـانـدهم اسطـول قزوين، بالتـوجـه الى اذربيجان عبر داغستان، ليبدأ بذلك مايعرف بالحملة الفارسية عام ١٧٩٦.

بعـد تعـزيزها تقدمت القوات الروسية من قزلر يوم ١٨ نيسان ١٧٩٦، وفي ٢ أيار حاصـرت دربنـد التي احتلتهـا بعـد ثمـانية ايام. وفي ١٥ حزيران دخل الروس كوبا وبـاكـو في وقت واحـد دون قتال، واصلوا بعده التقدم واحتلوا شيروان ونوخا وقره باغ

---

(٦٤) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الاول، ص ٧٣، الوثيقة رقم ١٧.

(65) M.S. Ivanov, Ochirk ., P. 113.

(٦٦) طالش شعب مسلم صغيـر، شيعي المـذهب، يقطن في جنـوب اذربيجـان السـوفيتية، وفي شمال ايران. بموجب تقديرات سنة ١٩٧٢ بلغ تعداد الطالش في ايران ٧٢ ألف شخص.

(67) N.A. Kuznıtsova, Op. Cit., P 10

(٦٨) تشير بعض المصادر الى ١٥ ألف شخص نقلهم اغا محمد خان معه الى داخل ايران (راجع المثال: سعيد نفيسى، تأريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٦٤).

(٦٩) [illegible]د نفسى، تأريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٥٠ ـ ٥١.

التي تشرف على هضبة أرمينيا[٧٠]. ولغاية ٢١ تشرين الثاني من العام نفسه وصلت القوات الروسية الى النقطة التي يلتقي فيها نهرا اراس وكورا استعدادا للتقدم في عمق الاراضي الايرانية بعد ان أصبح الطريق الى تبريز مفتوحا امامها، الامر الذي حال دون تحقيقه موت الامبراطورة كاترين الثانية، وانتقال العرش الى ابنها بول (بافل) الاول في سنة ١٧٩٦، فقد اتبع القيصر الجديد سياسة جديدة على الصعيد الخارجي امتدت آثارها الى ايران، ومناطق القفقاس ايضا. ففي كانون الاول من العام نفسه اصدر الاوامر الى قواته العاملة في الجبهة الايرانية بالانسحاب من منطقة قفقاس، الامر الذي وضع القيصر الجورجي هيراكلي الثاني في موقف حرج للغاية، خصوصا بعد ان تجاهل جميع رسائل الشاه الايراني بصدد الخضوع له[٧١].

ولكن لم يحل قرار القيصر الروسي دون اقدام اغا محمد شاه على تنظيم حملة ثانية ضد جورجيا التي كان متعطشا للانتقام من قيصرها هيراكلي لكونه قد طلب مساعدة روسيا لردع الخطر الايراني. ومن الجدير بالذكر ان الفرنسيين كانوا يحاولون من جانبهم تشجيع اغا محمد شاه، ودفعه للاستمرار في موقفه المعادي للروس، وكانوا يميلون الى ايجاد تحالف وثيق بينه وبين السلطان العثماني في ذلك الاتجاه. ولتحقيق هذا الهدف بعثت باريس بمندوبين الى الشاه هما برونييه (Brugniere) واوليفييه (Olivier)، كانا يحملان معهما صورة معاهدة عقدها البلدان في العهد الصفوي[٧٢].

باشر اغا محمد شاه حملته الثانية على جورجيا من طهران في آذار عام ١٧٩٧. وفي غضون فترة وجيزة وصل رجال الحملة نهر اراس، وبعد ان عبروه احتلوا قلعة شوش. ومع تقدم الحملة وزعت اوامر الشاه على الحكام والمتنفذين تطلب منهم الخضوع المطلق للحكم القاجاري، ولقد اضطر العديد من المعارضين الى اللجوء للمناطق الحصينة هربا من بطش الغزاة.

توقف اغا محمد خان في شوش انتظارا لانسحاب القوات الروسية من جورجيا،

---

(٧٠) دكتر علي بينا، تأريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٤٩؛

W.D Allen and P. Muratoff, Caucasian battlefields. A history of the wars on the Turco - Caucasian border 1828 - 1921, Cambridge, 1953, P. 19

(71) N A. Kuznitsova, Op. Cit., P. 14.

(٧٢) دكتر علي بينا، تأريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٤٦ ـ ٤٨؛

M.S Ivanov, Ochirk. , P. 129.

فقد بلغه قرار بطرسبورغ بخصوص ذلك قبل ان يغادر طهران[٧٣].

ولكن حدث في شوش مالم يكن في الحسبان، فقد دبر اثنان من حرس الشاه[٧٤]، كانا على اتصال بزعماء مستائين، امر اغتياله في خيمته يوم ١٨ أيار ١٧٩٧[٧٥].

ساء وضع الجيش الايراني بعد مقتل اغا محمد شاه، فقد انهمك قادته في تقسيم الغنائم، وبالنزاعات الشخصية، حتى ان مراسيم دفن الشاه قد تأخرت لمدة عدة ايام بسبب ذلك[٧٦]. كما رجع العديد من اعوانه المقربين مع رجالهم الى مواطنهم، منهم رئيس عشيرة شكاك الكردية صادق خان الذي حامت حوله الشبهات في تدبير امر اغتيال الشاه، خصوصا وانه استولى على مجوهراته، ومنح حمايته لمنفذي مؤامرة اغتياله، بل انه طالب ان يخلفه في العرش[٧٧]. اما ماتبقى من الجيش النظامي فقد قفل راجعا الى طهران بعد ان تعرضت معسكراته للسلب والنهب من قبل السكان المحليين[٧٨].

أعقبت مقتل اغا محمد شاه فترة هدوء نسبي في العلاقات بين ايران وروسيا لم تستمر طويلا، ولاسيما ان احداثا جديدة عجلت في وقوع صدام آخر أوسع بينهما.

---

(73) N A. Kuznitsova, Op. Cit., P. 14

(٧٤) تشير بعض المصادر الى ان ثلاثة من حراس الشاه اشتركوا في تنفيذ مؤامرة اغتياله. راجع مثلا:

«Farsnama-ye Naseri», PP. 73 - 75

(٧٥) دكتر علي بينا، تأريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٥٠ ـ ٥٢. تشير بعض المصادر الى يوم ١٧ حزيران ١٧٩٧ تاريخا لاغتيال اغا محمد شاه.

(٧٦) دفن اغا محمد شاه في شوش، ونقلت رفاته فيما بعد الى مسجد عبدالعظيم قرب طهران ومن ثم نقلت من هناك الى النجف.

(٧٧) توجد آراء متباينة حول اسباب مقتل اغا محمد شاه، ففضلا عن الرواية المتعلقة بصادق خان الشكاكي الذي يقال انه كان على اتصال مباشر بالاذربيجانيين والجورجيين، يوجد رأي آخر يؤكد ان احد حراس الشاه كان جورجيا في الاصل، فاقدم على فعلته بتحريض من ابناء جلدته. وحسب رأي آخر ان الشاه كان ينوي تنفيذ حكم الموت بثلاثة من حراسه، فاقدم هؤلاء على اغتياله طلبا للنجاة، لكن الرأي الارجح هو ان الامر كان من تدبير صادق خان (للتفصيل حول الموضوع راجع: سعيد نفيسي، تأريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٧٥؛ دكتر علي بينا، تأريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٥٢؛

«Farsnama-ye Naseri», PP 73 - 75; N.A. Kuznitsova, Op. Cit , P. 14).

(78) «Farsnama-ye Naseri», P. 75.

فبعد فترة استتبت الامور داخل ايران لصاحب اطول لحية في العالم[٧٩]، زوج الف اجمل امرأة فارسية وتركمانية واذرية وجورجية وكردية، ووالد ٢٦٢ ولدا وبنتا دفن منهم في الحياة ١٥٩[٨٠]، المؤمن بالسحر والطلسم والتنجيم، الضعيف امام الشدائد، الغارق حتى اذنيه في البخل والجشع، ثاني ملوك ال قاجار، ابن شقيق اغا محمد شاه[٨١] بابا خان الذي اصبح يعرف بفتح علي شاه منذ يوم احتفاله لمناسبة تسنمه للعرش في عيد نوروز، ٢١ آذار ١٧٩٨، والذي دام حكمه حوالي ٤٠ عاما، ولكن دون ان «يخلف شيئا يخلده في التأريخ» حسب تعبير البارون كورف[٨٢].

ومع ان فتح علي شاه، على العكس من عمه المتوفي تماما، لم يكن جريئا، ولم يكن عسكريا مرموقا[٨٣]، الا انه كان متعطشا للتوسع، فوقع فريسة سهلة للاحداث، والعلاقات الدولية المتشابكة التي حملته على دفع بلاده الى اتون عدد من الحروب.

وقد توجهت انظار الدول الكبرى فعلا نحو ايران اكثر من السابق، خصوصا بعد بروز نابليون بونابارت فوق المسرح. فبعد ان فشلت حملته على مصر بدأ نابليون يفكر في حملة جديدة تكون وجهتها الهند عن طريق ايران. ولتحقيق ذلك عقد نابليون في اواخر عام ١٨٠٠ معاهدة مع القيصر الروسي بول الاول[٨٤] نصت بنودها على اشتراك قوات بلديهما في الحملة المقررة، التي كان يجب حسب الخطة المرسومة لها ان يقوم الجيش الروسي بغزو شمال الهند عن طريق اسيا الوسطى، فيما تقرر ان يتقدم الفرنسيون من البحر الاسود الى نهر الدون، ثم نهر الفولغا،

---

(٧٩) حسبما يذكر شاهد عيان اوروبي كانت لحية فتح علي شاه تصل القسم الاسفل من بطنه. وارضاء له كان الفنانون يرسمون لحيته بطول اكبر من واقعها. راجع:

Baron E Korf, Vospominania o Persia 1834 - 1835, St.Pet , 1838, P. 138

البارون ي. كورف. ذكريات عن بلاد فارس في ١٨٣٤ - ١٨٣٥، باللغة الروسية، بطرسبورغ، ١٨٣٨، ص ١٣٨.

(٨٠) في العام ١٨٨٢ بلغ عدد نسله حوالي عشرة الاف شخص كان جميعهم يحملون لقب الامير او الاميرة، حتى غدا قولا مألوفا بين الناس انه «حيثما تذهب فهناك القمل والجمال والامراء».

(٨١) كان اغا محمد شاه خصيا، فلم يخلف أحدا من بعده.

(82) E Korf, Op. Cit , P 138

(٨٣) لم يشترك فتح علي شاه في اي من حملات بلاده العسكرية الكثيرة سوى مرة واحدة اثناء الحرب مع روسيا، ولكن ماان علم في الطريق باندحار جيشه حتى قفل راجعا الى عاصمة ملكه

(٨٤) كانت روسيا قبل ذلك في تحالف مع اعداء فرنسا، لاسيما مع النمسا وانكلترا، الا ان استيلاء الاخيرة على جزيرة مالطا اثارت القيصر الروسي بول الاول الذي انتقل اثر ذلك الى الخندق المقابل.

فيصلون عن طريقهـا الى بحـر قزوين، فاستـراباد في طريقهم الى هرات داخل افغانستان والالتقاء بالقوات الروسية على الحدود الشمالية ـ الغربية للهند. وقد باشر القيصر الروسي فعلا بتنفيذ المرحلة الاولى من خطة الغزوحينما اصدر في مطلع سنة ١٨٠١ اوامـره الى قوة من القـوزاق قوامهـا ٢٢٫٥ الف رجـل، بالتحـرك صوب الهند[٨٥]. ومن جانبهم اجـرى الفـرنسيـون اتصالا مباشرا بفتح علي شاه بخصوص غزو الهند عبر الاراضي الايرانية[٨٦]. وكان من الطبيعي ان يتحرك البريطانيون باتجاه معاكس.

ولكن سرعان ما وئدت الخطة الفرنسية ـ الروسية المشتركة لغزو الهند اثر اغتيال القيصـر الـروسي بول الاول الـذي تصفـه المصـادر الـروسية كحاكم «ضيق الافق، غريب الطبـاع، قاس»[٨٧]. ففي ليلة ١١ على ١٢ آذار سنـة ١٨٠١ قتـل بول في احدى غرف قصـره اثـر تنفيذ مؤامرة كان الانكليز احد اطرافها. فلم يكن من السهل على لنـدن ان ترى فوق عرش دولـة كبـرى ملكـا يمـد يد التعـاون الى الـد اعـدائها بـذلك. وفي الـوقت نفسـه نشطت محـاولات الانكليـز للتغلغـل في ايـران بهدف الحيلولة دون وقوعها فريسة سهلة بايدي الاعداء انفسهم الذين كانوا يحاولون بشتى السبل النيـل من درة تاجهم الاثمن. ولتحقيق هذا الهـدف الستراتيجي المهم بعث المسؤولـون البـريطـانيون في الهند الكابتن النشط جون مالكولم الى ايران في اواخر سنة ١٨٠٠.

حقق المبعـوث البـريطـاني نجـاحـا ملمـوسا في مهمته، خصوصا بفضل ما كان يحمل من هدايا ثمينة تقدر المصادر الفارسية قيمتها بمليوني روبية[٨٨]، بينها ماسة كبيرة[٨٩] اضـافت الى «وهـج فتح علي شاه»[٩٠] نورا جديدا. فقد وقع جون مالكولم معاهدة مع الشاه نصت بنودها على:

١ـ ان تقـوم القـوات الايـرانيـة بغـزو اراضي افغانستان في حالة قيامها بالهجوم على الهند، على ان تحتفظ ايران بقواتها هناك لحين تخلي افغانستان عن اطماعها في الهند.

---

(85) M.S Ivanov, Ochirk..., P. 129

(٨٦) عبدالله رازي، تأريخ مفصل ايران از تاسيس سلسله ءماد تا عصر حاضر، ص ٤٦٠ ـ ٤٦٢.

(٨٧) بيغانوف وفيدوسوف، المصدر السابق، ص ٢٦٠.

(٨٨) سعيد نفيسي، تأريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٩٣.

(89) J.M. Upton, The history of Modern Iran. An interpretation, 4th edition, Harvard, 1968, P.

(٩٠) رصفه الرحالة بانه كان مثل «قطعة وهج» لكثرة المجوهرات التي كانت تزين ملابسه، وغطاء

٢ـ ان يتعاون الطرفان لوضع حد لمحاولات فرنسا للتغلغل في المنطقة.
٣ـ ان تقدم انكلترا المساعدات العسكرية الضرورية لايران في حالة تعرضها لهجوم فرنسي، أو أفغاني.
٤ـ ان تفتح ايران موانئها امام التجار الانكليز والهنود، وتعفي البضائع الانكليزية (الاقمشة، والمعدات الحديدية، وغيرها) من دفع الرسوم[٩١].

وكما نلاحظ فيما بعد ان عقد هذه المعاهدة دشن بداية عهد جديد لتغلغل الدول الكبرى في ايران، وانعكس من نواحي عديدة على علاقات الدولتين المتعاقدتين بروسيا، وعلى حروب الاخيرة مع ايران، والتي اندلعت نيرانها من جديد بعد انتقال العرش الروسي الى الكسندر (اسكندر) الاول بسنوات قليلة.

بعد مجيء اسكندر الاول (١٨٠١ ـ ١٨٢٥) للحكم طرأ تحول جديد في سياسة روسيا الخارجية، وقد امتدت اثار هذا الواقع الى مناطق ماوراء القفقاس مباشرة. فقد عاد حكام روسيا الى نهج السياسة نفسها التي اتبعتها كاترين الثانية تجاهها. فأصدر القيصر الجديد اسكندر الاول في ١٢ أيلول ١٨٠١ بيانا يقضي بضم جورجيا الى روسيا التي بدأت منذ ذلك التاريخ تولي تحصينها اهتماما خاصا[٩٢].

وعلى الغرار نفسه دب نشاط كبير في الاتصالات المتبادلة بين المسؤلين الروس وزعماء ارمينيا وقره باغ واذربيجان الذين تفاقم نفورهم من سياسة حكام ايران القصيرة النظر. ففي مذكرة بعثها زعماء الارمن اواخر سنة ١٨٠٢ الى بطرسبورغ بواسطة القائد العام للقوات الروسية في جورجيا يطلبون صراحة «حماية القيصر الروسي» وارسال القوات «لانقاذ الارمن الذين بقوا تحت سيطرة ايران، والذين يهددهم خطر التهجير الى المناطق الداخلية من البلاد»[٩٣]. ثم ان العديد من كبار المسؤولين في مناطق ماوراء القفقاس التي كانت ايران تدعي السيادة عليها، قد تحولوا الى اشبه مايكونوا بحكام مستقلين عن طهران. ففي مطلع القرن التاسع عشر كان خان، اوسردار (حاكم) يريفان، عاصمة ارمينيا، لايدفع الموارد للشاه. ومع انه، حسب اقوال شاهد عيان، كان يحكم منطقة شاسعة «تبلغ من الطول ٢٠٠ ميل، ومن العرض ١٠٠ ميل»، وكان بوسعه جمع ١٨ ألف مسلح متى ماأراد، الا انه

---

(91) R.K. Ramazani, The Foreign Policy of Iran. A developing Nation in World Affairs, Virginia, 1966, PP. 38 - 39; M.S. Ivanov, Ochirk..., PP. 129 - 130.

(٩٢) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الاول، ص ٢٤ ـ ٢٦، الوثيقة رقم ٧، ص ٧٢ ـ ٧٧، الوثيقة رقم ١٧.

(٩٣) نفس المصدر، المحلد الاول، ص ٣٦٧.

ماكان يقدم للشاه في حالة الحرب سوى بعض القوات الرمزية[٩٤]. ولقد فاوض هو، ونظيره في قره باغ، الروس بصدد الانضمام الى بلادهم[٩٥].

أثارت هذه الامور حكام ايران اكثر، فبدأوا يعدون العدة لحملة جديدة على ارمينيا وجورجيا. ففي آذار عام ١٨٠٢ أخبر القائد العام للقوات الروسية في جورجيا اسكندر الاول نفسه عن استعدادات فتح علي شاه للهجوم على يريفان ضمن خطة شاملة استهدفت جورجيا. وفي رسالة لاحقة اكد القائد نفسه قرار الشاه بخصوص الهجوم على يريفان، وانه هيأ لهذا الغرض جيشا قوامه ٤٠ ألف رجل، واتصل بعدد من المتنفذين الجورجيين يطلب منهم التعاون معه[٩٦]. وردا على ذلك بعث اسكندر الاول توجيهات سرية الى القائد العام لقوات بلاده في جورجيا تقضي باتخاذ الاجراءات الضرورية للحيلولة دون احتلال يريفان من قبل الايرانيين، وردعهم من الدخول في اراضي جورجيا[٩٧]. وهكذا اصبحت الحرب وشيكة الوقوع بين الدولتين في كل لحظة.

حرب ١٨٠٤ - ١٨١٣ :

هيأ هذا التوتر السمتمر الطريق لاندلاع حرب الاعوام ١٨٠٤ - ١٨١٣ بين ايران وروسيا، خاصة بعد ان اقدمت القوات الروسية في كانون الثاني ١٨٠٤ على احتلال كنجه في اذربيجان الشمالية.

لم تكن ايران مهيأة عسكريا لخوض غمار حرب مع دولة اوروبية كبرى مثل روسيا. فرغم الجهود الكبيرة التي بذلها ولي العهد، والقائد العام عباس مرزا[٩٨]،

---

(94) Sir Robert Ker Porter, Travels in Georgia, Persia, Armenia, Ancient Babylonia during the years 1817, 1818, 1819 and 1820, Vol I, London, 1821, P. 202.

(95) M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 131

(٩٦) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد لاول، ص ١٨٤، ١٩١ - ١٩٢، الوثيقة رقم ٦٨.

(٩٧) المصدر نفسه، المجلد الاول، ص ١٩٦.

(٩٨) عباس مرزا (١٧٨٨ - ١٨٣٣) هو الابن الثالث لفتح علي شاه الذي اختاره وليا للعهد بين العشرات من ابنائه بسبب مقدرته، فلم توجد في العهد القاجاري قوانين محددة حول انتقال العرش الذي كان يعتمد على رغبة الشاه. ترك انطباعا جيدا لدى الرحالة الاجانب، ويعتبره المؤرخون «اعظم أمير قاجاري» (راجع: عبدالله رازي. تأريخ مفصل ايران از تاسيس سلسله ء ماد تا عصر حاصر، ص ٤٧٣).

واتصـالـه بمترنيخ رئيس وزراء النمسا املا في نيل مساعدته، الا ان الجيش الايراني كان يعـاني من نقص خطيـر في التـدريب والتجهيـز، وكـان جانب منـه يتألف من «الخبازين والخياطين والسراجين وباعة الفواكه» حسب تعبير المؤرخ الايراني سعيد نفيسي، ولم يكن لديـه سوى عدد قليـل من المـدافع، والمدفعيين الذين كانوا «غير مطلعين كليـا على الامـور الفنيـة»[٩٩]، لذا كان من الطبيعي ان يكـون الاندحار منذ البداية من نصيب القوات الايرانية. ففي المعركة التي وقعت بين قوات الطرفين قرب المـركـز الـديني الارمني المعروف اجمادزين، اندحر الجيش الايراني بقيادة عباس مرزا رغـم تفـوقـه عددا على الـجـيش الـروسـي الـذي كان يقـوده الـجـنـرال تسيتسيانوف[١٠٠]. وفي الواقع لولا الظروف الدولية لحسمت القوات الروسية الموقف بسرعة، فقد بدأت مناورات واسعة للدول الكبرى، وفي اطار العلاقات الدولية على صعيـد المنطقـة، وعلى صعيـد القـارة الاوروبيـة في ظروف الحـروب النـابليـونيـة المعـروفـة. ولقـد حققت تلك الـدول جانبـا كبيـرا ممـا ارادت، كل واحدة في اطار امكـانـاتهـا، وفي ضوء تناسب القوى على الصعيد الدولي. ولم يلعب قصر نظر فتح علي شاه، وضحـالتـه دورا قليـلا فيمـا آلت اليه الامور. فانه ماكان يستشير احدا في اعماله وادارته لشؤون الدولة، ومع انه لم يكن مطلعا على امور الدنيا، وعلى سياسة الـدول، الا انـه ماكـان يعتبـر نفسه أقل شأنا من معاصره نابليون بونابارت في شيء، وكـان يتعـامـل في علاقاته الخارجية على هذا الاساس. يقول المؤرخ سعيد نفيسي بهذا الخصوص مانصه:

«كـان فتـح علي شاه يتعـامـل دائما مع الدول الكبرى، مع انكلترا وروسيا وفـرنسـا والدولة العثمانية، في سياسته الخارجية بنفس الغرور، اذ لم يكن يتصـور ابـدا ان بوسـع اي من هذه الدول ان تتحداه، اوان يكون هونفسه قد ارتكب خطأ، اوعملا غير مناسب»[١٠١].

كان الفـرنسيـون هم السبـاقين في محـاولـة جادة لاستغلال الحرب الجديدة بين طهـران وبطـرسبـورغ من أجل تثبيت مواقع اقدامهم في ايران، خصوصا أنهم وجدوا لدى الشـاه ميـلا نحـوهم بعـد ان فشـل في نيـل مساعدة البريطانيين اثر اتصاله بهم مرتين، الاولى عن طريق ممثلهم في بغـداد السـر هارفـرد جونس، والثانية عن طريق

---

(٩٩) سعيد نفيسي، تأريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٢١١، ٢٦١ - ٢٦٤.

(100) M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 131.

(١٠١) سعيد نفيسي، تأريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٨٠.

مسؤوليهم في الهنـد[١٠٢]، فقـد اراد الشـاه الحصـول على مسـاعـدة لنـدن تنفيـذا لمعاهدة عام ١٨٠١.

عاود الفـرنسيـون محـاولاتهم للتقـرب من الايـرانيين عشيـة الحرب. ففي العام ١٨٠١ جاء تاجر ارمني برسالة من جان فرانسوا روسو، القنصل الفرنسي ببغداد، الى طهـران، ولكن بمـا ان احـدا لم يستطـع قراءة الرسالة فان محاولة روسولم تسفرعن نتيجـة. وفي الثـاني من تشـرين الاول ١٨٠٣ اخبـر شارل موريس تاليـران، وزيـر خارجيـة فرنسـا المعروف، روسوفي بغداد برغبة نابليون الاكيدة في توطيد العلاقات مع ايران[١٠٣].

ومع اندلاع نيران الحرب بين ايران وروسيا تبادل فتح علي شاه ونابليون بونابارت عددا من الـرسـائل، أبدى الاخير فيها عن استعداده للتعاون مع ايران «لتنظيم هجوم مشتـرك ضد روسيا»[١٠٤]. وفي اذار ١٨٠٥ ارسل نابليون جوبير (Amedee Jaubert) ممثـلا عنـه الى طهران، والذي يدل اختياره بحد ذاته على اهمية المهمة التي اوكلها الامبـراطـور اليـه. فلقـد كان جوبيـر مستشرقا معروفا، يجيد التركية والعربية، ورافق نابليـون في حملتـه على مصـر، وقضى بعـد ذلك فترة في استانبول، كما كان مطلعا على الاوضاع في روسيا[١٠٥].

كان جوبيـر يحمـل رسالة شخصية من نابليون بونابارت الى الشاه مؤرخة في ١٨ شبـاط ١٨٠٥. وفي الطـريق اعتقله والي ارضـروم التـركي واودعـه السجن بتهمـة التجسس، وبتدخل من الايرانيين افرج عنه بعد أن امضى اربعة اشهر في السجن، فوصـل طهـران يوم ٥ حزيـران حيث قدم رسالة نابيون الى الشاه والتي يطلب منه فيها ان يستمـر في حربـه ضد روسيـا، وعدا اياه بتقديم المساعدات اللازمة لقواته[١٠٦]، الامـر الـذي اقلق حكـام روسيـا بصـورة جدية، اذ اعتبر اهتمام نابليون «بمثل تلك المنطقة النائية» دليلا قاطعا على «نواياه السيئة جدا» تجاه روسيا[١٠٧]. ومع ذلك تردد

---

(١٠٢) دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

(١٠٤) المصدر نفسه، ص ١٠٧.

(١٠٥) سعيد نفيسي، تأريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٩٣ ـ ٩٤.

(١٠٦) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الثاني (نيسان ١٨٠٤ ـ كانون الاول ١٨٠٥)، موسكو، ١٩٦١، ص ٥٣٤، ٦٨٩، الملاحظة رقم ٢٤٦؛ دكتر علي بينا، تأريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١١٢.

(١٠٧) «وثـائق وزارة الخـارجيـة الـروسية»، التسلسل الاول، المجلد الثاني، ص ٥٢٢، ٥٢٨، الوثيقة رقم ١٦٣

فتح علي شاه في عقد معاهدة مع فرنسا، خشية ان يؤدي ذلك الى اثارة البريطانيين ضده.

ولكن لم تمر سوى فترة وجيزة حتى بعث نابليون مندوبا آخر عنه الى فتح علي شاه هو روميو الذي وصل استانبول في اواسط ايار ١٨٠٥، وانتقل عن طريق حلب وبغداد الى طهران التي وصلها يوم ٢٤ ايلول من العام نفسه، وكان يحمل بدوره رسالة ودية موجهة من نابليون الى الشاه، لم تختلف في مضمونها عن الرسالة التي بعثها مع جوبير(١٠٨).

وفي الوقت نفسه حاول الفرنسيون دفع تركيا الى مساندة ايران في حربها ضد روسيا. ففي طريقه الى طهران سلم جوبير في استانبول السلطان العثماني رسالة خاصة من نابليون مؤرخة في ٣٠ كانون الثاني ١٨٠٥، ومتضمنة اقتراحا بذلك. وللغاية نفسها اتصل روميو، المندوب الثاني لنابليون، بالصدر الاعظم في استانبول بصورة سرية. وفي محاولة منه لتوريط تركيا بالاحداث الجارية على الساحة الايرانية حاول روميو في لقائه المذكور جلب انظار الصدر الاعظم الى اهمية جورجيا بالنسبة لتركيا(١٠٩). وبالمقابل حاول الروس من جانبهم تحريك الاتراك ضد الايرانيين. ففي ٤ تموز ١٨٠٦ بعث قائد القوات الروسية رسالة الى والي قارص يقترح فيها ان تتعاون روسيا وتركيا ضد ايران(١١٠).

راقب البريطانيون نشاط الفرنسيين عن كثب. وحسب ما يؤكد المؤرخ الايراني الدكتور علي بينا فان الممثل البريطاني في بغداد السر هافرد جونس «اصبح على علم باقل تحرك فرنسي» في ايران، حتى انه حاول في حينه ان يحول دون وصول جوبير وروميو الى طهران(١١١). ومع تفاقم الحروب النابليونية، وتقدم الروس في ميادين القتال، ازداد اهتمام البريطانيين والفرنسيين بالاحداث الايرانية اكثر فاكثر.

ففي ساحات الحرب حققت القوات الروسية سلسلة جديدة من الانتصارات على القوات الايرانية في بداية صيف سنة ١٨٠٦، مما دفع بالقيادة الروسية للتخطيط من أجل الاستيلاء على السواحل الجنوبية الغربية لبحر قزوين، الامر الذي حققته خلال

---

(١٠٨) المصدر نفسه، المجلد الثاني، ص ٦٨٩ - ٦٩٠، الملاحظة رقم ٢٤٧؛ دكتر علي بينا، تأريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١١٠ - ١١٢.

(١٠٩) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الثاني، ص ٦٨٢، الملاحظة رقم ١٩٨، ص ٦٨٩ - ٦٩٠، الملاحظة رقم ٢٤٧.

(١١٠) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الثالث (كانون الثاني ١٨٠٦ - تموز ١٨٠٧)، ص ٢١٠.

(١١١) دكتر علي بينا، تأريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١١٠.

اشهر قليلة . ففي ٣ تموز ١٨٠٦ احتل الروس مدينة دربند، وقد انفجرت فيها عشية ذلك انتفاضة ضد حاكمها الشيخ علي خان الذي اضطر الى ترك المدينة . وفي الوقت نفسه تعاون مهدي خان شمخال مع الروس، مما سهل امر دخولهم الى دربند، فعينوه حاكما عليها[١١٢] .

استمر تقدم القوات الروسية بعد احتلالها دربند، فتوجهت من داغستان نحو اراضي اذربيجان التى توالى سقوط مدنها الواحدة تلو الاخرى. ففي ١٠ تشرين الاول ١٨٠٦ احتل الروس مدينة كوبا، وبعد خمسة ايام فقط دخلوا ميناء باكو المهم الذي هرب منه حاكمه الايراني حسين قلي خان، كما احتلوا تساليان، وموغان، وغيرها من المدن القفقاسية. ولقد حقق الروس بذلك نصرا ستراتيجيا مهما، ذلك لانهم تمكنوا من ضمان حماية جورجيا بابعاد الخطر الايراني من تخومها، الامر الذي استحق عنه الجنرال كودوفيتش تهنئة حارة من شخص القيصر اسكندر الاول[١١٣] .

دفعت انتصارات القوات الروسية الايرانيين الى بعض التراجع، خصوصا بعد ان غدت قواتهم عاجزة عن القيام بعمليات عسكرية واسعة اثر سقوط باكو[١١٤]، فقرر فتح علي شاه الاتصال بالقيادة الروسية من اجل عقد صلح بين الطرفين . وقد وصل استراخان بالفعل مندوب ايراني في اواخر اب ١٨٠٦ كان يحمل رسالة من حاكم كيلان يقترح فيها وضع نهاية للحرب الدائرة بين ايران وروسيا . وردا على ذلك بعث الجنرال كودوفيتش مع المندوب الايراني رسالة مؤرخة في ٢٧ ايلول ضمنها شروط بطرسبورغ لعقد الصلح، والتي كانت تنص على اعتراف طهران بنهري اراس وكورا حدودا فاصلة بين الدولتين، ومنح روسيا، فضلا عن ذلك، مقاطعتي يريفان ونخجوان[١١٥] . وبتوجيهات من شخص القيصر اسكندر الاول وضعت شروط جديدة لعقد الصلح مع ايران خلاصتها:

١ـ وقف اطلاق النار من قبل الطرفين دون تأخير

٢ـ بقاء قوات الدولتين في مواقعها

---

(١١٢) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الثالث، ص ٧١٧، الملاحظة رقم ٢٦٦ .

(١١٣) المصدر نفسه، المجلد الثالث، ص ٤٧٠ ـ ٤٧١، الوثيقه رقم ١٨٦، ٧١٧ ـ ٧١٨، الملاحظة رقم ٢٦٦ .

(١١٤) المصدر نفسه، المجلد الثالث، ص ٣٦٦

(١١٥) المصدر نفسه، المجلد الثالث، ص ٣٣٠، ٧٢٦، الملاحظة رقم ٣٠٥ .

٣ـ حل المشاكل المعلقة حول الحدود عن طريق التفاوض
٤ـ يبعث الجانب الايراني، عند الموافقة على هذه الشروط، ممثلا عنه الى بطرسبورغ من أجل عقد معاهدة الصلح[١١٦].

ولكن حالت الظروف الدولية مرة اخرى دون استسلام ايران، بل على العكس من ذلك بدأت روسيا المنتصرة تحاول من جانبها اقناع ايران من اجل عقد صلح بينهما. فقد حقق نابليون انتصارات ساحقة على صعيد القارة الاوروبية، مما جعل من انضمام تركيا الى جانب فرنسا ضد روسيا امرا محتملا، وكان من شأن ذلك ان يؤدي حتما الى تعقيد وضع الروس في ماوراء القفقاس. وقد وردت اشارات صريحة الى هذه الحقيقة في العديد من الوثائق الروسية السرية التي تعود الى تلك الفترة. فاثر انتصار نابليون على النمساويين في مطلع عام ١٨٠٦ بعث وزير الخارجية الروسي مذكرة الى الجنرال كودوفيتش يشير فيها الى احتمال انضمام تركيا الى جانب فرنسا، مما يستوجب انهاء الحرب مع ايران والعمل من اجل كسب ودها، وتحريكها ضد تركيا حتى «لايكون لروسيا عدوان في الشرق»[١١٧].

وعندما عززت الاحداث اللاحقة احتمال تحرك تركيا ضد روسيا، بدأت الاخيرة بتقديم الاغراءات لايران من اجل كسبها الى جانبها. ففي مذكرة سرية جديدة تحمل تاريخ ٧ تشرين الاول ١٨٠٦ اكد وزير الخارجية للجنرال كودوفيتش ضرورة انهاء الحرب مع ايران، وكسب ودها. ولتحقيق ذلك اقترح عليه ان يعطي الايرانيين وعدا يقضي بمنحهم المساعدة اللازمة «لاستعادة» مناطق قارص وبايزيد وارضروم التي كانت تخضع لهم يوما ما، على ان تحل مشاكلهم مع الروس بصدد الحدود عن طريق التفاوض[١١٨]. وبعد عشرة ايام فقط اكد وزير الخارجية الرأي نفسه في مذكرة سرية رفعها الى شخص اسكندر الاول، اعقبتها مذكرات اخرى مشابهة[١١٩]. ومن اجل تعزيز الاتجاه الجديد في سياسة بطرسبورغ الخارجية تقرر تأجيل هجوم الجيش الروسي على يريفان[١٢٠].

---

(١١٦) المصدر نفسه، المجلد الثالث، ص ٣٤٥.
(١١٧) المصدر نفسه، المجلد الثالث، ص ٦٤.
(١١٨) المصدر نفسه، المجلد الثالث ص ٣٣٦، ٣٨٠.
(١١٩) المصدر نفسه، المجلد الثالث، ص ٣٧٣، ٤٦٩، الوثيقة رقم ١٥٤.
(١٢٠) المصدر نفسه، المجلد الثالث، ص ٤١٦.

استمرت روسيا في بذل جهودها لانهاء الحرب مع ايران. فحسب توجيهات وزارة الخـارجيـة بعث الجنـرال كودوفيتش مرافقه الخاص الميجر ستيبانوف الى طهران في كانون الاول ١٨٠٦، وحمله رسالة شخصية الى رئيس الوزراء مرزا شفيع، ذلك ان بطرسبـورغ لـم تعتـرف بفتـح علي شاه ملكـا على ايـران بعد مقتل اغا محمد خان، كوسيلة للضغـط عليهـا، لذا كانت اوسـاطهـا المسؤولـة تتجنب الاتصـال به بصورة مباشرة، وتطلق عليه في مراسلاتها اسم بابا خان الذي كان معروفا به قبل ان يتسنم العرش.

أخر ولي العهد عباس مرزا سفر المندوب الروسي الى العاصمة طهران، وقد فسر كودوفيتش ذلك برغبة حكام ايران في الحصول على الهدايا. ومهما يكن من امر فقد سمـح لستيبـانـوف بالتـوجـه الى طهران يوم ١ شباط ١٨٠٧، وذلك بطلب من الشاه الذي امر ان يرافقه الى هناك حرس كبير من فرسان عباس مرزا. وفي طهران استقبل ستيبـانـوف بحفـاوة. وفي مفاوضاته مع الايرانيين اكد المبعوث الروسي على ضرورة انهـاء الحـرب بين الـدولتين، وتـدشين بدايـة للتعـاون يكون من شأنه مساعدة ايران للاستيـلاء على بايزيد وارضروم الواقعتين داخل الاراضي العثمانية. وكان ستيبانوف يشيـر في كل منـاسبـة الى عدم جدوى التعـاون مع الفرنسيين. ولكن ظل الايرانيون يمـاطلون في مفـاوضـاتهم. فقـد بعث مرزا شفيـع، باقـر بيـك بصحبـة ستيبـانوف للتفـاوض باسمـه مع الجنـرال كودوفيتش، وحمله رسالة لم تتضمن سوى «التمنيات الطيبـة» للقـائـد الـروسي. وفي مفـاوضـاتهما عبر باقر بيك شفهيا عن استعداد بلاده للتفـاوض حول سلم «يكون لصالح الطرفين». وعندما رجع المبعوث الايراني الى تبـريـز ارسـل كودوفيتش معـه دوبليـانسكى الـذي حمله رسالة الى مرزا بزرك، وزير عباس مرزا، دون ان يسفر ذلك ايضا عن نتيجة[١٢١] .

حال تعنت فتح علي شاه، وتوقعاته الخاطئة، دون انهاء الحرب بين ايران وروسيا في ظروف اصبحت مواتيـة بالنسبـة لطهـران. فقـد قضت انتصارات نابليون الاخيرة على تردده في التعـاون المبـاشـر مع الفـرنسيين، كمـا توقـع ان يتمكن من استغلال الظـروف التي استجـدت اثـر اعلان تركيا الحرب ضد روسيا يوم ٥ كانون الثاني عام ١٨٠٧. وعلى هذا الاساس بعث الشاه مرزا محمد رضا خان ممثلا عنه الى نابليون

---

(١٢١) المصـدر نفسـه، المجلد الثـالث، ص ٤٨٥ - ٤٩٠، الـوثيقـة رقم ١٩٦، ٥٩١ - ٥٩٣، الوثيقة رقم ٢٤٥، ٦٢٩ - ٦٣٠، الوثيقة رقم ٢٥٦، ٧٢٩ - ٧٣٠، الملاحظة رقم ٣١٣، ٦٧٢، الملاحظة رقم ٤٢٠.

بونـابـارت، حمله افخر الهدايا، واثمنها بلغت قيمتها حوالى ٣٣٣ الف فرنك[١٢٢]، وكلفه ان يعمل باسرع مايمكن من اجل عقد معاهدة مع فرنسا، وان يؤكد للامبراطور الفـرنسي ان «بـوسـع الايـرانيين ضرب الـروس، والانتصار عليهم»، وان يلعبوا دورا فعالا بالنسبة للحملة على مصر[١٢٣].

التقى ممثل فتح علي شاه بنابليون في معسكره بفنكنشتاين (Finkenstein) داخل بروسيـا الشـرقيـة. وبعد مفاوضات سريعة تم عقد معاهدة بين ايران وفرنسا بتاريخ ٤ أيار ١٨٠٧ دخلت التأريخ باسم «معاهدة فنكنشتاين»[١٢٤]، وقد نصت على:

١ـ «الصداقة والاتحاد» بين العاهلين

٢ـ حماية استقلال ايران

٣ـ ان تبـذل فرنسـا كل مافي وسعهـا لدفـع روسيـا الى عقـد معاهدة مع ايران تتخلى بموجب بنودها عن المناطق التي كانت تتبع ايران في السابق، بضمنها اراضي جورجيا

٤ـ تزويـد الجيش الايـراني بالاسلحة، بما فيها المدافع، وكذلك بالضباط من اجل تدريب افراده

٥ـ ان يكون لفرنسا لدى ايران سفير فوق العادة، مع عدد من الممثلين الدبلوماسيين

٦ـ ان تقطـع ايـران علاقـاتها السياسية والتجارية مع انكلترا، وتعلن الحرب ضدها، وتبـذل كل مافي وسعهـا لدفـع «الافغـان وسـائر طوائف قندهار» الى الجبهة المعادية لهـا، وان تفتـح موانئها امام سفن فرنسا الحربية، واراضيها امام قواتها البرية في حالة اقدامها على تنظيم حملة ضد البريطانيين في الهند.

٧ـ ان تتحالف الدولتان لمجابهة اي تحالف تعقده انكلترا وروسيا ضدهما.

وبعـد مرور اقـل من اسبـوع على توقيـع «معـاهـدة فنكنشتـاين» تقرر ارسال بعثة فرنسيـة الى ايـران برئـاسـة الجنـرال الخيـال كلود ماثيـو غاردان (Claude-Mathieu Gardane) الـذي يسميـه نابليـون في رسـالتـه للشـاه «وزيـري المختـار»، ولقد زود

---

(١٢٢) دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١١٨.

(١٢٣) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ١١٠.

(١٢٤) راجع نصها في:

دكتر علي بينـا، تاريـخ سيـاسي وديبلومـاسي ايران، جلد اول، ص ١١٦ ـ ١٢٣؛ سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٩٥ ـ ٩٨.

بتعليمات خاصة تحمل توقيع «الامبراطور نابليون بونابارت»[١٢٥].

ضمت بعثة غاردان ١٥ عضوا سياسيا، و ١٤ عضوا عسكريا[١٢٦]، منهم المستشرق اسكالن (Escalon)، ومارشال الجيش الفرنسي فيما بعد تريزل (Trezel) كما سبق لبعضهم ان عمل في بغداد[١٢٧].

كان على غاردان ان يبذل كل مافي وسعه من اجل توسيع شقة الخلاف بين بطرسبورغ وطهران، والضرب باستمرار على وتر جورجيا الحساس، وبذل الجهود لعقد معاهدة تحالف ثلاثية تضم فرنسا وايران والدولة العثمانية، وتطوير مصالح فرنسا التجارية في المنطقة.

استقبلت البعثة الفرنسية في طهران بحفاوة، حتى ان رئيسها الجنرال غاردان قد خصص له جناح خاص في قصر الصدر الاعظم مرزا شفيع، وخصصت اجنحة لبقية اعضاء الوفد في دور الاعيان، وذلك بامر من شخص الشاه الذي تعاون بحرارة مع البعثة. فقد تم مباشرة التصديق على «معاهدة فنكنشتاين»، كما وقع الطرفان اتفاقية عسكرية من ست مواد نصت على تزويد ايران بعشرين الف بندقية، اتبعها التوقيع على معاهدة تجارية تتألف من ٢٣ مادة عالجت المسائل الكمركية، ووضع السفن التجارية الفرنسية، وحقوق المواطنين الفرنسيين في ايران، وغيرها من الامور التي كانت تهم البلدين. وبموجب المادة السابعة عشرة من هذه المعاهدة تنازلت ايران لفرنسا عن جزيرة خرج ذات الموقع الستراتيجي المهم في الخليج العربي[١٢٨]، فتحولت فنكنشتاين بذلك الى اول معاهدة غير متكافئة عقدتها ايران مع دولة اوروبية في القرن التاسع عشر، تبعتها سلسلة من المعاهدات المشابهة التي حولت البلاد في نهاية المطاف الى شبه مستعمرة تابعة للدول الكبرى قبل ان ينتهي ذلك القرن.

وفي الجانب العسكري بذل اعضاء البعثة ايضا نشاطا ملموسا لقي تعضيدا كبيرا

---

(١٢٥) راجع نص التعليمات في:
سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ١٠٢ - ١٠٦.

(١٢٦) تشير بعض المصادر الى ان عدد الضباط الذين رافقوا الجنرال غاردان في بعثته كان يبلغ ٧٠ ضابطا (راجع مثلا:
J M Upton, OP. Cit., P 5)

(١٢٧) دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٢٠؛ سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ١٠٧ - ١٠٨.

(١٢٨) للتفصيل راجع:
سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٢١٦ - ٢١٧؛ دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٢٣.

من لدن المسؤوبين - يـرانيين، في مقـدمتهم ولي العهـد وقـائد الجيش عباس مرزا الـذي اقنعتـه هزائم قواتـه المتكـررة امـام الـروس بعدم جدوى الاسلوب الاقطاعي البـالي لادارة الجيش والحـرب. فتم تدريب اربعـة الاف من جنـود عبـاس مرزا في غضـون فتـرة وجيزة، كما اسست ورشتان لصنع المدافع، الاولى في طهران انجزت ٢٠ مدفعا صحراويا، والثانية في اصفهان جربت اول مدفع لها في يوم الاحتفال بعيد ميلاد نابليون الذي ولد في ١٥ آب ١٧٦٩.

ادى التقـارب بين نابليـون وفتـح علي شاه الى تمـادي ايـران في موقفها المتعنت تجاه مقترحات روسيا بخصوص عقد الصلح لانهاء الحرب بين الدولتين، الامر الذي كان يهم بطـرسبـورغ الى درجـة كبيـرة بسبب انشغـالهـا الكبيـر على صعيـد القـارة الاوروبية، وفي ميـادين القتال مع تركيا. لذا فان الروس لم يكفوا عن بذل المساعي السلميـة حتى بعـد عقـد «معـاهـدة فنكنشتـاين»، ووصول بعثة الجنرال غاردان الى طهران، الا ان المسؤولين الايرانيين، وعلى رأسهم عباس مرزا، بدأوا يتشددون اكثر من السابق، مما دفع الروس الى اتخاذ احتياطات عسكرية جديدة في جبهات القتال مع ايران[١٢٩].

ولكن سرعـــان ماطـــرأ تغييـــر جديـد على المـوقف الفـرنسي اثـر توقيـع باريس وبطـرسبـورغ على معـاهـدة صلح تلست بينهمـا في تموز عام ١٨٠٧. واثر ذلك فتر اهتمـام نابليـون بايـران نسبيـا،الامر الذي انعكس مباشرة على نشاط البعثة الفرنسية هنـاك. فقـد امتنعت فرنسـا عن تزويد ايران بالاسلحة والذخيرة، واستدعى الجنرال غاردان اعضـاء بعثتـه العسكـريين الى طهران، كما مارس بعض الضغط على الشاه والصدر الاعظم، على الاقل في البداية، من اجل التوقيع على معاهدة للصلح مع روسيـا[١٣٠]. وكـان من الطبيعي ان يهز هذا التغيير المفاجىء البلاط الايراني، حتى ان فتـح علي شاه اعتبـر «معـاهـدة تلست» خيـانة من نابليون تجاه بلاده[١٣١]. الا ان الشاه لم يغير، مع ذلك، من موقفه، مع العلم ان «معاهدة تلست» نصت في احدى موادها على ان تقوم فرنسا بالتوسط بين تركيا وروسيا لانهاء الحرب بينهما[١٣٢]، تلك

---

(١٢٩) «وثـائق وزارة الخـارجيـة الـروسيـة»، التسلسـل الاول، المجلد الاول (تموز ١٨٠٧ ـ آذار ١٨٠٩)، موسكو، ١٩٦٥، ص ٣١ ـ ٣٢.

(130) M S. Ivanov, Ochirk..., P. 132.

(١٣١) دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٢٥.

(١٣٢) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الرابع، ص ٧٧ ـ ٧٨، الوثيقة رقم ٢٧، ٥٧٥، الملاحظة رقم ٤٨.

الحرب التي كانت طهران تراهن عليها كثيرا. ولكن الاهم من ذلك ان الشاه رغم رد فعله الكبير في البداية، الا انه لم يفقد الامل كليا لنيل المساعدة الفرنسية حتى بعد عقد معاهدة تلست، الموضوع الذي أكدت عليه الوثائق الروسية السرية مرارا(١٣٣).

ولم تلعب مناورات الفرنسيين انفسهم الدور الاخير في خلق مثل ذلك التصور لدى الشاه وولي عهده عباس مرزا. فقبل كل شيء لم يلغ الفرنسيون رسميا «معاهدة فنكنشتاين» التي كانت تتناقض في روحها مع مضمون «معاهدة تلست». بل ان وزير خارجية فرنسا اصدر بعد عقد معاهدة تلست تعليمات جديدة الى الجنرال غاردان تؤكد عليه ضرورة ان يبذل كل مافي وسعه لعقد صلح بين روسيا وايران «على اسس مشرفة لايران». ولقد فسرت طهران وتبريز توجهات وزير الخارجية الفرنسي على انها تعني اعادة جميع مناطق ماوراء القفقاس، بما فيها جورجيا وداغستان، الى ايران. ولم يكن مجرد صدفة ان اعلن فتح علي شاه يوم تصديقه لمعاهدة فنكنشتاين ان السماح لمرور القوات الفرنسية عبر الاراضي الايرانية الى الهند امر مرهون باستعادة بلاده لاراضي ماوراء القفقاس. وعلى هذا الاساس تؤكد الوثائق والمصادر الروسية على ان فرنسا لم تتخل عمليا عن سياستها المعادية لروسيا في ايران حتى بعد التوقيع على «معاهدة تلست»، وتدخل ذلك ضمن العوامل التي اضعفت فيما بعد التحالف بين باريس وبطرسبورغ(١٣٤). وفي رسالة سرية بعثها غودوفيتش الى وزير الخارجية روميانتسيف اكد ان الجنرال غاردان يتعامل مع حكام ايران «بنفس روحية ماقبل تلست». بل بلغ الامر بالقائد الروسي ان يؤكد في رسالة لاحقة بعثها الى وزير الخارجية على ان النشاط الفرنسي المعادي في ايران اصبح «يلحق بروسيا ضررا اكبر» من السابق عندما كانت الحرب مشتعلة بينها وبين فرنسا(١٣٥). والاغرب ان نشاط «الحليفة فرنسا» بدأ في هذه المرحلة يتعدى ايران ليمتد الى مناطق ماوراء القفقاس، بما فيها جورجيا، حيث شجع الفرنسيون افراد الجيش الروسي على الانضمام الى الجيش الايراني الذي كان يضم كتيبة مؤلفة من العسكريين الروس الهاربين. ولم يكتف الجنرال غاردان واعوانه بذلك، بل انهم اسهموا ايضا في تحصين قلعتي يريفان واجمادزين الارمنيتين حال سماعهم ان في نية الروس مهاجمتهما. واولى الفرنسيون اهتماما خاصا لقلعة يريفان، فقد قاموا بتحصينها

---

(١٣٣) المصدر نفسه، المجلد الرابع، ص ٣٢، ١١٧.

(١٣٤) المصدر نفسه، المجلد الرابع، ص ٤١٣ - ٤١٥، الوثيقة رقم ١٨٧، ٦٦٠ - ٦٦٣، الملاحظات ٢٦٦ و٢٦٧ و٢٦٨ و ٢٦٩.

(١٣٥) المصدر نفسه، المجلد الرابع، ص ٣٠٢، ٣١١، ٣٩٧، الوثيقة رقم ١٣٨.

حسب أحدث الطرق الاوروبية عندما اقاموا لها جدارين مزودين بالمدافع، تمتد في مقدمتها حواجز مختلفة(١٣٦).

استمر الفرنسيون على نهج السياسية نفسها عندما فرضت الانتصارات العسكرية الجديدة التي حققتها القوات الروسية في ميادين القتال تراجعا مافي الموقف الايراني. فعندما وصل اغا جبار مقر قيادة غودوفيتش في نيسان ١٨٠٨ بهدف التفاوض في موضوع عقد صلح بين الدولتين، حاول الفرنسيون دفع الايرانيين الى عقد هدنة لمدة عام واحد بدل صلح نهائي. كما كانوا يؤكدون للايرانيين ضرورة نقل مفاوضات الدولتين الى باريس، واشراك شخص نابليون فيها على اساس ان من شأن ذلك «ضمان تأييد فرنسا للمطاليب الاقليمية الايرانية»، الامور التي رفضها الجانب الروسي جملة وتفصيلا(١٣٧).

وعندما بلغت مناورات فرنسا هذا الحد اتصلت بطرسبورغ بباريس مباشرة وطلبت منها رسميا عدم اتباع سياسة في ايران من شأنها الاضرار بمصالح روسيا. واشارت المذكرة الروسية بهذا الصدد الى ان الايرانيين قبل تلست كانوا هم يلحون على عقد الصلح، فيما بدأوا بعد ذلك يتشددون في مواقفهم ومطالبهم. وذكرت المذكرة ايضا انه في حالة اصرار ايران على موقفها فان روسيا «لامانع لديها ان تعاود العمليات العسكرية ضدها». وفي ١٢ آب ١٨٠٨ نقل السفير الفرنسي في بطرسبورغ الى نابليون نص كلام اسكندر الاول الذي قال «ان ايران تثير شروطا مجنونة»، معتمدة في ذلك على ماأعطيت من وعود فرنسية. وفي مقابلته مع السفير الفرنسي رفض القيصر بصورة قاطعة فكرة توسط نابليون على اساس ان علاقات ايران وروسيا لايمكن ان تهم فرنسا، مثلما لاتهم روسيا العلاقات بين فرنسا واسبانيا (كانت فرنسا يومذاك في حرب ضد اسبانيا المجاورة لها). وبهذه المناسبة ذكر الروس الفرنسيين بما قاله نابليون شخصيا للقيصر الروسي في تلست من ان التحالف مع روسيا «غير جميع الامور السابقة بالنسبة لايران»، وانه، اي نابليون، «لايعير بعثة غاردان اي اهتمام»(١٣٨).

ولئن غير نابليون قليلا من موقفه تجاه ايران فان مرد ذلك كان فشل قواته في

---

(١٣٦) المصدر نفسه، المجلد الرابع، ص ٤١٣ - ٤١٥، الوثيقة رقم ١٨٧، ٦٦٠ - ٦٦١، الملاحظة رقم ٢٦٧.

(١٣٧) المصدر نفسه، المجلد الرابع، ص ٢٢٩ - ٢٣١، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٩، ٣١١ وغيرها.

(١٣٨) المصدر نفسه، المجلد الرابع، ص ٦٢٤ - ٦٢٥، الملاحظة رقم ١٨٩.

اسبانيا، وظهور بوادر جديدة في الافق تشير الى احتمال وقوع حرب جديدة لبلاده مع النمسا، الامر الذي جعله بحاجة الى تأييد روسيا.

وفي خضم هذه الاحداث لم تغب انكلترا عن الساحة الايرانية لحظة واحدة. بل ان دبلوماسيتها نشطت، وحاولت استغلال كل ثغرة قد تنجم عن عقد «معاهدة تلست» بين غريمتها التقليدية يومذاك فرنسا، وغريمتها الجديدة روسيا. وبهذا الخصوص يقول الدكتور علي بينا ان الممثل البريطاني في بغداد «كان على علم باقل تحرك فرنسي في ايران»[١٣٩]. واعتقادا منهم بان الظروف اصبحت مواتية، بعث البريطانيون جون مالكولم مرة ثانية الى ايران، الا ان الشاه لم يسمح له بالحضور الى طهران لانه لم يفقد الامل بعد في الدعم الفرنسي له. حينذاك لجأ البريطانيون الى ممارسة ضغوط مختلفة على ايران، فقد حركوا الوهابيين ضدها، وفكروا في محاصرة موانئها الخليجية، والاستيلاء على جزيرة خرج، كما هددوا عرش فتح علي شاه بالتلميح الى استعدادهم مساندة محمد علي خان بن علي مراد خان الزند الذي كان يقيم في الهند ويطالب بالعرش الايراني، وصرفوا الاموال بسخاء لكسب كبار المسؤولين الايرانيين، حتى ان الجنرال غاردان قد اشار الى ان البريطانيين تمكنوا من «شراء ذمم اغلب الوزراء» في طهران بواسطة ماقدموه لهم من اموال وهدايا[١٤٠].

وقد منح التغيير الجزئي الذي طرأ على موقف نابليون تجاه ايران بسبب مااستجد من اوضاع على صعيد القارة الاوروبية، منح لندن فرصة افضل لاستغلال الموقف والتقرب من طهران، فقررت ارسال مندوب اخر الى العاصمة الايرانية. وقد وقع اختيار اروقة الخارجية البريطانية على السر هارفرد جونس كأجدر شخص للاضطلاع بهذه المهمة، فانه فضلا عن عمله لفترة طويلة في بغداد والبصرة، كان قد زار ايران في عهد الزنديين، وكان مطلعا على الشرق والشرقيين. ونظرا لاهمية المهمة التي كانت تنتظره وجه اليه وزير الخارجية جورج كاننغ شخصيا رسالة خاصة.

وصل هارفرد جونس ميناء بوشهر مع رجاله على متن سفينتين يوم ١٤ تشرين الاول عام ١٨٠٨. ورغم ضغوط غاردان، ومناوراته تمكن المبعوث البريطاني من ان يوصل مقترحات حكومته الى شخص فتح علي شاه، والتي كانت تدور حول عقد معاهدة تحالف بين لندن وطهران، ودفع مساعدات مالية سنوية لايران مقدارها ١٦٠ ألف تومان (ما يعادل ١٢٠ ألف باون استرليني)، مع التعهد بارسال ضباط لتدريب الجيش الايراني.

---

(١٣٩) دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١١٠.

(١٤٠) المصدر نفسه، ص ١٤١.

وافق الشـاه على مقتـرحـات هارفرد جونس ، وطلب من الجنرال غارداان ان يغادر البـلاد مع اعضـاء بعثتـه ، ثم وجه الدعوة الى البعثة البريطانية يطلب منها التوجه الى العـاصمـة طهـران التي وصلتها يوم ١٤ شباط ١٨٠٩ ، اي بعد يومين فقط من مغادرة البعثة الفرنسية لها .

قدم هارفرد جونس اوراق اعتماده الى فتح علي شاه يوم ١٧ شباط ١٨٠٩ ، وكان يحمل معه مجموعة كبيرة من الهدايا الثمينة ، من بينها ماسة قدمها اليه باسم جورج الثـالث ملك بريطـانيـا ، ممـا كان له وقـع كبيـر جدا في نفسـه ، كمـا اشار الى ذلك المبعوث البريطاني في رسالته التي بعثها في اليوم نفسه الى وزير خارجية بلاده . ولم ينس جونس الوزراء الذين قدم اليهم ما «يستحقون» كل حسب مقامه ، ودوره[١٤١] .

وبعـد مرور اقـل من شهـر تم التـوقيـع في ١٢ أيار على معاهدة ثنائية بين انكلترا وايـران ، التـزمت طهـران بموجب بنودها بان تقطع جميع علاقاتها بفرنسا ، وكل دولة اخرى معادية لانكلترا التي تعهدت بتقديم مساعدة سنوية لايران مقدارها ١٦٠ ألف تومان لحين انتهاء حربها مع روسيا ، والتزمت ايضا بتقديم الاسلحة والذخيرة للجيش الايـراني ، وارســال الضبـاط لتـدريب افـراده . واعتبرت المعاهدة اتفاقا تمهيديا بين الـدولتين «لغـايـة ابـرام معـاهـدة صداقـة وتحـالف نهائية» بينهما ، كما ورد نصا في مدخلها (في تشرين الثاني ١٨١١ اعلنت لندن عن ابرامها للمعاهدة باعتبارها اتفاقا نهائيا بين الطرفين)[١٤٢] . وعلى اساس ماسبق فان المعاهدة ، كما يؤكد البروفيسور م . س . ايفـانـوف ، كانت «مـوجهـة ضد روسيا بصورة مباشرة ، واستهدفت تحريض ايران للاستمرار في حربها معها»[١٤٣] .

ومع ان انكلترا اوفت بتعهداتها ، بل رفعت مقدار مساعدتها الى ٢٠٠ الف تومان في السنة ، وبعثت ثلاثة الاف بندقية وعشرين مدفعا ، وعددا من الخبراء العسكريين الى ايران[١٤٤] ، الا ان ذلك ، شأنه شأن المساعدات الفرنسية السابقة ، لم يؤثر على سيـر العمليـات العسكـرية في ميادين القتال ، فقد استمر انحدار القوات الايرانية في معظم المعـارك الجـديـدة التي خاضتهـا . فلغاية خريف عام ١٨٠٨ تمكنت القوات الـروسيـة من الاستيـلاء على منـاطق واسعـة جديـدة ، بضمنهـا نخجوان ، وان تبلغ

---

(١٤١) المصدر نفسه ، ص ١٤٤ .

(١٤٢) «وثـائق وزارة الخـارجية الروسية» ، التسلسل الاول ، المجلد السادس (١٨١١ ـ ١٨١٢) ، موسكو ، ١٩٦٢ ، ص ٧٤٠ .

(143) M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 133.

(١٤٤) عبدالله رازي ، **تاريخ مفصل ايران از تاسيس سلسله ء ماد تا عصر حاضر** ، ص ٤٦٢ ـ ٤٦٣ .

مشارف يريفان في قلب اراضي ارمينيا، وتفرض الحصار عليها من كل جانب. ولكن لم تستسلم يريفان للقوات الروسية، وذلك لوجود الفي جندي ايراني داخلها، كانوا مدربين على ايدي الفرنسيين الذين حصنوا ايضا قلعة يريفان كما اسلفنا. وفي الوقت نفسه استمر قصف السفن الحربية الروسية لسواحل قزوين(١٤٥)

أجبر الواقع العسكري في ميادين القتال الايرانيين على بعض التراجع من جديد. ففي اوائل نيسان عام ١٨٠٩ اقترح عباس مرزا عقد صلح بين الدولتين، على ان يتوجه سدوب ايراني الى العاصمة بطرسبورغ، الامر الذي وافق عليه القيصر اسكندر الاول. وفي ٣٠ أيار من العام نفسه قدمت روسيا رسما شروطها لايقاف الحرب مع ايران، والتي نصت على:

١- اعتراف الجانب الايراني بانهار اراس وكورا واربتشاي حدودا فاصلة بين الدولتين.
٢- الاعتراف بسيادة العلم الروسي وحده في بحر قزوين.
٣- اقرار كل تغيير يجريه الجانب الروسي على الاتفاقات السابقة المبرمة بين الدولتين(١٤٦).

وفي ٩ تموز من العام نفسه وجه وزير الخارجية الروسي رسالة خاصة الى القائد العام الجديد في جبهة القفقاس وجورجيا أ. ب. تورماسوف تحتوي على التعليمات التالية للعمل بموجبها في اطار اتصاله بالايرانيين:

> «نخبركم بهذا بموافقة الامبراطور اسكندر الاول على تخويلكم للتفاوض حول السلم مع ايران. يجب الاشارة الى الفوائد التي يمكن لايران ان تجنيها من وراء ذلك، وهي: انتعاش تجارتها، وضمان استقرارها الداخلي، ومساعدتها من اجل استعادة مناطقها المحتلة من قبل تركيا... كما يجب جلب انظار الايرانيين الى الفوائد التي يمكن لايران ان تجنيها من خلال تحالفها مع روسيا، والتأكيد على النتائج المهمة التي جنتها كل من السويد، واسبانيا والنمسا من خلال تحالفها مع انكلترا»(١٤٧)

---

(١٤٥) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد الرابع، ص ٦٦٠ - ٦٦١، ٦٦٣، الملاحظتان رقم ٢٦٧ و ٢٦٩؛ دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٤٧.

(١٤٦) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الخامس (نيسان ١٨٠٩ - كانون الثاني ١٨١١)، موسكو، ١٩٦٧، ص ٢٠، الوثيقة رقم ٣٢.

(١٤٧) المصدر نفسه، المجلد الخامس، ص ٩٤.

هنـا جاء دور الانكليـز ليحـولـوا دون انتهاء الحرب بين ايران وروسيا. ففي أيلول ١٨٠٩ كتب رئيس البعثة البريطانية هارفرد جونس الى نظيره في استانبول ادر، الذي زاول بدوره نشـاطـا واسعـا للحيلولـة دون حدوث اي تقـارب بين روسيا وايران[١٤٨]، يقول له مانصه:

«اذا تمـكنت روسيـا من ان تعقــد الصلح مع ايــران، فان ذلــك سيتحول الى ضربة توجه لسياسة بريطانيا في كل من طهران واستانبول»[١٤٩]

وبهـذا الاتجـاه بدأ هارفـرد جونس نشـاطا متشعبا، وعلى اصعدة مختلفة. فانه، واعـوانـه، كانـوا يؤ كـدون في كل مكـان على ان الصلح مع روسيا ينتقص من سيادة ايران. وبتحريض منه عاودت القوات الايرانية عملياتها العسكرية في الجبهة دون ان تتمكن من تحقيق اي من اهدافها، كما ان بعض المسؤولين الايرانيين حجزوا لمدة شهـرين المنـدوبين الـروس الـذين ارسلهم الجنرال ترماسوف مع رسائل خاصة الى تبريز في تموز ١٨٠٩ بناء على طلب القيادة الايرانية نفسها. وفي وقت بلغ الاستياء من السيـاسـة القـومية القصيرة النظر لحكام ايران بين شعوب المنطقة مداه، وعبر عن نفسه في سلسلة من الانتفاضات، بعث فتح علي شاه رسائل الى عدد من زعماء تلك الشعوب يطلب منهم حمل السلاح ضد روسيا، وخصوصا من اصبح منهم في تبعية الاخيرة منذ سنوات مضت[١٥٠].

وعنـدمـا يأست طهـران من تحقيق شيء بهـذه الاسـاليب تراجعت مرة اخـرى، واتصلت بالقيـادة الـروسية من اجل الدخول في مفاوضات لعقد هدنة بين الدولتين. فوافقت الحكـومـة الـروسيـة على جميـع مقتـرحـات ايـران بهـذا الصـدد، وابـدت استعـدادهـا لعقد هدنة امدها عامان، اوخمسة اعوام. وعلى هذا الاساس تم اللقاء بين عبـاس مرزا والجنـرال ترمـاسـوف في نيسـان ١٨١٠ داخل قلعة عسكران، الامر الـذي اثـار حنق البـريطـانيين، فقـدم هارفـرد جونس في الحـال انذارا الى الحكومة الايرانية يؤكد فيه انه «لايسعه البقاء في ايران في حالة عقد صلح مع روسيا» وابدى استعداد بلاده لتقديم مساعدات اضافية لايران في حالة استمرارها في الحرب. ومن

---

(١٤٨) للتفصيل عن ذلك راجع:

A.R. Ionisian, Prisoedinenia Zakavkazia k Russii, Erevan, 1958, PP. 240 - 245, 373, 476.

أ.ر. يوانيسيان، انضمام ماوراء القفقاس الى روسيا، باللغة الروسية، يريفان، ١٩٥٨، ص ٢٤٠ ـ ٢٤٥، ٣٧٣، ٤٧٦.

(١٤٩) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الخامس، ص ٦٧٦.

(١٥٠) المصدر نفسه، المجلد الخامس، ص ١٠٩، ٢٢٧، ٦٧٦.

اجـل ارضـاء البـريطانيين طرح الجانب الايراني في عسكران مشروعا للصلح يتألف من ست مواد صاغها هارفرد جونس بصورة كان الجميع لايشكون في رفضه من قبل الروس.

واثـر ذلـك انقطعت المفـاوضـات بين روسيـا وايـران، واخبر هارفرد جونس لندن واستـانبـول بذلـك على جنـاح السرعة[١٥١]. وسرعان ماوصل طهران الخبير بشؤون ايـران جون مالكـولم، الذي جلب معه عددا من المدافع والخبراء. وبعد فترة اخرى وصل العاصمة الايرانية ممثل بريطاني جديد هوغور وزلي الذي رافقه ايضا عدد من الخبـراء، وجلب معـه كمية كبيرة من الاموال، و١٢ مدفعا و١٢ ألف قذيفة و١٢ ألف بنـدقيـة، مع ١٢ ألف قطعـة من المـلابس العسكـرية. وفي آب سنة ١٨١٠ عقدت ايـران معـاهـدة مع تركيـا التي كانت مستمرة في حربها ضد روسيا[١٥٢]. وعندما علم الـروس بالاتصـالات بين الايـرانيين والاتـراك للتخطيـط من اجـل عمـل عسكـري مشترك، استولوا في الحال على قلعة ميغرى (Migri) في قره باغ التي اضطرت القوات الايرانية الى تركها. كما اصدر القيصر اوامر تقضي باستخدام القوات البرية والبحرية لحماية طالش من أي هجوم متوقع[١٥٣].

لـم تجد المناورات الجديدة ايران في شيء، خصوصا وان التغييرات التي طرأت على السـاحـة الـدوليـة في تلك الفتـرة لم تكن في صالحها. ففي تشرين الاول عام ١٨١١ تمكن الـروس من محـاصـرة الجيش التركي الذي كان بقيادة الصدر الاعظم احمد باشا على ضفاف نهر الدون، ووجهوا له ضربة مميتة اسفرت عن مقتل حوالي ١٥ ألفـ، وأسـر مالايقـل عن ١٢ ألف جنـدي تركي، ممـا اجبـر الباب العالي على الـدخـول في مفـاوضـات سلمية مع بطرسبورغ[١٥٤]. ورغم محاولاتهم، والحاحهم الكبيـر، لم يفلح الاتـراك في فرض موضـوع الحـرب بين روسيـا وايـران على مائـدة مفاوضاتهم مع الروس[١٥٥]، تلك المفاوضات التي ولدت خيبة امل كبيرة في صفوف

---

(١٥١) المصـدر نفسـه، المجلد الخـامس، ص ٢٤٢ ـ ٢٤٤، ٦٧٦؛ دكتـر علي بينـا، تاريـخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٥٢ ـ ١٥٥.

(١٥٢) [illegible] M.S. Ivanov [illegible]؛ «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد السادس، ص ٣٣٠؛ دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٥٧.

(١٥٣) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول، المجلد الخامس، ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧، ٤٩٩، المجلد السادس، ص ١١٦.

(١٥٤) المصدر نفسه، المجلد السادس، ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠، ٧١٨.

(١٥٥) المصدر نفسه، المجلد السادس، ص ٦٠، ٣١٧ ـ ٣١٨، ٣٥٩، ٣٨٥، ٧٣٨.

حكام ايران الذين عبروا للبريطانيين عن استيائهم الكبير منها لانها «تجري بدونهم»[١٥٦]. ومهما يكن من امر فان انتهاء الحرب بين روسيا وتركيا بموجب «معاهدة صلح بخارست»، التي زود البريطانيون عباس مرزا بنسخة من نصها[١٥٧]، ترك اثرا سلبيا كبيرا على وضع ايران وموقفها. ولم يكن مجرد صدفة ان بعث وزير الخارجية الروسي روميانتسيف رسالة عاجلة بتاريخ ٢٣ تموز ١٨١٢، وهو نفس اليوم الذي تسلم فيه وثائق تصديق الباب العالي لمعاهدة صلح بخارست، الى القائد العام لقوات بلاده في جبهة الحرب مع ايران ينبؤه بالخبر، ويطلب منه ايصاله بدوره الى طهران «لاقناعها بمدى فائدة التعجيل في عقد الصلح مع روسيا»[١٥٨].

وعلى صعيد القارة الاوروبية فشل «الحصار القاري» الذي فرضه نابليون على انكلترا فشلا ذريعا، بل ان روسيا كانت اول دولة خرجت على ضوابطه، وفي عز أيامه ظهر جسر سري للاتصال بين لندن وبطرسبورغ للتداول في أهم القضايا الدولية المثارة يومذاك، كانت الحرب الايرانية الروسية واحدة منها. وسرعان ماتبددت غيوم الخلاف بين الدولتين، فعادت المياه إلى مجاريها السابقة بينهما اثر توقيعهما على معاهدة للتحالف في تموز عام ١٨١٢، الامر الذي مهد الطريق لحملة نابليون على روسيا، واندحاره الكبير امام قواتها، كما نبين جانبا من تفاصيله، وتأثيره الحاسم على الحرب الايرانية ـ الروسية فيما بعد.

وتفاقم الوضع الاقتصادي والسياسي الداخلي لايران اكثر فاكثر بسبب حربها الطويلة مع روسيا. ففي حينه وصف فابوييه، احد اعضاء بعثة الجنرال غاردان الذي ذهب الى اصفهان في مطلع العام ١٨٠٨، وضع المدينة المأساوي، وماكان يسودها من فقر مدقع، وخواء اسواقها من البضائع[١٥٩]. كما اشتدت المعارضة الداخلية، خصوصا بين الشعوب غير الفارسية التي ظلت تعاني الامرين من السياسة القومية الشوفينية للقاجاريين. فان هؤلاء كانوا يرون في تهجير الارمن الى جنوب نهر اراس

---

(١٥٦) المصدر نفسه، المجلد السادس، ص ٣٣٠.

(١٥٧) دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٦٦.

(١٥٨) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد السادس، ص ٥٠٦.

(١٥٩) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٢١٩ ـ ٢١٢. لايعني ذلك، بالطبع، ان اقتصاد روسيا لم يعان من حربها مع ايران، فقد اشارت الوثائق الرسمية الخاصة، الروسية والبريطانية، الى هذه الحقيقة مرارا (راجع على سبيل المثال: «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد الخامس، ص ٥١٦، ٥٥٨ ـ ٥٥٩؛ دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٥٥ ـ ١٥٦).

وسيلة ناجحة لضمان جبهتهم، فيما اثبت الواقع عكس ذلك تماما. ففي سنوات الحرب انتفض الارمن اكثر من مرة ضد حكم الشاه. وحدثت انتفاضات مشابهة في طالش وقره باغ وخراسان[١٦٠]. وعشية انتهاء الحرب انفجرت انتفاضة كبرى بين التركمان بقيادة الحاج سيد احمد الذي حقق اعوانه الثوار انتصارين كبيرين على القوات الايرانية التي كان يقودها احد ابناء فتح علي شاه. وقد اتصل زعيم الانتفاضة بقيصر روسيا، وقيادة جيشه طالبا العون «من اجل الانتقام من العدو المشترك» كما ورد نصا في رسائله. ومن المهم ان نشير الى ان الوثائق السرية الروسية التي تعود الى تلك الفترة، تضع انتفاضة التركمان على قدم المساواة مع العوامل الاساسية الاخرى التي ادت الى استسلام ايران في نهاية الامر[١٦١].

وفي الواقع ان مناورات الانكليز في الفترة التي اعقبت سنة ١٨١٠ اطالت من عمر الحرب الايرانية الروسية لفترة اخرى من الزمن، في وقت تضافرت جميع العوامل لانهائها لصالح روسيا. فلم تكف لندن عن مناوراتها حتى بعد تحالفها الجديد مع بطرسبورغ، ذلك لانها كانت ترغب في ان تحقق روسيا اقل مايمكن من المكاسب من وراء انتصارها على ايران.

ففي ربيع سنة ١٨١٢ اضطرت ايران لاتخاذ اجراءات جدية لانهاء الحرب في اطار مساومة جزئية، وبعض التنازلات الشكلية من جانب روسيا التي صاغت في ١٩ نيسان ١٨١٢ شروطها الجديدة للصلح، اثر الاتصالات التي جرت بين الطرفين، في النقاط الاساسية التالية:

١ـ ان يرسم خط الحدود بين الدولتين بصورة تضم المناطق التي اصبحت فعلا في حوزة القوات الروسية، بدلا عن مرورها بانهار كورا واراس واربتشاي، كما كان الروس يصرون في السابق.

٢ـ ذكر جميع الشعوب القاطنة في تلك المناطق بالاسم، واعتراف ايران الكامل بسيادة روسيا عليها.

٣ـ الاعتراف المتبادل باستقلال خانية طالش.

٤ـ الاعتراف بسيادة العلم الروسي وحده في بحر قزوين.

٥ـ اعتراف روسيا بفتح علي شاه ملكا على ايران، وبالقاجاريين اسرة حاكمة فيها، وبعباس مرزا وليا للعهد على عرشها، وان تقف ضد كل من يحاول مس ذلك.

---

(160) M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 134.

(١٦١) للتفصيل راجع: «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد السابع، ص ٤٤٦، ٧٦٢.

٦ـ الاعتراف بالاتفاقات السابقة في ضوء مضمون المعاهدة الجديدة التي تعقد بين الطرفين.

٧ـ العمل من اجل اقامة علاقات تجارية متبادلة لصالح الطرفين[١٦٢].

استمرت الاتصالات بين الجانبين على هذا الاساس، وتفاءلت القيادة الروسية من موقف عباس مرزا، وغيره من كبار المسؤولين. الا ان الانكليز اسرعوا في تخريب الجسور التي اقامها الطرفان، الامر الذي وردت تفاصيل معبرة عنه في وثيقة سرية روسية عبارة عن رسالة مسهبة وجهها القائد العام الجديد للقوات الروسية في جبهة القفقاس الجنرال ن. ف. رتيشيف (N.F. Rtischeff) الى وزير خارجية بلاده رومیانتسيف بتاريخ ٨ آب ١٨١٢ نقتطف منها مايلي توضيحا للموضوع:

«انني لااشك في اخلاص عباس مرزا في عقد الصلح، ولكني اشك كثيرا في اخلاص الانكليز، واخشى الاعيبهم وتأثيراتهم على الوزارة في طهران. ففي البداية استقبل عباس مرزا بابوف وفريبيغانغ[١٦٣] بود كبير، وردا على اقتراحي بصدد ارسال ممثل من بين كبار مساعديه للاجتماع به، ابدى استعداده لان يحضر بنفسه الى هنا، كما انه اصدر اوامر تقضي بتفريق القوات التي بوشر بجمعها في تبريز لمعاودة الهجوم على قواتنا في الحدود. وامعانا في اظهار حسن نيته اخبر المندوبين (بابوف وفريبيغانغ) عن قراره بالافراج عن ٦ ضباط و ١٠٠ جندي ممن اسروا مطلع هذا العام في قره باغ. ولكن ماان وصل السفير البريطاني تبريز[١٦٤] حتى تغيرت هذه الامور راسا على عقب، فبدأ فتور واضح يطغي على معاملة المندوبين، والغي قرار تفريق القوات، وكذلك قرار الافراج عن الضباط والجنود»[١٦٥].

وسرعان مابررت الاحداث شكوك الجنرال الروسي. ففي اواخر الشهر نفسه شن جيش ايراني قوامه عشرة الاف رجل هجوما مباغتا على خانية طالش التي كانت تحت

---

(١٦٢) المصدر نفسه، المجلد السادس، ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠، الوثيقة رقم ١٤٣.

(١٦٣) مندوبان بعثهما الجنرال رتيشيف الى تبريز للتداول في وضع شروط انهاء الحرب بين البلدين.

(١٦٤) ماان علم وزلي نبأ المفاوضات الجديدة حتى حضر بنفسه الى تبريز (حزيران ١٨١٢) بعد ان حصل على كتاب من شخص الشاه يخوله حق الاشتراك في اي مفاوضات تجري بين الايرانيين والروس لانهاء الحرب.

(١٦٥) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد السادس، ص ٥٢٩ ـ ٥٣٧، الوثيقة رقم ٢٢٣.

حماية روسيا منذ اواخر القرن الثامن عشر، فلجأ حاكمها مير مصطفى خان مع افراد اسرته الى القوات الروسية. وقد اشترك عدد من الضباط البريطانيين في الهجوم الايراني، الامر الذي حاول السفير البريطاني وزلي تبريره اثر استفسار تقدمت به القيادة الروسية حول الموضوع. وبعد ان دمر الايرانيون لنكران، عاصمة الخانية، شيدوا مكانها، بمساعدة الخبراء البريطانيين، قلعة حصينة مزودة بجميع وسائل الدفاع، مما كان من شأنه ان يعزز موقع الايرانيين في قره باغ، ومناطق اخرى من القفقاس. لذا تقدمت القوات الروسية نحو المنطقة، وحاصرت القلعة من السابع حتى الثاني عشر من كانون الثاني ١٨١٣. وعندما فشلت جميع محاولات قائد القوة الروسية لاقناع صادق خان، قائد القوات الايرانية المحاصرة، بان يكف عن المقاومة، واثر وصول معلومات تفيد عزم قوات عباس مرزا في تبريز على نجدة المحاصرين، قامت القوات الروسية ليلة ١٣ كانون الثاني بهجوم كاسح على القلعة التي سقطت بعد مقتل صادق خان اثناء المعركة، وانتقل بذلك كل ساحل طالش على بحر قزوين الى ايدي الروس[١٦٦].

وبهذه المناسبة وجه وزير الخارجية رومیانتسيف مذكرة الى شخص اسكندر الاول يبين له فيها مدى اهمية الانتصار الاخير الذي حققته القوات الروسية، ورد فيها مايلي:

> «ان عباس مرزا الذي يفهم جيدا مصالح دولة والده، يعتبر لنكران مفتاحا لايران، وهذا هو عين الحقيقة. لذا من الضروري، ايها العاهل، ان يصبح هذا المفتاح في جيب روسيا، وذلك لا من اجل استخدامه لدخول ايران واحتلالها، بل لاجبارها على احترامنا الثابت في المستقبل ايضا، ومن اجل لجم نواياها غير الودية تجاه امبراطوريتكم، والتي تحاول انكلترا وفرنسا استغلالها باستمرار. . . من المتوقع، ايها العاهل، ان تتوجه انظار اعداء امبراطوريتكم في المستقبل الى ايران وحدودكم الاسيوية بالصورة التي كانت موجهة الى السويد وبروسيا من قبل. وبالتحديد ان مثل هذه الاخطار، التي ليس بوسع حكومة الامبراطورية تجنبها، تدفعني، ايها العاهل، لكي احاول الان تصحيح هذا الوضع، او تغييره، فلتبق لاحفادكم، ووطنكم هذه الضمانة لامنهم كانجاز جليل اخر للامبراطور اسكندر. اتوسل اليكم، ايها العاهل، ان لاتستهينوا

---

(١٦٦) المصدر نفسه، المجلد السادس، ص ٥٥٠، ٥٥٥، ٧٧٢؛ المجلد السابع، ص ٧٠٩؛ دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٧٢.

بهذه الاعتبارات»[١٦٧].

وفي وقت سابق (تشرين الاول ١٨١٢) الحقت القوات الروسية في اسلاندوز هزيمة اخرى بالقوات الايرانية التي كان يقودها عباس مرزا بنفسه، والذي تخلص من الاسر بشق الانفس. وفي موقعة اسلاندوز وحدها بلغ عدد من وقعوا في اسر القوات الروسية حوالي ٥٠٠ من جنود عباس مرزا، فضلا عن عدد من الضباط، و١١ مدفعا. وكان يوجد بين قتلى هذه المعركة احد الضباط البريطانيين[١٦٨]. مع ذلك اعلنت ايران في التصريح الرسمي الذي نشريوم ١٠ تشرين الاول من العام نفسه ضرورة «اعادة جميع المناطق المحتلة من قبل روسيا، مع تلك التي انضمت اليها اختيارا»[١٦٩].

مما سبق يبدو واضحا انه حتى اثناء حملة نابليون الكبرى على روسيا لم يتغير واقع الموقف على جبهة الحرب الايرانية ـ الروسية، مع العلم ان الحملة المذكورة ادت الى ازدياد الطابع الدولي لتلك الحرب. فقد وصل طهران مبعوث من نابليون ليؤكد للايرانيين «ان الامبراطور يبر بوعده الذي قطعه للشاه بصدد غزو روسيا»[١٧٠]، وبانه «سيعيد لايران قريبا جميع ممتلكاتها في جورجيا»، ويطلب، مقابل ذلك، ان يقوم الشاه بطرد البريطانيين من ممتلكاتهم، ويقبل سفيرا فرنسيا جديدا في بلاطه[١٧١].

ولكن الشاه، على غير عادته، تأنى هذه المرة في اتخاذ الموقف، واصغى الى نصائح السفير البريطاني، فسلمه مندوب نابليون الذي بعث به بدوره الى المقيم البريطاني في بغداد كلوديوس جيمس ريج[١٧٢].

كان من الطبيعي ان يترك الانتصار الساحق الذي حققته روسيا على نابليون تأثيرا مباشرا على سير الاحداث في الجبهة الايرانية. فقبل كل شيء حاول الروس انفسهم

---

(١٦٧) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد السابع، ص ٩٧ ـ ٩٨، الوثيقة رقم ٣٩.

(١٦٨) دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٧٢؛ P. Sykes, Op. Cit., PP. 313 - 314; M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 135.

(١٦٩) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد السادس، ص ٥٨١، الوثيقة رقم ٢٤٦.

(١٧٠) في احدى رسائله السابقة اكد نابليون لفتح علي شاه انه مستعد لارسال قواته من اجل غزو روسيا.

(١٧١) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد السادس، الوثيقة ٢٩٨، المجلد السابع، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(١٧٢) المصدر نفسه، المجلد السابع، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.

آستغلال نصرهم في حملة دعاية واسعة للتأثير على حكام طهران. ففي ٢٩ كانون الثاني ١٨١٣ بعث القائد العام للقوات الروسية في جبهة القفقاس وجورجيا رسالة الى السفير البريطاني لدى بلاط الشاه وزلي ضمنها تفاصيل انتصار قوات بلاده على جيش نابليون «المؤلف من ٤٠٠ ألف رجل» قتل منهم «لغاية ١٦ تشرين الثاني ١٨١٢ فقط ١٥٠٧٨٣ شخصا من المراتب الدنيا، مع ٤٠ جنرالا و ١٨٠٠ ضابطا، كما اسر منهم ٢١ جنرالا و ١٣٨٥ ضابطا و ١٠٤٢٠٠ شخصا من المراتب الدنيا». ويطلب القائد من السفير «باسم الصداقة التي تربط بينهما، وبين دولتيهما»، ومن اجل «خير ايران وروسيا» بذل الجهد في ضوء الحقائق السالفة لعقد صلح بين الدولتين، خصوصا وان «تخطيط الحدود بالصورة المقترحة من جانب روسيا . . . هو الاكثر عدالة، اذ لايلزم ذلك ايران بالتنازل عن جديد سوى ماليس بحوزتها، ولاتحت سيطرتها الان»[١٧٣].

وفي الوقت نفسه وجه وزير الخارجية روميانتسيف مذكرة الى الجنرال رتيشيف يطلب منه ان «يوحي للحكومة الايرانية مدى فوائد النجاح الحالي للسلام الروسي، الذي قهر الجبروت الفرنسي، بالنسبة لايران نفسها، فمن المعلوم ان نابليون كان يحلم دائما بغزو الهند، واحتلال ايران اولا من اجل تحقيق ذلك الهدف . . . ولتحكم الحكومة الايرانية بنفسها على مدى خطل حسابات سياستها التي تجعل من وزارة طهران ان ترفض السلم معنا بموجب اكثر الشروط اعتدالا»، فعبثا تظن «انها تستطيع بعنادها، وقوتها تحقيق النصر على دولة . . . انـدحرت امامها جميع القوى المتضافرة للشعوب الخاضعة لبونابارت»[١٧٤].

ومع شن نابليون لحملته على روسيا طرأ تغيير ملموس على موقف البريطانيين من الحرب الدائرة بين ايران وروسيا، فقد بدأوا يشجعون الطرفين على عقد الصلح حتى تتمكن بطرسبورغ من تكريس كامل طاقاتها ضد العدو المشترك الاكبر، وكذلك لاستغلال الظروف الصعبة الجديدة لروسيا، وحاجتها الملحة للجيش لردع الهجوم الفرنسي، حتى تضمن اقل مايمكن من التنازلات لها من جانب طهران. وقد تفاعلت مع هذه الحقيقة الانتصارات الكبيرة التي حققتها القوات الروسية على القوات الايرانية ايام غزو نابليون لاراضي روسيا لتجبر طهران على التراجع بصورة جدية. ففيما يخص الموضوع الاخير ورد مايلي نصا في مذكرة سرية رفعها روميانتسيف الى شخص اسكندر الاول بتأريخ ٩ تموز ١٨١٣:

---

(١٧٣) المصدر نفسه، المجلد السابع، ص ٣٠ ـ ٣٢، الوثيقة رقم ١١.

(١٧٤) المصدر نفسه، المجلد السادس، ص ٦١٢ ـ ٦١٣، الوثيقة رقم ٢٦٢.

«تشير كل الدلائل الى ان نجاحات الجنرال كتليارفسكي[175] ارعبت ايران، واجبرتها على تغيير مواقفها، فانها، على مايبدو، تبحث الان عن الصلح باخلاص. فقد بدأ الوزير الاول لباباخان[176] الاتصالات لهذا الغرض، وهو يريد ابعاد عباس ميرزا، ووزرائه عن المفاوضات، ذلك لانهم يرغبون في قرارة انفسهم في الاستمرار في الحرب»[177].

وبما ان فتح علي شاه خول السفير البريطاني وزلي حق التفاوض مع روسيا باسمه، لذا فان الاتصالات الاخيرة حول اهم مواضيع الصلح جرت اساسا بينه وبين الجنرال رتيشيف. ومن خلال هذه الاتصالات عرض وزلي باسم الجانب الايراني مقترحات مختلفة ماكانت تتفق مع التعليمات التي تسلمها الجنرال رتيشيف بصدد شروط بلاده لعقد معاهدة الصلح[178]. فقد اقترح السفير البريطاني اجراء المفاوضات في بطرسبورغ، وعدم الاصرار على موضوع الوضع الراهن بصدد الحدود[179]، وعقد هدنة امدها سنة واحدة، والتوقيع فقط على معاهدة صلح تمهيدية، الامور التي رفضها الجنرال رتيشيف لانها كانت تستهدف الحيلولة دون التحرك اللاحق للقوات الروسية، وتأخير عقد صلح نهائي بين الدولتين، وبالمقابل اصر القائد الروسي على ضرورة عقد الهدنة، ومعاهدة الصلح دون تأخير اما في طهران، او على الحدود.

ولكن مع ذلك تراجع الروس جزئيا، وباسلوب لم يخل من غرور المنتصر، عن موقفهم. ففي رسالته التي وجهها الجنرال رتيشيف الى السفير البريطاني بتاريخ ٢٦ تموز ١٨١٣ لمح الى امكانية النظر في «التماس» يتقدم به الايرانيون لاستعادة بعض

---

(١٧٥) قاد الجنرال كتليارفسكي (Kotlarefsky) (١٧٨٢ - ١٨٥٢) العمليات العسكرية للقوات الروسية في خانية طالش.

(١٧٦) كان الروس في مراسلاتهم الرسمية يطلقون على فتح علي شاه اسم بابا خان الذي كان معروفا به قبل تسنمه للعرش، وذلك ايحاءا منهم بانهم لايعترفون به ملكا على ايران.

(١٧٧) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد السابع، ص ٢٩٣ - ٢٩٤، الوثيقة رقم ١٢٠.

(١٧٨) المصدر نفسه، المجلد السادس، الوثيقة رقم ١٤٣.

(١٧٩) كان الروس يلحون في البداية، كما لاحظنا، على جعل انهر اراس وكورا واربجاى حدا فاصلا بين روسيا وايران، الا انهم اقتنعوا فيما بعد بالوضع الراهن (Status quo ad praesentum). اي بضم الاراضي التي احتلت فعلا من قبل القوات الروسية.

المناطق، على ان يكون ذلك بعد عقد الصلح النهائي فقط. وفي رسالة جوابية لاحقة بتاريخ ٥ أيلول ١٨١٣ اكد القائد الروسي ثانية، وبصورة قاطعة عدم موافقة بلاده على غير ابرام معاهدة صلح نهائية في ضوء الوضع الراهن، الا انه وافق على ان يوقع مع المعاهدة على محضر منفصل ينص على مايلي:

«يمنح الحق للممثلين الايرانيين الذين يستطيعون السفر، بعد التوقيع على المعاهدة، الى البلاط الروسي السامي لتهنئة حكومة جلالته، ان يلتمسوا، بغض النظر عن التوقيع على المعاهدة النهائية وابرامها من قبل الطرفين، من العاهل الروسي الامبراطور الحاجات والرغبات التي لدى الحكومة الايرانية، وتركها لعطف جلالته لا كمطاليب يجب تلبيتها، بل كمجرد التماس»(١٨٠).

وعندما اقتنع السفير البريطاني انه لاجدوى في تأخير عقد معاهدة الصلح، وان بوسع القوات الروسية تحقيق انتصارات حاسمة جديدة في حالة العودة الى القتال، اقنع فتح علي شاه وكبار المسؤولين في طهران بان يباشروا بالمفاوضات مع الروس، مع ان البلاط الايراني كان يميل، على العموم، في استمرار الحرب.

افتتحت مفاوضات السلام في المعسكر الروسي بقرية كلستان التابعة لقره باغ، وقد مثل الجانب الايراني فيها السياسي المعروف بموالاته للبريطانيين مرزا ابو الحسن خان، فيما مثل الجانب الروسي الجنرال رتيشيف. وفي ١٣ تشرين الاول ١٨١٣ وقع الطرفان اتفاقية الهدنة بينهما، والتي صيغت بهذا الاسلوب:

«من اجل اجراء مفاوضات الصلح تعقد هدنة امدها ٥٠ يوما. واذا لم يتوصل الطرفان الى عقد معاهدة الصلح بينهما، فانهما لايعاودان العمليات الحربية الا بعد مرور ٢٠ يوما على اعلانهما عن عدم اتفاقهما».

وفي اليوم نفسه باشر الوفدان المتفاوضان بوضع بنود معاهدة الصلح التي تم التوقيع على نصيها الفارسي والروسي يوم ٢٤ تشرين الاول ١٨١٣ لتدخل التاريخ باسم «معاهدة كلستان». وفي ٢٧ ايلول ١٨١٤ تبودلت نصوص المعاهدة بعد تصديقها، دون ان يلحق بها اي محضر منفصل(١٨١).

نصت «معاهدة كلستان»، التي سميت في نصها الرسمي(١٨٢) «معاهدة الصلح

---

(١٨٠) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد السادس، الوثيقة رقم ١٤٣، المجلد السابع، ص ٣٢٤، ٣٧٩، ٣٩٧، ٧٥٦ - ٧٥٧.

(١٨١) المصدر نفسه، المجلد السابع، ص ٣٩٧، ٤٤٦ - ٤٤٧، ٧٥٧، الوثيقة رقم ١٧٩.

(١٨٢) راجع نص المعاهدة باللغتين الفارسية والروسية في «وثائق وزارة الخارجية الروسية»،

والصداقة بين روسيا وايران»، والتي كانت تتألف من ١١ مادة. ومقدمة مفصلة، على تنازل ايران لروسيا عن ولايات وخانيات قره باغ وكنجة وشيروان وشكي ودربند وباكو وكوبا، وعن الجزء الشمالي لخانية طالش. كما تخلت ايران ايضا عن ادعاءاتها بكل من جورجيا وداغستان. ونصت المادة الخامسة من المعاهدة على «حق روسيا المطلق» في امتلاك اسطول حربي داخل بحر قزوين، فيما حرمت المادة نفسها ايران، او اي دولة اخرى، من حق مشابه. واعادت المواد ٨-١٠ من كلستان العلاقات التجارية بين روسيا وايران الى سابق عهدها، فقد حصل المواطنون الروس على حرية التجارة والتجوال داخل الاراضي الايرانية، حصل المواطنون الايرانيون على حق مشابه داخل الاراضي الروسية، على ان لاتتجاوز الرسوم الكمركية التي تفرض على بضائع البلدين نسبة ٥٪.

حاول فتح علي شاه تبرير هزيمة بلاده العسكرية والسياسية باسلوب هزيل، غير منطقي. فقد تفتقت عبقريته لتعبر عن مقولة لانظير لها في اغلب الظن في مجلدات السياسة قديمها وحديثها. فبعد خراب كل مالديه نطق قائلا:

«او هل نحن بطط حتى نكون بحاجة الى مياه قزوين المالحة!»[١٨٣]

والاغرب من ذلك ان فتح علي شاه لم يتورع عن تحويل هزائمه، وانتكاساته، وفشله المتواصل في كل الميادين، الى انتصارات ساحقة، ونجاحات مشهودة تستحق ان تدبج في قصيدة شعرية في غاية الروعة، نظمها بناء على طلبه الشاعر صاحب، ومن ثم استنسخها الخطاطون باحرف مذهبة وعرضت في الاسواق للبيع. وبعد موته حفر نص القصيدة على حجر المرمر، وزين به الجدران المحيطة بلحده في قم[١٨٤].

بعد التوقيع على «معاهدة كلستان» جرت محاولات متفرقة لاعادة النظر بموادها التي فرضت على ايران تنازلات اقليمية كبيرة. فعندما ذهب مرزا ابو الحسن خان[١٨٥] سفيرا فوق العادة الى بطرسبورغ لتبادل اوراق تصديق المعاهدة، تقدم الى

المجلد السابع، ص ٤٠٣ - ٤٢٥. عن المعاهدة راجع ايضا:
سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٢٥٦ - ٢٦١؛ دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٧٤ - ١٧٥؛
R.K. Ramazani, Op. Cit., PP. 44 - 45

(١٨٣) مقتبس من:
Bahman Nirumand, Iran. The New Imperialism in action, New York and London, 1969, P. 20.

(١٨٤) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران. در دوره معاصر، ص ٧٦، ٨٠.

(١٨٥) دبلوماسي ايراني معروف بميوله نحو البريطانيين، وكان على علاقة ودية مع شخص وزلي.

كبار المسؤولين الروس باكثر من طلب حول هذا الموضوع . ففي مذكرته التي قدمها الى وزير خارجية روسيا نسلرود بتاريخ ١ شباط ١٨١٦ عبر السفير الايراني عن «ثقته الاكيدة» بان «امبراطور روسيا» يعيد الى ايران «برحابة الصدر» جميع المناطق التي استولت بلاده عليها[١٨٦] . ولقد أثار الايرانيون فيما بعد الموضوع نفسه مرارا ، فانهم كانوا يستغلون كل فرصة لقاء لهم بالمسؤولين الروس ، وفي مناسبات مختلفة ، لعرضه على بساط البحث من جديد[١٨٧] .

ولكن لم يسفر اي من هذه المحاولات عن نتيجة ، مع ان «معاهدة كلستان» اثارت رد فعل قويا بين اطراف دولية مختلفة ، من بينها تركيا التي استمرت في محاولاتها الرامية لتحريض الايرانيين ضد الروس[١٨٨] . فقد اعلن القيصر اسكندر الاول في بيان له اصدره يوم ١٦ كانون الثاني عام ١٨١٨ ان مضمون «معاهدة كلستان» غير قابل للتغيير، او التعديل[١٨٩] .

لم تقتصر خسائر ايران الجسيمة على ما تضمنته «معاهدة كلستان» فقط . فان عشر سنوات من الحرب ابتلعت اموال خزينة فتح علي شاه رغما عنه ، واتت على ذخائر عباس مرزا ، خصوصا وان خزينة اذربيجان هي التي تحملت اعباء الحرب ، دون ان تشترك خزائن الولايات الاخرى بشيء يذكر.

وهكذا فان حرب ١٨٠٤-١٨١٣ سببت مشاكل مالية عويصة لايران ، ومما زاد من اثارها على كاهل الناس ان الدولة لم تتبن خطة سليمة لمعالجة ظواهرها المختلفة ، بل ان بعض المسؤولين ، وعلى رأسهم الله يارخان اصف الدولة ، حاكم تبريز عاصمة اذربيجان ، تحولوا الى عبء اضافي ثقيل اثار حنق الجميع . فلم يكن مجرد صدفة ان انفجرت سلسلة من الانتفاضات بين عشائر شرقي بحر قزوين ، وفي

عين سفيرا فوق العادة لدى البلاط الروسي في العام ١٨١٤ ، وبقي في منصبه لغاية سنة ١٨١٨ ، انتقل بعدها الى لندن .

(١٨٦) «وثائق وزارة الخارجية الروسية» ، المجلد السابع ، الوثيقة رقم ١٦٨ ، المجلد الثامن ، موسكو، ١٩٧٢ ، ص ٣٧٠، المجلد التاسع (تشرين الثاني ١٨١٥ ـ ايلول ١٨١٧) ، موسكو، ١٩٧٤ ، ص ١٤٧ ـ ١٤٩ ، الوثيقة رقم ٤٨ ، ص ٦٩٣ ـ ٦٩٤ ، الملاحظة رقم ٥٨ ؛ دكتر علي بينا ، تاريخ سياسي ديبلوماسي ايران ، جلد اول ، ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

(١٨٧) «وثائق وزارة الخارجية الروسية» ، المجلد العاشر، ص ١٨٨ ، الوثيقة رقم ٥٦ .

(١٨٨) المصدر نفسه ، المجلد الثامن ، ص ٥٤١ ـ ٥٤٧ ، الوثيقة رقم ٢٤٨

(١٨٩) دكتر علي بينا ، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران ، جلد اول ، ص ١٩٢ ـ ١٩٣ .

الشمـال الشـرقي من خراسـان ايـام انـدحـار القـوات الايرانية في اسلاندوز، والتي اشتـدت اكثـر بعـد التوقيع على «معاهدة كلستان»، حتى ان انتفاضة عشائر خراسان استمـرت لمـدة تجـاوزت عقـدا واحـدة من الـزمن (من العـام ۱۸۱۳ حتى العـام ۱۸۲٤) . وامتـدت اثـار هذه الانتفـاضات الى العلاقات التجارية القائمة بين الصين وايران التي اصيبت بنكسة خطيرة[190] .

حاول البـريطـانيون استغلال الاثار السلبية التي تركتها بنود «معاهدة كلستان» في نفوس الايرانيين من اجل تثبيت مواقع اقدامهم. فلم تمر سوى سنة وشهر واحد على عقـد كلستـان حتى جرى التـوقيـع على معـاهـدة جديـدة بين لندن وطهران (في ٢٥ تشرين الاول ۱۸۲٤)، الزمت موادها الاحدى عشرة ايران بان تلغي جميع علاقاتها مع اي دولـة اوروبيـة معـاديـة لانكلتـرا، وحـرمتهـا من حق السمـاح لجيش دولـة ما باستخـدام اراضيهـا ضد الهند. وبموجب احد بنود المعاهدة الجديدة تعهدت ايران بان تسـدي المسـاعـدة للبـريطـانيين في حالة هجوم الافغان على الهند. وبالمقابل تعهـدت انكلتـرا بأن تقدم المساعدة العسكرية لايران في حالة تعرضها لاعتداء دولة اوروبيـة ما، واذا تعـذر ذلـك فانهـا التزمت بأن تقدم لها عونا ماليا سنويا مقداره ٢٠٠ ألف تومان تصرف على حاجات البلاد العسكرية «تحت اشراف السفير البريطاني». وتقـرر ايضـا ان يقـوم العسكـريـون البـريطـانيـون بتـدريب افراد الجيش الايراني. وبمـوجب البنـد الثـالث من المعاهدة تعهدت لندن بأن تبذل كل مافي وسعها لاقناع بطـرسبـورغ بأن تعيـد النظـر في مواد «معاهدة كلستان»، وتعيد لايران المناطق التي استحوذت عليها نتيجة حرب ١٨٠٤ ـ ۱۸۱۳[191] .

وقـد بذل البـريطـانيـون بالفعـل جهودا كبيرة بالنسبة للموضوع الاخير الذي كان يتوافق كليا مع مصالحهم الخاصة في المنطقة، حتى ان الحكومة البريطانية حاولت مرارا فرض وساطتها بصدد المناطق التي كانت ايران تطالب باستعادتها، مما اثار قلقا واضحـا بين الاوسـاط الحـاكمـة الـروسيـة التي وقفت بالمـرصـاد لمناورات لندن، ومتـابعتهـا الـدقيقـة لكـل مايتعلق بالعـلاقـات بين طهران وبطرسبورغ[192] . وعندما تمادت لندن في ضغطها على بطرسبورغ بصدد «التوسط» بين ايران وروسيا، جاء رد

---

(۱۹۰) للتفصيل راجع نفس المصدر، ص ۱۸۳ ـ ١٨٥.

(191) P. Sykes, A history of Persia, Vol. II, 3d ed., London, 1930, PP. 309 - 310; M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 136.

(۱۹۲) للتفصيل راجع :
«وثـائق وزارة الخـارجيـة الـروسيـة»، المجلد التـاسـع، ص ١٤٦ ـ ١٤٧، ١٤٩، ٢٥١ ـ ٢٥٤، ٦٩٤، الوثيقتان ٤٨ و ۸۳ والملاحظة رقم ٥٨.

الحكومة الروسية قاطعا على لسان وزير الخارجية نسلرود عندما أخبر نظيره كاسلريه في ٧ آب ١٨١٩ «ان القيصر يفضل المفاوضات المباشرة بين ايران وروسيا على توسط الغير في مثل هذه الامور»[١٩٣].

في كل الاحوال لم يلعب الموقف البريطاني الدور الاخير لمهيد الطريق لوقوع حرب جديدة بين ايران وروسيا.

الطريق الى حرب جديدة:

كان حكام ايران لايميلون، رغم هزائمهم المستمرة في حرب ١٨٠٤ ـ ١٨١٣، الى انهاء حربهم مع روسيا، الا ان ظروفا دولية خاصة هي التي اجبرتهم اخيرا على الرضوخ للامر الواقع، فوقعوا «معاهدة كلستان» على مضض منهم. لذا كان متوقعا ان تتحول فترة مابعد كلستان الى مرحلة الاعداد لحرب جديدة ضد روسيا. ففد ازداد اهتمام عباس مرزا بتطوير الجيش اكثر من السابق، فاقام في تبريز ورشة خاصة لانتاج المدافع اولاها جانبا كبيرا من اهتمامه ورعايته[١٩٤]. واستمرت الاستعدادات العسكرية الايرانية بصورة جلبت انظار المراقبين الروس بعد فترة وجيزة من عقد «معاهدة كلستان». ففي غضون شهرونيف فقط من بداية عام ١٨١٩، بعث القائد العام الجديد للقوات الروسية في جورجيا أ. ب. يرمالوف[١٩٥] مذكرتين سريتين الى اسكندر الاول شخصيا، يخبره فيهما عن الاستعدادات المتزايدة للايرانيين «من اجل الاعداد لحرب جديدة ضد روسيا»، وفي الحالتين اشار الجنرال الى نشجيع البريطانيين لهم في ذلك[١٩٦].

وفي الوقت نفسه كان الايرانيون يحاولون التملص الى اقصى حد ممكن عن تنفيذ التزاماتهم بموجب بنود «معاهدة كلستان»، خصوصا فيما يخص اعادة الاسرى الروس، والسماح للاسر الحدودية الراغبة في الانتقال الى داخل الحدود الجديدة لروسيا، ووضع القوائم الخاصة بالحدود بين الدولتين حسب منطوق المادة الثانية من

---

(١٩٣) المصدر نفسه، المجلد الحادي عشر (ايار ١٨١٩ ـ شباط ١٨٢١)، موسكو، ١٩٧٩، ص ٨ ـ ١٠، الوثيقة رقم ١.

(١٩٤) بروفيسور و. مينورسكي، تاريخ تبريز، ترجمة وتحشيه عبدالعلي كارنك، تهران، ١٣٣٧ ص ٦٨.

(١٩٥) الكسي بيتروفيتش يرمالوف (A.P. Yermalov)، جنرال مدفعي، أصبح قائدا عاما للجيش في جورجيا في الفترة من عام ١٨١٦ حتى عام ١٨٢٧.

(١٩٦) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد التاسع، ص ٣٩٨، ٥٠٢.

المعـاهـدة(١٩٧). ومن المفيد ان نشير بالنسبة للنقطة الاخيرة الى ان عباس مرزا عين احد الضباط البريطانيين العاملين لدى «شركة الهند الشرقية» ليمثل ايران في اللجنة التي عهـدت اليهـا مهمة وضع القوائم المذكورة، الامر الذي وافقت عليه بطرسبورغ شرط «ان يعامل كموظف لدى الشاه»(١٩٨).

ولقـد بلغ الخـلاف بين الطـرفين حول هذه الامـور حد ان طلب وزير الخارجية نسلرود من الجنرال يرمالوف بتاريخ ٣٠ كانون الاول ١٨١٩ ان يخبر بلاط الشاه ان موقف عبـاس مرزا المعـادي، وتهـربـه من تطبيق بنـود معـاهـدة كلستـان «قد يجبر الامبراطور اسكندر الاول على اعادة النظر في امر الاعتراف به وليا للعهد على العرش الايراني»(١٩٩).

وفي هذه الفتـرة جرى تبـادل عدد من الـوفود بين طهران وبطرسبورغ لتباحث من اجـل حل المشـاكـل المعلقـة بين الطـرفين. ففي اواسـط عام ١٨١٧ اوفـد الروس الجنـرال يرمـالـوف سفيـرا فوق العـادة الى ايران (وصل طهران يوم ٢ حزيران) حيث قضى خمسـة اشهـر هنـاك يتفـاوض مع كبار المسؤولين في العاصمة وتبريز «دون ان يحقق ادنى نجـاح دبلومـاسي» حسب تأكيـد المؤرخين الايرانيين(٢٠٠)، الامر الذي تربطـه وثـائق الخـارجية الروسية بطلبات حكام ايران التعجيزية التي اثاروها منذ اول اجتمـاع عقـده معهم الجنـرال يرمالوف، وكذلك بمناورات البريطانيين الذين تابعوا بعثة يرمالوف خطوة فخطوة. وفي الواقع لم تكن طلبات المبعوث الروسي اقل تعقيدا من طلبـات الطـرف المقـابـل، فانه اراد تحريض ايران ضد الدولة العثمانية، واقناع الشـاه لارسـال قواتـه الى خوارزم(٢٠١). ولم يحقق الطبيب سميون مازاروفيتش (S.I. Mazarowich)، الـذي عين عام ١٨١٨ اول سفيـر روسي ثابت لدى طهران، نجاحا اكبر من سلفه الجنرال يرمالوف.

ولـم يقف الروس من جانبهم مكتوفي الايدي، بل كانوا يتحينون الفرص من اجل

(١٩٧) المصدر نفسه، المجلد العاشر، ص ١٨٩، الوثيقة رقم ٥٦، المجلد الحادي عشر، ص ٢١١، ٢١٤، الوثيقة رقم ٧٤.

(١٩٨) المصدر نفسه، المجلد العاشر، ص ٣٦، ٢٤٢.

(١٩٩) المصدر نفسه، المجلد الحادي عشر، ص ٢٠٤.

(٢٠٠) دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٩٢.

(٢٠١) للتفصيل عن بعثة الجنرال يرمالوف راجع:

«وثـائق وزارة الخـارجيـة الـروسيه»، المجلد التاسع، ص ٢٥١ ـ ٢٥٤، الوثيقة رقم ٨٣، المجلد العـاشـر، ص ٣٦، ١٩٠، ٢٥٢ ـ ٢٥٥، الـوثيقـة رقم ٧٦ وغيرها؛ دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ١٩١ ـ ١٩٢.

بمد حدودهم مع ايران لتصل الى نهر اراس، كما كانوا يبدلون الجهد من اجل تغلغل سياسي واقتصادي واسع في مختلف مرافقها. ولتحقيق ذلك لجأوا في فترة مابعد كلستان الى اساليب جديدة في العمل. فقد كسبوا عددا من العملاء بين الفرس انفسهم، بدأوا يعملون لحسابهم، يوصلون اليهم ادق التفاصيل عن اهم احداث ايران التي تابعوا دراسة اوضاعها من جميع الاوجه بنشاط اكبز من السابق(٢٠٢).

وبشتى الاساليب حاول الروس التغلغل في البلاط الايراني نفسه، وكسب الامراء القاجاريين الى جانبهم، وتغذية الخلافات بينهم. وقد تمكنوا في تلك الفترة بالفعل من ان يكسبوا محمد علي مرزا «الابن الاكبر للشاه الذي يقف على رأس حزب قوي للغاية يضم معظم الاسر الايرانية المعروفة والعريقة» حسب وصف وثيقة سرية رفعت عنه خصيصا الى شخص وزير الخارجية نسلرود بتأريخ ٦ كانون الاول ١٨١٧. وكان محمد علي مرزا، المعروف بنشاطه الجم، يطمع في ان يخلف والده في العرش، وقد بعث بمندوب خاص عنه الى بطرسبورغ بصورة سرية(٢٠٣). وحاول الروس ايضا التقرب من شخص فتح علي شاه، وكسب عباس مرزا. فقد لبوا طلبات الاول منهما، واوصوا عددا من معاملهم ان يصنعوا له خصيصا مرآة، وكل ما طلب من الاواني الخزفية والكريستال التي قدمت له هدية من اسكندر الاول في تشرين الاول سنة ١٨٢٠(٢٠٤).

وفي الوقت نفسه عمل الروس بنشاط من اجل التغلغل في صفوف العشائر الايرانية المعارضة للقاجاريين. وفي هذا الميدان اولوا التركمان اهتماما خاصا، فحاولوا استغلال استيائهم الكبير، وثوراتهم المستمرة، فاقاموا معهم اتصالات مباشرة، وزودوهم بالاسلحة، بما فيها المدافع التي ارسلوا ضباطهم لتدريبهم على استخدامها. وكان الروس يبتغون من كل ذلك «الاستعداد لاي حرب قد تقع بين ايران وروسيا»، كما ورد في احدى وثائقهم الخاصة بتعاونهم مع التركمان(٢٠٥).

واستغلت روسيا الحرب الجديدة التي اندلعت نيرانها عام ١٨٢١ بين تركيا

---

(٢٠٢) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد الثامن، ص ٥٤١ ـ ٥٤٧، الوثيقة رقم ٢٤٨، المجلد العاشر، ص ٢٧، ٦٩، ٢٢١ ـ ٢٢٩ وغيرها.

(٢٠٣) المصدر نفسه، المجلد العاشر، ص ٦٩، المجلد الثاني عشر، ص ٦٨٤، الملاحظة رقم ١٨٩.

(٢٠٤) المصدر نفسه، المجلد العاشر، ص ٢٢١، ٢٢٨ ـ ٢٢٩، الوثيقة رقم ٦٧، المجلد الحادي عشر، ص ٦٠٣، ٦٠٦، ٧٩٨، الوثيقة رقم ١٩٠ والملاحظة رقم ٢٥٧.

(٢٠٥) نفس المصدر، المجلد التاسع، ص ٣٩٣، المجلد الحادي عشر، ص ٤١.

وايـران، فاحتلت قواتهـا جزءا من المنطقـة الممتدة بين يريفان وبحيرة كوكجه التي كانت تعتبـرهـا ضمن ماالتـزمت ايران بالتنازل عنها بموجب بنود «معاهدة كلستان». ولقد نجمت عن ذلك ازمة استفحل امرها على مدى نصف عقد لاحق، رافقها تبادل العـديـد من الوفود، والاتصال المباشر دون نتيجة[٢٠٦]. ففي شباط ١٨٢٥ جرى لقاء بين عباس مرزا والجنرال يرمالوف، اتبعه اتفاق وقع عليه ممثلا الطرفين في تبليس في الشهـر التـالي. ولكن لم تمر سوى فترة وجيزة حتى انفجرت الازمة من جديد اثر قيام قوة روسيـة قوامهـا ١٨٠٠ رجـل، واربعـة مدافـع، باحتلال كوكجه. وفي ١٩ تشرين الاول من العام نفسه احتلت قوة روسية اخرى بالغ لو التي اضطرت الى تركها تحت ضغـط رجـال حاكم يريفـان. وبعد شهر واحد وصل تبليس وفد ايراني جديد دون ان يحقق شيئا، مع انه امضى هناك مدة شهرين كاملين يجري خلالهما الاتصالات مع المسؤولين الروس.

وعنـدمـا توتـرت علاقـات الـدولتين الى هذا الحـد تقـرر مناقشة الموضوع على مستـوى ارفـع. فحضـر كل من فتـح علي شاه وعبـاس مرزا ووكيل السفير البريطاني هنري ويلولك (H. Willolk) عن الجانب الايراني، والامير مينتشيكوف (Menechikoff) عن الجانب الروسي في السلطانية، حيث اجرى الأخيران مفاوضات مباشرة دون ان يتـوصـلا الى نتيجـة، ففي ٢١ تمـوز ١٨٢٦ ترك الشـاه وولي العهـد السلطانية التي غادرها كل من مينتشيكوف وويلولك بعد خمسة ايام فقط[٢٠٧].

وهكذا اصبحت الحرب من جديد وشيكة الوقوع بين ايران وروسيا، وقد ساعدت في تعجيلهـا ثلاثـة عنـاصـر جديـدة. فرغم محاولات بطرسبورغ لكسب ولي العهد الايـراني عبـاس مرزا الى جانبـه، الا انـه تمـادى في تصلبـه تجـاه روسيـا التي كان متعطشـا للخـوض في حرب جديـدة ضدهـا، أرادهـا وسيلة لغسل عار هزيمة حرب ١٨٠٤ - ١٨١٣ التي كان الجميع يعتبرونه المسؤول الاول عنها. ومما دفعه الى التشدد انه بعد وفاة شقيقه الاكبر، والمتنفذ محمد علي مرزا لم يعد احد ينافسه في عرش والده، الامر الذي جعله في غنى عن مساندة روسيا له لتبوء العرش، كما نص على ذلك أحد بنود «معاهدة كلستان».

---

(٢٠٦) للتفصيل عن ابعاد الازمة الجديدة ونتائجها راجع:
دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٢٠٢ - ٢٠٥؛
P. Sykes, Op. Cit., P. 317.

(٢٠٧) للتفصيل راجع: دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٢٠٢ - ٢١٣.

اما العنصر الثاني فكان يتعلق بنجاح البريطانيين في نقل الخلاف الايراني الروسي الى المحفل الدولي بصورة لم يسبق لها مثيل. فقد تعرضت حكومة القيصر الى حملة انتقاد واسعة من جانب الصحافة الغربية بسبب سياستها تجاه ايران، الموضوع الذي تناوله ايضا العديد من الشخصيات العالمية المعروفة، كما عرض على بساط البحث في مؤتمر اخن الدولي. وبذلت استانبول بدورها جهودا واسعة لتأجيج نار الخلاف بين طهران وبطرسبورغ، مما استدعى توجيه انذار من اسكندر الاول الى السلطان بتأريخ ١٧ آذار ١٨٢٦[٢٠٨]. ومن المفيد ان نشير هنا الى ان لندن اقدمت في هذه اللحظة الحرجة بالذات على تقديم وجبة من المساعدات المالية والعسكرية لطهران، التي كانت توحي لها ايضا بأن الباب العالي سيقف الى جانبها عسكريا اذا وقعت لها حرب مع الروس.

اما العنصر الثالث فكان يتعلق باضطراب الوضع السياسي الداخلي في روسيا اثر تنازل ولي العهد قسطنطين عن العرش عندما وافى الاجل شقيقه اسكندر الاول يوم ١٩ تشرين الثاني عام ١٨٢٥، فقد استغل الديكابريون (الديسمبريون) الوضع، وفجروا انتفاضة مسلحة في العاصمة بطرسبورغ، وفي اوكراينا، سرعان ماتمكنت قوات القيصر الجديد نيقولا الاول من اخمادها. الا ان عباس مرزا علق، مع ذلك، امالا كبيرة على تلك الأحداث التي صورها له البريطانيون على غير حقيقتها، اذ اكدوا له ان الانتفاضة هزت امكانات روسيا، وان ارسال الامير مينتشيكوف للتفاوض ليس الا دليلا على ضعف روسيا، واضطرارها للتراجع امام الايرانيين بسبب اوضاعها الداخلية[٢٠٩].

وبحكم هذه العوامل مجتمعة وصلت الامور بين بطرسبورغ وطهران الى طريق مسدود من جميع جهاته، مما ادى، في نهاية المطاف، الى اشتعال نيران حرب جديدة بين ايران وروسيا في اواسط عام ١٨٢٦.

---

(٢٠٨) «وثائق وزارة الخارجية الروسية»، المجلد العاشر، ص ٢٤٧ ـ ٢٥٠، ٢٥٢ ـ ٢٥٥، ٢٦٥ ـ ٢٦٨. الوثائق ٧٤ و٧٦ و٨٣:

B.P. Balayan, Mejdunarodnaya otnoshenia Irana v 1813 - 1828, Erevan, 1967, P. 131 - 132.

ف. ب. بالايان. العلاقات الدولية لايران في ١٨١٣ ـ ١٨٢٨. باللغة الروسية، يريفان، ١٩٦٧، ص ١٣١ ـ ١٣٢.

(209) Ibid, P. 12; W. Allen and P Muratoff, Op. Cit., P. 20

حرب ١٨٢٦ ـ ١٨٢٨ :

اراد عباس مرزا ان يتفادى اخطاء حربه الاولى مع الروس، فبدأ يهيء الاذهان، ويثير العواطف، ويضع الخطط لحربه الجديدة. فقد امر الشاه بان تطبع رسالة خاصة بالفارسية عن الجهاد واحكامه، وفوائده نشر باسم «رساله ء جهادية» (رسالة الجهاد)[٢١٠]. كما حاول الايرانيون الاستفادة الى اقصى مايمكن من زعماء القفقاس المستائين لاسباب مختلفة من الروس، منهم اسكندر مرزا الذي كان ينتمي الى اسرة هيراكلي الجورجية، ومصطفى خان الشيرواني، ومحمد حسين خان الشكي، ومير حسن خان الطالشي الذين حضر معظمهم الى تبريز، وتحولوا الى اشبه مايكونون بمستشارين لعباس مرزا، فلعبوا «دورا مفيدا ومؤثرا للغاية» حسب تأكيد التقارير البريطانية. ووعد الايرانيون كبار الاقطاعيين والتجار الارمن والجورجيين باحترام مصالحهم، وعدم المساس بها[٢١١].

تؤكد المواد الارشيفية السرية ان الشاه وولي عهده خططوا للحرب الجديدة قبل وقوعها بفترة طويلة، بل في وقت كانت تجري فيه المفاوضات بين الطرفين على اعلى المستويات. ففي اواخر اذار عام ١٨٢٥، عندما كان مبعوث عباس مرزا يجري مفاوضات مباشرة مع الجنرال ايرمالوف، عقد هو في تبريز اجتماعا سريا اصر فيه على ضرورة اعلان الحرب ضد روسيا. واثناء اجتماع السلطانية الانف الذكر عقد فتح علي شاه ليلة ٢٦ حزيران ١٨٢٦ اجتماعا سريا اتخذ فيه قراره النهائي بصدد الدخول في حرب جديدة مع روسيا، الامر الذي ادى الى فشل محاولة السلطانية السلمية بالصورة التي ذكرناها.

استهدفت الخطة الستراتيجية الايرانية، التي اشترك الضباط البريطانيون في وضعها، الهجوم المباغت على اراضي ارمينيا الشرقية، واذربيجان الشمالية، وجورجيا، على ان تبدأ مرحلتها الاولى بهجوم قوات عباس مرزا باتجاه قره باغ بهدف احتلال شوش وكنجة، يرافقه هجومان موازيان، الاول من جانب سردار يريفان حسين قلي خان الى قومري في ارمينيا[٢١٢]، والثاني على طالش من قبل القوات الخيالة التي ركزت في اردبيل واغار. بعد ذلك تبدأ المرحلة الثانية بهجوم مشترك لهذه القوات على تبليس[٢١٣].

وحسب الخطة نفسها كان على القيادة الايرانية تجنب الخوض في معارك حاسمة

---

(٢١٠) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره معاصر، ص ٨١.

(٢١١) دكتر علي بنا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٢١٦ ـ ٢١٧؛ B.P. Balayan, Op. Cit., P. 129.

(٢١٢) تسمى حاليا لينينكان.

(213) B.P. Balayan Op.Cit., P. 144.

قبل التأكد التام من النصر، واستغلال التفوق العددي للجيش الايراني الى اقصى حد، فقد بلغ تعداد الجيش الذي حشده عباس مرزا ٦٠ ألف رجل، فيما لم يتجاوز عدد القوات التي حشدتها روسيا لمجابهة الهجوم خلال المرحلة الاولى من الحرب نصف هذا العدد. وفي حالة فشل الجيش الايراني في تحقيق مهماته كان عليه، حسب الخطة، ان يقوم بتدمير مناطق القفقاس قبل الانسحاب منها[٢١٤].

بدأت الحرب يوم ١٦ تموز ١٨٢٦ بهجوم مباغت لسردار يريفان على باش اباران واحتلالها. ثم باشر الجيش الرئيسي هجومه بالتوجه نحو نهر اراس، لتبدأ بذلك المرحلة الاولى من الحرب التي حققت فيها القوات الايرانية سلسلة من الانتصارات المتوالية. فقد اضطر الروس الى الانسحاب من ميناء لنكران، تاركين وراءهم ستة مدافع، وكميات اخرى من الاسلحة والذخائر. وفي قره باغ فقد الروس ٢٥٠ قتيلا، و ٧٥٠ اسيرا. وفي ٢٧ تموز استسلمت قوة روسية في منطقة خنزيرك لقوة ايرانية يقودها ابن الشاه اسماعيل مرزا. كما اضطر الروس للانسحاب الى تبليس من كنجه وشيروان، ومناطق قفقاسية اخرى[٢١٥].

بعد هذه الانتصارات التي حققها الجيش الايراني في غضون الاسابيع الثلاثة الاولى من الحرب، جاء دور قلعة شوش ذات الموقع الستراتيجي المهم، فتوجه اليها عباس مرزا بنفسه على رأس قوات قوامها حوالي ٣٠ ألف رجل (٢٠ الف مشاة و ١٠ الاف خيال)، يساندهم عشرون مدفعا، وفرض عليها من يوم ٢٥ تموز حصارا دام لمدة ٤٨ يوما، ابدى الجنود الروس خلالها مقاومة ضارية للقوات الايرانية حالت دون ان تستسلم لها، مع ان قائدها منحهم ستة ايام فقط لالقاء السلاح. ان فشل الايرانيين في الاستيلاء على شوش منح قائد الجيش الروسي في القفقاس الجنرال باسكوفيتش(Paskovich) فرصة ممتازة لجمع شمل قواته المتفرقة التي بدأت بالهجوم المضاد اعتبارا من ٣ أيلول، لتبدأ بذلك مرحلة جديدة في الحرب جلبت هزائم متلاحقة للقوات الايرانية التي تلقت اول ضربة كبيرة على ايدي القوات الروسية في شمخور، قرب كنجة، يوم ١٧ ايلول عندما وقعت معركة كبيرة هناك انهزم على اثرها الايرانيون رغم تفوقهم العددي الكبير، وقيادتهم من قبل محمد مرزا نجل ولي

---

(214) Ibid, PP. 128 - 129

(٢١٥) عن العمليات العسكرية في حرب ١٨٢٦ ـ ١٨٢٨ راجع:
جهانكير مرزا، تاريخ نو (شامل حوادث دوره قاجاريه)، تهران، ١٣٢٧، ص ٢٥ ـ ١١٥؛ دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٢١٦ ـ ٢٢٩؛
P Sykes, Op. Cit., PP. 317 - 320; W Allen and P. Muratoff, Op. Cit., PP. 20 - 21.

العهد[٢١٦]، الذي وقع في الاسر، ونجا منه باعجوبة.

واثر هزيمة شمخور دب الذعر في صفوف القوات الايرانية في كنجه، فانسحب منها قائدها علي خان مرند على جناح السرعة، وقبل ان يتخذ الاجراءات الضرورية للحيلولة دون استفادة المهاجمين من الذخائر المخزونة داخل المدينة، مما اثار غضب عباس مرزا، فامر بقتله رميا بالرصاص، مع العلم ان عباس مرزا نفسه لم يتخذ موقفا افضل من موقف علي خان عندما اضطر بدوره للانسحاب من منطقة شوش في اواخر الشهر نفسه اثر مالحقت به من هزيمة نكراء على ايدي القوات الروسية، فاضطر رجاله الى ترك اسلحتهم، والانسحاب بصورة غير منظمة باتجاه نهر اراس، وبسرعة قياسية بلغت في بعض الحالات ١٥٠ ميلا في غضون ٢٤ ساعة فقط[٢١٧]، ولم يتوقف هو الا في مدينة اسلاندوز. وبعد عشرة ايام عقد فتح علي شاه اجتماعا موسعا حضره عباس مرزا، وكبار القادة العسكريين الذين ارتأوا اقامة خط دفاعي جديد بموازاة نهر اراس. وبعد ذلك عاد عباس مرزا الى مقر عمله في تبريز بعد ان فقدت قواته من جديد باكو وكوبا ولنكران وغيرها من المناطق التي احتلتها قبل الثالث من ايلول.

أجبرت ضربات الجيش الروسي عباس مرزا على التراجع، فبعث داود خان مندوبا عنه الى بطرسبورغ، الا ان الجنرال باسكوفيتش منعه من المرور بمناطق القفقاس، فتوسط عباس مرزا لدى النمساويين، وبعث رسالة خاصة الى مترنيخ يطلب منه العمل من اجل السماح لداود خان بالذهاب الى بطرسبورغ عن طريق استانبول. وعندما لم تسفر هذه المحاولة عن نتيجة ايضا، ذهب داود خان الى بولونيا، ومن هناك اتصل بوزير الخارجية الروسي نسلرود الذي جاء رده سريعا ومقتضبا، بان

«لاداعي لزيارة داود خان الى بطرسبورغ»[٢١٨]

عاد داود خان ادراجه الى ايران في اواخر كانون الاول سنة ١٨٢٦. حينذاك وسّط فتح علي شاه البريطانيين ليقنعوا الروس بان يسمحوا لمبعوث اخر، هو مرزا محمد علي، بالذهاب الى بطرسبورغ عن طريق القفقاس. ولاظهار حسن النية أمر الشاه باطلاق سراح ٣٠٠ من الاسرى الروس الذين ارسلوا برفقة مرزا محمد علي الى منطقة الحدود حيث جرى تسليمهم للقيادة الروسية التي سمحت للمبعوث الايراني

---

(٢١٦) خلف جده فتح علي شاه في العرش، ليصبح بذلك ثالث ملك قاجاري يحكم ايران.

(217) P. Sykes, Op. Cit., P. 318.

(٢١٨) دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

ان يذهب الى تبليس للتفاوض معه. وبعد مداولات جرت مع مرزا محمد علي وافقت القيادة الروسية في اذار ١٨٢٧ على عقد معاهدة للصلح حسب الشروط التالية:

١ـ ان توافق ايران على عقد هدنة امدها خمسة اسابيع.
٢ـ ان تتنازل ايران لروسيا عن جميع المناطق التي تمتد الى الشمال من نهر اراس.
٣ـ ان تدفع طهران لبطرسبورغ تعويضا حربيا مقداره ٧٠٠ ألف تومان[٢١٩].

وبما ان مرزا محمد لم يكن مخولا للموافقة على مثل هذه الشروط، فان مهمته قد انتهت بالفشل، اذ بين له الروس انه لايوجد لدى بطرسبورغ شيء آخر غير ماعرض عليه، لذا لايمكن السماح له، اولغيره من الايرانيين، بالسفر الى العاصمة حسب تعليمات الخارجية. بل انهم رفضوا اقتراحا للمبعوث الايراني يقضي بالافراج عن ٣٠٠ من الاسرى الايرانيين كأجراء مقابل لما أقدمت عليه طهران[٢٢٠].

وفي الوقت نفسه توالت انتصارات القوات الروسية على القوات الايرانية في ميادين القتال بعد ان دب فتور نسبي في العمليات العسكرية بسبب حلول فصل الشتاء. ففي بداية ربيع ١٨٢٧ تقدمت القوات الروسية داخل اراضي ارمينيا، وحاصرت قلعة سردار آباد قرب يريفان. كما تقدمت قوة اخرى قوامها ٧ آلاف من المشاة، و٣ آلاف من الخيالة، عبر وادي اراس باتجاه المقر الديني الارمني اجمادزين في ضواحي يريفان، واحتلته. ثم جاء دور قلعة عباس آباد التي بذل الايرانيون جهودا كبيرة لوقف الزحف الروسي عندها، فوجهوا امدادات جديدة اليها، بحيث بلغ تعداد القوة المدافعة عنها حوالي ٢٥ ألف مسلح[٢٢١]، هزموا شر هزيمة، ومرة اخرى كاد عباس مرزا ان يقع في اسر القوات المهاجمة التي دخلت عباس آباد يوم ٢٢ تموز عام ١٨٢٧.

بعد الاندحار الفظيع الذي منيت به القوات الايرانية في معركة عباس آباد، اقتنع ولي العهد من جديد بأن لامفر من اللجوء الى المفاوضات بصورة جدية، فبعث مرزا صالح، احد الشبان الايرانيين الذين درسوا في لندن[٢٢٢]، الى مقر القيادة الروسية،

---

(٢١٩) نفس المصدر، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩.
(٢٢٠) نفس المصدر، ص ٢٣٠.
(٢٢١) تقدر بعض المصادر تعداد القوة المدافعة عن عباس آباد باربعين الف رجل (راجع: شاهين مكاريوس، تاريخ ايران الحديث، القاهرة، ١٨٩٨، ص ٢٣٨).
(٢٢٢) في العام ١٨١٥ بعث عباس مرزا خمسة من الشبان للدراسة في انكلترا، امضوا فيها أربع سنوات

حامـلا معـه رسـالـة توصيـة من السفيـر البريطاني في ايران. ولكن لم تؤد مداولات الطـرفين الى نتيجـة، فتقرر ان يذهب كريبايدوف (Gribayadoff) ممثلا عن الجنرال باسكـوفيتش للتفـاوض مع عبـاس مرزا حول الصلح. وقـد اعـاد كريبـاييـدوف على اسمـاع ولي العهـد، الشـروط السابقة نفسها التي عرضها الروس على الايرانيين في اذار ١٨٢٧.

عاد المبعـوث الـروسي الى تبليس دون نتيجـة، لتستمر العمليات العسكرية بعد ذلك، وليستمر معها الانحدار تلو الانحدار للقوات الايرانية التي غدت في وضع مزر، خصوصا وان فتح علي شاه كان يبخل عليها حتى بالنزر اليسير، بل انه تركها وشأنها في أحرج ايام الحرب الحاسمة عندما ذهب، في اواسط عام ١٨٢٧، الى السلطانية قرب الجبهة لرفع معنويات افرادها، اذ ما أن أحس بحراجة موقفها حتى عاد ادراجه الى عاصمـة ملكـه يوم ١٣ تشـرين الاول من العام نفسه، هذه المواقف التي يصمها المؤرخـون الايـرانيـون بالخيـانة[٢٢٣]. ولم يكن موقف اشقاء عباس مرزا افضل من موقف والــدهم من الجيش والحـرب. فانهم كانـوا يتمنـون في اعمـاقهم الهـزيمـة لشقيقهم المتميز عنهم، فامتنع الولاة منهم عن تزويد قواته بالرجال والمؤن[٢٢٤]، مع انها كانت بامس الحاجة لكليهما اثر انقطاع موارد المناطق المحتلة من قبل الروس، وبسبب الخراب الذي حل باذربيجان بسبب انفصال عدد كبير من خيرة قواها البشرية عن العمل والانتاج.

وبسبب السيـاسـة التقليـديـة للقـاجـاريين اتخـذ ابنـاء الشعـوب غير الفارسية، كالسـابق، موقفـا سلبيـا للغـايـة من أحداث الحرب الجارية. فان الارمن تعاونوا مع الــروس باخــلاص، بل تطـوع عدد غيـر قليـل منهم، وحملوا السـلاح، وحـاربـوا الايــرانيين جنبـا الى جنب مع الـروس، في وقت كان عبـاس مرزا يضـع الخطـط، وبالتعاون مع البريطانيين، لتهجيرهم من وطنهم الى ماوراء نهر اراس. ومما له مغزاه الكبيـر ان هذه الظـاهـرة لم تقتصـر على شعوب القفقاس المسيحية، بل انها انتقلت بالقـوة نفسهـا الى صفـوف المسلمين هناك، ومنذ بداية الحرب. يقول الدكتور علي بينا بهذا الصدد مانصه:

«وعنـدمـا تقـدمت القـوات الايـرانيـة في هذه الاصقاع، فانها زاولت القتـل والاعتـداء والسلب والنهب بالنسبة للسكان، مما اثار حفيظتهم الى درجــة انهم في بعض المنــاطق تأسفـوا لانسحـاب

---

(٢٢٣) دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٢٣٨.

(224) P. Sykes, Op. Cit., PP 318 - 319.

القـوات الـروسيـة، الامـر الـذي احـرج موقف الجيش الايـراني، وتحول الى ضربة قوية وجهت الى عباس مرزا»[٢٢٥].

وحسب مايؤكـد المؤرخ نفسه تعـاون معظم رؤسـاء العشـائـر الاذربيجـانية مع الروس، واقترح سكان مرند عليهم ان يقوموا معا باحتلال تبريز التي «لم يقل استياء سكـانهـا عن استياء المرنديين»[٢٢٦]. ووردت في مصادر ايرانية اخرى اسماء العديد من الـزعمـاء الـذين انضمـوا الى جانب الـروس، منهم، مثـلا، احسان خان الذي استولى الروس بمساعدته على قلعة عباس آباد[٢٢٧].

وبحكم هذه العـوامـل مجتمعة اصبحت اندحارات الجيش الايراني في المرحلة الاخيرة من حرب ١٨٢٦ ـ ١٨٢٨ أكبر، وخسائره أفدح. ففي المعركة الدموية التي وقعت يوم ٧ آب ١٨٢٧ قرب اوشـاكـان داخـل اراضي ارمينيـا، انـدحـرت القـوات الايـرانيـة، واضطـرت للانسحاب الى يريفان التي استسلمت بدورها في ١٥ تشرين الاول، فاستحق الجنرال باسكوفيتش عن ذلك لقب «دوق يريفان»[٢٢٨].

وباحتلال يريفان اصبح الطريق مفتوحا امام القوات الروسية الى تبريز، العاصمة الثـانيـة للقـاجـاريين، ومقـر اقـامـة ولي العهد. فلقد وجه الروس قوة بقيادة الجنرال اريستوف (Aristoff) لاحتلال المدينة التي تركها حاكمها الله يارخان اصف الدولة بعد ان رفض سكـانهـا التعـاون معـه للدفاع عن مدينتهم. وفي ٢٤ تشرين الاول ١٨٢٧ فتحت تبريز ابوابها امام القوات الروسية التي استقبلها، باسم سكان المدينة، وبرفقة اشـرافهـا المجتهد الشاب، وامام الجمعة مرزا فتاح علمي، ابن المجتهد المعروف الحاج مرزا يوسف التبريزي[٢٢٩]. واثر سقوط تبريز، والجانب الاكبر من اذربيجان، مع قسم من اراضي كردستـان، بمـا فيهـا خوي ومـرنـد ومشكين وميـانـه وكرومرود، والقسم الاعظم من مراغه وخلخال، نقل عباس مرزا مقر قيادته الى بلدة سلماس الكردية.

بسقوط تبريز اصبح استقلال ايران معرضا لخطر محدق، الامر الذي اجبر عباس مرزا اخيـرا ان يعيـد النظـر في حسـابـاتـه بصورة جذرية، فاقنع والده بأن يوافق على

---

(٢٢٥) دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران. جلد اول، ص ٢٢٢.

(٢٢٦) نفس المصدر، ص ٢٣٨، ٢٤٠.

(٢٢٧) سعيـد نفيسي، تاريـخ اجتمـاعي وسيـاسي ايـران.. در دوره معـاصر، ص ٤٦٧؛ جهانكير مرزا، تاريخ نو، ص ٨١ ـ ٨٢.

(228) P. Sykes, Op. Cit., P. 319.

(٢٢٩) بروفيسور و. مينورسكي، تبريز، ترجمة وتحشيه عبدالعلي كارنك، ص ٦٨ ـ ٦٩؛

«History of Persia under Qajar rule», PP. 181 - 182.

الدخول في مفاوضات مباشرة مع الجنرال باسكوفيتش، وقد بدأت هذه المفاوضات في بلدة اذرشهر يوم ٩ تشرين الثاني. وكان العرض الروسي واضحا، وسريعا، ومركزا:

«نبقي على يريفان، ونخجوان واوردوباد، وتتنازل ايران ايضا عن مغان وطالش، وتوافق علي دفع تعويض حربي يربو على خمسة ملايين وربع مليون باون استرليني».

وعندما رفض فتح علي شاه هذه الشروط بتشجيع من العثمانيين، لم تتوان القوات الروسية في التقدم من تبريز الى طهران باتجاهين، الاول الى قافلان كو، والثاني الى اردبيل حيث استولت على مكتبة صفي الدين الزاخرة باثمن المخطوطات. وعندما بلغ الموقف الروسي هذا الحد من الحزم والخطورة، جاء دور البريطانيين ليلقوا بكامل ثقلهم في الساحة الايرانية بصورة لم تختلف أبعادها في شيء عن الموقف الذي اتخذوه ايام حرب ١٨٠٤ ـ ١٨١٣

كان البريطانيون يراقبون احداث حرب ١٨٢٦ ـ ١٨٢٨ عن كثب منذ لحظة اندلاع نيرانها. فانهم في مرحلتها الاولى لم يتحركوا من مكانهم لانهائها، اولمجرد التعليق عليها، مادامت القوات الايرانية تمكنت من دفع الروس بعيدا عن سواحل بحر قزوين، ومناطق قفقاسية حساسة، ومادامت الحرب اشغلت روسيا الى حد واضح عن منطقتي البلقان وآسيا الوسطى، وأجبرتها على التخلي وقتيا عن الحرب مع الباب العالي، الامور التي كانت تهم لندن يومذاك بصورة جدية. ولكن ماان بدأ هجوم روسيا المضاد، وتغير ميزان الحرب لصالحها حتى تتابعت مناورات الدبلوماسية البريطانية من أجل الحيلولة دون تغلغل القوات الروسية المتزايد داخل ايران، فجرى تبادل عشرات المذكرات بين لندن وبطرسبورغ، واجتمع شخص وزير الخارجية مرارا بالسفير الروسي في لندن حول الموضوع، الا ان الموقف الحازم الذي اتخذه القيصر نيقولا الاول لم يفسح المجال للبريطانيين لكي يحققوا ماكانوا يبتغونه من سياستهم ازاء الحرب الايرانية الروسية(٢٣٠).

ولكن عندما اصبح استقلال ايران مهددا، واقترب الخطر من حدود الهند، تحركت لندن بالاتجاه الذي كان من شأنه اقناع الشاه بانهاء الحرب بالصورة التي ما كانت بطرسبورغ تعترض عليها. فاقترح السفير البريطاني في طهران السرجون

---

(٢٣٠) للتفصيل حول الموضوع راجع: B.P. Balayan, Op Cit.

مكـدونـالد التوسط بين الطرفين، وتعهد بتقديم ٢٠٠ ألف تومان تعويضا لايران التي وافقت على العرض[٢٣١].

بدأت مفـاوضـات الصلح في قرية تركمانجاى قرب تبريز بين وفدي ايران وروسيا باشتراك البريطانيين، والتي استغرقت مدة شهرين كاملين بسبب مناورات الشاه الذي كان يأمـل في اشتعـال نيـران حرب جديـدة بين بطـرسبورغ واستانبول، وكذلك لان البريطانيين كانوا يرغبون في ان تبقى القوات الروسية مشلولة داخل الاراضي الايرانية اطول فترة ممكنة حتى يتسنى للباب العالي اعداد قواته للحرب المتوقعة بصورة افضل.

أخيـرا وقـع عبـاس مرزا باسم ايـران، والجنـرال باسكوفيتش باسم روسيا، على معاهدة الصلح يوم ٢٢ شباط عام ١٨٢٨، والتي دخلت التأريخ باسم «معاهدة تركمانجاى»[٢٣٢]

تتألف معـاهـدة الصلح الجـديـدة بين طهـران وبطرسبورغ من ست عشرة مادة، نصت الاولى منها على انهاء حرب ١٨٢٦ ـ ١٨٢٨، ونصت الثانيه منها على ان تحل «معـاهـدة تركمـانجـاي» محل «معاهدة كلستان». اما بقية مواد المعاهدة فقد نصت على وضـع حدود جديـدة بين الـدولتين تمر بالاساس عبر نهر اراس، بمعنى ان ايران تخلت لروسيـا عن كل مقـاطعـاتهـا غرب قزوين، وشمـال حدودهـا الحـالية معها، بضمنهـا خانيـات يريفـان ونخجـوان واوردوبـاد. وبموجب مادة اخرى من المعاهدة التزمت ايران بدفع غرامة حربية لروسيا مقدارها ٢٠ مليون روبل ذهب، اي مايعادل حوالي ثلاثـة ملايين باون استـرليني، وهـو مبلغ ضخم للغـايـة حسب القوة الشرائيه السـائـدة يومـذاك. واقـرت المادة الثامنة من تركمانجاي ماورد في «معاهدة كلستان» بصدد منح الروس وحدهم حق الاحتفاظ بسفنهم الحربية في مياه قزوين. وبموجب مادة اخـرى تقـررت اقـامة العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين على مستوى السفارة، ومنـح الايـرانيـون الـروس حق تأسيس قنصليات لهم حيثما يشاءون، على ان تتمتع بكـامـل حمـايـة الحكومة الايرانية. ونصت المادة الثالثة عشرة على تبادل الاسرى، والسماح لاي شخص يرغب بالعودة الى موطنه الاصلي.

وفي الوقت نفسه تم التوقيع على ملحق تجاري لمعاهده تركمانجاى، اقرت بنوده

---

(٢٣١) دكتر علي بيا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٢٤١

(٢٣٢) عن «معاهدة تركمانجاى» راجع:

نفس المصدر، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٨، ٢٥٩ ـ ٢٦٣؛

M S Ivanov, Ochiik . . PP 140 - 141, R.K Ramazani, Op Cit., PP 46 - 47; J M upton, Op Cit., P 5

كل ما ورد في «معاهدة كلستان» من امتيازات اقتصادية لروسيا، ومنحتها اخرى جديدة، بضمنها حرية التبادل التجاري بين البلدين، وتحديد الرسوم الكمركية بخمسة بالمئة فقط، واعفاء البضاعة الروسية من الرسوم الداخلية في ايران. ومنح بنده الخامس الرعايا الروس داخل ايران حق شراء، او استئجار البنايات الخاصة سواء لسكناهم، اولتحويلها الى مخازن يديرونها، وذلك رغم ان القوانين والاعراف المتبعة في ايران كانت تحول دون تملك الاجنبي للاموال غير المنقولة في كل البلاد. وجردت بنود الملحق الجهات الرسمية الايرانية من حق النظر في الدعاوى التي تقام ضد المواطنين الروس داخل ايران دون حضور قنصل روسي. والانكى ان المواطنين الايرانيين العاملين لدى المؤسسات الروسية داخل ايران اصبحوا يتمتعون بالحق نفسه. وبقي حتى ماهو اسوأ من ذلك، فقد نص البند الثامن من الملحق على ان كل مسؤول ايراني في المقاطعات لايلتزم بفحوى ماورد في بنود الملحق يبعد عن وظيفته في الحال ليحل محله شخص آخر.

وهكذا فان «معاهدة تركمانجاي» تحولت الى «طوق ثقيل وضع لمدة حوالي قرن في عنق الشعب الايراني» الذي اصبح استقلاله السياسي «اسما بدون مسمى لغاية انتصار ثورة اكتوبر العظمى عام ١٩١٧» حسب تعبير المؤرخ الايراني ابراهيم تيموري[٢٣٣]. كما ان المعاهدة لم تضع نهاية رسمية للحروب العلنية بين روسيا وايران حسب، بل انها قضت ايضا، وبصورة نهائية، على كل دور للايرانيين عاملا محركا للسياسة القفقاسية بعد ان ظلوا «يؤلفون، على مدى حوالي الفي عام، العنصر الاكثر تأثيرا، سياسيا وثقافيا، في تلك المنطقة»[٢٣٤].

اما الويلات والمآسي والمصاعب الاقتصادية، والاجتماعية، وحتى النفسية التي جلبتها لايران حروبها مع روسيا فانها كانت مهولة، خاصة بالنسبة لاذربيجان. وربما يكفي ان نشير بهذا الصدد الى ان ولي العهد عباس مرزا اضطر للجوء الى صهر تحفيات اسرته الذهبية التي كانت كلفة صياغتها، وقيمتها الحضارية والفنية، تفوق قيمة معدنها، حتى يستطيع دفع ماترتب على بلاده من تعويض حربي[٢٣٥].

لاشك في ان اطماع روسيا القيصرية اللامحدودة كانت تؤلف عاملا اساسيا لما وقع من حروب، ومآس بين ايران وروسيا، ولكن لاشك ايضا في ان انتهاج سياسة حصيفة كان من شأنه تجنيب ايران الكثير من الويلات، والخسائر حتى في الارض، على مانعتقد. وفي كل الاحوال لايتعدى ذلك كونه حقيقة عامة، لاخاصة.

---

(٢٣٣) ابراهيم تيموري، عصر بى خبرى يا تاريخ امتيازات در ايران، تهران، ١٣٣٢، ص ٢٣٩

(234) W. Allen and P. Muratoff, Op. Cit., P. 21

(235) M.S. Ivanov, Ochirk , P. 145.

مذبحة السفارة الروسية في طهران

أدت الحروب الايرانية الروسية(1)، ولاسيما حربا ١٨٠٤ - ١٨١٣ و١٨٢٦ - ١٨٢٨ ، الى نتائج اقتصادية واجتماعية وسياسية ونفسية وخيمه بالنسبة لايران، لم تكن مهيأة لتحمل اعبائها. وقد وقع الجانب الاكبر من ثقل هذه الحروب على كاهل الجماهير الايرانية المنتمية الى الفئات الاجتماعية الوسطى والدنيا. ومما زاد من تأثير ذلك على الناس ان حكومة فتح علي شاه لجأت لى فرض ضرائب، ورسوم جديدة حتى تتمكن من ان تدفع لروسيا التعويضات المالية الكبيرة التي فرضت عليها بموجب احد بنود «معاهدة تركمانجاي» للعام ١٨٢٨ ، الامر الذي ادى الى تفاقم استياء الاوساط الفقيرة الواسعة في البلاد كلها. فشهدت ايران على مدى عقود اتبعت آخر حرب لها مع روسيا، احداثا وانتفاضات وتمردات كثيرة، اتخذت طابعا خطيرا في كل من اذربيجان وكردستان وكرمان(2).

وفي الوقت نفسه تراكم الحقد في نفوس الايرانيين ضد روسيا القيصرية، خاصة وان الجهات الحاكمة، وبعض الاوساط المتنفذة الايرانية كانت تحاول باساليب شتى ابعاد نقمة الجماهير عن نفسها، وايجاد متنفس لتلك النقمة عن طريق اذكاء نار الحقد ضد روسيا، والقاء تبعات مآسي ايران كلها على عاتقها. كما ان حكومة بطرسبورغ كانت بدروها متعنتة في موقفها تجاه ايران، وتصرفت معها كأي دولة كولونيالية، الامور التي أدت الى وقوع مذبحة لاعضاء السفارة الروسية بطهران في مطلع العام ١٨٢٩ ، كان من بين ضحاياها احد كبار الادباء الروس، هو غريبويدوف الذي تسميه «دائرة المعارف السوفيتية الكبرى» «الكاتب الدرامي، والشاعر الروسي العظيم، والدبلوماسي البارز»(3).

ولد الكسندر سيرغييفتش غريبويدوف (A. S. Griboedov) بموسكو يوم الخامس عشر من شباط سنة ١٧٧٥ في اسرة نبيلة وعريقة، برز بين افرادها عدد كبير من العسكريين. كان مثقفا بارزا، فقد دخل جامعة موسكو في العام ١٨٠٦ ، ودرس فيها الادب والحقوق والرياضيات والفيزياء، وكان يجيد عددا من اللغات الاوربية.

---

(1) راجع الموضوع السابق.

(2) للتفصيل راجع:

جهانكير ميرزا (بسر عباس ميرزا نايب السلطنة)، تأريخ نو (شامل حوادث دوره قاجاريه ازسال ١٢٤٠ تا ١٢٦٧ قمري)، بسعي وإهتمام عباس اقبال، تهران، ١٣٢٧، ص ١٤٤ - ١٤٥، ١٥٢ - ١٥٣، ١٥٥ - ١٧٠ وغيرها.

(3) «Bolshaya Sovetskaya Encyclopedia», T. X11, Moscow, 1952, P. 582.

«دائرة المعارف السوفيتية الكبرى»، الطبعة الثانية، المجلد الثاني عشر، موسكو، ١٩٥٢، ص ٥٨٢.

والشرقية . عشق الموسيقى ، فدرسها ، ولحن فيها . اتصل منذ سني دراسته الجامعية بالثوريين الراديكاليين الذين اصبحوا يعرفون بالديسمبريين ، او الديكابريين[٤] فيما بعد[٥] .

عرف غريبـويـدوف بمـواقفه الوطنية . ففي ايام حملة نابليون بونابارت على بلاده ترك مقعد الدراسة ، وتطوع للدفاع عن الوطن . وفي اواخر كانون الثاني ١٨٢٦ اعتقل بتهمـة التعـاون مع الـديسمبـريين الذين فجروا انتفاضة معادية للنظام القيصري في العـاصمـة بطـرسبورغ قبل اعتقاله بشهر واحد . ومع انه افرج عنه بسبب فشل اللجنة التي كلفت بالتحقيق معـه في اثبـات تهمـة انتمائه للديسمبريين ، الا انه وضع تحت رقابة البوليس السري بامر شخصي من القيصر نيقولا الاول .

طرق غريبـويـدوف ابـواب الادب وهو طالب جامعي ، وسرعان مابرز في ميدانه ، واصبح على اتصال وثيق بابرز اعلامه في ذلك العصر ، منهم الشاعر الكبير بوشكين . وقـد ارتبطت شهـرتـه الادبيـة الـواسعة بروايته الشعرية «تعاسة من العقل» ، التي بدأ بتأليفها سنة ١٨٢٢ ، وانتهى منها بعد سنتين ، والتي يعتبرها النقاد المعاصرون واحدة من اعظم روايات الدراما الروسية ، ونموذجا موفقا للربط بين الادب وحياة المجتمع ، فتكون بذلك قد اسهمت في تهيأة الدرب لانتصار الواقعية في الادب الروسي[٦] .

كانت روايـات غريبويدوف «تعاسة من العقل» و«سفرة الى ضواحي المدينة» و «الزوجات الشابات» و «من الشقيق ، من الشقيقة» وغيرها ، تعكس افكار الفئة المثقفـة ألثـوريـة المنتميـة الى الارستقـراطية الروسية ، وتدين العلاقات الاقطاعية ، ونظـام القنـانـة من منطلق افكـار الـديسمبـريين ، لذا فانهـا تعـرضت لمحاربة رقابة المطبوعات ، فلم يسمح بنشر معظمها في حياته[٧] . مع ذلك فان رجال القلم والفكر الروس قيموا غريبويدوف ، ومؤلفاته عاليا في وقت مبكر ، منهم بوشكين وبلينسكي . ومما قاله فيه بوشكين انه «أدى ماعليه ، إذ يكفي انه ترك لنا تعاسة من العقل»[٨] . كما استفـاد لينين كثيـرا من الافكـار التي وردت في روايتـه «تعـاسة من العقل» التي اعيد

---

(٤) يعرفون بالديكابريين او الديسمبريين نسبة الى الانتفاضة التي فجروها في العاصمة بطرسبورغ يوم ٢٦ ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٨٢٥ .

(٥) «Vsemirnaya Istoria», Vol. VI, Moscow, 1959, PP. 165, 662.

«تاريخ العالم» (مجموعة مؤلفين) ، المجلد السادس ، موسكو، ١٩٥٩ ، ص ١٦٥ ، ٦٦٢ .

(٦) من المحتمل ان غريبويدوف قد تأثر في اختيار اسم روايته بارازمس ومؤلفه الشهير «في مديح الغباوة» .

(٧) طبع القسم الاكبر من مؤلفاته لاول مرة عام ١٨٥٩ المصادف للذكرى الثلاثين لاغتياله .

(8) «Vsemirnaya Istoria», Vol. VI, P. 662.

طبعها عشرات المرات، وترجمت الى عدد من اللغات. وكان الكاتب المعروف غوغول من بين الذين تأثروا في نتاجاتهم بكتابات غريبويدوف[٩].

أحب غريبويدوف الشرق والشرقيين. فقد تزوج من جورجية، وتعلم عددا من لغات شعوب القفقاس، وكرس بعض رواياته للتحدث عن مآثر ابناء تلك الشعوب ومآسيهم، وعن جمال اوطانهم، منها «ليالي جورجيا» و«روداميست وزنوبيا» التي تتحدث عن الارمن، وقد طبعت كلتاهما سنة ١٨٥٩. وعلى مايبدو انه كان مطلعا على قصائد المتنبي[١٠].

برز غريبويدوف في عمله في السلك الدبلوماسي. ففي سنة ١٨١٦ انتقل للعمل في وزارة الخارجية الروسية، التي اختارته بعد عامين فقط ليشغل منصب السكرتارية في السفارة الروسية بايران، واستقر في تبريز، مقر اقامة ولي العهد. وفي العام ١٨٢٢ عين سكرتيرا دبلوماسيا لقائد الجيش الروسي في القفقاس الجنرال يرمالوف. وفي فترة الحرب الايرانية الروسية ١٨٢٦ ـ ١٨٢٨ زاول غريبويدوف نشاطا دبلوماسيا واسعا، فقد ذهب موفدا الى قره ضياء الدين، حيث اجتمع بقائد الجيش الايراني، ولي العهد عباس مرزا، وتفاوض معه بصدد انهاء الحرب بين الدولتين. كما انه لعب دورا كبيرا في صياغة مواد «معاهدة تركمانجاي» عام ١٨٢٨ التي وضعت نهاية لآخر حرب وقعت بين ايران وروسيا. واثناء مفاوضات عقد المعاهدة اعترض غريبويدوف بشدة على موقف رئيس الوفد الروسي الى تركمانجاي الجنرال باسكوفيتش لموافقته على اشتراك الانكليز في المفاوضات الجارية لانهاء الحرب[١١].

بعد التوقيع على «معاهدة تركمانجاي» حمل غريبويدوف نصها معه الى بطرسبورغ في اذار ١٨٢٨، وذلك لعرضها على حكومته، وابرامها. وهناك تقرر تعيينه سفيرا فوق العاده لروسيا لدى ايران، الامر الذي اعتبره شخصيا ابعادا سياسيا بالنسبة له، ولم يتوقع هذه المرة ان يعود ثانية الى وطنه. وكان ذلك قدره بالفعل.

رغم احترام غريبويدوف لوظيفته، ورغم اعتقاده ان واجبه يقتضي منه العمل من

(9) Ibid, P. 665.

(١٠) «كيهان»، تهران، جهارشنبه، ١٦ خرداد ٢٥٣٥، ١٦ ژوئن ١٩٧٦، شماره ٩٨٩٠ (ضميمه ويژه ـ مرك وزير مختار)، ص ٣٤.

(11) B.P. Balayan, Mejdonarodnaya Otnoshenia Irana V 1913 - 1828, Erevan, 1963, PP. 21, 23 - 24.

ب. ب. بالايان، العلاقات الدولية لايران في سنوات ١٨١٣ ـ ١٨٢٨، باللغة الروسية، ملخص رسالة دكتوراه، يريفان، ١٩٦٣، ص ٢١، ٢٣ ـ ٢٤.

أجل «فرض احترام روسيا ومطاليبها» حسب تعبيره، الا انه كان يميل بشدة للتصرف مع الايرانيين باسلوب من شأنه ان يؤدي الى تبديد شكوكهم، وحساسيتهم تجاه روسيا. ومن اجل ذلك فقد حاول تنظيم زيارة عباس مرزا الى العاصمة الروسية بطرسبورغ، كما اقترح على نيقولا الاول ان يخفف من ضغط حكومته على ايران، ويوافق على قبول التعويض الحربي على شكل بضائع ايرانية من حرير وقطن وخيل واحجار كريمة بدل النقود، لاسيما وانه كان على علم بأن عباس مرزا اضطر الى صهر تحفيات اسرته حتى يتمكن من دفع ماترتب على بلاده من تعويض مالي الى روسيا، الامر الذي بعث بصدده مذكرة سرية خاصة الى وزير الخارجية نسلرود بتأريخ ٢٠ تشرين الاول ١٨٢٨ . ولكن القيصر رفض الطلب، وأصر على ضرورة «تطبيق مضمون معاهدة تركمانجاي نصا وروحا»(١٢).

وكما تشير المصادر ان غريبويدوف بذل في تلك الفترة بعض الجهود من أجل تحسين العلاقات بين العراقيين والايرانيين، باعتبار ذلك عاملا مساعدا للتقريب بين طهران وبطرسبورغ. يقول الدكتور ب. ب. بالايان بهذا الخصوص مانصه:

«.. ان غريبويدوف تمكن من ان يجعل من عباس مرزا يميل للتحالف مع روسيا، كما انه تمكن ايضا من التقريب بين ايران وبلاد مابين النهرين التي كانت يومذاك ولاية تركية، فيما كان حكامها الاقطاعيون يخضعون اسميا للسلطان، ويستعدون للقيام ضد الباب العالي»(١٣).

لم تؤد جهود غريبويدوف المخلصة الى نتيجة. ففي تشرين الاول عام ١٨٢٨ طلبت بطرسبورغ منه ان يقدم مذكرة الى حكومة الشاه بخصوص دفع القسط السنوي من الغرامة الحربية المفروضة عليها نقدا. ومن أجل ايجاد مخرج للمشكلة قرر السفير ان يذهب بنفسه من تبريز، حيث مقر عمله، الى العاصمة طهران للقاء فتح علي شاه شخصيا.

مع وصول غريبويدوف بدأت في طهران حملة واسعة معادية له، ولبلاده، لعب فيها بعض كبار المسؤولين دورا مباشرا، منهم الوزير، وخال الشاه الله يارخان اصف الدولة، وغيره ممن كانوا يعتقدون ان الظروف اصبحت مواتية للخوض في حرب جديدة ضد روسيا طالما انها كانت منهمكة يومها بحربها مع تركيا. ولم يكن دور

---

(12) Ibid, P. 25; «Vsemirnaya Istoria», Vol. VI, P. 279; M.S. Ivanov, Ochirk Istorii Irana, P. 145.

(13) B.P. Balayan, Op. Cit., P. 25

الانكليز في تحريض الايرانيين قليلا، فانهم كان يهمهم فتح جبهة جديدة ضد روسيا بهدف تخفيف ضغطها على تركيا التي اضطرت قواتها الى الانسحاب من مواقع مهمة بسبب اندفاع الجيش الروسي. كما لم تكن لندن مرتاحة، بالطبع، مما حققه الروس من تعزيز لمواقعهم في ايران بفضل بنود «معاهدة تركمانجاي» التي كانت تؤلف، في الوقت نفسه، ضربة لنفوذها في تلك البلاد.

رافقت الحملة المعادية لروسيا اجتماعات عقدت في «البازار»، والشوارع، وساحات المساجد التي القيت فيها خطب حماسية، صور اصحابها غريبويدوف مسؤولا مباشرا عن الضرائب الجديدة التي فرضها الشاه على الايرانيين[١٤]. كما حاول المحرضون استغلال حادثة لجوء ارفيتين، كانتا جاريتين لدى الله يارخان اصف الدولة، وجورجي واحد، الى دار السفارة الروسية بهدف ترحيلهم الى اوطانهم حسب منطوق المادة الثالثة عشرة من «معاهدة تركمانجاي» التي جعلت من ذلك حقا يتمتع به كل مواطن قفقاسي اصبح في الطرف الاخر من الحدود الجديدة الممتدة بين الدولتين[١٥]. ومما زاد في الطين بلة ان المجتهد الحاج مرزا مسيح اصدر فتوى أجاز فيه «انقاذ المسلمات[١٦] من أيدي المشركين»[١٧].

وهكذا هاج االمجتمعون يوم ١١ شباط ١٨٢٩ في ساحة «جامع المسجد» بطهران، وتوجهوا نحو مقر السفارة الروسية، حيث كان غريبويدوف يهيء نفسه للعودة الى تبريز بعد نجاح مهمته، وتوديع فتح علي شاه في آخر لقاء به صبيحة ذلك اليوم. فوقع صدام دموي، دافع غريبويدوف فيه بجرأة حتى النفس الاخير، وقد قتل معه جميع اعضاء بعثته فيما عدا سكرتيرها ملتسوف الذي لم يكن موجودا في دار السفارة صدفة اثناء وقوع المذبحة. وحسب بعض المصادر الايرانية قتل من المهاجمين مابين ٧٠ الى ٨٠ شخصا[١٨].

مثل المتعصبون بجثث القتلى، فقطعوا راس غريبويدوف، ثم سحلوا الجثث، مع كلاب وقطط ميتة، في شوارع طهران لمدة ثلاثة أيام، ليلقوا بها فيما بعد في حفرة

---

(١٤) جهانكير ميرزا، تاريخ نو . . . ، ص ١٢٢؛
«Vsemirnaya Istoria», Vol. VI, P. 279.

(١٥) عبدالله رازي، تاريخ مفصل ايران از تأسيس سلسلهء ماد تا عصر حاضر، جاب دوم، تهران، ١٣٣٥، ص ٤٦٩؛ جهانكير ميرزا، تاريخ نو . . . ، ص ١٢٠ ـ ١٢١.

(١٦) على اساس ان الفتاتين الارمنيتين، شأنهن شأن الجواري الاخريات، قد اعتنقن الاسلام.

(١٧) بروفيسور حامد الكار، دين و دولت در ايران. نقش علماء در دورهء قاجار، ترجمهء دكتر ابو القاسم سري، تهران، ص ١٤٠.

(١٨) المصدر نفسه، ص ١٤١؛ جهانكير ميرزا، تاريخ نو . . . ، ص ١١٩ ـ ١٢٣؛
«Vsemirnaya Istoria», Vol. VI, P. 279.

خارج المدينة . اما رأس الكاتب الكبير فقد احتفظ به صانع كباب طهراني ، وبعد ان اضطر لان يهيء نفسه لاستقبال العيد رماه في أحد مجاري العاصمة . وقد ادخلت المذبحة الذعر في نفوس الارمن الموجودين في طهران ، فتركوها خلسة .

حاولت الاوساط المسؤولة الايرانية القاء تبعة مذبحة السفارة الروسية بطهران على عاتق غريبويدوف ، الذي تصفه بعض المصادر الفارسية ، تجنيا ، كأنسان «مغرور ومتكبر جدا» ، اساء التصرف في لقائه بفتح علي شاه[١٩] . وبدوافع مختلفة اظهر القيصر الروسي نفسه مقتنعا بالادعاء الايراني القائل «ان ماحدث كان نتيجة انفعال طائش من قبل المرحوم غريبويدوف»[٢٠] . فقبل كل شيء ان روسيا التي كانت تخوض غمار حرب حاسمة ضد تركيا ، لم تر من مصلحتها ان تفتح جبهة ثانية في الشرق . كما ان مقتل كاتب ثوري ديسمبري كان ، في كل الاحوال ، امرا مرغوبا فيه في اعماق نيقولا الاول ، الذي كان الديسمبريون اول من هبوا بوجه نظامه حين انتقال العرش اليه . لذا نرى ان بطرسبورغ تكتفي بقرار الحكومة الايرانية ارسال وفد الى العاصمة الروسية لتقديم اعتذار رسمي الى القيصر ، وباجراءاتها الشكلية التي اقتصرت على تنبيه احد القتلة من اتباع المجتهد الحاج مرزا مسيح ، وابعاد الاخير من العاصمة طهران[٢١] .

ترأس الوفد الايراني حفيد الشاه خسرو مرزا بن عباس مرزا[٢٢] ، الذي استقبل في تبليس بفتور واضح من قبل الجنرال باسكوفيتش . وقد تماهل الامير في الطريق بشتى الحجج ، بحيث انه لم يدخل العاصمة الروسية الا في ٤ آب ١٨٢٩ ، اي بعد مرور حوالي ستة أشهر على مقتل غريبويدوف ورفاقه . فان انتصارات جزئية للقوات التركية على القوات الروسية بعثت الامال في نفوس المسؤولين الايرانيين ، فغدوا يتوقعون من جديد اندحار الروس وانتصار الاتراك ، الامر الذي كانوا يعتبرونه فرصة مواتية ليخوضوا بدورهم غمار حرب جديدة ضد روسيا . الا ان امالهم تحطمت بعد ان تمكنت القوات الروسية من الحاق هزيمة نكراء بجيش تركي كبير يوم ١١ حزيران

---

(١٩) جهانكير ميرزا ، تاريخ نو . . . ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

(20) «Vsemirnaya Istoria», Vol. VI, P. 279.

(٢١) عبدالله رازي ، تاريخ مفصل ايران از تأسيس سلسلهء ماد تا عصر حاضر ، ص ٤٧٠ ، ٤٧٤ - ٤٧٥ .

(٢٢) بعد موت فتح علي شاه اصبح خسرو مرزا من بين ضحايا الصراع السياسي المستمر في ايران عهد القاجاريين ، فقد سملت عيناه ، وقضى بقية حياته مكفوفا .

عام ١٨٢٩ . حينذاك اسرع خسرومرزا الخطى الى بطرسبورغ، حيث القى كلمة بين يدي نيقولا الاول، اعتذر فيها عما وقع «على أيدي الظالين في طهران»[٢٣]. وقد تلقى العاهل الروسي بارتياح كبير هدية فتح علي شاه الخاصة له، والتي كانت عبارة عن ماسة ثمينة تعرف باسم «نادر شاه»، قدمها له خسرومرزا مع رسالة جده الذي عبر فيها « عن امله في توطيد العلاقات الودية بين الدولتين»[٢٤]. وبالمقابل تنازل القيصر عن مليوني روبل (٣٠٠ الف باون) من مبلغ التعويض الحربي الذي فرضته «معاهدة تركمانجاي» على ايران، كما وافق على تأجيل اقساطه لمدة خمس سنوات[٢٥].

بعد مذبحة السفارة الروسية بطهران بفترة نقل ماتبقى من جثمان الاديب والشاعر والدبلوماسي البارز، عاشق الشرق والشرقيين، اسكندر سيرغييفيتش غريبويدوف الى تبليس، عاصمة جورجيا، حيث دفن فوق جبل داود. وفي الذكرى ١٣٠ لاغتياله ازيح الستار عن تمثال شامخ له في احدى ساحات موسكولترووي الى الابد قصة احدى ضحايا التخلف والعنف، التي دبجها ببراعة ايضا يراع الكاتب الروسي يوري تينيسانوف عام ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨ في رواية كبيرة تحمل عنوان «مقتل الوزير المختار» التي اعيد طبعها حتى الان اكثر من مرة[٢٦].

---

(٢٣) دكتر فريدون آدميت، امير كبير و ايران، جاب دوم با تجديد نظر و اضافات، تهران، ١٣٣٤، ص ٣١ ـ ٣٢.

(٢٤) راجع نص رسالة فتح علي شاه في:
حسين مكي، زندكاني مير زا تقيخان ـ أمير كبير. بمناسبة صدمين سال قتل امير كبير، جاب دوم، تهران، ١٣٢٩، ص ٨ ـ ٩.

(25) M.S. Ivanov, Ochirk ..., P. 14; «Vsemirnaya Istoria», Vol. VI, P. 279; P. Sykes, A History of Persia, Vol. II, London, 1963, P. 322.

(٢٦) تقع الطبعة الاخيرة من الرواية (عام ١٩٧١) في ٤٣٢ صفحة، وقد افادتنا كثيرا لاعداد هذا البحث، لاسيما ان صاحبها استند في كتابتها الى أدق الوثائق الاصيلة الخاصة بتفاصيل موضوع مقتل غريبويدوف ورفاقه. . .

الموضوع الثالث

العراق وايران
بين سازانوف وغراي
(وثائق جديدة)

الوثائق التي نحن بصددها جزء من مراسلات وزير خارجية روسيا(*) سازانوف ووزير خارجية المملكة المتحدة غراي واجهزتهما في سنوات الحرب العالمية الاولى. وللرجلين باع طويل في عالم السياسة، فقد لعبا، مثلا، دورا مباشرا في عقد معاهدة «سايكس ـ بيكو» المشؤومة التي رسمت مصير منطقة واسعة من الشرق الاوسط حسب مشيئة الاستعماريين.

ولد سيرغي ديميتريفتش سازانوف في ٢٩ تموز ١٨٦٠ من اسرة نبيلة كانت تقطن منطقة ريزان. دخل السلك الدبلوماسي الروسي منذ عام ١٨٨٣ وتدرج في وظائفه الى ان اصبح مساعدا لوزير الخارجية في ايار ١٩٠٩ ثم عين وزيرا للخارجية في ايلول من العام التالي. كان سازانوف من بين الساسة القلائل الذين تمتعوا بتأثير مباشر على شخص القيصر نيكولاي الثاني.

عمل سازانوف من اجل التقارب مع المملكة المتحدة واليابان، مع الحرص على الاحتفاظ بافضل ما يمكن من العلاقات مع المانيا والنمسا ـ المجر، ـ الا انه، مع ذلك، كان من انصار التقارب بين تركيا ودول البلقان تحت اشراف روسيا كوسيلة من وسائل التغلغل المتزايد في الشرقين الآسيوي والاوربي.

ولكن مع اقتراب الحرب العالمية الاولى، ولا سيما بعد ان اندلعت نيران الحروب البلقانية في ١٩١٢ ـ ١٩١٣ كرس سازانوف جل جهده من اجل توثيق صلات بطرسبورغ بلندن وباريس. ومع انه حاول بعد مقتل ولي العهد النمساوي فرانس فرديناند في سيراييفو يوم 28 حزيران 1914 ايجاد مخرج للازمة السياسية الحادة التي نجمت عن الحادث، الا انه يدخل في عداد الذين يتحملون مسؤولية مباشرة عن وقوع الحرب الاولى، خاصة لان بلاده اعلنت التعبئة العامة بناء على اقتراح منه، الامر الذي زاد كثيرا من توتر الوضع الدولي على صعيد القارة الاوربية.

(*) اصل البحث نشر في مجلة «افاق عربية» (العدد الثاني، تشرين الاول ١٩٨٢، ص ٢ ـ ٩).

حاول سازانــوف استغـلال ظروف الحـرب العـالميـة الاولى لضمـان اكبـر المكـاسب لبـلاده، فلعب دورا كبيـرا في عقـد سلسلة المعـاهـدات السـريـة الخطيرة التي ابرمت في تلك السنوات والتي مست منطقتنا بصورة مباشرة، وكان يرى مصلحة روسيا في ان تبقى ضمن جبهة الحلفاء حتى النهاية، لذا فانـه استقـال من منصبـه في تمـوز 1916 بسبب المحـاولات التي جرت لعقـد صلح منفرد بين المانيا وروسيا.

ظهر سازانوف فوق المسرح السياسي من جديد بعد انتصار ثورة شباط 1917 التي اطاحت بالنظام القيصري في روسيا، فقد وقف بحماس الى جانب الحكومة المؤقتة التي تالفت على انقاض الحكومة السابقة. وبعد انتصار ثورة اكتوبر في العام نفسه انضم الى الحرس الابيض واصبح وزير خارجية الحكومة التي الفها اعداء الثورة ومثلها في مؤتمر الصلح بباريس عام 1919 حيث حاول دفع الحلفاء الى توسيع نطاق تدخلهم في روسيا السوفيتية، وبعد ان لم تسفر محاولاته عن نتيجة مجدية وانتهت الحرب الاهلية وحرب التدخل في روسيا بالفشل اعتزل سازانوف السياسة عمليا الى ان وافاه الاجل بمدينة نيس في المنفى يوم 25 كانون الاول سنة 1927 .

اما السير ادوارد غراي فهو «اشهر من نار على علم» في دوائرنا السياسية والعلمية. انه كراي اوف فالودون، ولد بلندن في 25 نيسان 1862 . اصبح له وزن سياسي منذ ان دخل البرلمان.عام 1885 ممثلا عن حزب الاحرار احد اقـوى حزبي المملكـة المتحـدة يومـذاك. في العـام1892 اصبـح نائبـا لوزيـر الخـارجيـة وظـل يشغـل هذا المنصب لمـدة ثلاث سنـوات. وفي العام 1905 اصبح وزيرا للخارجية في وزارة كامبل بانرمن ثم اعيد اختياره للحقيبة الوزارية ذاتها في وزارة اسكويث عشية الحرب العالمية الاولى.

كان غراي من اشد انصار التوسع الكولونيالي، حتى انه وقف بحماس منقطع النظير بجانب حكومة المحافظين ايام حرب البوير المعروفة (١٨٩٩ - ١٩٠٢). عرف بمنـاوراتـه السيـاسيـة، فقـد كان يدخـل دون تردد في عقـد صفقـات سيـاسيـة مع الجميـع، سرا وعلنـا. ومـع ذلـك دفعته ظروف ما قبل الحرب العالمية الاولى الى ان يلعب دورا ملموسا في التقارب بين المملكة المتحـدة وفـرنسـا وروسيـا اتخـذ صورة تحـالف عشيـة الحـرب وفي سنواتها.

يتحمل غراي، بدوره، مسؤولية مباشرة في اندلاع نيران الحرب العالمية الاولى.

كان السير ادوارد غراي مؤمنا بالدبلوماسية السرية الى حد كبير لانه كان يرى فيها وسيلة ضرورية لاخفاء النوايا الحقيقية لسياسة بلاده، وقد لعب فعلا دورا كبيرا في عقد سلسلة المعاهدات السرية في سنوات الحرب العالمية الاولى من قبيل معاهدة لندن عام 1915 مع ايطاليا ومعاهدة سايكس - بيكو عام 1916 مع روسيا وفرنسا.

في كانون الاول 1916 انتهت مهمة غراي كوزير للخارجية مع سقوط وزارة الاحرار وتاليف وزارة لويد جورج الائتلافية الا انه عين في العام نفسه عضوا في مجلس اللوردات وتراس البعثة الاستثنائية البريطانية الى الولايات المتحدة عام 1919، وبقي يحتفظ بمكانته القيادية في حزب الاحرار لغاية سنة 1927 حينما اعتزل السياسة واستقر في مسقط راسه فالودون بدوقية نورثمبرلند الى ان وافاه الاجل يوم 7 ايلول سنة 1933.

قدر لهذين السياسيين المعروفين، سازانوف وغراي، ان يتركا بصماتهما على مجرى الامور في العراق وايران خلال سنوات الحرب العالمية الاولى.

كانت الحرب العالمية الاولى تمثل ذروة الصراع الدولي في احرج صورة عرفها التاريخ حتى ذلك اليوم. وبما ان مصير اهم مناطق العالم حساسية قد تعلق بنتائج الحرب مباشرة، كان على كل طرف من طرفي الصراع ان يبذل جميع ما في وسعه لترجيح كفة الحرب الى جانبه. من هنا اصبح لكل من العراق وايران كمنطقتين حساستين من الشرق الاوسط وكجزئين من ساحة الحرب في ميدانها الآسيوي، حسابهما الخاص لدى الدوائر المنهمكة بوضع ادق التفاصيل لسياسات الدول الكبرى في سنوات الحرب.

وبحكم عاملين اساسيين كان الوضع بالنسبة لايران اكثر تعقيدا. فبينما كان العراق جزءا من الدولة العثمانية - احد طرفي النزاع - كانت ايران دولة «مستقلة» لها حدود مشتركة بين دولتين تقعان في خندقي الحرب المتقابلين - روسيا وتركيا. وقد اعلنت الحكومة الايرانية «الحياد» رسميا يوم الثاني من تشرين الثاني عام 1914، اي بعد ان بدات الحرب على صعيد القارة

الاوربية بثلاثة اشهر وفي نفس اليوم الذي اعلن فيه الحلفاء الحرب على تركيا.

لم يحترم احد، لا الحلفاء (انكلترا وروسيا وفرنسا) ولا دول الوسط (المانيا والنمسا - المجر والدولة العثمانية) ولا حتى الايرانيون انفسهم (رسميون وغير رسميين)، هذا الحياد، ذلك لان البلاد بواقعها السياسي والعسكري والاقتصادي والاجتماعي لم تمتلك يومذاك الحد الادنى المطلوب من المقومات الضرورية للتمسك بموقف حيادي حقيقي في حرب عالمية. فان القوات الروسية كانت تحتل جزءاً حساسا من الاراضي الايرانية، وكانت رؤوس خيوط حكومة طهران بايدي القيمين على الامور في لندن وبطرسبورغ، بينما كان القوميون يميلون الى برلين والجماهير الواسعة ترنو الى استانبول «عاصمة الخلافة الاسلامية». وفيما يخص موقف الجماهير الايرانية من الحرب، وهو امر مهم لما نحن بصدده، ورد ما يلي نصا في مذكرة سرية رفعها السفير الروسي في طهران الى وزير الخارجية سازانوف في بداية الحرب :

«. . . يميل الرأي العام الايراني الى الاتراك، ان الحكومة (الايرانية - ك. م.) عاجزة عن التأثير في هذا الموقف حتى فيما لو افترضنا ان لديها رغبة للقيام بذلك»[1]. ومهما يكن من أمر فان «الحياد» الايراني لم يعن، في افضل الاحوال، اكثر من «الوقوف خارج الحلبة انتظارا لمعرفة المنتصر» حسب تعبير السر بيرسي سايكس الذي كان في مقدمة من كانوا يراقبون الاحداث على الساحة الايرانية عن كثب وبانتباه[2].

انعكس عدم اهتمام المعنيين بـ «الحياد» الايراني في مواقف ووثائق رسمية منذ بداية الحرب. فقبل ان تقدم الحكومة الايرانية على اعلان «حيادها» اتصلت بالحكومة العثمانية مستفسرة منها عن موقفها من «اعلان ايران الحياد» فجاء رد الباب العالي صريحا: عدم الاعتراف به مادامت القوات

---

(١) مذكرة السفير الروسي في طهران الى وزير الخارجية سازانوف بتاريخ ٤ شباط ١٩١٥. - «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية وثائق ارشيفات الحكومة القيصرية والحكومة المؤقتة (١٨٧٨ - ١٩١٧)»، التسلسل الثالث (١٩١٤ - ١٩١٧)، المجلد السابع، الجزء الاول (١٤ كانون الثاني - ٢٣ آذار ٩١٥). ص ١٧٧ - ١٨١، الوثيقة رقم ١٣٤.

(2) Percy Sykes, A History of Persia, Vol. 2, London, 1963, P. 435.

الروسية موجودة فوق اراضي اذربيجان الايرانية، مما يستوجب «اتخاذ اجراء ما» من قبـل الجيش التـركي كما ورد في الجـواب الـرسمي لاستـانبـول عن استفسار طهران [3].

وعندما طلبت الاخيرة رسميا من بطرسبورغ اتخاذ مايلزم لسحب قواتها من اذربيجان الايرانية جاء الرد الروسي سريعا:

نرفض الطلب بصورة قاطعة لان القوات الروسية هناك تؤلف «الضمانة الـوحيـدة والاكيـدة» لحمـايـة الـرعـايـا الاجانب في ايران. هذا ماورد في الرد الـرسمي، الا ان السبب الحقيقي كان يكمن فيمـا جاء على لسـان السفير الروسي في طهران قبل ايام من وصول جواب بطرسبورغ على طلب الحكومة الايرانية والذي قال صراحة لرئيس الوزراء الايراني في لقاء جرى بينهما ان بلاده تخشى «احتلال الجيش التركي لاذربيجان» حال قيامها بسحب قواتها منها [4]. وبصورة عامة لم يقبل الروس والبريطانيون بـ «الحياد» الذي اعلنته وزارة مستوفي الممالك ذلك لانهم كانوا يريدون من ايران الوقوف الصريح الى جانب الحلفاء او، على الاقل، اتباع ماسموه بـ «سياسة حياد ودي» تجاههم.

وهكذا شهدت الارض الايرانية منذ بداية الحرب العالمية الاولى والى حد نهايتها نشاطا محموما وغريبا لجميع الاطراف وبصورة قلما وجد لها مثيل في مكـان آخـر من العـالم. فقـد نشـط دبلومـاسيو انكلترا وروسيا والمانيا والنمسا المجر وتركيا وعسكريوها واقتصاديوها وعملاؤها في آن واحد وفي شمال ايران «المحايدة» كما في جنوبها وشرقها ووسطها. وتبعا لذلك انقسم الايرانيون من مسؤولين وساسة وزعماء عشائر اشياعا وجماعات حاول معظمها، ان لم يكن كل منها، الاثراء على حساب احد الطرفين المتحاربين او، ان امكن، على حساب كليهما. وقد بلغ الامر بين زعماء بعض العشائر ان وقف الاب الى

---

(3) M E Yapp, 1900 - 1921, The last years of Qajar Dynasty, - (Twentieth Century Iran), New York, 1977, P. 18; Rouhollah K. Ramazani, The Foreign Policy of Iran. A Developing Nation in World Affairs, Virginia, 1966, PP 115 - 116

(4) R K. Ramazani, Op. Cit., P. 116

جانب احد المعسكرين بينما وقف الابن الى جانب المعسكر الاخر، كما فعل البختاريون في الجنوب مثلا[5].

وفي الوقت نفسه شهدت الاراضي الايرانية عمليات حربية بين القوات العسكرية التابعة للجبهتين المتحاربتين. فان خطة وزير الحربية التركي انور باشا التي وضعها بالتعاون مع القادة الالمان كانت تستهدف، من بين ما تستهدف، الاستيلاء على المناطق الشمالية من ايران. وعلى هذا الاساس اخترقت القوات التركية الحدود الشمالية الغربية الايرانية في تشرين الثاني عام 1914، ودخلت مدن خوي واورميه اولا، ثم احتلت تبريز، العاصمة الثانية للقاجاريين. وردا على ذلك بدأت القوات الروسية هجومها المضاد اعتبارا من اواخر كانون الثاني عام 1915 وتمكنت من استعادة تبريز في 31 كانون الثاني ثم تقدمت باتجاه همدان وكرمنشاه واقتربت من خانقين وبدأت تخطط من أجل الدخول في الاراضي العراقية بتنسيق مع القوات البريطانية خاصة بعد أن اصبحت الاخيرة في مأزق عسكري كبير اثر محاصرة الاتراك لقطعاتها في مدينة الكوت.

ومن جانب آخر ازداد النشاط العسكري البريطاني والالماني ونشاط رجال العشائر وعملاء الطرفين في المناطق الجنوبية من ايران. وبالرغم من جميع الاحتياطات التي اتخذها البريطانيون حقق الالمان في المناطق الجنوبية نجاحات كبيرة في السنة الاولى من الحرب، بحيث انهم غدوا يسيطرون كليا على الجنوب فيما عدا موانئه [6]، وكانت مدينة شيراز المهمة في ايديهم. ولم يحقق الالمان وانصارهم نجاحا اقل في العاصمة، فقد اكتسبوا عددا كبيرا من الساسة البارزين، ومنهم قسم اساسي من اعضاء مجلس النواب في دورته الثالثة. ولم يكن تأثير هؤلاء قليلا على الشاه وعلى وزارة مستوفي الممالك التي تجاهلت كليا الهجوم التركي على الاراضي الايرانية بحيث اعتبرت «العشائر الكردية في المنطقة» ذلك بمثابة «تشجيع من الحكومة لها للقيام

---

(5) Percy Sykes, Op. Cit., PP. 435, 440.

(6) Ibid, P. 450.

بمساندة الاتراك» كما ورد في وثيقة سرية[7]. فلم يكن عبثا، والحالة هذه، ان تصف وثائق الحلفاء الخاصة وزارة مستوفي الممالك بـ «الوزارة المعادية» لهم[8]، وقد بلغ التوتر بين الطرفين حد ان بطرسبورغ هددت اكثر من مرة بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع طهران[9]، بل ان روسيا سحبت فعلا بعض دبلوماسييها من مدن ايرانية مختلفة. وقد هدد الروس والبريطانيو المسؤولين الايرانيين صراحة بانه في حالة قطع العلاقات الدبلوماسية مع طهران فانه يكون من الصعب في المستقبل «اعادة مثل تلك العلاقات مع ايران مستقلة وغير مقسمة»[10].

واخيرا اضطر مستوفي الممالك الى تقديم استقالته في آذار 1915 تحت ضغط الحلفاء وحل محله مشير الدولة. الا ان هذا الاجراء لم يكن بوسعه وضع نهاية لنشاط المعادين للحلفاء في ايران. فقد انتقل عدد كبير من اعضاء المجلس مع اعضاء وزارة مستوفي الممالك الى قم حيث الفوا ماسموه بـ «الحكومة الوطنية المؤقتة» التي اعترفت بها المانيا وحلفاؤها. كما الفوا قبل ذلك لجان «بعث الامة» و «الدفاع عن استقلال ايران» .كان من المقرر ان يلتحق بهم احمد شاه الذي اضطر الى التراجع في اللحظة الاخيرة تحت ضغط انذار بريطاني - روسي مشترك اكد له بأن «خروجه من موقفه المحايد»

---

(٧) برقيـة مستشـار الشعبـة السيـاسية الثالثة في وزارة الخارجية الروسية للسفير في طهران بتاريخ ٢١ كانـون الثـاني عام ١٩١٥ - ، «العـلاقـات الـدوليـة في عصـر الامـبريالية. وثائق ارشيفات الحكومة القيصـريـة والحكـومـة المـؤقتـة (١٨٧٨ - ١٩١٧)، التسلسـل الثـالث (١٩١٤ - ١٩١٧)، المجلد السابع، الجزء الاول (١٤ كانون الثاني - ٢٣ آذار ١٩١٥)، ص ٧٧، الوثيقة رقم ٥٥.

(٨) برقية وزير الخارجية الروسي سازانوف للسفير في طهران بتاريخ ١٤ آذار ١٩١٥، نفس المصدر، ص ١٧٨، الوثيقة رقم ٣٦٧.

(٩) نفس المصدر، المجلد الثامن، الجزء الثاني (٢٤ أيار - ١٦ تشرين الاول عام ١٩١٥)، الوثائق: ٦٣٧ (ص ٢١٠ - ٢١١)، ٦٧٩ (ص ٢٦٧ - ٢٦٨)، ٦٨٨ (ص ٢٧٦ - ٢٧٨)، ٧٣٩ (ص ٢٨٣) وغيرها.

(١٠) نفس المصـدر، نفس المجلد، الـوثيقـة رقم ٦٣٧ (بـرقيـة السفـير الروسي في طهران الى وزير الخارجية سازانوف بتاريخ ٤ أيلول ١٩١٥).

[illegible] سند العربي»[11].

وفي [illegible] ذلك نشاطاً اكثر خطورة [illegible] الدبلوماسية [illegible] كل شيء جرت مفاوضات سرية بين لندن وبطرسبورغ حول مستقبل ايران بعد اندلاع نيران الحرب العالمية الاولى بفترة وجيزة[12]. وبعد تبادل مذكرات مفصلة بين وزير الخارجية الروسي سازانوف ووزير الخارجية البريطاني السير ادوارد غراي[13] تم [illegible] اتفاقية سرية بينهما في آذار عام 1915 يمكن اعتبارها، كما نرى، جزءاً متمماً لمعاهدة «سايكس ـ بيكو» وملحقاتها. وافقت روسيا بموجب الاتفاقية الجديدة على ترك منطقة الحياد الايرانية[14] لبريطانيا فيما عدا مدينتي اصفهان ويزد ومنطقة ضيقة عند التقاء الحدود الافغانية ـ الايرانية ـ الروسية.

ولكن الاهم بالنسبة لموضوعنا هو ما كان يجري خلف الكواليس وفي الاروقة يومذاك على حساب العراق والعراقيين. فان روسيا القيصرية ارادت استغلال الظروف التي استجدت بسبب الحرب العالمية الاولى للاقتراب اكثر ما يمكن من العراق وتحويله الى اداة جديدة في سياستها ازاء المنطقة. وعلى غرار الانكليز، ولا سيما الالمان حاول الروس بدورهم تكريس العاطفة الدينية للمسلمين لخدمة مخططاتهم بصورة او باخرى. فمنذ ان دخلت الدولة العثمانية في الحرب الى جانب المانيا وحلفائها بدات الاوساط الحاكمة الروسية تصر على ضرورة استغلال العتبات المقدسة العراقية في الحملة الدعائية للحلفاء ضد المانيا والدولة العثمانية. ففي المذكرة التي بعثها سازانوف الى سفيري انكلترا وفرنسا في بطرسبورغ بتاريخ 11 ايلول

---

(11) Percy Sykes, Op. Cit., PP. 447 - 448.

(١٢) بدأت المفاوضات بين الطرفين في أواخر عام ١٩١٤.

(١٣) للتفصيل عنها راجع: «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية. وثائق ارشيفات الحكومة القيصرية والحكومة المؤقتة (١٨٧٨ ـ ١٩١٧)...»، المجلد السابع، الجزء الاول (١٤ كانون الثاني ـ ٢٣ اذار ١٩١٥)، الوثيقة رقم ٦٣٩ (تقرير وزارة الخارجية الروسية بتاريخ ١٤ اذار ١٩١٥)، راجع كذلك الوثائق ٨٦ (ص ١١٤ ـ ١١٧) و ٣٥٢ (ص ٤٥٢ ـ ٤٥٦) و ٤٠٠ (ص ٥٢٦ ـ ٥٢٨) وغيرها.

(١٤) بموجب اتفاقية خاصة بين روسيا وانكلترا عام ١٩٠٧ جرى تقسيم ايران الى منطقة نفوذ بريطانية في الجنوب ومنطقة نفوذ روسية في الشمال مع منطقة محايدة بينهما.

1915 اكد الوزير على ضرورة الاهتمام بمدينتي النجف وكربلاء و «تحريرهما من ايدي الاتراك» على حد قوله. وقد اشارت المذكرة صراحة الى «ان حكومة قيصر تعير هذا الموضوع اهتماما كبيرا» وذلك «لما له من تاثير كبير على الراي العام» في بلاد ما بين النهرين وايران [15]

ومن جانبهم اتخذ الروس بعض الاجراءات التي تدل مرة اخرى على مدى ما اولوا هذا الموضوع من اهتمام. فان الدبلوماسيين والضباط الروس الموجودين في المدن الغربية الايرانية قاموا بحملة دعاية واسعة لتحريض العشائر الكردية ضد الاتراك وحلفائهم. ولم تذهب هذه الحملة سدى، على ما يبدو. ففي المذكرة السرية التي قدمها قائد كتيبة القوزاق الايرانية في منطقة كرمنشاه الضابط الروسي اوشاكوف الى القنصلية الروسية بمدينة كرمنشاه في اواخر تشرين الاول 1914 ورد ما يلي نصا:

> «لدي معلومات تؤكد امكانية اثارة العشائر الشيعية الكردية واللرية من اجل الاستيلاء على كربلاء واخذها من الاتراك. بامكاني تهيئة هذا الامر بحذر وبدون ضجيج. استحصلوا موافقة السفير. من الضروري العمل مع الانكليز بصورة مشتركة. ان الامر مهم للغاية، وامل النجاح كبير بسبب قلة الجيش (التركي - ك.م.) في ميسوبوتاميا. ان الاستيلاء على العتبات المقدسة سيترك اثرا كبيرا على الاتراك» كما «سنحصل نحن» بسببه على عطف المسلمين.

وفي ختام مذكرته يؤكد قائد كتيبة القوزاق اوشاكوف على ان من شان تنفيذ الخطة بسرعة ان يدفع القيادة التركية الى سحب احتياطيها من الحدود

(١٥) «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية. وثائق ارشيفات الحكومة القيصرية والحكومة المؤقتة (١٨٧٨ - ١٩١٧)»، التسلسل الثالث (١٩١٤ - ١٩١٧)، المجلد الثامن، الجزء الثاني (٢٤ ايار - ١٦ تشرين الاول ١٩١٥)، ص ٢٧٦ - ٢٧٨ الوثيقة رقم ٦٨٨.

الروسية. وقد قام القنصل في كرمنشاه بارسال برقية تحمل مضمون الاقتراح الى السفير الروسي في طهران بتاريخ 31 تشرين الاول عام 1914[16].

ازداد اهتمام الأوساط الحاكمة الروسية بموضوع العراق والعتبات المقدسة في عامي 1915 و 1916 وذلك في اطار الضغوط التي زاولها الحلفاء من اجل ابعاد ايران عن المانيا والدولة العثمانية، وكذلك بسبب مناورات الحكومة الايرانية لاستغلال ظروف الحرب للكسب على حساب الاخرين. ففي بداية الحرب ابدت وزارة مستوفي الممالك استعدادها للانضمام الى جانب الحلفاء حسب شروط لخصتها مذكرة السفير الروسي في طهران الى سازانوف بتاريخ 11 شباط 1915 في النقاط التالية:

١ـ انسحاب القطعات الروسية من اذربيجان[17].

٢ـ دفع مبلغ ضخم للجانب الايراني على شكل قرض او سلفة.

٣ـ تزويد ايران بالاسلحة والذخائر الكافية.

٤ـ تخفيض سعر الفائدة على القروض البريطانية والروسية السابقة[18].

٥ـ ضم مدينتي كربلاء والنجف الى ايران[19].

ومع ازدياد نفوذ الالمان والاتراك في ايران اتخذ هذا الموضوع طابعا اكثر جدية في نظر المسؤولين الروس الذين بلغ الامر بهم حد ان يقترح بعضهم عقد ما اسموه بـ«اتفاقية شكلية» بين ايران وانكلترا «تتنازل» الاخيرة بموجب بنودها «عن منطقة بغداد والمدن المقدسة لايران وتقيم ادارة بريطانية فيها على غرار ما في مصر وما كان في البوسنة والهرسك قبل ضمهما الى النمسا» كما

---

(١٦) مقتبس من: م. س. لازاريف، كردستان والمشكلة الكردية (تسعينات القرن التاسع عشر ـ ١٩١٧). باللغة الروسية، موسكو ١٩٦٤ ص ٣٢٧: م. س. لازاريف، القضية الكردية (١٨٩١ ـ ١٩١٧)، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٧٢، ص٣٢٢، ٤٤٤.

(١٧) احتلت القطعات الروسية مناطق حساسة من اذربيجان الايرانية قبل الحرب العالمية الأولى بعدة سنوات.

(١٨) بلغت الديون البريطانية والروسية على ايران في السنة التي اندلعت فيها نيران الحرب العالمية الاولى حوالي ٧ ملايين جنيه استرليني تجاوزت فائدتها السنوية نصف مليون جنيه، اي مابين ربع وثلث ميزانية الدولة.

(١٩) «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية. وثائق ارشيفات الحكومة القيصرية والحكومة المؤقتة (١٨٧٨ ـ ١٩١٧)...»، المجلد السابع، الجزء الاول، ص ٢٣٩ ـ ٢٤٢، الوثيقة رقم ١٨١.

ورد نصا في مقترح تقدم به السفير الروسي في طهران لسازانوف بتاريخ 4 تشرين الثاني عام ١٩١٥

وبعد ثلاثة اسابيع فقط عادت الحكومة الروسية الى الموضوع نفسه ولكن هذه المرة مع حليفتيها حكومتي انكلترا وفرنسا. ففي المذكرة السرية التي بعثها سازانوف يوم 25 تشرين الثاني الى سفيري الدولتين في بطرسبورغ اكد ثانية على موضوع انضمام ايران الى الحلفاء وشروطها وسجل مانصه:

«تعتقد حكومة قيصر انه في حالة قبول الاقتراح الايراني يصبح من الضروري منح ايران امتيازات مهمة، لذا ترى حكومة القيصر ان من واجبها ان تعود الى الاقتراح الذي تقدمت به الى وزارة لندن بصدد منح ايران ميسوبوتاميا مع المدينتين المقدستين النجف وكربلاء.. لان من شأن وعد كهذا ان يؤدي الى احداث انقلاب جذري في الرأي العام الايراني لصالح روسيا وانكلترا»[21].

كان موقف السر ادوارد غراي من مقترحات زميله الروسي بشأن العراق الرفض القاطع لانه كان يفهم جيدا ماكانت ترمي اليه تلك المقترحات من اهداف بعيدة المدى لم تكن تتعلق بما كان يجري فوق المسرح ايام الحرب بقدر ماكان يتعلق بمرحلة مابعد الحرب كما سنبين ذلك فيما بعد. ففي المذكرة التي بعثها السفير البريطاني لدى روسيا بأسم حكومته الى سازانوف بتاريخ 30 تشرين الثاني عام 1915 ذكر ان السر ادوارد غراي يتفق مع كل ما ورد من مقترحات في المذكرات الروسية بصدد العمل من اجل ابعاد ايران عن اعداء الحلفاء سوى ما يتعلق منها بالعراق «فلديه تحفظ في الوقت الراهن» بصدده لانه:

---

(٢٠) نفس المصدر، المجلد التاسع (١٧ تشرين الاول ١٩١٥ ـ ١٣ كانون الثاني ١٩١٦)، ص١٦٤ ـ ١٦٦، الوثيقة رقم ١٦٥، مذكرة السفير في طهران الى وزير الخارجية سازانوف بتاريخ ٤ تشرين الثاني ١٩١٥.

(٢١) المصدر نفسه، المجلد نفسه، الوثيقة رقم ٣٨١ (مذكرة السفير البريطاني في بطرسبورغ الى وزير خارجية روسيا سازانوف بتاريخ ٣٠ تشرين الثاني ١٩١٥).

«حسب رأي المطلعين على الموضوع ان من شأن الاقدام على عمل كهذا ان يؤدي الى انتشار دعايات مفادها اننا نتدخل في شؤون العتبات المقدسة، الامر الذي يترك اثرا سلبيا على العالم الاسلامي باسره، ويعتبر تدخلا منا في المسائل الدينية. واكثر من ذلك ان من المشكوك فيه جدا ان يرحب رجال الدين في النجف وكربلاء بسيطرة ايران او نفوذها. ان اثارة رجال الدين في هاتين المدينتين ضدنا ستترك اثارا سيئة في الظرف الحالي»[22].

ولكن لِمَ كان كل هذا الاصرار من جانب الحكومة الروسية، هل انه كان حقا فقط من اجل كسب ايران الى جانب الحلفاء كما يبدو في الظاهر من مضامين المذكرات الخاصة المتبادلة بين الاطراف المعنية. لا ينكر ان هذا الموضوع كان مهما بحد ذاته وخاصة بعد تمادي انصار المانيا وتركيا داخل ايران في اعمالهم، الا انه لم يكن، كما نرى، العامل الاهم المحرك للموقف الرسمي الروسي. فقبل كل شيء لم يكن بوسع الموقف الايراني ان يؤثر بصورة ملموسة على ميزان القوى في ميادين القتال على الساحة الشرقية، فان الجيش الايراني قبل الحرب كان «ادنى مستوى من ان يستخف به» حسب تعبير دونالد ستيوارت [23]. وعندما اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى كان هذا الجيش يتألف من 8 الاف رجل من القوزاق كانوا بقيادة ضباط سويديين وقوة ايرانية صغيرة «لم يعرها اي من الجانبين المتحاربين اقل اهتمام» حسب تأكيد احد كبار الضباط البريطانيين ايام الحرب [24]. وكان جميع هؤلاء مزودين باسلحة قديمة ومن نوعيات مختلفة، فقد كانوا يحملون اثني عشر نوعا من البنادق على اقل تقدير، وكانوا يكلفون ميزانية الدولة اكثر من طاقتها، فتحولوا الى عبء على عاتق الحكومة والشعب [25]. وفي وقت

---

(٢٢) المصدر نفسه.

(23) M Zonis, The Politieal Life of Iran, Princeton, 1971 PP. 102 - 103.

(24) Percy Sykes, Op Cit., P. 436.

(25) Ibid, PP. 436 - 437; M. Zonis, Op. Cit., PP. 102 - 103.

مبكر اشار سازانوف في برقية سرية له الى هذه الحقيقة عندما كتب الى سفير بلاده في طهران بتاريخ 11 شباط 1915 قائلا له ضمن تعليماته بهذا الصدد:

« يبدو لنا ان انضمام ايران الصريح الينا بأعلانها الحرب ضد تركيا ليس من شأنه ان يجلب فوائد ملموسة بسبب ضعف حكومة الشاه. ومن جهة اخرى ان ذلك يلزمنا، نحن وانكلترا، لا بتزويد الايرانيين بالمال والسلاح حسب، بل وربما ايضا بتقديم مساعدات عسكرية في اماكن صعبة جدا بالنسبة لنا مثل منطقة كرمنشاه. ثم ان الاشتراك المباشر في الحرب يعطي الايرانين الحق في طلب تعويضات معينة في المستقبل... وعلى هذا الاساس يبدو ان لاحاجة لطلب اكثر من حياد ودي من ايران وذلك بان تقوم باتخاذ موقف حازم ازاء الاستفزازات الالمانية ـ التركية والعمل من اجل عرقلة تغلغل الاتراك في ايران قدر المستطاع دون الاكتفاء بتقديم الاحتجاجات وبالاعتماد على الاكراد في ذلك، بل ربما عن طريق تنظيم حرب عصابات بين العشائر الايرانية الحدودية ضد العصابات التركية»[26].

اذن لم تنجم اهمية ايران في سنوات الحرب العالمية الاولى بالنسبة لطرفي النزاع عن وزنها العسكري بل نجمت عن موقعها الستراتيجي وثروتها النفطية، خاصة بعد ان بدأ الاسطول البريطاني يعتمد على مشتقات النفط بدل الفحم فاصبحت قطعاته في البحر الابيض المتوسط والمحيط الهندي تعتمد الى حد كبير على انتاج ايران من النفط الذي ارتفع خلال سنوات الحرب من 80 الف طن عام 1913 الى مليون ومئة الف طن عام 1919 . ثم ان روسيا القيصرية كانت تعلم جيدا انها تستطيع الوصول بصورة افضل الى العراق والخليج عن طريق ايران التي تحولت قبل الحرب الى شبه مستعمرة

---

(٢٦) «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية. وثائق ارشيفات الحكومة القيصرية والحكومة المؤقتة...»، المجلد السابع، الجزء الاول، ص ٢٣٠، الوثيقة رقم ١٧١ (برقية وزير الخارجية سازانوف الى السفير في طهران بتاريخ ١١ شباط ١٩١٥).

(٢٧) م. س. ايفانوف، موجز تاريخ ايران، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٥٢، ص ٢٥١.

تابعة لها ولانكلترا، بل ان نفوذها كان اكبر حتى من نفوذ حليفتها هناك، فانها كانت تستطيع اسقاط الوزارات، وابعاد الوزراء، وتعيين غيرهم، كما فعلت اكثر من مرة عشية الحرب العالمية الاولى وفي سنواتها.

الموضوع الرابع

رضا المازندراني والعرش الايراني

من تاريخ تأسيس الأسرة البهلوية والخيوط الأولى لسياسة الاستعمار الجديد في الشرق الاوسط

يعتبر سقوط الاسرة القاجارية[1] بعد ان حكمت ايران لمدة ١٣٤ سنة و ٤ اشهر وعدة ايام[2] وتأسيس الاسرة البهلوية في اواخر العام ١٩٢٥ من المواضيع المهمة في تأريخ ايران الحديث لا لانه حمل في طياته تغييرا نوعيا في شكل الحكم وترك تأثيرا ملموسا على داخل ايران وماحولها حسب، بل وكذلك لان مارافق التغيير وادى اليه يتضمن، كما نرى، الخيوط الاولى لسياسة الاستعمار الجديد في الشرق الاوسط.

لم يكن سقوط الاسرة القاجارية وتأسيس الاسرة البهلوية مجرد عملية تغيير آني، ذلك لان مجموعة كبيرة من العوامل السياسية والاجتماعية والاقتصادية تفاعلت فيما بينها وهيأت الظروف الموضوعية التي مكن رضا المازندراني من ان يتحول الى المسؤول الاول، إن لم يكن الوحيد، لمنطقة حساسة من عالم ملتهب ومتصارع لحوالي عقدين من الزمن وقبل الخوض في تفاصيل الحدث نفسه نستعرض اولا العوامل المذكورة مع شيء من التركيز.

اولا ـ التحولات الاجتماعية والاقتصادية:

شهدت ايران في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تحولات اجتماعية واقتصادية كبيرة بحكم اندماجها بالسوق الرأسمالية العالمية. فبعد ان وجدت منتوجاتها الزراعية طريقها الى الاسواق الخارجية انتقل انتاجها من الاطار الطبيعي الى الاطار البضاعي وتحول النقد الى عامل فاعل اكثر من السابق في تحديد العلاقات. فبدأت، جراء ذلك، عملية انهيار العلاقات الاقطاعية التقليدية لتحل محلها علاقات جديدة واساليب جديدة للاستغلال، اذ اخذت العلاقات الابوية والمظاهر المشاعية تختفي بسرعة حتى في اكثر مناطق البلاد إنزواء، وتحول رؤساء العشائر وغيرهم الى ملاكين يمتلكون اطيانا جد شائعة ويتفننون في استغلال اتباعهم. فقد قدرت ممتلكات الامير القاجاري ظل السلطان، مثلا، بحوالي الفي قرية كان يقطنها ما يقرب من نصف مليون شخص. وكان لدى اتابك اعظم ١٥٠٠ قرية تدر عليه دخلا سنويا يقدر بمليوني تومان[3]. وفي الوقت نفسه تحولت الارض الزراعية الى البضاعة المرغوبة والمضمونة التي تهافتت عليها عناصر جديدة من تجار

---

(١) نشر اصل البحث في «افاق عربية».

(٢) سعيد نفيسي، تاريخ سياسي واجتماعي ايران دوره معاصر. مجلد اول (أز آغاز سلطنت قاجارها تاپايان جنك نسختين باروسيا). تهران. ١٣٣٥. ص ٣٤.

(٣) اتربيت. محمد علي شاه. حركة شعبية في بلاد الاسد والشمس، باللغة الروسية. اليكسندروبول. ١٩٠٩. ص ٧٩ (في الهوامش القادمة Atrpet) م. س. إيفانوف، موجز تاريخ ايران، باللغة الروسية، موسكو ١٩٥٢، ص ١٩١ ـ ١٩٢ (في الهوامش القادمة M S. Ivanov Ochirk)

ومـوظفين حكـوميين وغيـرهم حصلوا عليهـا شراء من الشـاه ومن كبـار الاقطـاعيين التقليـديين . فلغـايـة العقـد الـذي شهـد سقـوط الاسرة القاجارية تحولت ٩٠٪ من الاراضي الزراعية الى ملكية خاصة . وانذاك كان ٢٥٪ من كبار تجار تبريز و٢٧٪ من كبـار تجـار رشت بمقـاطعـة كيـلان الشمـالية و٤٤٪ من كبار تجار استراباد يمتلكون الارض الزراعية جنبا الى جنب مهنتهم الاساسية(٤) .

وبحكم ازدياد الارتباط بالسوق الرأسمالية العالمية ونمو الانتاج البضاعي تطورت عمليـة تراكم رأس المـال لدى كبـار التجـار الايـرانيين في النصف الثـاني من القرن التـاسـع عشـر. فحسبما يشير اول سفير للولايات المتحدة الامريكية لدى ايران س . بنيامين في كتابه الذي نشره عام ١٨٧٨ ظهر في طهران يومذاك تجار كانت «ثرواتهم تقدر بالملايين»(٥) . إلا ان هؤلاء وجدوا امامهم ظروفاصعبة لاستثمار رساميلهم في المجـال الصنـاعي نجمت عن سيطـرة البضاعة الاجنبية على السوق المحليه . ومن ناحية اخرى ان تحول البلاد السريع الى شبه مستعمرة تابعة للدول الكبرى في العقود الاخيـرة من القـرن المـاضي ادى الى ظهـورعقبـات امام تطوير مصالحهم التجارية الصرفة . فانهم حرمـوا، مثـلا، من الامتيـازات الكبيـرة التي كان يتمتع بها التجار الاجـانب . وقـد جاء وصف هذا الـواقـع معبـرا على لسان احد الرحالة الاوربيين في القرن التاسع عشر الذي كتب يقول :

«اذا رغب التـاجـر الايـراني في تصـديـر بضـاعته الى الخارج عليه ان يدفع عند مدخـل كل مدينـة ضريبـة محددة ، اما التاجر الاوربي فانه مستقل ويدفع مرة واحدة فقـط لذا يكلفـه تصـدير بضاعته اقل بكثير مما يكلف التاجر الايراني»(٦) . وجراء ذلك فان القـافلة التجـاريـة الاجنبية كانت تدفع الضريبة مرة واحدة عندما تقطع البلاد من شمالها الى جنوبها مقابل ١٤ مرة تدفعها قافلة التاجر الايراني . والانكى من ذلك ان قطاع الطرق قلما كانوا يتعرضون لقوافل التجار الاجانب على العكس تماما من قوافل التجار الايرانيين التي قلما كانوا لا يتعرضون لها(١١) .

---

(٤) «ايران، موجز التايخ المعاصر» ، باللغة الروسية ، موسكو، ١٩٧٦ . ص ٢٢ ـ ٢٤ .

(5) S.G.W. Benjamin, Persia and the Persians, London, 1887, P. 472.

(٦) مقتبس من ش . م . بادي ، الفئات المتوسطة المدنية الايرانية ، باللغة الروسية ، موسكو. ١٩٧٧ . ص ٢٣ . (في الهوامش القادمة Sh. M. Badi) .

اذن كان من الطبيعي ان يميل هؤلاء الى تغيير النظام، الا ان ميلهم كان يتحدد بعامل اخر. فكما ذكرنا انهم كانوا، بحكم واقع التطور الاقتصادي والاجتماعي لبلدهم في تلك المرحلة، على اتصال وثيق بالانتاج الزراعي الاقطاعي. كما ان العديد من الاقطاعيين اصبحوا، بحكم الواقع نفسه، على اتصال وثيق بالراسمال التجاري، بل وحتى ان البعض منهم حاول استغلال راسماله المتراكم في المشاريع الصناعية وغيرها. وقد فرض ذلك على هاتين الفئتين الاجتماعيتين المؤثرتين ان تكونا مهتمتين بالحفاظ على الاسلوب التقليدي لاستغلال الفلاحين مادام ذلك يضمن لهم دخلا عاليا نسبيا دون الحاجة الى صرف اموالهم او المغامرة بها في مجالات انتاجية اخرى. والترجمة السياسية لهذا الامر كانت تعني حصر الفئتين في اطار واحد يقضي التعاون بينهما من اجل تغيير سياسي محدود ومقاومة كل تيار يستهدف اكثر من ذلك.

وقد ظهرت فعلا في رحم المجتمع الايراني جماعات كانت تريد اكثر من ذلك. فان الفئة المثقفة الجديدة التي تحولت بحكم اطلاعها على الافكار الحديثة واحتكاكها بالمجتمعات الاوربية الى «الابن الضال» للاوساط الاجتماعية التي خرجت منها كانت تفكر وتعمل وتخطط من اجل احداث تغيير جذري في الكيان السياسي المتخلف الجاثم على صدر الشعب والوطن. وان هذا الامر من حيث دوافعه الداخلية كان اوضح لدى الحرفيين الذين كانوا يؤلفون احد العناصر الاساسية للبازار ـ لولب التحرك السياسي في الفترة التي نحن بصددها. فقبل تأسيس الحكم القاجاري كان يوجد في تبريز، مثلا، ما لايقل عن ٢٠ الف حرفي مسجلين في الاصناف وموزعين على ٧٠ صنعة مختلفة[٧]. وفي عهد ماقبل القاجار قطع هؤلاء وزملاؤهم في المدن الكبرى الايرانية الاخرى شوطا بعيدا الى امام جعل البازار «معملا وسوقا في وقت واحد» ولغاية اوائل القرن التاسع عشر حسب تأكيد شاهد عيان[٨]. ومما له مغزاه الكبير بهذا الصدد ان

---

(٧) م.خ. حيدروف، حول تنظيم المحلات الحرفية الكبيرة وتطورها في مدن ايران الصفوي خلال القرن السابع عشر، ـ «عن الرأسمالية في بلدان الشرق من القرن الخامس عشر حتى القرن التاسع عشر»، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٦٢. ص ٣٢٦.

(٨) ف. كورف. ذكريات عن ايران في ١٨٣٤ ـ ١٨٣٥. باللغة الروسية. بطرسبورغ، ١٨٣٨، ص.٢١٤.

صناعيي انكلترا اتخذوا في القرن السابع عشر وحتى في القرن الثامن عشر بعض الاجراءات ضد استيراد شركة الهند الشرقية البريطانية لانواع من الاقمشة الايرانية الى اسواق البلاد[9].

ولاشك في انه كان بامكان هذه النواة ان تتطور في مجرى طبيعي لو توفر لها المناخ الملائم، الا ان ضعف السلطة المركزية والتسيب الاقطاعي والحروب المتكررة لايران وعوامل اخرى مشابهة رافقت الحكم القاجاري حالت دون توفر الضمان على حياة الفرد وممتلكاته ـ الشرط الاول والاساس ال...ور الرأسمالي، وقد حال دونه ايضا نظام الامتيازات الذي بداه الروس الانكليز وتمادوا فيه في العهد القاجاري. فبعد الاندحار الفظيع امام الجيش الروسي في عهد ثاني ملوك آل قاجار اضطرت الحكومة الايرانية الى التوقيع عام ١٨٢٨ على «معاهدة تركمانجاي» التي حدد احد بنودها الرسوم الكمركية على البضائع الروسية المستوردة بـ ٥٪ فقط، وسرعان ما امتد مفعول هذا القرار ليشمل البضائع البريطانية ومن ثم غيرها ايضا، مما تحول الى المسمار الاول في نعش الانتاج الحرفي الايراني، فنتيجة لموجة البضائع الاوربية المستوردة بدأ اقدم حقول ذلك الانتاج يعاني من ازمة حقيقية ادت الى افلاس الاف مؤلفة من الحرفيين في مدن ايران وقراها. فكان من الطبيعي ان يتحول هؤلاء الى اكثر الجماعات تحمسا للتغيير، وقد لعبوا دورا بارزا جدا في تحركات البازار السياسية، واصبح لهم صوتهم المسموع في كل حدث سياسي كبير شهدته الساحة الايرانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. والشواهد على هذه الحقيقة كثيرة جدا، منها، على سبيل المثال لا الحصر، اشتراكهم الفعال في ماعرف بـ «قلاقل او عصيان التبغ» ضد امتياز شركة تالبوت البريطانية عام ١٨٩١، ودورهم البارز في الثورة الدستورية (١٩٠٥ ـ ١٩١١).ولم يكن مجرد صدفة ان اول قانون انتخابي شرع في ايران يوم ١٤ اب ١٩٠٦ منح اعضاء الاصناف حق الترشيح والتصويت. والابلغ حتى من ذلك هو طريقة توزيع

---

(9) Sh. M. Badi, Op. Cit., P. 21.

للعاصمة، وهي نصف مجموع مقاعد المجلس، فقد حدد للاصناف منها ٣٢ مقعدا وللتجار ١٠ مقاعد مع عدد مشابه للملاكين و ٤ مقاعد لرجال الدين والاربعة الباقية لافراد الاسرة القاجارية[١٠].

فكان الحرفيون الذين يؤلفون فئة اجتماعية متوسطة مدنية مؤثرة، متحمسين للتغيير، بل، وبدون مبالغة، لكل تغيير من شأنه هزّ اركان النظام القاجاري بصورة او باخرى. وربما يكفي القول ان العديد من حرفيي زنجان ورشت وغيرهما من المدن الايرانية ضحوا بحياتهم في سبيل حركة مشوهة لروح الاسلام كالحركة البابية.

وفي ظل الظروف نفسها لم يكن وضع الفئة المدنية الايرانية التي حاولت استثمار رساميلها في مجال الانتاج الصناعي افضل بكثير من وضع الحرفيين. فيفضل سياسة القاجاريين اشهرت في اواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين اكثر من خمسين معملا و ورشة صناعية ايرانية الافلاس، وهي كانت تؤلف معظم المشاريع الصناعية الحديثة التي اسست بالرأسمال الوطني الذي اصبح لاصحابه صوتهم المسموع في المجتمع الايراني خاصة عشية تأسيس الاسرة البهلوية.

ولم يكن بوسع رجال الدين الايرانيين ان يبقوا بمعزل عن التحولات الاجتماعية والاقتصادية التي شهدتها ايران منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. فان الارض الزراعية اصبحت «مغرية» الى درجة انها جذبت بشدة انظار كبار رجال الدين الذين اصبحوا بدورهم ملاكين بارزين. فقد حولوا جانبا من اراضي الوقف الى املاك خاصة بهم، اذ كانوا السباقين لشراء القطع التي كانت تعرض للبيع بسبب الحاجة الى بناء مسجد او ترميم اخر او للصرف على المدارس الدينية وماشابه. وكما يؤكد شاهد عيان في مطلع القرن العشرين ان كبار رجال الدين لم يقتصروا على شراء اراضي الوقف فقط، بل انهم اقبلوا على اقتناء الانواع الاخرى من الاراضي ايضا من «دون حرج من اسلوبه» وكانوا، كما يؤكد، مستعدين «للاقدام على كل اساليب التعسف الممكنة من

---

(10) D.N. Wilber, Riza Shah Pahlavi: The Ressurrection and Reconstruction of Iran, New York, 1919 P. 28.

أجلها» ، فلم يكن اعتباطا، والحالة هذه، ان اطلق بسطاء الناس من فقراء الريف على امثالهم اسم «المجتهدين ـ الدعاة» حسبما يذكر المؤلف نفسه[11].

وهكذا غدت املاك كبار رجال الدين تؤلف جانبا كبيرا من التملك الخاص للارض الزراعية. فقد ظهر في طهران وقزوين واصفهان من المجتهدين من تراوح عدد قراه مابين ٥٠ و ٢٠٠ قرية وعشية سقوط القاجاريين كان قد تحول الجانب الاكبر من اراضي الوقف في فارس الى املاك خاصة لرجال الدين الذين كان في حوزتهم ايضا حوالي ٤٠٪ من اراضي رشت الزراعية كملك خاص بهم. وفضلا عن ذلك فانهم كانوا يستأجرون لانفسهم اراضي الوقف حسب شروط مجزية، وقد زاولوا تجارة الارض والحبوب وغيرها[12]. وبسبب ذلك كله تحولوا بصورة لا ارادية الى انصار لادخال التبادل النقدي في الريف، الامر الذي كان يتناقض على طول الخط مع اسس النظام القديم.

وقد انعكست هذه الامور على مواقف كبار رجال الدين السياسية التي اتسمت بطابع خاص. ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر وفي بداية القرن العشرين وقف العديد منهم الى جانب الحركة الديمقراطية واحتلوا فيها مراكز قيادية مع انهم كانوا يميلون بقوة الى الحفاظ على القيم والتقاليد القديمة شرط ان ترجح في اطارها كفة الميزان في تسيير الامور الى جانبهم كما كان عليه الامر قبل عهد ناصرالدين شاه (١٨٣١ ـ ١٨٩٦). وفي ذلك انهم كانوا يختلفون في موقفهم السياسي عن الفئات الاخرى التي تطرقنا اليها. فانهم كانوا يريدون تراجع السلطات الدنيوية امامهم فوقفوا لذلك مع كل ما من شأنه تقليص نفوذ تلك السلطات مثل الدستور والبرلمان وغيرها. الا انهم، بالمقابل، بذلوا كل ما في وسعهم من اجل ان تكون لهم الكلمة العليا في المؤسسات المذكورة، وقد حققوا فعلا جانبا كبيرا مما ارادوا. فبموجب اول دستور وضع للبلاد اثر المشروطية اصبح لرجال الدين عدد من المقاعد في

---

(11) Atrpet, Op. Cit., PP. 34, 137.

(١٢) للتفصيل راجع: أ.ي. ديومين، القرية الايرانية المعاصرة، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٧٧، ص ٢٦، ٢٧، ٥٣.

مجلس النواب، كما نص احد بنود الدستور نفسه على تاليف لجنة خماسية عليا جميع اعضائها من كبار رجال الدين مهمتهم النظر في كل تشريع جديد يصدره المجلس قبل ان يتخذ صيغته القانونية النهائية، فهم الذين كانوا يقررون ما اذا كان مطابقا للشريعة الاسلامية ام لا.

وقد استمر كبار رجال الدين على موقفهم المتردد هذا في السنوات الاخيرة من العهد القاجاري بنفس الدوافع كما نلاحظ ذلك فيما بعد.

من كل ماسبق يبدو واضحا انه كانت توجد في ايران اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين قوى اجتماعية مؤثرة تريد التغيير بدرجات مختلفة تتفاوت مابين التغيير المحدود والتغيير الجذري، وهي كانت تصارع القديم وتتصارع فيما بينها في ان واحد وايضا بتفاوت ترك (التفاوت) بصماته على التغيير الذي وقع في نهاية المطاف وانتهى بسقوط الاسرة القاجارية وظهور الاسرة البهلوية. ولم تنقص هذه الفئات اداة التنفيذ، اذ لم يكن من الصعب عليها تحريك قطاع واسع من الجماهير الايرانية المستاءة من وضعها البائس.

ثانيا - نمو الحركة الوطنية:

وبحكم العوامل التي ذكرناها في الفقرة السابقة بدأت الحركة الوطنية الايرانية المعادية للحكم القاجاري وللوجود الاجنبي تنمو ويتصلب عودها طيلة النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مما انعكس في سلسلة من الانتفاضات والاضرابات والحركات الثورية تأتي في مقدمتها المشروطية (الثورة الدستورية). وبحكم عوامل محددة لا ٠جال لذكرها دخلت الحركة الوطنية هذه مرحلة جديدة حاسمة مع انتهاء الحرب العالمية الاولى.

ففي كل يوم كانت تتفجر انتفاضة قوية جديدة في زاوية من زوايا ايران، منها، على سبيل المثال لا الحصر، انتفاضة كيلان بزعامة مرزا كوجك خان وانتفاضة اذربيجان بقيادة الشيخ محمد خياباني وانتفاضة خراسان بقيادة محمد تقي خان وانتفاضة كردستان بقيادة سمكو وغيرها. وكانت بعض هذه الانتفاضات تستهدف التحرر القومي. فان الجريدة التي اصدرها سمكو في أورميه، مثلا، كانت تحمل مثل هذا الاسم «روزى كورد - شه وى عه جه م» (نهار الكرد - ليل العجم). وكادت هذه الحركات ان تعصف بالنظام القاجاري، كما ان

بعضهـا (انتفـاضتي كيـلان واذربيجـان) قطعت شوطـا لا بأس به على درب تغيير النظام تغييرا جذريا لايقضي على الاسرة القاجارية حسب بل يؤدي ايضا بكل بال وقديم وبكل وجود للاستعماريين في البلاد. ولتوضيح هذه النقطة المهمة نورد نموذجا معبرا واحدا فقط. فكما تعترف الوثائق السرية البريطانية ان جميع الاجـانب وكـل مسـؤولي الحكـومـة المركزية استعدوا للانسحاب من العاصمة طهران ايام انتفاضة الجنكليين في كيلان بزعامة كوجك خان عام ١٩٢٠ - ١٩٢١، اما احمد شاه نفسه فقد استعد للهرب الى اوروبا بحجة المرض[١٣].

وكما اثبتت الاحداث اللاحقة بات الحكم القاجاري اعجز من ان يقف امام التيار الجارف الجديد، الامر الذي جعل من قوى داخلية وخارجية معينة تميل الى تغيير من نوع خاص يحول دون وقوع التغيير الجذري الذي ظهرت بوادره واضحة في الافق. وهذه حقيقة موضوعية مهمة للغاية يجب ان تؤخذ بنظر الاعتبار عند تقييم التغيير الذي شهدته ايران في اواسط العقد الثالث من القرن العشرين.

ثالثا ـ انحلال النظام القاجاري:

لم يعجز النظام القاجاري عن الوقوف امام رياح التغيير العاصف حسب، بل انه، فضلا عن ذلك، قد انحل الى درجة بحيث تحول الى عبء ثقيل على عاتق الجماهير الايرانية. فحسب وصف المؤرخ الايراني مختار السلطنة كانت الحكومة القاجارية «حكومة استبدادية غير منظمة، يسود البلاد (في ظلها ـ ك. م.) ظلم موظفي الـدولـة وعـدوانهم، فاختفى كل اشكـال الضمـان القضائي والحقوقي، ولم يبق الناس في اطمئنان على حياتهم واموالهم»[١٤].

---

(13) (Documents on British Foreign Policy, 1919 - 1939), First Series, Vol. XIII, London, 1963, PP. 564 (Memorandum on Persian situation by Mr. Churchill), 688, 691 - 692.

(١٤) حبيب الله مختاري (مختار السلطنة). تاريخ بيداري ايران، طهران، ١٣٢٦ ـ ١٩٤٧، ص ٣٥.

وقد تفشت الرشوة في كل مرافق الدولة. فبعد انقلاب شباط ١٩٢١ طالبت الحكومة نفسها الامير فرمان فرما بمبلغ اربعة ملايين تومان تعويضا عن «جزء من سرقاته» ايام ولايته على مقاطعة فارس(١٥). ومنذ العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر تحول جميع كبار المسؤولين الى عملاء مكشوفين للاجنبي، حتى ان جريدة «حبل المتين» المعارضة التي كانت تصدر في كلكتا عيرت جميع حكام ايران في عددها الواحد والعشرين الصادر عام ١٣١٤ للهجرة بانهم يفتخرون ويعتزون حينما يضمن لهم «الروس او الانكليز، الامريكان او الالمان» النعيم والرفاه في حياتهم الخاصة.

اما احمد شاه، آخر ملوك قاجار، الذي وصفته احدى الوثائق السرية البريطانية على لسان وزير الخارجية اللورد كرزن «كأجبن رجل في ايران كلها»(١٦)، فقد تحول في السنوات الاخيرة من حكمه الى بيدق بيد البريطانيين، فنادرا ما كان يقدم على تعيين رئيس وزراء جديد، او ابعاد آخر دون استشارة السفارة البريطانية في طهران، بل انه كان يستشير الانكليز حتى في تحركاته الشخصية داخل البلاد وخارجها، وفي بعض الاحيان كان يبعث بسكرتيره الخاص لاستشارة السفير مرتين في اليوم الواحد(١٧). وكان «رأس الدولة» هذا يتلقى بكل بساطة الاموال من الحكومة البريطانية. . وقد ورد في وثيقة بريطانية سرية بهذا الصدد ما نصه:

«انه (أي احمد شاه ـ ك. م.) يميل الان الينا كليا وقد قرر أن يعمل معنا باسلوبه الفردي نوعا ما. وان افضل طريقة للاحتفاظ به في هذا الاطار من التفكير هي منحه او الحصول له على اكبر قدر ممكن من الاموال التي يحبها اكثر من أي شيء آخر في الدنيا»(١٨). وقد بلغ الامر بحكومة هذا الشاه انها نزلت الى ميدان السوق السوداء على الصعيد العالمي بتشجيعها زراعة الافيون وتصديره للخارج كأحدى الوسائل الهزيلة لمعالجة العجز المستمر في ميزانيتها. وقد بلغ التسيب الاقطاعي والحزازات

---

(15) «Documents on British Foreign Policy, 1919 - 1939», First Series, Vol. XIII, PP. 730, 734;

س. م. اكاييف، ايران في فترة الازمة السياسية ١٩٢٠ ـ ١٩٢٥، بالنغة الروسية، موسكو، ١٩٧٠، ص ٥٨. (في الهوامش القادمة: S.L. Agaev).

(16) «Documents on BFP», First S, Vol. XIII, P. 703.

(17) Ibid, PP. 459, 463, 537, 686, 699 - 700, 738.First Series, Vol. XIII, PP. 730, 734;

(١٨) مقتبس من

M. Zonis, The Political life of Iran, Princeton 1971, P. 304.

العشائرية الذروة في ظل القاجاريين حتى غدا القول «انا وعشيرتي ضد الامة. انا وابناء عمومتي ضد العشيرة. انا واخوتي ضد ابناء عمومتي. انا ضد اخوتي» مثلا جاريا على الألسن في كل البلاد[١٩].

وفي مثل هذه الاجواء كان من الطبيعي ان لا يبقى في طول البلاد وعرضها انسان مخلص لايرغب في سقوط الحكم القاجاري.

رابعا ـ تبدل تناسب القوى على الصعيد الدولي:

مع قلب النظام القيصري في روسيا وانتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية طرأ تغيير كبير في تناسب القوى على الصعيد الدولي كانت اثاره بالنسبة لايران اعمق منها في معظم اجزاء المنطقة الاخرى. ففي العهد القاجاري تحولت ايران عمليا الى شبه مستعمرة تابعة لروسيا القيصرية وبريطانيا العظمى، حتى ان الدولتين قامتا بموجب اتفاقية عام ١٩٠٧ بتقسيم البلاد الى منطقتي نفوذ تابعتين لهما. وكان الدبلوماسيون والخبراء الروس يصولون ويجولون في ايران كما ان القوات الروسية كانت تحتل مناطق حساسة من البلاد وتهدد بالزحف على العاصمة طهران بين الحين والاخر. ولكن انتهت روسيا القيصرية واطماعها في العام ١٩١٧ فارادت انكلترا ان تحل محلها في شمال ايران اولا ومن ثم تحول تلك المنطقة الى نقطة انطلاق لها نحو مناطق القفقاس وما وراء القزوين وحتى نحو اسيا الوسطى، وهي جميعها مناطق مغرية من وجهة نظر اقتصادية وستراتيجية. وعندما لم تتحقق احلام الاوساط الحاكمة في لندن ركزوا على تحويل ايران الى سد منيع امام «الخطر البلشفي» الجديد، ولكن النظام القاجاري كان اعجز من ان يأخذ تلك المهمة على عاتقه كما يجب. اذن فقد ظهر في الميدان عنصر جديد دفع بالانكليز للتفكير في التغيير من منطلقهم الخاص.

---

(١٩) Barbara English, John Companys last War, London, 1971, p.303.

ولم يقتصر التبدل في تناسب القوى على ما اسلفناه. فمع انتهاء الحرب العالمية الاولى ظهرت الولايات المتحدة الامريكية كقوة اكثر فاعلية وتأثيرا على مجرى احداث الشرق الاوسط، وهذا كان يعني، في الوقت نفسه، ظهور قوى دولية جديدة يمكن لبعض اجنحة المعارضة الايرانية الركون اليها، خاصة قبل ان تتكشف النوايا الامريكية على حقيقتها. فبدأت تلك الاجنحة تعمل من اجل التغيير بجرأة اكبر من السابق لانها كانت تتوقع المساندة الامريكية الاقتصادية والسياسية لها. وعلى الغرار نفسه نشط اليسار الايراني بصورة لم يسبق لها مثيل بحكم ما علقها من آمال على التغيير الذي حدث في روسيا تجاوزت الواقع لتكسب طابعا طوباويا في بعض منطلقاتها.

وهكذا اشتدت «لعبة شد الحبل» من اجل السلطة في ايران، فكان لابد من شخص يقرر مصير اللعبة بقوته وحزمه وطموحه ومركزه وبالاتجاه الذي يرضي الجهات ذات الوزن «الاكبر» في كفة الميزان. ومن بين الجميع كان رضا خان هو الذي تتوفر فيه هذه «المواصفات» اكثر من غيره.

خامسا - شخصية رضا خان

ينتمي رضا خان[٢٠] الى اسرة ملاكية متوسطة كانت تقطن سوادكوه في مازندران الواقعة شمال ايران. تختلف المصادر الفارسية في تحديد نسب اسرة رضا خان من طرف والده عباس قلي خان. فان المؤرخ المعروف ملك الشعراء بهار يؤكد انتماءها الى عشيرة بالاني[٢١]. بينما حاولت المصادر شبه الرسمية منذ العقد الخامس ارجاع اصل الاسرة الى مجموعة «باواني بهلوي» او «باوه ندي بهلواني» التي كانت، كما ادعت، واحدة من الاسر الساسانية

---

(٢٠) لتوضيح تاريخ حياة رضا خان استفدنا من عدد من المصادر الانسكلوبيدية فضلا عن مؤلفات س. ل. آكاييف و م. س. إيفانوف وو. مليكوف ولا سيما د. ن. ولبر الذين وردت اسماء كتبهم في هوامش البحث وكذلك من: عبدالله رازي، تاريخ مفصل ايران ا. تاسيس سلسله ماد تا عصر حاصر، جاب دوم، تهران، ١٣٣٥، ص ٥٦١.

W. Knapp, 1921 - 1941. The Period of Riza Shah, - «Twentieth Century Iran», Edited by H Amersadichi, New York, 1977.

(٢١) في كتابه: تاريخ مختصر احزاب سياسي، طهران، ١٣٢٣، ص٩٦ ومن الجدير بالذكر توجد قبيلة كردية تسمى (بالاني). وقد ورد اسمها في قصائد الشاعر الكردي المعروف نالي الذي عاش في النصف الاول من القرن التاسع عشر. تقطن عشيرة (بالاني) الكردية منطقة خانقين وقصر شيرين وما والاهما.

العريقة. اما والدته نوش آفرين فقد كانت قفقاسية الاصل تركت موطنها بعد انتقاله الى حوزة روسيا بموجب «معاهدة تركمانجاي» واستقرت في طهران الى ان تزوج منها عباس قلي خان في اوائل عام ١٨٧٧ فانتقلت معه الى بلدة الشت بمازندران حيث رزقا في ١٦ اذار سنة ١٨٧٨ بولد اسمياه رضا.

لم يكمل الوليد رضا السنة الاولى من عمره حينما وافى الاجل والده يوم ٢٦ تشرين الثاني عام ١٨٧٨. فانتقل بصحبة والدته الى طهران حيث تمتع برعاية خاله وحنانه خاصة بعد ان تزوجت امه ثانية. وفي صغره اودعه خاله لدى اسرة الجنرال امير تومان كاظم خان الذي كان على معرفة بعائلته، فعاش رضا وتعلم مع اولاده. ومنذ ذلك الوقت بدت علائم الجد عليه، فكما يروى عنه انه نادرا ماكان يبتسم في طفولته، وكان دؤوبا، نشطا، حتى قيل عنه فيما بعد انه كان يعمل مابين عشر واثنتي عشرة ساعة في اليوم[٢٢].

وكتقليد عائلي ترعرع رضا في جو عسكري، فقد كان والده ضابطا بلغ مرتبة الكولونيل (العقيد) قبل مماته. وكان جده علي خان هو الاخر ضابطا لقي حتفه في ميدان القتال اثناء حملة بلاده على هرات داخل افغانستان في اواخر عهد فتح على شاه ثاني ملوك القاجار. وعندما بلغ رضا الخامسة عشرة من عمره[٢٣] في عام ١٨٩٣ ادخله خاله في احدى كتائب فرقة القوزاق الجديدة بطهران.

دخل رضا المازاندراني القوزاق جنديا بسيطا، لكنه تدرج في سلكه بسرعة خاصة بعد العام ١٩٠٣ وذلك لما اثبت من كفاءة وجرأة. ففي اول ترقية له اصبح اونباشيا (قائد عشرة) ومن ثم اصبح «وكيل راست» اي عريفا، وبعد عشر سنوات من الخدمة اصبح رئيس عرفاء. وفي السنة نفسها تزوج للمرة الاولى الا ان زوجته تلك لم تأت له سوى ببنت اختفتا عن الانظار منذ عام ١٩٢٤. لكنه تزوج قبل ذلك للمرة الثانية من ابنة القائد العسكري تيمور خان مير بنج الذي كان ينتمي الى اسرة قفقاسية الاصل وزوجته الثانية هذه هي التي اصبحت اول ملكة بهلوية باسم تاج ملك وانجبت له في تشرين الاول

---

(٢٢) D.N. Wilber, Riza Shah, P. 42.

(٢٣) تؤكد بعض المصادر ان اول دخول لرضا خان في القوزاق كان عام ١٨٩١، أي في الثالثة عشرة من عمره (راجع: M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 287).

١٩١٩ ولي عهده محمد الذي اصبح الشاه الثاني والاخير في الاسرة البهلوية.

بعد العام ١٩٠٣ اشترك رئيس العرفاء رضا المازندراني في عدة حملات عسكرية ضد حركات معادية للسلطة المركزية ابدى في جميعها صنوف الشجاعة، فرقى اثر الحملة على شاهاباد الى رتبة ملازم. وفي العام ١٩١١ اشترك في الحملة ضد سالار الدولة شقيق محمد علي شاه المخلوع وعم احمد شاه فرقي الى مرتبة ملازم ثان ورئيس وحدة. وبعد سنة واحدة فقط، اي في الرابعة والثلاثين من عمره، رقي الى رتبة «نائب» اي ملازم اول وذلك بعد اشتراكه في العمليات العسكرية للقوزاق في اقليم كردستان. اشترك بعد ذلك في الحملات الموجهة ضد العشائر المعادية في لورستان وخراسان فاصبح يعرف بين اقرانه برضا خان مكسيم نسبة الى مدفع المكسيم الذي اجاد استخدامه.

وفي سنوات الحرب العالمية الاولى تدرج رضا خان في الرتب العسكرية، فقد اصبح ياورا، اي مقدما، في العام ١٩١٥، ثم «سرهنك دو» اي عقيدا في السنة التالية ونقل الى كرمنشاه ثم الى همدان وبعدها الى العاصمة طهران.

ومنذ ان رقي الى رتبته الاخيرة اصبح لرضا خان مركز في القوازاق يحسب له حسابه، ومنذ ذلك الوقت بدأ يحتك بالحياة السياسية اكثر وازدادت طموحاته وتجسدت. فبمناورة منه وبالتعاون مع احد قادة القوزاق من الضباط الروس البيض المعادين لثورة اكتوبر بدأ يحتل مواقع جديدة في قيادة القوزاق، فقد رقي الى رتبة «سرتيب سوم» اي الزعيم او العميد وعهدت اليه قيادة اورطة بطهران اجرى فيها اصلاحات عديدة جلبت الانظار، ولاسيما انظار الضباط الشباب من الايرانيين الذين بدأوا يرنون اليه ويتمنون ان يحل محل الضباط الاجانب في قيادة القوزاق. ويومذاك بدأ رضا خان يهتم بالشؤون السياسية للبلاد اكثر فأكثر، فأخذ يتابع الصحف الايرانية التي قطعت شوطا لا بأس به منذ ايام الثورة الدستورية، وكانت الديمقراطية منها تشن حملة واسعة على النفوذ الاجنبي في البلاد، ومنذ العام ١٩١٣ بدأ بمطالعة جريدة «رعد» «الليبرالية» التي كان يصدرها الصحفي المعروف ضياءالدين طباطبائي.

ومنذ ان كان يخدم في القوزاق اطلع رضا خان على اوضاع البلاد عن كثب، فقلما وجدت منطقة مهمة في ايران لم يخدم فيها او لم يشترك في حملة موجهة ضد عشائرها. كما احتك ايضا بالاجانب بحكم مهنته. فقد كان الضباط الروس هم الذين يشرفون على القوزاق، كما عهدت اليه حراسة البعثة البريسبيتيرية الامريكية ثم السفارة الالمانية واخيرا المصرفين البريطاني والروسي، فاعجب بالالمان واصبح حساسا تجاه الانكليز، ولاسيما الروس. وبصورة عامة ما كان رضا خان يميل كثيرا للاجانب، ولكن، على مانعتقد، لم يبلغ به الامر حد ان يعلن امام عدد من كبار الضباط البريطانيين عشية انقلاب شباط ١٩٢١ بان «من واجب كل ضباط القوزاق في قزوين وطهران ان يتحدوا لطرد الاجانب من ايران وابادة الموالين لهم» كما يدعي بعض المؤرخين الايرانيين[٢٦]. وينفي ذلك ايضا ماكان يتصف به من حذر وتأن في تصرفاته[٢٧].

ومهما يكن من امر فان رضا خان جلب انظار البريطانيين بقوة شخصيته وطموحه واقدامه ومنطلقاته الفكرية المعادية للديمقراطية والموالية للدكتاتورية على طول الخط.فقد ابدى الجنرال ادموند آيرونسايد، وكان من كبار قادة الجيش البريطاني في ايران يومذاك، ومن العاملين في «الانتلجنس سرفيس»، اعجابه به وابدى له مساندته مرة على مسؤوليته الخاصة وقبل استشارة لندن[٢٨]. كما ان السر بيرسي سايكس توقع في وقت مبكر بأن رضا خان هو الشخص المؤهل لاجراء التغيير المطلوب في ايران[٢٩]. وجاء وصفه على لسان السفير البريطاني في طهران هرمن نورمن في رسالة سرية بعثها الى وزير الخارجية اللورد كرزن بتاريخ ١٣ آذار ١٩٢١ كـ «ضابط شريف وقدير لاطموح سياسي له»[٣٠]، ولكن سرعان ماastبد به الطموح السياسى الى درجة لم يستكن الا بعد ان اعتلى عرش طاووس.

---

(٢٦) حسين مكي، تاريخ بيست ساله ايران، جلد اول، تهران، ١٣٢٣.

(27) G. Lenczowski, Russia and the West in Iran (1918 - 1948), New York, 1949, P. 72.

(28) W. Knapp, Op. Cit., P. 24.

(29) M. Zonis, Op. Cit., P. 301.

(30) (Documents on British Foreign Policy, 1919 - 1939), First Series, Vol. XIII, P. 729.

البداية :

دب الانحلال كليا في جسم الدولة الايرانية مع انتهاء الحرب العالمية الاولى، فقد غدت منهوكة القوى سياسيا واجتماعيا واقتصاديا. وفي نفس الوقت ازداد اهتمام البريطانيين بايران فحاولوا ربطها نهائيا بعجلة امبراطوريتهم بان فرضوا عليها في ٩ اب ١٩١٩ معاهدة جديدة اختاروا لها اسم «اتفاقية المساعدة البريطانية من اجل تقدم ايران ورفاهها» (!)، وقد وقعها عن الجانب الايراني رئيس الوزراء وثوق الدولة وعن الجانب البريطاني السفير بيرسي كوكس بعد مفاوضات دامت لمدة عام واحد تقريبا.

منحت بنود المعاهدة[٣١] البريطانيين حق استخدام مستشاريهم في اهم المؤسسات الرسمية الايرانية، بما في ذلك الجيش الذي تقرر ان يزود ايضا بالاسلحة البريطانية. كما حصل البريطانيون على حق انشاء السكك والطرق داخل ايران. وبالمقابل تعهد الجانب البريطاني بمنح ايران قرضا بمبلغ مليوني جنيه استرليني وبفائدة سنوية مقدارها ٧٪ بضمان دخل الكمارك الايرانية. وفي مذكرة لاحقة وافقت الحكومة البريطانية بعد مفاوضات طويلة على «اعادة النظر» في المعاهدات المعقودة بين الطرفين من قبل والعمل على منح تعويضات عن الاضرار التي سببتها «الدول الاخرى» لايران في سنوات الحرب العالمية الاولى وبذل الجهود لـ «تصحيح حدود ايران» في النقاط التي يعتبرها لطرفان ضرورية وعادلة[٣٢]. ولكن سرعان ما تراجع الجانب البريطاني عن التزاماته بصدد التعويضات والغاء المعاهدات السابقة[٣٣].

وهكذا ضمنت بريطانيا لنفسها بموجب مواد المعاهدة الاشراف على جهاز الحكم الايراني وعلى اقتصادها وجيشها «دون ان تأخذ على عاتقها مهمة السيطرة المباشرة على الادارة الايرانية» والانجرار جراء ذلك« في الالتزامات المالية على نطاق واسع» كما ورد نصا في مذكرة وزير الخارجية اللورد كرزن الى اعضاء الوزارة البريطانية بمناسبة عقد المعاهدة[٣٤].

---

(٣١) راجع نصها في:

N.S. Fatemi, Diplomatic history of Persia 1917 - 1923, New York, 1952, PP. 10 - 12.

(٣٢) احمد كسروي، تاريخ هجده ساله اذربيجان، جاب سوم، تهران، ١٣٤٠، ص ٨٢٥.

(33) S.L. Agayev, Op. Cit., PP. 18 - 19.

(34) «Documents on British Foreign Policy», First Series, Vol. IV, London, 1952, PP. 1120 - 11221.

واعتقد اللورد كرزن جازما بانه استطاع بفضل هذه المعاهدة ان يحقق الهدف الاساس من السياسة التي رسمها لبلاده تجاه ايران بعد الحرب والتي كانت تتوخى ايرانا مستقرة موحدة خاضعة للنفوذ البريطاني وتلعب دور الدولة الحاجزة بين الهند و روسيا السوفيتية وتؤثر على مجرى الامور في الشرق الاوسط بما يتوافق كليا مع المخططات البريطانية. لذا فانه لم يرغب، على مايبدو، في ان يشاركه احد فيما تحقق بفضل المعاهدة لبلاده، فقد علق بعد التوقيع عليها مباشرة قائلا:

«فوز كبير حققته بوحدي»[٣٥].

اثار عقد المعاهدة موجة احتجاج واسعة في الداخل، كما في الخارج. فقد قيمها الايرانيون كنوع من الحماية المقنعة لبريطانيا على بلادهم، الامر الذي لم يتنصل عنه البريطانيون بل حاولوا اضفاء طابع اتفاق دولي عليه. ففي عددها الصادر يوم ٢١ اب ١٩١٩، اي بعد نشر المعاهدة باقل من اسبوعين، كتبت الجريدة الايرانية شبه الرسمية «رعد» التي كان يصدرها الصحفي الموالي للبريطانيين سيد ضياءالدين طباطبائي مقالا في صدر صفحتها الاولى تقول فيه ان «الدول الكبرى الاربع في باريس[٣٦] قررت وضع ايران تحت الحماية وجعلتها جزءا من حصة بريطانيا العظمى».

عبر الايرانيون عن سخطهم على المعاهدة واحتجاجهم ضدها بشتى الصور، فقد انفجرت مظاهرات حاشدة معادية للبريطانيين وللسلطة الرجعية الحاكمة في كل مكان، ونشطت اقلام ابرز الشعراء في قدح المعاهدة وذمها، وانتحر عدد من الضباط احتجاجا على عقدها، ونشرت صحف المعارضة مقالات نارية ضدها وضد كل من كان يقف وراءها. فقد طالبت جريدة «ستاره» (النجمة) في عددها الصادر يوم ١٦ تشرين الاول ١٩١٩ المسؤولين بان يلغوا المعاهدة «لينقذوا بذلك شرف بلادهم». وبحثت جريدة «آفتاب» (النور) في عددها الصادر يوم ٦ تشرين الثاني ١٩١٩ عن «الرجال الذين بوسعهم ان ينتفضوا من اجل الحقيقة ومن اجل شرف ايران وعزها».

---

(35) M E. Yapp, Op. Cit , P 21.

(٣٦) تقصد مؤتمر الصلح في باريس الذي كان لايزال مستمرا في اعماله.

وفي مثل هذه الاجواء لم يجروء حتى عملاء الانكليز على الدفاع عن المعاهدة ولم يبق من يطالب بابرامها سوى حكومة وثوق الدولة وقد ورد في احدى الوثائق السرية البريطانية بهذا الصدد مانصه:

«ان اعداءنا سواء داخل المجلس او خارجه يطالبون باعلى صوتهم بتأجيل الاتفاقية والغائها، اما اصدقاؤنا فانهم يطالبوننا بصوت واحد ان ننقذهم من وضعهم الحرج بالغائها».

وحسبما تعترف الوثيقة نفسها صراحة ان ٥٥ من اعضاء المجلس الموالين للانكليز اضطروا الى نشر بيان اعلنوا فيه «وقوفهم ضد المعاهدة» بعد ان بدأ الناس يتحدثون على نطاق واسع عن «تلقيهم الرشوة» من البريطانيين «من اجل تأييدها»[37]. ومما له مغزاه العميق ان ٣٩ من هؤلاء نشروا مذكرة طالبوا فيها بالغاء المعاهدة بعد يوم واحد فقط من اجتماع سري عقدوه مع السفير البريطاني تعهدوا له اثناءه بـ «الدفاع عن مصالح انكلترا السياسية»[38].

وعلى الصعيد الخارجي شنت الصحافة الفرنسية، ولاسيما الامريكية حملة واسعة ضد المعاهدة الايرانية ـ البريطانية[39]. فقد كتبت مجلة (The Century) الامريكية في عددها الصادر في كانون الثاني عام ١٩٢٠ عن المعاهدة تقول ان «ايران قد انتهت» وان «انكلترا هي التي جنت فوائد» خروج روسيا من اللعبة، اذ نجحت السياسة البريطانية في تصنيف ايران «الى جانب مصر وشبه الجزيرة العربية وبلاد الرافدين كمحمية تابعة للامبراطورية البريطانية»، الرأي الذي اكدته بنفس الحماس الدورية الامريكية «القضايا الاجنبية» (Foreign Affairs) في عددها الرابع من مجلدها السادس.

وانتقد مجلس الشيوخ الامريكي المعاهدة باسلوب لاذع. وفي ٤ ايلول ١٩١٩ طلبت واشنطن من سفيرها لدى طهران ان يخبر الحكومة الايرانية عن قرار الولايات المتحدة الرسمي برفض ابداء اي مساعدة لها احتجاجا على عقد المعاهدة. وقد نشر السفير بيانا بهذا الصدد ورد فيه التأكيد على «ان

(37) Documents on Britsh Foreign Policy, 1919 - 1939, First Series, Vol. XIII. PP. 720 - 721.

(38) S.L. Agaev, Op. Cit., P. 47.

(39) N.S. Fatemi. Diplomatic history of Persia. PP. 29 - 35. 54 - 64.

الـولايـات المتحـدة الامريكية تلقت باستغراب نبأ عقد المعاهدة الجديدة بين ايران وانكلتـرا» وهي ترى ان الاوسـاط الحـاكمـة الايـرانيـة اصبحت في غنى عن «تأييـد الـولايـات المتحـدة ومسـاعـدتهـا» . وقد شجع بيان السفير الامريكي بعض الفئات المعارضة الايرانية للتشدد في موقفها تجاه حكومة وثوق الدولة .

ومن المهم أن نشيـــر هنـــا الى ان اللورد كرزن الـــذي أثـــاره موقف واشنطن من المعاهدة الى اقصى حد صرح بان الامريكان كانوا على علم بمفاوضات بلاده مع ايران وبانه شخصيا اخبر الكولونيل هاوس، احد اقرب مساعدي الرئيس ولسن، بذلك في باريس وطلب منه ان يخبر الرئيس بالموضوع لذا توقع، كما اكـد في مذكـرتـه التي قدمهـا الى السفـارة الامـريكيـة بلنـدن في ٢٢ ايلول ١٩١٩، ان يبـارك الامــريكـان «الاتفـاقيـة من الصميم»[٤٠]. وللسبب نفسـه اعتبرت الصحافة البريطانية عقد المعاهدة «امرا طبيعيا» ولم تتوقع «ان تثير اي دولة أجنبية» كما كتبت «Morning Post» اللندنية في عددها الصادر يوم ١٩ اب ١٩١٩.

وكانت المعارضة الفرنسية للمعاهدة قوية بدورها. فقد تهجمت صحافة باريس عليهـا بشـدة، وانتقـدتهـا الحكـومـة ووقفت ضدهـا الى درجـة جعلت الاوساط الدبلوماسية البريطانية تعتقد بان السفارة الفرنسية في طهران تقف وراء بعض المظاهرات الطلابية التي جرت ضد المعاهدة في العاصمة الايرانية[٤٢].

وبالرغم من كل ذلك لم يكن من السهل على الحكومة البريطانية ان تتراجع بسرعة عن موقفها تجاه المعاهدة. ففي المذكرة الخاصة التي اعدتها الخارجية البريطانية في ٢٥ حزيران ١٩٢٠ عما اسمته بـ «المسألة الايرانية» ورد تأكيد خاص على ان «الاتفاقية الانكلو ـ ايرانية لا تزال تؤلف حجر الزاوية في سياسة حكومة صاحب الجلالة»[٤٣]. وقد عبر شاه ايران اثر عودته من اوربا عن تأييده لها وعن وقوفه الى جانب رئيس الوزراء وثوق الدولة على الرغم من قناعته بان «له اعداء كثيرون وبانه لا يتمتع باي شعبية» كما اكد بصورة خاصة

(40) Ibid, PP. 35 - 36; Sh. M. Badi, Op. Cit., P 130

(41) N.S. Fatemi. Op. Cit., P. 37.

(42) «Documents on British Foreign Policy, 1919 - 1939», First Series, Vol. XIII, PP. 492 - 493, 502.

(43) Ibid PP. 541 - 532 (Memorandum on the Persian Question by Mr Esmond Ovey, a member of the Northern Department).

للسفير البريطاني[٤٤].
ولكن لم يكن بوسع مثل هذا الموقف سوى ان يذكي نار المعارضة القوية التى تعدت مقاومة المعاهدة ووزارة وثوق الدولة بان اصبحت تستهدف وجود النظام برمته. ففي تبريز اسس خياباني «الحكومة الوطنية» في حزيران ١٩٢٠ واطلق على اذربيجان اسم «ازاديستان» اي بلاد الحرية واعلن عن قطع كل صلة له بالحكومة المركزية. وفي كيلان اتخذ كوجك خان نفس الموقف. ففي العاشر من حزيران عام ١٩٢٠ بعث من رشت بثلاث برقيات للحكومة المركزية وللسفارات الاجنبية في طهران تدين نصوصها بشدة سياسة انكلترا التي «جلبت الخراب للبلد والشعب» وتعلن عن قرار «اللجنة الثورية لايران» بالغاء الملكية وتأسيس نظام جمهوري جديد يعتبر «كل اتفاقيات الحكومة البريطانية» مع «الحكومة الايرانية غير مشروعة وملغية»[٤٥].

وهكذا فان الوضع الداخلي في ايران قد توتر الى درجة بحيث غدا البريطانيون يخشون ان تعصف المعارضة برأس «صاحب الفخامة رئيس الوزراء» بل وحتى برأس «صاحب الجلالة الشاه نفسه» كما ورد نصا في «برقية جد مستعجلة» بعثها السفير نورمن الى كرزن بتاريخ ٢٣ حزيران ١٩٢٠[٤٦]. وبما ان ذلك كان يعني احداث ثغرة خطيرة للغاية فيما يتعلق بمخططات الانكليز بالنسبة لمنطقة حساسة وواسعة من العالم فان الحكومة البريطانية لجأت الى اجراءات عاجلة لمعالجة الموقف، بل كما يبدو واضحا من وثائقها الخاصة انها من اجل ذلك اصبحت على استعداد تام للخروج عن الاطار الذي رسمته لنفسها بحكم ظروف انكلترا الخاصة التي كانت تقتضي عدم تحميل خزينة الدولة أعباء اضافية بسبب التورط في مشاكل خارجية كان بالامكان «حلها» باساليب اخرى وبايدي الاخرين. ففي سلسلة من البرقيات «المستعجلة جدا» ابدى كرزن استعداد حكومته وتوجيهاتها «لتخصيص الاموال اللازمة» ولتحريك القوات البريطانية الموجودة في ايران للقضاء على المعارضة هناك[٤٧] في وقت كانت الحكومة نفسها تحسب الحساب لكل مليم تصرفه في اي مجال

(44) Ibid. PP. 506 - 507.

(٤٥) Ibid, pp. 507 - 508

(٤٦) Ibid, pp. 537 - 538

(٤٧) Ibid, pp. 528, 534.

ا ـ ، ـفـ حين كانت اجراءاتها الحثيثة مستمرة لسحب قواتها من المناطق الاخرى.

الا ان ذلك وحده ما كان يكفي لمعالجة الموقف بدون اجراء تغييرات معينة في مجمل السياسة البريطانية تجاه ايران، الامر الذي اقتنع به كرزن مرغما، ذلك لان «امكانات نجاح السياسة البريطانية في ايران غدت تسوء بالتدريج بعد ان كانت جيدة على مدى اشهر اعقبت التوقيع على الاتفاقية... وهي الان، في الواقع، في وضع سيء جدا» كما ورد نصا في تقرير مفصل «ومستعجل جدا» بعثه نورمن من طهران الى الخارجية البريطانية بتاريخ ١٨ حزيران ١٩٢٠[٤٨]: وقد وضع نورمن الخيوط الاساسية للسياسة الجديدة الواجب اتباعها ضمن «برقية جد مستعجلة» هي الاخرى بعثها الى كرزن بعد خمسة ايام فقط، اي يوم ٢٣ حزيران. فبعد ان يتطرق نورمن في برقيته الى الوضع اليائس الذي وصل اليه رجلهم الاول في ايران وثوق الدولة والى «فشل سياسته الداخلية» التي «خلق استياء عاما» وادت الى انتفاض «ثلاث مقاطعات في الشمال» يقول:

«اعتقد ان خلفه (خلف وثوق الدولة ك. م.) يجب ان يكون شخصا يستمر على اتباع سياسته الخارجية فيما يتبنى سياسة اخرى داخل البلد ويجب ان يكون راغبا للعمل مع القوميين وفي نيل مساندة شعبية»[٤٩].

وقد وقع اختيار نورمن على الشخصية «الليبرالية» مشير الدولة لتوفر الشروط المذكورة فيه حسب قناعته، وعندما عرض الامر على الشاه اكد الاخير انه «مقتنع كليا بكل كلمة» ذكرها له بهذا الخصوص.

وهذا ما حصل فعلا. فقد قدم وثوق الدولة في ٢٣ حزيران ١٩٢٠ استقالة وزارته الى احمد شاه الذي قبلها في اليوم التالي وكلف مشير الدولة بتأليف الوزارة الجديدة، فوافق الاخير بعد ان اجتمع «بأذن» من الشاه بالسفير البريطاني ليلة ٢٥ على ٢٦ حزيران ١٩٢٠. وفي هذا الاجتماع الثنائي الذي استغرق ساعتين ونصف الساعة استعرض الرجلان تفاصيل برنامج الوزارة المقبلة وقيما اعضاءها فردا فردا. وفي صبيحة اليوم التالي بعث نورمن «برقية

(٤٨) Ibid, pp. 522 - 524

(٤٩) Ibid, pp. 537 - 538

مستعجلة للغاية»[٥٠] الى كرزن ضمنها خلاصة مادار بينهما في اجتماع الليلة السابقة وردت فيها اسرار خطيرة بامكانها القاء الضوء الكافي على جوانب مهمة لما نحن بصدده. فقد ذكر نورمن لكرزن ان من بين الذين اقترحهم مشير الدولة ليشتركوا في وزارته «اثنان من القوميين البارزين» هما «مستوفي المماليك على اساس تأثيره الكبير لثقة الشعب الواسعة به، ومخبر السلطنة على اساس نفوذه في اذربيجان»، فوافق عليهما نورمن بالرغم «من سجلهما الاسود في سنوات الحرب»[٥١] كما ذكر لمشير الدولة بخبث ليضيف الى ذلك قوله للورد كرزن:

«وفي الواقع انهما بالضبط ممن نريدهم لانهما يستطيعان ان يساعدا اكثر من اي شخص اخر على ترويج سياستنا وانني على علم بانهما مهتمان بان يصبحا صديقين (لبريطانيا بالطبع - ك. م.)». ثم يضع نورمن نقاطا اكثر على الاحرف حينما يضيف: «ان بالامكان تأليف حكومة رجعية من دونهما اومن دون من هم على شاكلتهما، الا انها سوف تخرب قضيتنا»[٥٢].

وقد استأنس مشير الدولة رأي السفير في الاجتماع نفسه بخصوص ارسال وفد الى موسكو لاقناع الروس «بالانسحاب من ايران[٥٣] وايقاف دعاية البلاشفة في الداخل»، الامر الذي لم يعترض عليه نورمن. وفي اليوم التالي اجتمع مشير الدولة بالسفير ثانية واتفقا على صيغة البند الخاص بالمعاهدة البريطانية - الايرانية في البيان الوزاري المزمع نشره[٥٤]. فمن اجل امرار المعاهدة تقرر خلال الاجتماعين «ايقاف تنفيذ كل ما يتعلق بها وقتيا» واجراء انتخابات جديدة لاعضاء المجلس بسبب عدم قناعة الرأي العام بالانتخابات التي اجرتها

---

(٥٠) (most urgent)

(٥١) كانا من المؤيدين لالمانيا والدولة العثمانية في سنوات الحرب العالمية الاولى.

(٥٢) (Documents on British Foreign Policy, 1919 - 1939). First Series, Vol. XIII, pp. 546 - 549

(٥٣) دخلت قطع من الاسطول السوفيتي مياه انزلي الايراني في تلك الفترة لاستعادة السفن الحربية الروسية التي كان يستخدمها اعداء الثورة من رجال الحرس الابيض.

(٥٤) (Documents on BFP, 1919 - 1939), First. S., Vol. XIII, pp. 549 - 550

. . ـ ـ السابقة، ومن ثم عرض المعاهدة على المجلس بعد ذلك لاقرارها طبقا للمادة الرابعة عشرة من دستور عام ١٩٠٦ الذي ترك له حق قبول أورفض كل معاهدة او اتفاقية تعقدها الحكومة مع دولة اجنبية.

ومع ان هده الحقائق جد خطيرة وجد مذهلة وجد واضحة الا انها ليست كل ما كان يجري خلف الكواليس على مايبدو. فان السفير البريطاني هرمن نورمن قد تطرق الى اسمي مستوفي الممالك ومخبر السلطنة والى اسماء غيرهما في برقية سرية اخرى بعثها الى اللورد كرزن قبل برقيته الاخيرة بيومين فقط وردت الاشارة اليها مرتين في المجلد الثالث عشر من التسلسل الاول من وثائق السياسة الخارجية البريطانية(٥٥) لكن دون ان ينشر نصها لانها، اغلب الظ، تحتوي على اسرار اخطر تخص الدوائر المعنية وربما شخصيات لها وزن الخاص فلا يصح نشرها(!).

ضمت وزارة مشير الدولة في عضويتها فضلا عن مستوفي الممالك ومخبر السلطنة عنصرين اخرين عرفا ايضا بميولهما القومية هما مؤتمن الملك ومصدق السلطنة الذي اصبح يعرف فيما بعد باسم الدكتور مصدق.

باشرت وزارة مشير الدولة اعمالها حسب الخطة المرسومة. فانها اوقفت جميع الاعمال التي كانت تنفذ بموجب المعاهدة حتى ان اثنين من الخبراء العسكريين البريطانيين «اضطرا» الى ترك طهران والمجيء الى بغداد انتظارا «للعوده الى ايران بعد موافقة المجلس على الاتفاقية» كما اخبر نورمن اللورد كرزن بذلك في مذكرته المؤرخة ١٨ آب ١٩٢٠(٥٦). وفي الوقت نفسه اتخذت الوزارة الجديدة بعض الخطوات على طريق تطبيع العلاقات مع روسيا السوفيتية كما انها لم تأل جهدا من أجل القضاء على الحركة الوطنية الايرانية.

ولكن بالرغم من ذلك لم ستطع وزاره مشير ان تبقى فترة طويلة في دست الحكم بسبب مجموعة من العوامل. فقبل كل شيء لم يرض البريطانيون عنها لانها لم تتحول الى اداة طيعة بأيديهم مثل وزارة وثوق الدولة، فان الظروف

---

(٥٥) Ibid, pp. 539. 549,548

(٥٦) Ibid, pp. 588 - 591

الداخلية والدولية منحتها امكانية تبني سياسة اكثر استقلالية انعكست، مثلا، في محاولاتها للتقرب من الولايات المتحدة الامريكية رغم معارضة لندن. كما انها اجرت بعض التغييرات في قيادة الجيش الايراني بطريقة لم ترض هي الاخرى البريطانيين(٥٧). وعجزت حكومة مشير الدولة، مثل سابقتها، في القضاء على الحركة الوطنية التي اشتد اوارها اكثر ايام الوزارة الجديدة بحيث انها فكرت حتى بنقل مقر الحكومة الى الجنوب تحت ضغطها واستعد الاجانب في طهران للجلاء عنها، بينما انسحب من كان منهم موجودا في تبريز، واضطر المصرف الشاهنشاهي البريطاني الى غلق فروعه في العديد من المدن الايرانية (٥٨). وفي مثل تلك الظروف كان من الطبيعي جدا ان لا تتخذ حكومة مشير الدولة أي خطوة جدية لتصديق المعاهدة، بينما اكد الانكليز على اهميتها القصوى بالنسبة لسياستهم تجاه ايران في تقرير اعدته وزارة الخارجية البريطانية في اليوم الذي قام مشير الدولة بتأليف وزارته(٥٩). وأخيرا كان مشير الدولة «ذا طبع ضعيف ومتردد» كما وصفته الوثيقة نفسها، بينما كان البريطانيون يبحثون عن «رئيس وزراء قوي وصديق بوسعه مقاومة الدعاية البلشفية»(٦٠).

وهكذا لم تكن قد مضت على وزارة مشير الدولة «الليبرالية» سوى ستة اشهر حينما تقدمت باستقالتها الى الشاه مرتين في ١٢ و ١٥ كانون الثاني عام ١٩٢١. وقد ظهر مرشحان جديدان ليؤلفا الوزارة الجديدة هما سباهدار اعظم ومستوفي الممالك، الاول لكونه «رجلا حازما» والثاني بصفته قوميا ليبراليا. وعندما استفسر الشاه مرتين عن رأي السفير نورمن في المرشحين اجاب بانه «لن يتدخل في موضوع تعيين رئيس جديد»(٦١) لانه كان يفكر بمخرج اخر

---

(٥٧) S. L. Agayev. Op cit, pp 33 - 34

(٥٨) (Documents on BFP, 1919 - 1939), First S., Vol XIII, pp 563.691 - 692. etc

حسن اعظام قدسي (اعظام الوزارة) كتاب خاطرات من ياروش شدن تاريخ صد ساله، حلد دوم، تهران، ص ١٢ - ١٣.

(٥٩) (Documents on BFP, 1919 - 1939). First S, Vol XIII, pp. 541 - 542

(٦٠) Ibid, pp. 541 - 545

(٦١) Ibid, pp. 699 - 755

للازمة كما تبين بعد شهر ونيف. وكان الشاه يميل الى ترشيح سباهدار اعظم لان المرشح الاخر مستوفي الممالك اخبر السفير البريطاني صراحة بانه في حالة تحمله اعباء المسؤولية يرفض عرض المعاهدة على المجلس(٦٢).

ظل الشاه يتردد في تكليف سباهدار اعظم بتأليف الوزارة الجديدة، وعندما كلفه بدا سباهدار يتردد في قبول العرض بسبب الموقف السلبي الذي اتخذه السفير البريطاني تجاه الموضوع، فظلت البلاد من دون وزارة مدة حوالي شهر واحد. واخيرا وافق سباهدار على تأليف الوزارة وفي ١٦ شباط قدم للشاه اسماء اعضائها الذين كانوا نفس اعضاء الوزارة السابقة فيما عدا اثنين منهم هما وحيد الملك ومحتشم السلطنة الذي عهدت اليه حقيبة وزارة الخارجية. ولقناعته بعدم امكانية امرار المعاهدة قدم الرئيس الجديد اقتراحين بصددهما للسفير البريطاني يقضي الاول منهما الاعلان عن عقد معاهدة بديلة «اكثر فائدة لايران»، ويقضي الثاني منهما تأليف لجنة باشتراك السفارة البريطانية لوضع تقرير حول الموضوع وعدم دعوة المجلس لغاية اعداد التقرير. وعندما استفسر سباهدار اعظم من السفير البريطاني عن رايه اجاب الاخير «ان الامر ليس في حدود صلاحياته» لذا عليه ان يستأنس برأي الخارجية في لندن بخصوصه(٦٣) ، في حين ان نورمن بت قبل ذلك في امور اخطر قبل ان يعود الى وزير الخارجية اللورد كرزن، مما يدل مرة اخرى على انه كان يعد العدة لامر ادهى تتلخص منطلقاته في التركيز على الوجود البريطاني في وسط البلاد، ولاسيما جنوبها والتنازل عن التمسك بمعاهدة عام ١٩١٩ التي تحولت الى «ورقة ميتة» حسب وصف «تايمس» اللندنية لها في عددها الصادر يوم ١٩ كانون الثاني ١٩٢١، وتأليف حكومة جديدة قوية غير مكشوفة تستطيع ارجاع «الابن الضال الى رشده»، و «تنقذ» ايران الغنية بثرواتها والمهمة بموقعها من خطر «الضياع»، فظهرت في أروقة الخارجية البريطانية اسماء متباينة من الصديق الصدوق للانكليز الامير المتأورب فيروز نصرت الدولة الى السياسي المعروف باتجاهاته القومية مستوفي الممالك. ولكن جاء «الحل» اخيرا بطريقة اخرى ـ تدبير اول انقلاب عسكري في ايران والشرق الاوسط، خاصة وان السفير نورمن بدأ يخشى ان تفلت الامور من ايدي البريطانيين فتتألف في

---

(٦٢) Ibid

(٦٣) Ibid, pp. 727 - 728

مثل ذلك الظرف «وزارة ضعيفة» «ترفض الاتفاقية لتنال بذلك شعبية واسعة وسمعة كبيرة»[٦٤].

إنقلاب حوت:

شهدت ايران يوم الثالث حوت عام ١٢٩٩[٦٥] المصادف ليوم ٢١ شباط عام ١٩٢١ إنقلاباً قاده ضياء الدين طباطبائي سياسياً ورضا خان عسكرياً. ادى الانقلاب الى سقوط وزارة سباهدار أعظم التي لم تعش سوى ايام معدودات ودشن بداية تحول سياسي في تاريخ ايران إكتمل بسقوط الاسرة القاجارية وتأسيس الاسرة البهلوية الحاكمة.

تختفي وراء انقلاب حوت ايدي ودوافع وعوامل مختلفة تراوح ما بين الموضوعية والمصطنعة، واشتركت فيه شخصيات متباينة في مشاربها، متفقة في اهدافها الانية.

لعب سيد ضياءالدين طباطبائي[٦٦] دورا كبيرا لاعداد الانقلاب، وفي تنفيذه. كان ضياءالدين ينتمي الى اسرة دينية معروفة من يزد، ولد عام ١٨٨ ودرس في باريس في الفترة ١٩١١ - ١٩١٢. كان مثقفا من الطراز الاول، مولعا بالادب والشعر، ومطلعا على التاريخ. زاول مهنة الصحافة بنجاح، فان جريدة «رعد» التي بدأ باصدارها في اواخر الحرب العالمية الاولى جلبت انظار المثقفين الايرانيين والاجانب المهتمين بشؤون ايران. وحسبما يؤكد العديد من المؤرخين انه كان من افضل من يفهم القضايا الدولية بين ساسة ايران في عهده[٦٧]. وكان يصغر رضا خان بحوالي عشر سنوات، وقد اتصف بالجرأة والاقدام وحب المغامرة. وفي ... نجد اكثر من خيط يجمع بين صفات ضياءالدين ونوري السعيد.

ترجع بدايات الاحتكاك المباشر لضياءالدين طباطبائي بالحياة السياسية في سنوات الثورة الدستورية عندما اشترك بحماس في نضال جناحها الليبرالي. ابتعد بالتدريج عن قناعاته الفكرية الاولى وانتقل الى الخندق المقابل قبل

(٦٤) Ibid, pp. 727 - 728

(٦٥) نسبة الى التقويم الفارسي.

(٦٦) لتوضيح تاريخ حياة سيد ضياء الدين طباطبائي واتصالاته اعتمدنا على وثائق السياسة الخارجية البريطانية (التسلسل الاول. المجلد الثالث عشر) مع مؤلفات س. ل. اكاييف و م. س ايفانوف و او. س مليكوف ودونالد ولبر والكتب الواردة اسماؤها ضمن هوامش البحث مع عدد من المصادر الانسكلوبيدية.

(٦٧) راجع مثلا:
D.N. Wilber, Riza Shah, P. 11.

انتهاء الحرب العالمية الاولى، فقد اصبح على اتصال وثيق بالبريطانيين والى درجة ان هناك من المؤلفين الايرانيين وغيرهم من يؤكد انه كان يتلقى مخصصات مقطوعة من السفارة البريطانية في طهران، وقد وصفه السفير نورمن في رسالة سرية بعثها الى وزير الخارجية اللورد كرزن قبل انقلاب حوت بحوالي شهرين ونصف الشهر بانه «معروف جيدا لدى المستر تشرشل»(٦٨). ومهما يكن من امر فان الرجل كان مؤمنا بان بلاده تستطيع الوقوف على قدميها من جديد بمساعدة البريطانيين.

في العام ١٩٢٠ دخل ضياءالدين طباطبائي السلك الدبلوماسي الايراني حينما عين سفيرا فوق العادة لدى حكومات ما وراء القفقاس ـ جورجيا المنشفية وارمينيا الداشناقية و «حكومة المساواة» الاذربيجانية. وقد ايد قبل ذلك تأسيس علاقات دبلوماسية طبيعية مع الحكومة المؤقتة التي تأسست في روسيا اثر انتصار ثورة شباط ١٩١٧، بينما شن حملة واسعة ضد ثورة اكتوبر والبلاشفة فيما بعد. أيد وزارة وثوق الدولة ووقف بحماس الى جانب المعاهدة البريطانية ـ الايرانية للعام ١٩١٩، فقد كتب عنها بالحرف الواحد يقول:

«بدأ عصر جديد للنهضة الايرانية منذ لحظة التوقيع على المعاهدة الانكلو ـ ايرانية»(٦٩).

اذن توفر جانب كبير من الشروط المطلوبة في ضياءالدين طباطبائي الذي بدأ يظهر في ثوب جديد عشية الانقلاب، فقد وسع من اتصالاته بالاوساط القومية والديمقراطية من امثال الشاعرين المعروفين عشقي ميرزاده وعارف قزويني، كما كسب بعض العسكريين الى جانبه، منهم العقيد محمد تقي خان(٧٠).

مع ذلك ما كان بوسع سيد ضياءالدين طباطبائي تنفيذ انقلاب حكومي لوحده، الامر الذي تحول الى اساس مهم لتقربه من رضا خان الذي كان مستاء من الوضع السياسي للبلاد وما كان يسودها من فوضى واضطراب. ففي

---

(68) Documents on British Foreign Policy, Vol. XIII, PP. 653 - 654.

(٦٩) سيد ضياء الدين طباطبائي، عصر جديد في تاريخ ايران والمعاهدة الانكلو ـ ايرانية، باللغة الروسية، باكو. ١٩٢٠. ص ١. الف الكتاب، على مايبدو، اثناء سفارته لدى حكومات ماوراء القفقاس.

(70) S.L. Agayev, Op. Cit, P. 47.

تلك الفترة كان ضباط القوزاق الايرانيون متذمرين بصورة عامة، وقد دفعت عوامل متناقضة بهم الى الاقتناع بضرورة وجود حكومة مركزية قوية تستطيع القضاء على الحركة الثورية (التقدم) والتسيب العشيري (التخلف) في ان واحد، خاصة بعد ان عجزت الحكومات المتعاقبة من تنفيذ اولى المهمتين. ثم انهم كانوا مقتنعين بضرورة اجراء بعض الاصلاحات في اطار فهمهم للامور، كما كانوا متحمسين لحماية استقلال البلاد. وقد ولد كل ذلك الثقة التامة لدى قيادة القوزاق بانها تستطيع تحقيق اهدافها بالاعتماد على هؤلاء الضباط الذين كانوا اكثر وعيا نسبيا من زملائهم بحكم احتكاكهم المستمر بالمناطق الشمالية ذات التقليد الثوري المعروف.

فضلا عن عوامل اخرى جمعت الرغبة في وضع حد للحركة الثورية بين ضباط القوزاق ومجموعة سيد ضياءالدين على صعيد واحد، فجرى الاتصال بين الطرفين واتفقا على برنامج عمل مشترك بسرعة ذلك لان ضياء الدين كان بحاجة الى اداة لتنفيذ الانقلاب، وضباط القوزاق كانوا بحاجة الى سياسي من نوعه يستطيع بفضل اتصاله بالانكليز ودرايته في امور الدولة ضمان النجاح لعمل العسكريين. وبعد تقييم اسماء عدد من المرشحين لقيادة الجانب العسكري من الانقلاب استقر الرأي على اختيار رضا خان لتنفيذ المهمة ذلك لانه كان «الشخص الوحيد الذي بوسعه وقف المد الجديد للحركة الديمقراطية المعادية للاستعمار» في البلاد حسب التحديد الدقيق للمتخصص الكبير في تاريخ ايران المعاصر الدكتور س. ل. آغاييف[٧١].

ومن اجل الحيلولة دون وقوع اي شكل من اشكال المقاومة من جانب الاطراف العسكرية الاخرى اخذ رضا خان على عاتقه امر الاتصال بقطعات القوزاق على ان يتصل سيد ضياءالدين من جانبه بقيادة الجندرمة. وفي ١٣ شباط اجتمع قائدا الانقلاب في قزوين واتفقا على توزيع المناصب، فتقرر ان يصبح ضياءالدين طباطبائي رئيسا للوزراء ورضا خان قائدا عاما للقوزاق[٧٢].

---

(٧١) Ibid, p. 123

(٧٢) حسين مكي. تاريخ بيست ساله ايران. مجلد اول. ص ١١٤ ـ ١١٥

وسرعان ما واتت الفرصة المناسبة للانقلابيين لتنفيذ خطتهم. ففي شباط ١٩٢١ قررت الحكومة تغيير قطعات القوزاق الموجودة في العاصمة باخرى افضل منها[٧٣] تجلبها من قزوين ـ مقر قوات رضا خان الذي لم يدع الفرصة تفوته، فتحرك بسرعة نحو طهران رغم ان الحكومة غيرت رأيها والغت قرارها السابق[٧٤] ربما لانها احست بما كان يجري خلف الكواليس بصورة او باخرى.

في صبيحة ١٨ شباط بدأت قوة القوزاق المؤلفة من ٢٥٠٠ الى ٣٠٠٠ رجل و ٨ مدافع ميدان و ١٨ مدفعا آلياً[٧٥] زحفها على طهران بقيادة رضا خان. وعلى بعد ٨ كيلومترات من العاصمة التقى سيد ضياء الدين برضا خان وعقدا اخر اجتماع لهما في مقهى شاهآباد بالقرب من مطار مهر آباد شاركهما فيه ثلاثة آخرون من قادة الانقلاب هم الكولونيل كاظم خان سياح والميجر مسعود خان كيهان وأمير احمدي. أقرّ المجتمعون خطة احتلال طهران ثم ادى سيد ضياء الدين اليمين على القرآن بان «يخدم البلاد وشعبها وأن يوقف تقدم البلاشفة ويخدم صاحب الجلالة احمد شاه». ادى رضا خان وبقية الضباط بدورهم يمين الاخلاص للوطن والشاه[٧٦]. بعد ذلك القى رضا خان كلمة حماسية في جنده مؤكدا لهم بان هدف حملتهم على طهران هو «انقاذ البلاد من الفوضى»[٧٧].

اثار نبأ تحرك القوزاق نحو العاصمة هلعا كبيرا بين الحكام وغيرهم، وادخل الذعر في قلب احمد شاه الى درجة مذهلة، بينما لم يثر اي رد فعل غير طبيعي بين الاجانب الموجودين في طهران وذلك على غير عادتهم في مثل تلك الظروف، مما يدل على انهم ربما تلقوا من السفارة البريطانية ماطمأن نفوسهم (!). وراجت شائعات متباينة بين الناس حول سبب زحف القوزاق على العاصمة، منها ان البلاشفة يخططون للاطاحة بالنظام، ومنها ان الجند

---

(٧٣) حسبما يؤكد المؤرخ الايراني حسين مكي فان احمد شاه خدع بالايحاء له بان هناك محاولات تجري للاطاحة به مما يستوجب نقل قوات القوزاق من قزوين الى طهران لحماية عرشه (حسين مكي، المصدر نفسه الجزء الاول ص ١٠٣ ـ ١٠٤).

(٧٤) D. N. Wilber, Riza Shah, p. 43

(٧٥) حسب الوثائق البريطانية (DBFP, Vol. XIII, P. 729) حسب مصادر اخرى كانت القوة تتألف من الفي رجل التحق بها ١٠٠ من رجال الجندرمة بعثهم سيد ضياء الدين (انظر مثلا: D.N. Wilber, Riza Shah, P. 43)

(٧٦) حسن اعظام قدسي، كتاب خاطرات من . . ، ص ١٣ ـ ١٥، D.N. Wilber, Riza Shah, P. 43

(٧٧) حسن اعظام قدسي، كتاب خاطرات من. . . ص١٥.

هاجموا بسبب عدم صرف رواتبهم[٧٨]، وحتما كان هناك من يقف وراء هذه الشائعات كجزء من مخطط الانقلاب نفسه.

ظل مجلس الوزراء في اجتماع متواصل طيلة يومي ١٩ و ٢٠ شباط وقد اتخذ قرارا بالاجماع يقضي بارسال وفد يضم ممثلين عن الشاه والوزراء والسفارة البريطانية[٧٩] للالتقاء بقادة الانقلاب بهدف اقناعهم بعدم دخول المدينة، الا ان رضا خان رفض الاستجابة للطلب واكد للوفد ان القوزاق عازمون على اقامة حكومة قوية قادرة على «وقف الزحف البلشفي المتوقع اثر انسحاب القوات البريطانية»[٨٠].

التقى السفير البريطاني في ٢١ شباط بالشاه ونصحه بقبول شروط الانقلابيين بعد ان طمأنه على حياته (!). وبناء على اقتراح زعيم الانقلاب المدني ضياءالدين طباطبائي جعل الشاه الانقلاب من عمل يده وكأنه اراد منه، كما ادعى في بيان نشره بهذا الخصوص، وضع نهاية للازمات الوزارية المستفحلة[٨١].

وهكذا دخل الانقلابيون طهران وسيطروا على مداخلها ونقاطها الستراتيجية ووضعوا الحراسة على كل المؤسسات الاجنبية بداخلها وأطلقوا سراح جميع المعتقلين، وقد اختفى الوزراء والتجأ رئيسهم سبهدار الى دار السفارة البريطانية التي سرعان ماتركها بعد ان طمأنه الانقلابيون على حياته بتوسط من السفير نورمن. وبما ان الخطة كانت محبوكة بصورة جيدة فانه لم يسجل مايعكر صفو الامن سوى حالة واحدة عندما فتح مركز للجندرمة خطأ النار على الانقلابيين الذين عالجوا الموقف بسرعة، والا فان الحكومة لم تكن لديها امكانات المقاومة حتى فيما لورغبت في ذلك، وبلغت احتياطات الانقلابيين

---

(٧٨) S. L. Agayev, Op. cit., p. 57

(٧٩) ضم الوفد ممثلين عن السفارة البريطانية كان الملحق العسكري واحدا منهما.

(٨٠) (Documents on British Foreign Policy. 1919 - 1939), First Series, Vol. XIII, P. 729; (the Times). London, February 25, 1921.

(٨١) (Documents on BFP), Vol. XIII, pp. 730 - 731

حد انهم ضمنوا عدم توزيع العتاد على جندرمة العاصمة عشية الانقلاب، كما ان رئيس الوزراء، تقديرا منه للموقف، اصدر اوامره بعدم ابداء اي مقاومة للقوات الزاحفة[٨٢].

والان لنترك الحديث للسفير البريطاني هرمن نورمن الذي كان مقتنعا غاية الاقتناع بمثل ماوقع كاسلوب «لانقاذ» ايران من الحركة الثورية، وقد راقب الاحداث عن كثب وسجل وقائعها بدقة وزود اللورد كرزن بكامل تفاصيلها في سلسلة من المذكرات السرية التي لم يكشف النقاب عن جميعها حتى اليوم، ولكن، مع ذلك، بامكان ما في متناول اليد منها ان يلقي الضوء الكافي على اسرار خطيرة وعلى اساليب جديدة للتعامل مع شعوب الشرق.

بعث نورمن يوم الانقلاب، ٢١ شباط ١٩٢١، بمذكرة مفصلة الى اللورد كرزن تضمنت معلومات وافية عن الاحداث التي رافقته[٨٣]. وبعد اربعة ايام بعث بـ «برقية مستعجلة» و «سرية للغاية» للوزير نفسه تعتبر، على مانعتقد، اخطر وثيقة معروفة حتى الان عن انقلاب حوت. ففي ذلك اليوم، ٢٥ شباط، التقى نورمن لاول مرة بالسيد ضياءالدين طباطبائي بعد نجاح الانقلاب وارسل في اليوم نفسه بتفاصيل مادار بينهما الى كرزن. يقول نورمن نصا:

«اخبرني سيد «ضياءالدين طباطبائي ـ ك. م.) سرا بما يلي عن سياسته: . . . يجب الغاء الاتفاقية الانكلو ـ ايرانية، فمن دون ذلك لايمكن للحكومة الجديدة ان تباشر اعمالها. . . تتخذ الخطوات مباشرة لاستخدام عدد من الضباط والمستشارين البريطانيين في المؤسسات العسكرية والمالية بموجب عقود فردية وبدون اظهار اي نوع من الاتفاق بين الحكومتين، كما يجب عدم جلب الانظار الى نشاط هؤلاء قدر المستطاع، بينما يعلن للملأ ان الحكومة الايرانية تنوي جلب المستشارين من مختلف الدول الاوربية، فيدعى الفرنسيون والامريكان وربما الروس ايضا فيما بعد لاشغال مراكز في وزارات اقل اهمية. وتهدف الفكرة الى ارضاء الدول الاجنبية الاخرى قدر الامكان والى ذر الرماد في عيون البلاشفة والمتذمرين المحليين في وقت تودع فيه

---

(٨٢) Ibid, p. 735 : او. س. مليكوف. اقامة دكتاتورية رضا شاه في ايران. باللغة الروسية، موسكو، ١٩٦١، ص٢٥. (في الهوامش القادمة O. S. Melikov)

(٨٣) (Documents on British Foreign policy, 1919 - 1939), First Series, Vol. XIII, pp. 729 - 730.

إدارتـان اسـاسيتـان بيـد البـريطـانيين. . . يؤلف جيش ويحـل محل قواتنا في الجبهـة البلشفيـة[٨٤]. . . اصـدرت التعليمـات لرئيس الشـرطـة السويدي لرفع كفاءة قواته واضافة ٥٠٠ رجل اليها من اجل حماية السفارات شكليا ولكن في الـواقـع لمـراقبـة الممثـل السـوفيتي حال وصـولـه[٨٥] ولمراقبة النشاط البلشفي عموما. . . انه اشار الى ان كل مستقبل ايران ومستقبل بريطانيا العظمى في ايران يعتمد على فرصة عدة اشهر تمنح للحكومة الجديدة لتتخذ الاجراءات الدفاعية الضرورية (لصد الحركات الوطنية ـ ك. م.) والتي كان اهمالها جرما ارتكبه من سبقوه. . . ومن اجل التخلص من معاداة حكومة روسيا السوفيتية من المهم جدا اخفاء ميل الادارة الحالية نحو بريطانيا الى اقصى حد ممكن في الوقت الحاضر. وفي الختام قال اذا كانت بريطانيا العظمى ترغب في انقاذ موقعها هنا فعليها ان تضحي بالظل من اجل الجوهر وتبقى في الخلف تساعد ايران بنشاط ولكن بعيدا عن الانظار. انه متأكد من ان سياسة كهذه ستحقق في النهاية لبريطانيا العظمى فوائد اكبر من تلك التي تتوقعها من اتفاقية يتعذر تطبيقها»[٨٦].

وقبـل ان نتـابـع سيـر الاحـداث التي شهـدتها الساحة الايرانية بعد نجاح انقلاب حوت نورد ايضا بعضا من اقوال رضا خان وما قيل عنه ايام الانقلاب لانها تساعد بدورها على فهم افضل لمجرى الامور في فترة حرجة من تاريخ ايـران المعـاصـر. فحسبمـا تؤكـد «تـايمس» في عددها الصادر يوم ٢٥ شباط ١٩٢١ ان رضا خان اعلن امام الوفد الذي زاره في مهر آباد يوم الانقلاب انه سوف يقوم «باحتلال العاصمة ويعمل من اجل اقامة حكومة عسكرية تكون قادرة على حماية المدينة بعد انسحاب القوات البريطانية» من ايران. وتضيف الجريدة قائلة: «انه اظهر نفسه عدوا للبلشفية ومؤيدا للانكليز». ويؤكد دونالد

---

(٨٤) يقصد الحدود الشمالية لايران المحاذية للحدود السوفيتية. وكان البريطانيون يرغبون في ذلك حتى يتسنى لهم سحب قواتهم للتخلص من اعبائها المالية طبقا لسياستهم المرسومة انذاك.

(٨٥) كان من المقرر ان يصل ايران الممثل السوفيتي في تلك الايام

(٨٦) (Documents on British Foreign policy, 1919 - 1939), First Series, Vol. XIII, pp. 731 - 732.

من الجدير بالذكر ان السفير بعث بصورة من مذكرته هذه الى الادارة البريطانية في كل من الهند والعراق.

ولبر في كتابه «رضا شاه بهلوي» انه وضع خطة الانقلاب بعلم السفارة البريطانية التي صرفت، كما يؤكد هو، الاموال اللازمة لتمويل قوات القوزاق المتوجهة من قزوين الى طهران بما في ذلك ٤٠ الف تومان لشراء الملابس لافرادها و ٦٠ الف تومان للصرف عليها في الطريق[٨٧]. وقد ذكر شاهد عيان هو الضابط البريطاني سمث الذي كان يعمل في صفوف القوزاق ايام الانقلاب، ذكر امام الجمعية الاسيوية المركزية بلندن بمناسبة مرور خمسة اعوام على انقلاب حوت ان الانقلابيين «طلبوا مني الاستشارة العسكرية فابديتها لهم بصفتي خبيرا»[٨٨]. ومما له مغزاه ايضا مايذكره ولفرد كناب عن تعهد رضا خان للجنرال آيرونسايد، رجل المخابرات الذي كان على افضل علاقة به والذي اجتمع به قبل الانقلاب بتسعة ايام بان لايعمل في سبيل ان يصبح شاها[٨٩].

ان كل ما جرى بعد الانقلاب كان ترجمة امينة لاقوال قائديه ووعودهما.

تألفت حكومة الانقلاب بالصورة التي اتفق عليها رضا خان وضياءالدين طباطبائي. فقد اصبح الاخير رئيسا للوزراء واشترك معه في الوزارة احد قادة الانقلاب وهو مسعود خان كيهان الذي اصبح وزيرا للحربية، كما عين كاظم خان سياح، هو الاخر من قادة الانقلاب، حاكما عسكريا على طهران. اما رضا خان فقد عين قائدا اعلى للقوازق ومنح لقب «سردار سباه» (قائد الجيش) وقلده الشاه بالمناسبة سيفا ذهبيا مرصعا بنفسه [٩٠].

منذ الليلة التي دخل فيها القوزاق العاصمة باشر الانقلابيون بشن حملة اعتقالات يومية واسعة داخل العاصمة وخارجها. ففي طهران وحدها جرى اعتقال ما لايقل عن ٢٠٠ شخص كانوا يمثلون فئتين متناقضتين ـ الاحرار وكبار المسؤولين السابقين، بل «ان معظمهم كانوا من المعادين لبريطانيا» كما اكد نورمن لكرزن يوم الانقلاب[٩١].

في اليوم الخامس بعد الانقلاب نشر رئيس الوزراء الجديد بيانا منفصلا

---

(٨٧) D. N. Wilber, Riza Shah, pp. 40, 42

(٨٨) مقتبس من S. L Agayyev. Op. cit., pp 55. 207

(٨٩) W Knapp op. cit., p 25

(٩٠) O.S. Melikov. Op Cit., P. 27; D.N. Wilber. Op. Cit., P. 49.

(٩١) (Documents on British Foreign Policy. 1919 - 1939). First Series Vol. XIII. p 730;

حسن اعظام قدسي. كتاب خاطرات من. ص٢٠

للشعب جاء متوافقا في كل شيء مع الاهداف غير المعلنة للنظام الجديد[٩٢]. فقد اتسم البيان، الذي علق فوق جدران العاصمة طهران، باسلوب حماسي مثير للمشاعر الوطنية. فقد اشار في مستهله الى مآل اليه وضع البلاد والمواطنين في «ظل العملاء» والى «خرق الدستور الذي فرضه ابناء الشعب بدمائهم منذ خمسة عشر عاما» مما ادى الى ان يسود البلاد «حكم ملوك الطوائف القروسطي»، فانتشر الفساد وراجت الخيانات، واستأثر بضع مئات من «الاشراف والاعيان» بثروات البلاد الى ان «بزغ فجر الانعتاق وحان يوم الانتقام» في الثالث من حوت.

حدد البيان الخطوط الاساسية ليساسة الانقلابيين على الصعيدين الداخلي والخارجي بالاسلوب نفسه. فبالنسبة للاول منهما اكد على ضرورة اصلاح النظام المالي والقضائي وتطوير التعليم والاهتمام بالتجارة والصناعة والطرق ووسائط النقل. اما بالنسبة للجيش فقد ذكر البيان: «الجيش قبل وفوق كل شيء وكل شيء للجيش اولا ومرة اخرى للجيش... الى ان تبلغ قواتنا المسلحة المرحلة الاعلى من التطوير»[٩٣].

ويتطرق البيان باسلوب ديماغوغي الى وضع الكادحين فيقول «من الضروري الاعتراف بعمل العمال والفلاحين ومعاناتهم، فقد ولى عهد اضطهادهم»، ثم يؤكد نية الحكومة الجديدة توزيع الاراضي الاميرية على الفلاحين وتقنين علاقاتهم بالملاكين و «اعادة تكييفها» مع الاخذ بنظر الاعتبار «تحسين ظروف الفلاحين».

اما على صعيد السياسة الخارجية، وهنا بيت قصيد الانقلاب، فقد اكد البيان «عزم الحكومة» على التخلص من القروض الخارجية و «اعادة النظر في بعض الامتيازات الممنوحة للاجانب» و «البحث عن المساعدة من اي دولة اجنبية بحرّية» والغاء المحاكم القنصلية، ثم اعلن عن قرار «الغاء الاتفاقية الانكلو ـ الايرانية» وتمنى ان يزول «كل سوء تفاهم بين الشعبين» الايراني

---

(٩٢) راجع نص البيان في حسن اعظام قدسى، كتاب خاطرات من. ص ١٦ ـ ٢٠

(٩٣) يؤكد دونالد ولبر ان رضا خان هو الذي صاغ هذا الجزء من البيان (D N Wilber. Riza Shah. P. 49)

والانكليـزي ليعبـر بعـد ذلـك عن الـرغبـة في «اقامة علاقة صداقة» مع روسيا السوفيتية. ولتتجسد الصورة اكثر وقعت حكومة ضياءالدين طباطبائي في نفس اليوم معاهدة للصداقة مع الاتحاد السوفيتي(!!).

كان من الطبيعي ان يبعث البيان الارتياح في نفوس الاوربيين، ولاسيما الانكليز منهم كما اكدت «تايمس» في عددها الصادر يوم ٣ اذار ١٩٢١. وبعـد يومين فقـط من نشـر البيـان بعث السفيـر نورمن بتقـريـر الى كرزن عن محتواه الذي لخصه في ثلاث عشرة نقطة رئيسية[٩٤]. ومن الجدير بالذكر ان نورمن عندما يتطرق في تقريره الى موضوع «الغاء المحاكم القنصلية» يؤكد لكـرزن ان ضيـاءالـدين اخبـره «بصـورة خاصـة» بان اتخـاذ هذا الاجـراء امـر ضروري «نظرا لوجود عدد كبير من الاذربيجانيين والارمن والافغان ولاسيما الروس ممن يعيشون في البلاد ولكن دون ان يخضعوا للتشريعات المحلية».

وقبـل ضيـاء الـدين نشـر رضـا خان بيانا علق هو الاخر فوق جدران العاصمة ورد فيه تأكيده على ضرورة «تأسيس حكومة لا تكون العوبة بيد الاجانب، حكومة يكون تأسيس الجيش الهدف الاساس لبرنامجها»[٩٥].

لم يتخذ النظام الجديد اي اجراء جدي لتطبيق مايتعلق بوعوده السخية على صعيد السياسة الداخلية، فان كل مافعله في هذا المجال لم يتعد بعض الاجراءات الفوقية قصد منها الهاء الناس من قبيل حصر كتابة القطع فوق واجهات المحلات والمخازن على اللغة الفارسية وفرض الحجاب على المرأة وحظر استخدام المسلمات في دور الاوربيين ومنع بيع المشروبات الروحية التي راجت نتيجة لذلك في السوق السوداء واجراءات صورية اخرى[٩٦]، بينما نراه، بالمقابل، يستعجل الخطى في تطبيق سياسته الخارجية حسب الخطة المـرسـومـة المعلنـة منهـا وغيـر المعلنة. فكما اسلفنا وقعت حكومة الانقلاب معاهدة للصداقة مع الاتحاد السوفيتي في نفس اليوم الذي نشر فيه رئيسها ضياءالدين طباطبائي بيانه العتيد للشعب والعالم وتماما في وقت اوقف فيه السفير السوفيتي الجديد لمدة عدة اسابيع على الحدود الفاصلة بين البلدين.

---

(٩٤) (Documents on BFP). First Series. Vol. XIII. p. 734

(٩٥) S. L. Agayev. op. cit., pp. 58 - 59

(٩٦) O. S. Melikov. op. cit., p. 31

وحسب الخطة اعلن رئيس وزراء الانقلاب بعد فترة وجيزة (في اواسط نيسان) عن الغاء معاهدة ١٩١٩ مع بريطانيا بصورة رسمية ونشر بيانا للشعب بالمناسبة عبر فيه عن «غبطته العظمى» لان ذلك جرى في عهده[٩٧]

وبنفس السرعة تقريبا باشر سيد ضياءالدين في سكرت تام باستخدام المستشارين البريطانيين في اكثر اجهزة الدولة حساسية. فبعد مرور اقل من ثلاثة اسابيع على نجاح الانقلاب. طلبت حكومته من لندن ٢٠ مستشارا عسكريا و ١٠ خبراء ماليين. و (للذر الرماد في العيون) طلبت في الوقت نفسه عددا من الخبراء القانونيين الفرنسيين والزراعيين الامريكان مع ١٥ ضابطا سويديا لا للعمل في الجيش بل لاستخدامهم في «صفوف الجندرمة في الشمال»[٩٨]. وفي الوقت نفسه استمر ضياءالدين في استغلال كل فرصة جديدة للتأكيد، طبعا سرا، على اخلاصه للبريطانيين وحرصه على انقاذ مصالحهم في ايران وفاء منه «للصداقة التي بين البلدين منذ قرون ثلاثة» كما اكد لنورمن والاخير لكرزن[٩٩].

لم يكن بوسع سيد ضياءالدين طباطبائي، مهما تفنن، اخفاء نواياه الحقيقية، فانكشفت اوراقه بسرعة، وعجز نظامه عن حل العديد من المشاكل التي جابهها، بله عن اداء اهم المهمات التي اقتضت ظهوره. فقد اشتدت الحركة الوطنية الايرانية في عهده وتوحدت جهود فصائلها في الشمال كما انها بدأت تنتشر في المناطق الاخرى ايضا، منها العاصمة طهران التي شهدت توزيع النشرات والصور الكاريكاتيرية المعادية لطباطبائي[١٠٠].

وتعقدت في الوقت نفسه الظروف المالية لحكومة الانقلاب، خاصة جراء صرفها بسخاء على القوزاق ولعدم الانتهاء من البت في موضوع عقد قرض جديد مع بريطانيا. وقد حاول طباطبائي معالجة الازمة المالية باساليب «زادت الطين بلة»، ففرض ضرائب جديدة، واصدر عملة ورقية ذات فئة الف تومان رصيدها قروض اجبارية على حساب واردات الاراضي الاميرية[١٠١]. كما انه حاول ابتزاز

---

(٩٧) حسين مكى، تاريخ بيست ساله ايران، جلد اول. ص٨١٤ - ٨١٥

(٩٨) (Documents on BFP). First Senries. Vol. XIII, p. 739

(٩٩) Ibid, pp. 742 - 744

(١٠٠) O.S. Melikov. Op. Cit., P. 33.

(١٠١) D.N. Wilber. Riza Shah. P. 25.

المعتقلين السياسيين بان طالبهم بمبالغ طائلة لقاء الافراج عنهم بلغ مجموعها حوالي ٦٠ مليون تومان[١٠٢]. ولتمرير خطته هذه اشاع بين الناس انه ينوي تقديم قسم من المعتقلين الى المحاكم العسكرية وتنفيذ حكم الموت بحقهم دون تأجيل[١٠٣]، الامر الذي لم يسفر سوى عن اثارة الارستقراطيين اكثر.

وهكذا بقي سيد ضياءالدين وحيدا في الميدان. فقد اصيب المخدوعون بخيبة اعادتهم الى صوابهم بسرعة، ومنذ البداية رأى فيه معظم الديمقراطيين عميلا لبريطانيا، واكتشف اليمينيون عجزه في قمع الحركة الوطنية - احدى اهم مهماته، وكان رجال البلاط والارستقراطيون ينظرون اليه بتعال، والشاه يشك في اخلاصه، اما العوام فانهم لم يحصلوا منه على خبز ارخص ووضع افضل. ومن هنا فهم الانكليز جيدا ان «بوسع سيد ضياءالدين ان يفعل القليل نسبيا لجذب الرأي العام وكسبه» حسب تعبير دونالدولبر[١٠٤].

إذن كان لابد من شخص اقوى من ضياءالدين طباطبائي يستطيع فعلا القضاء على المعارضة، ولا يكون موضع شك مثله، ولابأس، طبعا، في ان تكون لديه ميول قومية. هذا بالتحديد هو الذي مهد الطريق لتأسيس الاسرة البهلوية عبر درب معقد ناور فيه الجميع ولم يحقق احد منه كل ما اراد سوى رضا خان حسبما نعتقد وكان ابعاد ضياءالدين عن الحكم بواسطة ما يمكن تسميته بالانقلاب الثاني هو الخطوة المهمة الاولى على ذلك الدرب.

الانقلاب الثاني:

كان رضا خان يعرف «من اين تؤكل الكتف»، فترك «زميله» ضياءالدين طباطبائي يتورط في مشاكله لينعزل عن الجميع بينما انهمك هو في تعزيز مواقعه داخل الجيش الذي حقق له مكاسب كثيرة في الاشهر التي اتبعت الانقلاب، فكسب عددا اكبر من الضباط، وعين بعضهم في مراكز حكومية حساسة. ومن جانب اخر كان يحاول فرض نفسه كصاحب شرعي وحيد

---

(١٠٢) ايران المعاصرة . مجموعة مؤلفين باشراف البروفسور. ن راخودير باللغة الروسية. موسكو ١٩٥٧. ص ٣٠٧ (في الهوامش القادمة . (Contemporary Iran)

(١٠٣) (Documents on BFP 1919 - 1939). First Series. Vol XIII. P 732. O.S. Melikov. Op. Cit., PP 33 - 34.

(١٠٤) D N Wilber Riza Shah, p. 52

لانقــلاب حوت، فمنــذ اليــوم الاول لتأسيس وزارة طبــاطبـائي كان يحضـر اجتماعاتها بانتظام ويبدي رايه في كل صغيرة وكبيرة مع انه لم يكن عضوا في الوزارة[١٠٥]. وغالبا ماكان رضا خان يتجاهل ضياءالدين ولايستشيره حتى في الاعمال التي كانت تدخل في صلب صلاحيات شخص رئيس الوزراء. وعادة كان يتقرر مصير الامور التي يظهر الخلاف حولها بين رضا خان وضياءالدين حسب مشيئة الاول منهما، كما حصل، مثلا، بالنسبة للجندرمة التي تقرر ربطها بوزارة الحربية لا بوزارة الداخلية كما اراد رئيس الوزراء والح عليه.

وعنـدمـا لم تفـد محـاولاتـه عن طريق البـريطانيين لاقناع رضا خان بعدم تخطي حدوده فكـر ضيـاءالـدين في اسلوب اخـر يمكنـه من ابعـاده عن قيـادة القوزاق لعلمه بانه لايستطيع اتخاذ اي اجراء فعلي ضده وهو في منصبه ذلك، فعينه وزيرا للحربية. الا ان حساباته لم تكن دقيقة، فانه قدم بنفسه «طبخة غداء دسمـة» لغـريمـه دونمـا ان يحتـاج الاخيـر للتفكيـر بالعشـاء الـذي اعـد ضياءالدين العدة لاقامته، فقد رحب رضا خان بمنصب وزير الحربية دون ان يتنازل قيد شعره عن قيادته للقوزاق، فتأزمت العلاقات بينهما اكثر من السابق، بحيث اصبح واضحا في آيار انه لابد لاحدهما ان يبقى وحيدا في الميدان. وبمــا ان كفـة الميـزان كانت راجحـة لصـالـح وزيـر الحـربيـة حسب جميـع الحسابات والتوقعات، فقد اصدر الشاه يوم ٢٥ ايار بناء على طلب رضا خان فرمانا يقضي باقالة ضياءالدين طباطبائي بعد ان دام حكمه مدة ٩٣ يوما فقط، فجاء ذلك عمليا بمثابة انقلاب ثان ولكن تحت قيادة واحدة لا مزدوجة هذه المرة.

عرض سفيرا الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية حق اللجوء السياسي على ضياءالدين طباطبائي الذي رفض الطلب وقرر ترك البلاد الى جهـة اخـرى. وتبين فيمـا بعـد ان رضـا خان كان ينـوي اعتقال غريمه الا ان تدخل البـريطـانيين حال دون ذلك. وعلى مايبدو ان السفير السوفيتي نصح بدوره رضا خان بان لا يعتقل حليفه السابق «النبيل المعادي للشيوعية الذي رفض اللجوء الى السفارة السوفيتية»[١٠٦].

---

(١٠٥) Ibid. p. 50

(١٠٦) Ibid P. 54.

كل الدلائل تشير بوضوح تام الى ان ضياءالدين طباطبائي إنْ لم يكن الرجل الاول للانكليز في ايران ما بعد الحرب الاولى فانه كان، حتما، في مقدمة اشد الموالين لهم هناك. مع ذلك فان التاريخ اللاحق لهذا الرجل حتى مماته في اب ١٩٦٩ يستحق التأمل، وخلاصته انه بعد ان خرج من طهران انتقل عن طريق بغداد الى اوربا حيث عاش في سويسرا والمانيا لعدة سنوات ثم استقر في فلسطين. وفي مطلع العام ١٩٢٦ رشح نفسه غيابيا لعضوية المجلس بعد ان بلغ رضا خان العرش، فكان من بين النواب الذين نالوا اعلى الاصوات. في هذا الوقت عرضت عليه الحكومة الافغانية منصب مستشار في البلاط، لكنها سحبت عرضها في اللحظة الاخيرة تحت ضغط رضا شاه وربما الانكليز ايضا. في كانون الاول عام ١٩٣١ اشترك طباطبائي في المؤتمر الاسلامي الذي عقد في القدس واختير سكرتيرا للمكتب المركزي الذي اسسه المؤتمر.

استمر ضياءالدين طباطبائي في معارضته لرضا شاه، فقد اعتبر حكمه «نقيضا لافكاره هو»[١٠٧]، لذا لم يرجع الى وطنه لغاية العام ١٩٤٣، اي بعد سقوط رضا شاه بحوالي سنتين. وبعد عودته وقف من جديد ضد المد الديمقراطي الذي عاشته البلاد يومذاك، مع ذلك فقد انتخب عضوا للدورة الرابعة عشرة للمجلس الذي بدا اعماله في شباط ١٩٤٤. وفي اواخر ذلك العقد ترك طباطبائي الاشتراك الفعال في الحياة السياسية وطرأ تغيير جذري في موقفه، فقد دعا في السنوات الاخيرة من عمره الى حياد ايران وادان التكتلات العسكرية في المنطقة وطالب بتطوير علاقات بلاده مع المعسكر الاشتراكي[١٠٨].

كان سقوط سيد ضياءالدين طباطبائي يعني ظهور امكانات اضافية امام رضا خان لتثبيت مواقعه وتوسيع نفوذه، الامر الذي قربه من العرش اكثر ولكن بعد ان استمرت الدوامة السياسية في البلاد لفترة اخرى من الزمن.

---

(١٠٧) W. Knapp, Op. Cit., P. 24

(١٠٨) S.L. Agaev, Op. Cit., PP. 73 - 74

استمرار الدوامة:

بعد ان نجح رضا خان في ابعاد ضياءالدين طباطبائي عن الحكم حاول الجميع، حسب العادة، القاء تبعة كل السلبيات والمشاكل التي حدثت على عاتق الرجل المهزوم واظهاره للملأ كعميل للبريطانيين وعدو للايرانيين واظهار رضا خان، بالمقابل، في ثوب الوطني المخلص الذي لا شائبة عليه.

وكان البريطانيون، على مايبدو، يميلون الى تكليف رضا خان بتأليف الوزارة الجديدة، الا ان احمد شاه اعترض على ذلك[١٠٩]، كما رفض مشير الدولة ومن بعده مستوفي الممالك المهمة من جانبهما. واخيرا وقع الاختيار على شقيق وثوق الدولة احمد قوام (قوام السلطنة) الذي يفسر المؤرخ الايراني ابو الفضل قاسمي مجيئه الى رئاسة الوزارة في كتابه «تاريخ سياه» (التاريخ الاسود) على النحو التالي:

«ان خدمات قوام السلطنة للانكليز ومساعداته للقنصل البريطاني العام في مشهد لتوسيع شبكة التجسس ضد روسيا وايصاله لرجال مخابرات الانكليز الى تركستان - كل ذلك ساعده على ان يصبح رئيسا للوزراء»[١١٠].

الف قوام السلطنة الذي خرج لتوه من السجن وزارته يوم ٤ حزيران ١٩٢١، والتي لم يختلف منهاجها في شيء عن منهاج سلفه ضياءالدين طباطبائي سواء فيما يخص سياسة ايران الخارجية او سياستها الداخلية. والى ان اصبح رضا خان رئيسا للوزراء فيما بعد اصبحت حقيبة وزارة الحربية حكرا عليه في جميع الوزارات التي تعاقبت على حكم البلاد كما نلاحظ ذلك فيما بعد. اما بقية الحقائب الوزارية فقد جرى توزيع معظمها على العناصر الليبرالية التي تعاونت، على النقيض من الرئيس نفسه، مع الالمان في سنوات الحرب العالمية الاولى. فقد اصبح محتشم السلطنة وزيرا للمعارف العامة ومشاورالسلطنة وزيرا للبرق والبريد وعميد السلطنة وزيرا للعدل واديب السلطنة وزيرا للفوائد العامة والتجارة والفلاحة وحكيم الدولة وزيرا للصحة ومستشار الدولة وزيرا مشاورا[١١١].

---

(١٠٩) حسين مكي، تاريخ بيست ساله ايران. جلد اول. ص٢٣٣.

(١١٠) مقتبس من: O.S. Melikov, Op. Cit., PP. 33 - 34

(١١١) - العراق - (جريدة)، بغداد ١٤ حزيران ١٩٢١

دشن قوام السلطنة عهده بتركيز اهتمامه على القضاء على الحركة الوطنية الايرانية، ولاسيما على انتفاضتي كيلان وخراسان. ولكن بالرغم من ذلك ازداد الشعور المعادي للبريطانيين ومصالحهم، بل لكل الاجانب الذين عانت الجماهير الايرانية منهم الامرين على مدى عقود طوال. ولم يكن عبثا ان اعترف اللورد كرزن صراحة في خطاب مفصل له القاه امام مجلس اللوردات بفشل سياسة بلاده تجاه ايران[١١٢]. وكتعبير عن ذلك جرى تغيير السفير هرمن نورمن بآخر جديد هو بيرسي لورين.

ومع ان الهدف الاساس لسياسة بريطانيا نحو ايران بقي يتوخى، كما في السابق، تأسيس حكومة قوية تقضي على الحركة الوطنية في الداخل وتحمي الهند والعراق وغيرهما من «الخطر البلشفي» وتضمن المصالح النفطية لبريطانيا في الجنوب، الا ان لندن اجرت تعديلات معينة على ممارساتها بعد فشل تجربة ضياءالدين طباطبائي. فمن اجل ترويض بعض الساسة الايرانيين بدات منذ اواخر عام ١٩٢١ تمارس قدرا من الضغط وتعود الى جوانب من سياستها التقليدية، فطلبت بجدولة جميع الديون البريطانية المترتبة على ايران كما باشرت من جديد بتقوية النزعة الانفصالية لدى الزعماء العشائريين في الجنوب. وقد ركزت في ذلك على البختياريين الذين بدأوا يتحركون بصورة منظمة بقيادة ماعرف بحزب «النجمة البختيارية» كما نشطت القنصلية البريطانية في شيراز باتجاه تحريض عشيرة قشقائي المعروفة. وجرت محاولات مشابهة لتحريك عشائر لورستان وغيرها. بل هناك مايؤشر الى ان بريطانيا بدات تفكر حتى بالعودة الى روح اتفاقية ١٩٠٧ بترك الشمال والتركيز على الجنوب[١١٣]. فا لسفير البريطاني الجديد لورين اشار اكثر من مرة الى السفير السوفيتي حول ضرورة احياء الاتفاقية المذكورة، الا ان الاخير تجاهل الامر حسبما يؤكد المؤرخ البريطاني ل. فيشر في كتابه «السوفيت في القضايا الدولية»[١١٤].

---

(١١٢) S L Agayev. Op. Cit., p. 83

(١١٣) Ibid, pp. 84 - 85; M. E. Yapp. Op. cit., p. 22

(١١٤) L. Fischer. The Soviets in World Affairs. A History of the Relations Between the Soviet Union and the Rest of the World. 1917 - 1929. Vol. 1. Princeton. 1951. P. 429. (S.L. Agayev. Op. Cit., P. 84).

في خضم هذه الاحداث الحاسمة استمر نجم رضا خان في الصعود، ولاسيما انه ظل يعمل بذكاء من اجل تعزيز مواقعه ولكسب اكثر مايمكن من الاوساط الاجتماعية المؤثرة. فقد استغل ظروف الاحكام العرفية لفرض اعوانه في المقاطعات. اذ غير حاكم اذربيجان مصدق السلطنة (الدكتور مصدق) وحاكم مازندران اقتدار الدولة وعين مكانهما اثنين من اعوانه العسكريين. ومن اجل كسب الجيش اكثر استمر في العمل على تطويره وضمان المكاسب لضباطه. ويكفي القول هنا انه بتأثير منه جرى تخصيص ٤٩٪ من ميزانية الدولة للعام ١٩٢٢ للصرف على القوات المسلحة. وبالرغم مما يعنيه هذا الرقم لوحده الا ان حقيقته تتجسد اكثر اذا علمنا اولا ان عجز الميزانية في تلك السنة بلغ ثلاثة ملايين ونصف مليون تومان (كان الدخل ١٩,٣ مليون تومان والصرف ٢٢,٨ مليون)، وثانيا ان الحكومة عجزت عن صرف رواتب موظفي معظم دوائر الدولة لمدة تتراوح بين ستة وثمانية اشهر، واخيرا ان مخصصات التعليم في الميزانية المذكورة لم تتجاوز ١٪، اي اقل بمقدار ٤٩ مرة من مخصصات الجيش، فأصبح طلاب مدارس طهران ومدرسوها على حق حينما قاموا بمظاهرة احتجاج رفعوا خلالها شعارا معبرا يقول: «لقد دفن التعليم!»(١١٥). ولم يستطع الدكتور مصدق الذي عينه قوام السلطنة وزيرا للمالية خصيصا، معالجة الازمة الاقتصادية المستفحلة(١١٦).

وقد تحول كل ذلك الى عوامل لتنشيط المعارضة لحكومة قوام السلطنة. ففي مطلع عام ١٩٢٢ ظهر ما عرف بـ «الكتلة الوطنية» التي نشطت داخل المجلس وخارجه، وقد ضمت عددا من التنظيمات السياسية الجديدة التي اعتبرت نفسها احزابا اشتراكية مثل «الحزب الاشتراكي الديمقراطي» بزعامة سليمان مرزا اسكندري وحزب «الاشتراكيين المستقلين» وغيرهما. وقفت الكتلة ضد قوام السلطنة وطالبت بحماية استقلال البلاد مما ساعد على عزل الوزارة القائمة.

---

(١١٥) للتفصيل حول هذه الحقائق راجع:
O.S Melikov. Op. Cit., PP. 46 - 47؛ D.N. Wilber. Riza Shah. P 59.

(١١٦) D. N. Wilber Riza Shah. p. 57

ومن جهة اخرى كان من الطبيعي ان يتفجر الخلاف بين رضا خان وقوام السلطنة بسرعة، فلم يكن من الصعب على الاخير ادراك المرامي البعيدة لوزير حربيته الذي استمر، كالسابق، لايعير رئيس الوزراء اهتماما يذكر. وقد اشتد الخلاف بينهما بسبب السياسة المالية للحكومة في مطلع عام ١٩٢٢ وانتهى باستقالة قوام في ٢٠ كانون الثاني.

بعد يومين الف مشير الدولة الوزارة الجديدة على اساس الائتلاف بين الاتجاهات المختلفة داخل المجلس. وفضلا عن رضا خان دخل وزارته اثنان اخران من اعضاء وزارة ضياءالدين طباطبائي كان مشير الدولة يأمل نيل المساعدة المالية البريطانية بواسطتهما.

في هذه الفترة ازداد الدور الامريكي في السياسة الايرانية. فقد اتخذت الحكومة السابقة خطوات جدية للتقرب من الولايات المتحدة حينما بعث رئيسها قوام السلطنة في تموز ١٩٢١ حسين خان علاء، وكان من الدبلوماسيين النشطين، سفيراً لبلاده لدى واشنطن. وبموجب تعليمات قوام كان على علاء ان يحاول الاتفاق مع شركات نفط امريكية لاستغلال نفط الشمال ونيل قرض من الولايات المتحدة. وقبل سقوط وزارته توصل قوام السلطنة الى اتفاق يقضي بمنح شركة ستاندرد اويل الامريكية المعروفة امتياز استغلال نفط الشمال لمدة خمسين عاما، وتصدت الشركة من جانبها بالعمل من أجل منح الولايات المتحدة ايران قرضا بمبلغ خمسة ملايين دولار. وعندما عرض رئيس الوزراء الاتفاق على المجلس في اواسط تشرين الثاني ١٩٢٢ وافق عليه بالاجماع(١١٧).

سارت حكومة مشير الدولة على نفس النهج الذي سرعان ما انعكس صداه في الدوائر السياسية والمالية الامريكية. فلم تمض على تأليف وزارة مشير الدولة ايام معدودات حتى بعثت الحكومة الامريكية بمذكرة الى الحكومة الايرانية تؤكد فيها ان «الولايات المتحدة الامريكية مهتمة جدا بمبدأ «الباب المفتوح»(١١٨)... وتولي موضوع ضمان امكانات للمصالح الامريكية

---

(١١٧) Ibid, p. 60. S. L. Agayev. Op. cit., pp. 88 - 89

(١١٨) «الباب المفتوح» مصطلح سياسي استخدمه المسؤولون الامريكان لاول مرة في العام ١٨٩٩ عندما حاولوا إجبار الدول الكبرى الاخرى على فتح ابواب الصين امام مصالح الولايات المتحدة ايضا.إزداد ترديد «مبدأ الباب المفتوح» على لسان المسؤولين الامريكان بعد الحرب العالمية الاولى في مجال سياسة النفط الدولية. وقد اصبحوا يقصدون به هذه المرة فتح ابواب المناطق النفطية الخاضعة للدول الاخرى امام الشركات الامريكية.

في ايران مشابهة لتلك المصالح التي يتمتع بها اي امة اخرى، بالغ اهتمامها». وقد ورد في رد الرئيس الايراني بتاريخ ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٢ انه «سوف يبذل كل ما في وسعه من اجل ضمان هذا المبدأ»[١١٩].

اثار موضوع التقارب الايراني ـ الامريكي قلقا جديا بين الاوساط الحاكمة البريطانية التي لجأت الى سلاحها القديم ـ اثارة العشائر ومحاولة عزل العاصمة عن جنوب البلاد وغربها. فتحول هذا الى عامل جديد لزعزعة موقع مشير الدولة الذي اشتد في الوقت نفسه الخلاف بينه وبين وزير حربيته رضا خان لاستمراره على سياسة استغلال كل فرصة لتعزيز مواقعه. فتقديرا منه لسمعة «الكتلة الوطنية» بدأ في تلك الفترة بالتقرب منه. كما واتت رضا خان فرصة مناسبة لضرب الصحافة المعارضة له. ففي ١٦ شباط ١٩٢٢ نشرت جريدة «ستاره ء ايران» (نجمة ايران) مقالة لمناسبة قرب الذكرى الاولى لانقلاب حوت حاولت فيها جعل نصرت الدولة، وهو من كبار الساسة الموالين للبريطانيين، العقل المدبر للانقلاب. فقد كتبت ان نصرت الدولة هو الذي خطط للانقلاب مع المسؤولين البريطانيين في بغداد[١٢٠] الا ان ضياء الدين طباطبي عرف كيف يستغل الظرف لصالحه.

وبعد خمسة ايام، اي بالتحديد يوم ذكرى الانقلاب، جاء رد رضا خان المفصل على مانشرته الجريدة فدبج بيانا مسهبا اراد منه، كما ادعى، «وضع نهاية حاسمة لكل المضاربات حول الحدث»، وتهجم فيه بعنف على الصحافة «لتحويرها الحقائق». ثم عرض نفسه في الثوب الذي كان مرغوبا يومذاك:

ان الذين صنعوا الانقلاب «هم وحدهم الرجال الذين ادركوا مدى ضغط الاجنبي ومدى ضعف دولتنا. ارجال الذين قضوا حياتهم في صفوف الجيش. الرجال الذين احسوا بالنوايا الشريرة للخبراء الاجانب ممن ارادوا تخريب البلاد. الرجال الذين غامروا بحياتهم في الصحارى والجبال خدمة لوطنهم».

---

(١١٩) A C Miltspaugh (Pn. D). The Amencan Task in Persia. New York - London. 1925. pp. 316 - 317

(١٢٠) مقتبس من D.N. Wilber. Riza Shah. PP. 62 - 63.

واختتم بيانه بالقول: « لاتخطئوا ولا تضيعوا انفسكم كالعميان بحثا عن مدبر الانقلاب، انني اعتبر من الشرف ان اعلن بانني انا المدبر الحقيقي للانقلاب، فانني انا الذي اخترت هذا الطريق وكذلك انني انا الذي لست نادما على مافعلت»[١٢٠].

وفي الوقت نفسه اتخذ رضا خان اجراءات صارمة ضد الصحفيين المعارضين واغلق العديد من جرائد العاصمة منها «ستاره‌ء ايران» و «ستاره‌ء شرق» (نجمة الشرق) «ونجاة ايران» (خلاص ايران). وخوفا من الاعتقال اضطر بعض الصحفيين الى اللجوء الى مسجد الشاه عبدالعظيم جنوبي طهران، بينما لجأ فروغي، محرر جريدة «طوفان»، الى دار السفارة السوفيتية. بعد فترة اكمل رضا خان المسرحية عندما استغل احتجاج جريدة «حقيقت» (الحقيقة) على تصرفات بعض الضباط المخزية فطلب من مشير الدولة غلق الجريدة، وعندما رفض رئيس الوزراء الاستجابة لطلبه هدده بالاعتقال شخصيا مما دفعه الى تقديم استقالته في ايار ١٩٢٢[١٢١].

استغرق تأليف الوزارة الجديدة هذه المرة حوالي شهر كامل، وهو ماكان يرغب فيه رضا خان. واخيرا عهد الى قوام السلطنة ثانية تأليف الوزارة في حزيران وقد نشر بيانا بالمناسبة اعلن فيه عن استمراره على نهج وزارته الاولى مؤكدا على ضرورة حل مشاكل البلاد المالية والبت في مسألة النفط.

بالنسبة للموضوع الاخير طرأ بعض التغيير في الموقف البريطاني منه. فقد ادرك الانكليز انهم لايستطيعون في ظروفهم المحددة مقاومة التغلغل الامريكي في ايران حتى النهاية، لذا اختاروا طريق المساومة مع واشنطن لاستغلال ثروات ايران معا بدل اتخاذ موقف متشنج يكون من شأنه تعميق ازمتهم داخل ايران. ان الوثائق المتبادلة بين لندن وواشنطن حول هذا الموضوع تبين بوضوح[١٢٢] ابعاد السياسة الجديدة التي دفعت بالانكليز للرضوخ لسياسة «الباب المفتوح» الامريكية بالنسبة لايران كما فعلوا الشيء نفسه بالنسبة للعراق في حينه. وجراء ذلك تم التوصل الى اتفاق للتعاون بين شركة ستاندرد

---

(١٢١) Ibid, p. 63: O. S. Melikov. Op cit. p. 47

S. L. Agayev. Op. cit., pp. 102 - 103

اويل الامريكية وشركة النفط الانكلو - ايرانية البريطانيه.

الا ان الامر اثار هذه المرة السوفيت بشدة، خاصة لان اجراءات ايران ومناورات لندن وواشطن كانت تجري على حساب نفط الشمال الذي تعهدت الحكومة الايرانية بموجب البندين الثاني عشر والثالث عشر من معاهدتها التي وقعتها مع الحكومة السوفيتية في ٢٦ شباط ١٩٢١ بان لاتمنح امتيازه لطرف ثالث[١٢٣]. وقد شنت الصحافة السوفيتية حملة واسعة ضد قوام السلطنة الذي نشرت جريدة الـ «برافدا» يوم ١٦ كانون الثاني ١٩٢٣ نبأ يفيد بان الامريكان تعهدوا بتقديم رشوة له ولمساعديه مقدارها ١٥٠ الف دولار حال التوقيع على الامتياز، كما توالت مذكرات الاحتجاج السوفيتية على الحكومة الايرانية في نفس الفترة[١٢٤].

اثار الموضوع نفسه المعارضة الايرانية بشدة، فاتهمت حكومة قوام السلطنة بالعمالة لبريطانيا وبخيانة المصالح الوطنية العليا خاصة بعد ان فسحت المجال «للشركتين الجشعتين» ستاندرد اويل والانكلو - ايرانية بتصيد «ثروة ايران وتقسيم الغنائم بينهما مناصفة» حسب تعبير جريدة «نهضت شرق» (نهضة الشرق)[١٢٥].

توسعت الحملة الصحفية ضد قوام السلطنة بحيث انه لم يتحمل الامر فاصدر في نهاية اب عام ١٩٢٢ امرا يقضي بغلق جميع جرائد العاصمة. وردا على ذلك اعلن عمال المطابع في طهران الاضراب عن العمل في ٨ ايلول، تساندهم في ذلك المعارضة، فيما وقف كبار رجال الدين الى جانب الحكومة ضد المضربين وطالبوا بعدم السماح باعادة فتح المطابع والجرائد الا بعد ان توضع الصحافة تحت رقابتهم بموجب قانون خاص يشرعه المجلس لهذا الغرض. وتمادى الرجعيون في موقفهم المعادي حينما دبروا هجمات منظمة

---

(١٢٣) وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي. باللغة الروسية، المجلد الثالث (١ تموز ١٩٢٠ - ١٨ اذار ١٩١٢). موسكو ١٩٥٩. ص٥٣٦ - ٥٤٤

(١٢٤) نفس المصدر. المجلد الخامس (١ كانون الثاني - ١٩ تشرين الثاني ١٩٢٢). موسكو. ١٩٦١. ص ١٤٤ - ١٤٥، ٧٢٥ - ٧٢٦ وغيرها.

(١٢٥) مقتبس من مجلة «الشرق الجديد». باللغة الروسية. موسكو. الكتاب الاول. ١٩٢٩. ص ٣٤٨

لمجموعات متخلفة على المطابع وادارات صحف المعارضة.

لم تقتصر الحركة الاضرابية على عمال المطابع، بل انها شملت ايضا معلمي مدارس العاصمة وموظفي العديد من المدن. وارتفعت في كل مكان شعارات تطالب بالاصلاح. وقد بلغت الحركة الاحتجاجية اوجها في اواسط كانون الثاني ١٩٢٣. ففي الثامن عشر منه نظمت «الكتلة الوطنية» اجتماعا جماهيريا حاشدا ضد قوام السلطنة. كما بدأت في اليوم نفسه حملة واسعة ضده داخل المجلس تمخضت عن ارتفاع رصيد «الكتلة الوطنية» من ١٢ الى ٤٨ صوتا، بينما لم يقف الى جانب رئيس الوزراء سوى كتلة المدرس المتخلفة[١٢٦].

وهكذا اضطر قوام السلطنة الى تقديم استقالة وزارته يوم ٢٥ كانون الثاني ١٩٢٣، مما كان يعكس بوضوح عجز الاوساط التقليدية عن الاستمرار في تحمل اعباء المسؤولية في الظرف الذي ساد البلاد يومذاك، فجاء دور العناصر الليبرالية، وفي مقدمتها الملاكون المتبرجزون، ثانية، وظهرت ايضا امكانات جديدة امام رضا خان قربته من العرش اكثر فأكثر. ولكن، مع ذلك، لم تحن الفرصة بعد للقفز الى كرسي رئيس الوزراء بسبب معارضة اقصى اليمين واقصى اليسار له فتريث لفترة اخرى وترك المجال لمستوفي المالك، احد ابرز قادة الكتلة الوطنية، ليؤلف الوزارة الجديدة في ١٤ شباط.

بعد ان وزع مستوفي الممالك حقائب وزارته، فيما عدا الحربية منها التي بقيت بحوزة «صاحبها» رضا خان، على الساسة المعروفين بميولهم القومية من اعضاء «الكتلة الوطنية»، باشر ببعض الاصلاحات من قبيل اطلاق معظم الصحف التي بقيت محظورة وتخفيف الرقابة عليها، واصدار قوانين لتطوير التجارة ولفرض الخدمة الالزامية ولتعزيز السلطة المركزية في المناطق العشيرية. اما على صعيد السياسة الخارجية فان الوزارة الجديدة حسنت من علاقاتها مع موسكو ودخلت في مفاوضات تجارية معها وحلت خلافاتها مع شركات النفط الامريكية.

اثار كل ذلك استياء البريطانيين والرجعيين المحليين الذين بدأوا بالتحرك

(١٢٦) O S. Melikov. Op. cit., pp. 51 - 56. S. L. Agayev. Op cit. pp. 109 - 110

المضاد من جانبهم. ففي ٢٠ اذار ١٩٢٣ انزل البريطانيون ٨٠٠ من جندهم في الموانيء الجنوبية. كما دبر عملاؤهم اغتيال عدد من قادة «الكتلة الوطنية»، مما اثار موجة عارمة من المظاهرات والاجتماعات للاحتجاج ضد الانكليز والرجعية المحلية الامر الذي خشي مستوفي الممالك وانصاره من تطوره، فاستغلت الرجعية ذلك واثارت معارضة قوية داخل المجلس بقيادة المدرس ضد الحكومة الى ان اجبرتها على تقديم استقالتها في اواسط حزيران ١٩٢٣. ولم يلعب الخلاف بين مستوفي الممالك ورضا خان الدور الاخير في اسقاط الوزارة، وكان الاخير قد اكتسب الى جانبه زعيم الكتلة الوطنية سليمان مرزا ووزير الخارجية في وزارة مستوفي الممالك ذكاء الملك (فروغي) الذي كان معروفا بميوله القومية.

ان رضا خان الذي لم يعر الضوابط الدستورية ادنى اهتمام لم يقدم استقالته، فبقي في مركزه الوزاري بصورة الية ضمن الوزارة الجديدة التي الفها مشير الدولة يوم ١٦ حزيران ١٩٢٣، وادخل فيها اثنين من الزعماء المعروفين بميولهما القومية هما الدكتور مصدق الذي عهد اليه وزارة الخارجية، وذكاء الملك (فروغي) الذي عهد اليه وزارة المالية. وقد اكدت الوزارة الجديدة في برنامجها على انها ستتبع «سياسة محايدة»[١٢٧]، بينما تبنت، في الواقع، سياسة اكثر يمينية من سابقتها.

لم تستكن الحركة المعادية للوجود البريطاني في ظل الوزارة الثانية لمشير الدولة، بل انها تطورت اكثر تحت تأثير زخم الحركة الوطنية العراقية التي تفجرت اثر محاولة الانكليز فرض معاهدة جديدة على الشعب العراقي ونفيهم لعدد من زعمائه الى ايران التي شهدت سلسلة من المظاهرات والاجتماعات الجماهيرية بلغ عدد المشركين في بعضها ٢٥ الف شخص طالبوا بمقاطعة البضائع البريطانية، وقد اضطر السفير لورين الى ترك مقر عمله في العاصمة طهران[١٢٨]. وهكذا فان بريطانيا «فقدت كل سمعتها في ايران» حسب اعتراف «تايمس» اللندنية في ٢١ اب ١٩٢٣.

---

(127) S.L Agayev Op. Cit., P. 117.

(128) Ibid PP. 119 - 123

أحـرجت المـوجـة الجـديـدة المعادية للبريطانيين موقف مشير الدولة فقدم استقالة وزارته يوم ٢٢ تشرين الاول ١٩٢٣ ورفض طلب الشاه ان يبقى في منصبه الى ان يتم جمع المجلس في دورته الخامسة، كما رفض عدد من كبار الساسة تأليف الوزارة الجديدة اذ لم يجروء احد منهم على المجازفه باستلام السلطة في مثل تلك الظروف الحرجة التي سادت البلاد. فلم يبق امام احمد شاه اختيار اخر سوى تكليف رضا خان بتأليف الوزارة الجديدة مع انه كان يدبر في الخلفاء المؤامرات لابعاده عن الحكم حتى وقت قريب، لكنه، مع ذلك، اقتنع بانه هو الشخص الوحيد الذي بوسعه وضع نهاية للمد الثوري العارم الجديد[١٢٩]. وهكذا اثمرت جهود رضا خان وخططه وحان وقت انفراده بالسلطة في وقت كان اليمين في تراجع اثر ضرباته الجديدة له بحجة تدبيره لمؤامرة ضده[١٣٠]، كما كان المجلس معطلا فلم يكن بوسع المدرس وانصاره اثارة ضجة سياسية، اما الديمقراطيون فكانوا منقسمين على انفسهم وأضعف من ان يستطيعوا الحيلولة دون تفرده بالسلطة.

الحاكم المطلق:

في ٢٩ تشرين الاول ١٩٢٣ الف رضا خان اول وزارة له في تاريخ ايران فاصبح في افضل موقع يستطيع من خلاله تكريس كل شيء لتحقيق اهدافه. ومرة اخرى عرف كيف يعمل، كيف يفتت القوى، وكيف يكسب من يريد ويلفظ من يرغب.

ضم رضا خان الى وزارته الاولى مجموعة من القوميين الليبراليين من امثـال سليمـان مرزا والـدكتـور مصـدق والصحفي المعروف صور اسرافيل[١٣١] وذكـاء الملك وغيـرهم واحتفـظ بوزارة الحـربيـة لنفسـه واعطى حقيبتي وزارة الداخلية والبرق والبريد لاثنين من كبار القادة العسكريين القريبين منه. ودعا في اول برنامج لوزارته الى «ضمان حقوق الدولة» و «تنفيذ القوانين». وفي ١٢ تشرين الثاني اصدر بيانا مطولا حذر فيه من الاتصال بالاجانب[١٣٢].

---

(١٢٩) Ibid, p. 123

(١٣٠) كان السياسي الماكر قوام السلطنة من بين الذين اعتقلهم بهذه الحجة وقد اجبره على ترك البلاد.

(١٣١) اصدر جريدة بنفس الاسم منذ ايام الثورة الدستورية.

(١٣٢) حسين مكي، تاريخ بيست ساله ايران. جلد دوم ص٢٩٧ ـ ٢٩٩.

منذ اليوم الاول لتسلمه منصب رئيس الوزراء خطا رضا خان الخطوات الاخيرة الضرورية لضمان تفرده المطلق بالحكم ولتكريس كل الطاقات لخدمة اسمه واهدافه. فقد اجبر الشاه على السفر الى اوربا واخذ تعهدا من ولي عهده بعدم التدخل في شؤون الدولة. كما ابعد اليمينيين عن المسرح، وحارب الديمقراطيين بنفس العزيمة وضمن الاكثرية لنفسه داخل المجلس. فقد بوشر بانتخابات الدورة الخامسة للمجلس في ٢ نيسان ١٩٢٣ في عهد رضا خان.

زاول اعوان رضا خان مختلف انواع اساليب الضغط والتزوير منذ اليوم الاول من الانتخابات حتى ان العديد من اللجان الرسمية التي عينتها السلطة نفسها للاشراف على سير الانتخابات قد استقالت احتجاجا. ففي كيلان، مثلا، ابعد مرشحو الجناح اليساري للقوميين ووزعت الاموال على الناخبين، وفي أردبيل دفع البسطاء للتصويت لمرشحي رضا خان تحت تهديد فرض الغرامة عليهم، وفي كرمنشاه منعت السلطات العسكرية العشائر الكردية غير الموالية من العودة الى مشاتيها لتحول دون اشتراكها في التصويت. وبهذا الاسلوب اصبح معظم اعضاء المجلس في دورته الخامسة من انصار رضا خان فيما عدا نواب الجنوب والجنوب الغربي من البلاد. وكان اكثر من عشري اعضاء المجلس الجديد من المجتهدين وغيرهم من رجال الدين[١٣٣].

اذن فان الدورة الجديدة للمجلس كانت «اسوأ من جميع الدورات السابقة قاطبة» ذلك لان «روح الخلاف والتناقض والكذب والجبن والخنوع امام الاجنبي والانانية والاهتمام بالحساب الخاص والطمع وفقدان الايمان والادعاء الكاذب بالدين» كان «يسود الدورة الخامسة من المجلس اكثر بكثير من الدورات السابقة»، كما اكدت جريدة «شفق سرخ» (الشفق الاحمر) في تعليق لها نشرته يوم ٢١ نيسان ١٩٢٤ بمناسبة انتهاء الانتخابات.

ولكن سرعان ما غيرت «شفق سرخ»، مثل غيرها من الجرائد الليبرالية، لهجتها بعد ان انتقل جميعها الى خندق رئيس الوزراء الجديد رهبة او رغبة او

---

(١٣٣) O. S. Melikov. Op. cit., pp. 85 - 59

شراء. فقد بدأ رضا خان بالصرف على صحافة العاصمة بسخاء، وهي «لم تقصر» من جانبها فبدأت يوميا تدبج المقالات وتنشر القصائد في مديح «البطل المنقذ» و «القائد الفذ» و «رجل الساعة» و «أمل الشعب وملجئه» وأوصاف اخرى[١٣٤] بدأت ولم تنته الا بانتهاء رضا خان نفسه، فقد «نضجت الحماقة لديه» حقا!

بذل رضا خان عشية تسلمه رئاسة الوزراء جهودا اخرى لتحشيد القوى سياسيا حول شخصه. فقد وقع انشقاق داخل «الكتلة الوطنية» فالف الجناح اليميني منها الذي كان يضم الاوساط المرتبطة بالاقطاع والملاكين المتوسطين والصغار ممن وزعت عليهم الاراضي بعد انقلاب حوت، حزبا اسموه «تجدد» (التجدد) بزعامة سيد محمد تدين وقد تحول الى حزب رضا خان. اما الجناح اليساري للكتلة فقد الف قسم منه تنظيما جديدا بزعامة سليمان مرزا عرف باسم «حزب الاشتراكيين» فيما انضم الاخرون الى اليمينيين. ولكن لم يتجاهل رضا خان، كما لاحظنا، حقيقة ما كان يتمتع به الجناح اليساري للكتلة الوطنية من سمعة بين الناس فلم يقطع الاتصال بزعمائه في «مرحلة الحاجة» الى مساندتهم، ولاسيما لانم كانوا من اشد المعارضين للحكم القاجاري. وعلى هذا الاساس عهد حقيبة وزارة المعارف الى زعيم «الاشتراكيين» سليمان مرزا كما مر بنا. وكرئيس للوزراء احكم رضا خان كامل سيطرته على اهم المراكز الحكومية وفي المقاطعات.

بعد كل ذلك حان الوقت المناسب لابعاد القاجاريين عن الحكم، مع العلم ان احمد شاه ادرك حقيقة نوايا رضا خان قبل سفره الاخير الى اوربا بفترة طويلة، فعبر عن شكوكه للدبلوماسيين الاجانب في طهران مرارا [١٣٥] ومن اجل اضفاء صبغة طبيعية على خطته ولكسب الرأي العام على الصعيدين الداخلي والخارجي كان على رضا خان ان يحول موضوع اسقاط الحكم القاجاري الى مطلب شعبي عام، فجند اعوانه لشن حملة واسعة لفضح

---

(١٣٤) D.N. Wilber Riza Shah pp 75 - 76

(١٣٥) Ibid p 70

مثالب القاجاريين على مختلف الاصعدة، الامر الذي تمخضت عنه حملة اخرى واسعة بدورها ركزت على اقامة نظام جمهوري في ايران على غرار جمهورية مصطفى كمال اتاتورك في تركيا.

تعود بدايات الحملة من اجل الجمهورية الى اواخر العام ١٩٢٣، وقد اتسعت بصورة خاصة عندما انتشر نبأ اتصالات أحمد شاه السرية بـ «اتحاد العشائر الجنوبية» بزعامة الشيخ خزعل(١٣٦). وفي بداية الحملة بدأت الصحافة تعير احمد شاه بصورة غير مباشرة وذلك بنشر المقالات عن «السلاطين والملوك غير الجديرين» وعن «واجب الحكام في حب الوطن والوفاء له» وما شابه تلك من مواضيع(١٣٧).

ومنذ شباط ١٩٢٤ بدات اسماء احمد شاه وولي عهده وملوك القاجار السابقين وصورهم تظهر على صفحات الجرائد بصورة مكشوفة. فنشرت مقالات عديدة تدين احمد شاه وولي عهده باهمال شؤون البلاد والعباد وباهتمامهما بحياتهما الخاصة التي «تتميزبالعربدة وقضاء الوقت في اللهو وفي النوادي الليلية» كما اكدت اكثر من جريدة واحدة ذكرت الايرانيين، في الوقت نفسه، كيف ان الحكم القاجاري لم يجلب لايران على مدى ١٣٠ عاما غير التخلف والعذاب.

وفي المرحلة التالية من الحملة بدأت صحافة طهران تضرب على الوتر الحساس لعواطف البسطاء. ففي عددها الصادر يوم ٩ اذار ١٩٢٤ نشرت جريدة «ستاره ايران» صورة لاحمد شاه محاطا بالاوربيات وفوق رأسه قبعة حديثة، ونشرت الجريدة تحت الصورة عبارة تقول:

«هل يستحق هذا الشاه الركوع امامه والدفاع عنه؟»

وفي ٣١ اذار كتبت الجريدة نفسها تقول «ان السلطان الشاب الذي فضل القبعة على تاج الكيانيين وحول قبلة المسلمين الى بؤرة للدعارة والفجور لم يكن ولن يكون جديرا بالسلطنة».

حاول اعوان رضا خان اضفاء طابع ديني على حملتهم من اجل

---

(١٣٦) M. S. Ivanov. Ochirk p 308

(١٣٧) للتفصيل عن الموضوع راجع

O. S Melikov. Op. cit., pp. 63 - 70. D. N. Wilber. Riza Shah, pp. 76 - 87

الجمهورية. فقد اكدت «ستاره ايران» في افتتاحيتها ليوم ٢٧ اذار ١٩٢٤ ان «النظام الجمهوري لا يتناقض في شيء مع روح الاسلام» وانه «لا فرق بينه وبين النظام الملكي الدستوري» الا في ان الذي ينتخب لرئاسة الجمهورية «لا يشترط ان يكون ابن محمد علي شاه او مظفر الدين شاه[١٣٨]، بل يكفي ان يكون وطنيا او عاملا نزيها». ونشرت غيرها من الصحف مثل «ايران ازاد» (ايران الحرة) مقالات تحمل عناوين من قبيل. «الاسلام والجمهورية» و«الجمهورية والمرأة» و «الجمهورية وقانون الانتخاب» وما شابه من مواضيع كانت تهم المواطن الايراني.

لم تقتصر الحملة من اجل الجمهورية على الصحافة وحدها، فقد شهدت العاصمة ومعظم المدن الايرانية مظاهرات صاخبة واجتماعات حاشدة تدعو بصوت واحد الى اعلان النظام الجمهوري. وانهالت على طهران برقيات من مختلف المناطق تطالب بانهاء الحكم القاجاري تلقفتها الصحافة ونشرتها تحت عناوين مثيرة مع ان البرقيات نفسها كانت متشابهة في صياغتها ومحتواها، مما كان يدل بدوره على ان جهة واحدة تقف وراء الحملة كلها.

وفي الوقت نفسه ظهرت في الميدان مجموعة من الاحزاب «الجمهورية» تأسست لتوها من قبيل «الحزب الجمهوري» و«حزب الجمهوريين» و«الحزب الديمقراطي المستقل» وغيرها من التنظيمات التي وحدت جهودها مع «حزب التجدد» في الدعوة لاسقاط لقاجاريين وتأسيس الجمهورية.

وكان من الطبيعي ان تنتقل اثار الحملة بقوة الى داخل المجلس، وقد اتخذ الموضوع فيه طابعا اكثر جدية، الامر الذي كان يقلق بال رضا خان الى حد كبير ذلك لان مصير القاجاريين وكل النظام القائم كان يعتمد على القرار الذي يتخذه المجلس. وكان ميزان القوى في الاخير يومذاك على النحو التالي: «حزب التجدد» ـ ٤٣ عضوا، اي الاكثرية، وكان يؤيده الاشتراكيون بزعامة سليمان مرزا ولهم ١٤ صوتا. اما جبهة المعارضة التي كانت تتألف من

---

(١٣٨) محمد علي شاه هو والد احمد شاه كان مكروها من الشعب جدا. وقد خلع عن العرش ايام الثورة الدستورية اما مظفر الدين شاه، خامس ملوك القاجار وجد احمد شاه، فقد كان من اضعف من تبوأ واعرش ايران فتدهورت اوضاع البلاد في عهده الى حد كبير.

اقصى اليمين بزعامة المدرس فقد كان ينتمي اليها عشرون من اعضاء المجلس. واتخذ الاخرون موقفا «مستقلا» متذبذبا.

بدأت مناقشات حادة داخل المجلس مما كانت تنتهي في احيان كثيرة بالشتم والضرب، حتى ان زعيم «الجمهوريين» رئيس «حزب التجدد» ونائب رئيس المجلس محمد تدين قد اعتدى عى زعيم الملكيين المدرس بالضرب في احدى جلسات المجلس[١٣٩]. ومن الجدير بالذكر ان هذا «التقليد البرلماني» لم يختف بسرعة. فقد وصف مراسل جريدة «ديلي تلغراف» اللندنية احد اجتماعات المجلس في اب ١٩٢٥ على النحو التالي:

«. . . وكان رئيس المجلس يدق الجرس باستمرار، ولكن ارتفع صوت الضجيج اكثر فأكثر. . . ثم قفز النواب من مقاعدهم واخذوا يجرون بعضهم، وفي هذه الاثناء جرّ احد المستخدمين الساخطين نائبا مشتبكا من عنقه وشده فوق المنصة لينتهي الاجتماع بذلك».

مع ذلك لم يكن من الهين على المجلس ان يتخذ قرارا نهائيا بالنسبة لموضوع الساعة الحساس، لاسيما لان اعضاءه كانوا يحسبون الف حساب لرجال الدين الذين ابدوا معارضتهم الصريحة للنظام الجمهوري على اساس انه يتنافى مع روح الشريعة، وشدد رجال الدين من موقفهم المعارض بعد القرار الذي اتخذه مصطفى كمال بصدد الغاء الخلافة في تركيا. وعندما علم هؤلاء بنية رضا خان اعلان الجمهورية عشية عيد نوروز، ٢١ ادار ١٩٢٤، وبما كا يجري داخل المجلس انزلوا مؤيديهم بدورهم الى الشوارع، فعقدوا اجتماعا حاشدا في ساحة بهارستان ضم حوالي عشرين الف شخص هتفوا ضد رضا خان والقوا عليه الحجارة عندما كان في طريقه الى بناية المجلس، فحاول رجال الشرطة تفريقهم بعد ان جرحوا واعتقلوا المئات منهم. واحتدم النقاش داخل المجلس بحضوره ولم ينته الا في العاشرة ليلا بعد مساومة جمعت الطرفين على صعيد واحد. فعندما هدد رضا خان بالاستقالة اقنعه قادة

(١٣٩) حسين مكي. تاريخ بيست ساله ايران. جلد دوم. ص٣١٨ - ٣١٩

المعارضة بالعدول عن قراره ووعدوه بمنحه كامل تأييدهم ضد احمد شاه في حالة تنازله عن شعار الجمهورية[١٤٠]، الامر الذي بدأ يميل اليه بدوره خاصة بعد ان اثارت الحملة من اجل الجمهورية مدا ثوريا جديدا في البلاد كاد ان يسلك مجرى يختلف كليا عن مراميه هو.

وبدأ الواعون يدركون فعلا ابعاد المسرحية على حقيقتها. فان الشاعرين ميرزادة عشقي وملك الشعراء بهار واخرين ممن وقفوا بحماس الى جانب رضا خان في البداية اصبحوا يحسون بما يجري خلف الكواليس، ولاسيما بعد ان بدا رضا خان بتوجيه ضربات ماحقة للحركة الديمقراطية ولزعماء وطنيين من امثال الشيخ محمد خياباني الذي ابنه ملك الشعراء بهار بمناسبة مقتله قائلا: ان الذين يدعون الدفاع عن ايران «يحاولون تخريبها. . . فلو فار دم خياباني لارتدت ايران عن بكرة ابيها كفنا احمر. . . ايها اليتيم المتأوه لاتبكِ فان الغد ات»[١٤١]

اما ميرزادة عشقي فقد ادرك ابعاد «الثورة المصطنعة» التي بدأ يكشف بعض جوانبها على صفحات جريدة «قرن بيستم» (القرن العشرون)، فاطلق «مجهولون» النار عليه واردوه قتيلا في الحال، وقد اشترك في تشييعه ما لايقل عن ثلاثين الف من مواطني العاصمة طهران التي شهدت، فضلا عن ذلك، مظاهرات جماهيرية تندد بالمجلس الخامس وبالوزراء الرجعيين، بل وبشخص رضا خان، ففتحت الشرطة النار على المشتركين فيها واعتقلت العديد منهم[١٤٢].

ولكن لم يثن شيء رضا خان الذي بدأ يخطو خطواته الاخيرة لفرض حكمه المطلق، ولكن بصولجان الشاه هذه المرة.

نحو العرش:

تأكد رضا خان انه لابد من مساومة كبار رجال الدين، ولو مرحليا، ان اراد تحقيق كل ما يريد، لا سيما بعد ان تردد المجلس في اتخاذ قرار بصدد مصير

(١٤٠) D N Wilber. Riza Shah pp 77 - 79

(١٤١) مقتبس من Sh M. Badi. Op. cit , p. 145

(١٤٢) O. S. Melikov. Op. cit., pp. 77 - 78; D8 N. Wilber. Riza Shah, p. 87.

الحكم وترك الامر لمجلس تأسيسي يعقد بصورة خاصة لهذا الغرض، وبعد ان اخذ رصيد «حزب التجدد» داخل المجلس ينخفض بصورة ملحوظة.

بدأت بوادر المساومة الجديدة تظهر وتتطور بسرعة. فقد عاقب رضا خان جريدة «طوفان»، مثلا، لتهجمها على احد رجال الدين، وعاقب اخرى بسبب دعوتها للمرأة الايرانية الى القاء الحجاب «اسوة باختها التركية». وبعد مساومة المجلس مباشرة افرج في الليلة نفسها عن جميع المتظاهرين المحتجزين الذين تعرضوا لشخصه[١٤٣]، ثم رأى فجأة «حلما سعيدا» «دعاه فيه الامام على الى الجنة»[١٤٤]، فتلقف «السماسرة» الخبر بسرعة ونشروه في كل مكان. وبعد كل ذلك شد رضا خان الرجال الى قم، على بعد ١٥٠ كم جنوبي طهران، حيث عقد اجتماعا مطولا مع كبار رجال الدين وتم وضع الاطار النهائي لصورة المساومة التي فرضتها طبيعة الاحداث والنيات. فما ان رجع من قم حتى نشر في الاول من نيسان عام ١٩٢٤ بيانا «الى جميع الايرانيين» ورد فيه ما يلي:

«ايها المواطنون: اثبتت التجربة ان على رجال الحكم ان لا يعترضوا على الرأي العام ابدا. وان الحكومة الحالية لم تبد اي اعتراض حتى اليوم على مشاعر الشعب في اي جزء من البلاد. كان هدفي منذ اليوم الاول، ولم يزل، هو صون عز الاسلام وخيره وحماية استقلال ايران ومصالح البلاد والامة. وكل من يخالف هدفي هذا يعتبر عدوا للوطن ويعاقب بشدة... انني شخصيا، والقوات المسلحة باسرها، على استعداد لحماية مجد الاسلام وصيانته... انني ارغب دائما في ان ارى تقدم الاسلام وعزه واكن اعمق احترام نحو رجال الدين. وعندما تشرفت بزيارة الضريح الطاهر لفاطمة في قم تبادلت الرأي مع رجال الدين فتوصلنا الى الاستنتاج ان من الافضل لخير البلاد

---

(١٤٣) D. N. Wilber. Riza Shah. pp. 76. 79

(١٤٤) P. Avery. Modern Iran. London. 1965. pp. 264 - 265

ان يوقف كل دعوة لاقامة الجمهورية، وان توجه الطاقات والجهود كلها لازالة العقبات التي تعرقل اصلاح البلاد وتقدمها، فادعو كل الامة للتعاون معي ومساعدتي بنشاط لتحقيق الهدف المقدس المذكور اعلاه، الا وهو تعزيز الدين وحماية استقلال الدولة وتأسيس حكومة وطنية مستقرة. لذا اقترح على جميع الوطنيين الحقيقيين وعلى جميع ابناء وطننا المقدس الكف عن المطالبة بالجمهورية وتوحيد جهودهم معي لتحقيق الاهداف التي ذكرناها والتي لا خلاف بيننا في فهمها»(١٤٥)

وبالمقابل نشر اربعون من كبار الساسة اليمينيين الذين كانوا يؤيدون الحكم القاجاري قبل ذلك بيانا اعلنوا فيه وقوفهم الى جانب رضا خان. ثم بدأت الحملة المضادة للجمهورية، فاجتهدت الاقلام الرخيصة نفسها التي ترقص دائما على انغام الطغاة لتصم بالكفر والزندقة كل من يرى في النظام الجمهوري سوى الشر والهوان، واذا بجميع الصحف والخطباء والمنظمات التي هتفت حتى الامس للنظام الجمهوري بصوت جهوري تحاول بعد مساومة قم ان تثبت وبالحماس نفسه ان ظرف ايران الخاص لا يسمح باقامة مثل ذلك النظام. فان جريدة «ستاره ايران» التي اجهدت نفسها كثيرا لاثبات افضلية النظام الجمهوري كتبت في عددها الصادر يوم الاول من نيسان تقول دون وجل او تردد:

«فلتكن الجمهورية، اوملكية دستورية أوأي شيء آخر، فحسبنا تحقيق هدفنا الذي هو اعلاء شأن ايران.

ولكن لم تنس الجريدة ان تختتم مقالتها بالقول «على اي حال يجب ان يعرف سيادة رئيس الوزراء (رضا خان ـ ك. م.) وكل وطنيي البلد ان حكم ايران عن طريق مثل هذا الشاه غير الجدير (تقصد احمد شاه ـ ك. م.) وولي عهده امر غير ممكن».

بعد ذلك باشر رضا خان مناوراته الاخيرة مع الجميع ـ المجلس ورجال الدين وانصاره ومناوئيه والانكليز والامريكان وغيرهم. ففي بداية ليلة السادس

---

(١٤٥) O. S. Melikov. Op. cit., p. 78: D. N. Wilber. Riza Shah. P. 79

من نيسان ١٩٢٤ اجتمع بمستشار السفارة البريطانية، وفي منتصفها اجتمع بعدد قليل من كبار الضباط المقربين منه ليجمع في صبيحة اليوم التالي الوزراء والنواب وممثلين عن الجيش ويتحدث لهم باسهاب عن خدماته، ثم يفاجأهم «بقراره القاطع» بالتنازل عن الحكم والاستقرار في النجف او كربلاء مادام هناك من يحيك الدسائس ضد اصلاحاته. وبعد «جهد جهيد» اقنعه الحضور بعدم ترك البلاد فقرر، نزولا عند رغبتهم (!)، الانتقال الى قرية قريبة من طهران. وترك العاصمة فعلا في منتصف نهار السابع من نيسان بعد ان بعث برسالة «وداع» وتحريض الى قادة الجيش في الجبهات اختتمها بالقول: «اودعكم الجيش واستودعكم الله»[١٤٦].

عقد المجلس في الحال اجتماعا متواصلا استلم اثناءه برقية من احمد شاه يعلن فيها عن سحب ثقته من رضا خان، فأجابه رئيس المجلس ببرقية تحمل تواقيع ٨٦ من النواب يؤكدون فيها مطلق ثقتهم برئيس الوزراء. وفي اقتراع سري جرى في اليوم نفسه صوت لرضا خان ٩٦ من اصل ١٠٠ عضو حضروا اجتماع المجلس حسب اعلان الصحف الايرانية، فألف المجلس في الحال لجنة وساطة لاقناع رضا خان بالعودة الى مقر عمله، لاسيما بعد ان توترت الاوضاع في البازار والشارع اثر اطلاق عملائه شائعات عن عودة الشاه من الخارج، وبعد ان انهالت برقيات قادة الجيش من الاطراف على العاصمة مؤكدين فيها «ان الثورة واقعة لامحالة اذا لم يرجع رضا خان الى مقره»، بل ان قائد القوات الغربية احمد آغا خان منح المجلس ٦٨ ساعة فقط ليقرر «التعاون مع قائد الجيش او عدمه» والا «فانه ورجاله» على اتم استعداد للزحف على طهران «من اجل ان يضحوا بدمائهم قربانا لمعلمهم وقائدهم»[١٤٧]. وقد رافقت كل ذلك حملة صحفية جد واسعة تطالب بعودة «البطل القومي» و «الابن البار للوطن» و «الانسان القدير الوحيد الذي انجبه

---

(١٤٦) D. N. Wilber. Riza Shah. pp. 81 - 82

(١٤٧) راجع نص البرقية في حسين مكي. تاريخ بيست ساله ايران. جلد دوم. ص٣٤٨ - ٣٤٩.

عصر الثورة والحركة الدستورية في ايران».

ذهبت اللجنة التي ضمت ١٢ عضوا، منهم مستوفي الممالك ومشير الدولة والدكتور مصدق الى رضا خان، وقد سبقهم اليه نبأ يقول: «ان المدافع والتهديدات قد اعطت مفعولها»[١٤٨]، فاستغل الامر كما يجب وناقش الموضوع مع الوفد من منطلق القوة والثقة، فأكد في النقاش انه شخصيا «يقدر خدماته التي قدمها لايران افضل من الجميع» وانه متأكد من «ان البلاد بحاجة الى خدماته لفترة اخرى». وبعد ساعات من النقاش المسهب وصل بيت القصيد حينما اكد للوفد «مالم يمنحني الشعب الايراني التأكيد التام بالتعاون معي من اعماق قلبه يكون من الصعب عليّ الاستمرار في تحمل المسؤولية... يجب ان اتأكد من مثل هذا التعاون قبل ان استعد لتجديد جهودي ومجابهة كل الصعاب»[١٤٩].

والترجمة الفعلية لاقوال رضا خان هذه كانت تعني رضوخ الجميع المطلق لارادته.

بعد عودته بايام الف رضا خان وزارة جديدة ادخل فيها مجموعة من الارستقراطيين المعروفين من امثال مشاور الدولة ومستشار الدولة ومحمد علي فروغي ومعتضد السلطنة،بينما ابعد منها الوزيرين الليبراليين سليمان مرزا والدكتور مصدق. وفي اب ضم الى وزارته الجديدة الزعيم البختياري المعروف سردار اسد.

أكد رضا خان في منهج وزارته الجديدة على ضرورة «تطوير العلاقات الطيبة مع الحكومات الصديقة» وعلى قضايا تتعلق بتطوير الجيش وتوحيد المقاييس والموازين ووضع سجلات للوثائق الرسمية وتأسيس شركة للطيران والاهتمام بالتعليم والصحة وما شابه. ودون تأخير باشر «بتنظيف» اجهزة الدولة من العناصر غير الموالية له، ولاسيما في جهازي الشرطة والقضاء.

استمرت المناورات وبدأت رائحة النفط تفوح في الاجواء من جديد.

---

(١٤٨) نفس المصدر، ص٣٥٣.

(١٤٩) D. N. Wilber, Riza Shah, pp. 83 - 84

فقبل «اعتصام» رضا خان بفترة وجيزة وقعت حكومته اتفاقية مع شركة سنكلر الامريكية منحتها بموجبها امتيازا لاستغلال نفط الشمال. وبمناسبة التوقيع على الاتفاقية عبر رضا خان عن امله في ان يفضي التعاون مع الشركة الامريكية الى ان تتخلص ايـران من «اليسطـرة الاقتصـاديـة لبريطانيا وروسيا»، واضاف يقول ان حكومته ستبذل من جانبها «كل ما هو ممكن لادامة الروابط الجيدة الحالية» مع الولايات المتحدة الامريكية و «يراودها الامل بان شعب الولايات المتحدة المخلص لتقاليده القومية في مساعدة الشعوب الاخرى سوف يستغل هذه الفرصة السعيدة ويمد لنا يد العون لبناء ايران مرفهة ومزدهرة»[١٥٠].

وقفت لنـدن، وكـذلـك شركـة «ستاندرد اويل» الامريكية المتنفذة ضد الاتفـاقيـة الجـديـدة باعتبـارهـا غير قانونية لانه سبقت لايران ان منحت امتيازا مشـابهـا لستـانـدرد اويـل ثم الغتـه بدعوى مخالفة الشركة لنص الامتياز عندما اشركت معها شركة النفط الانكلو ـ أيرانية كما مرّ بنا. وقد تمكنت «ستاندريد اويـل» التي تعـزز موقعهـا بفـوز الجمهـوريين في انتخـابات ١٩٢٠، من اثارة ضجة صحفية ضد ايران التي تصدت صحافتها للرد على الصحف الامريكية. ويهمنا هنا التصريح الذي ادلى به رضا خان لجريدة «ايران» بتاريخ ٢٤ شباط ١٩٢٤ والـذي ذكـر فيـه ان الحملة الصحفيـة المتبـادلـة بين طهران وواشنطن لاتخـدم سوى مصلحـة البـريطـانيين الـذين، يحـاولـون كمـا قال، «اصـابـة عصفـورين بحجـارة واحـدة: التشهيـر بإدارتي وتشـويـه سمعـة الامـريكان في البلاد». ومن جانبه اوعز رضا خان بوقف الحملة، واغلق بعد يومين صحيفتين لاستمرارهما في التهجم على الولايات المتحدة[١٥١]. وفي ١٩ نيسان، اي بعـد عودتـه مبـاشـرة، عرض امتيـاز سنكلر على المجلس، وبعـد يومين فقـط استلمت حكومته مذكرة الاحتجاج البريطانية التاسعة عشرة[١٥٢].

لم يكتف رضـا خان بذلـك، بل انـه منـح الشـركـات الامـريكيـة سلسلة امتيــازات اخـرى لبناء السكك الحديدية وطـرق السيـارات وغيـرهـا داخـل

---

(١٥٠) مقتبس من .N.S. Fatemi, Oil Diplomacy. Powderkeg in Iran, New York, 1954, PP. 123 - 124

(١٥١) Ibid, pp. 126 - 127

(١٥٢) Ibid, p. 129

ايران[١٥٣]. وفي خضم هذه الاحداث ثار الجنوب وثار الغرب ومن ثم قتل وكيل القنصل الامريكي روبرت ايمبري في احدى ضواحي طهران يوم ١٨ حزيران ١٩١٤[١٥٤]، وقد اختلفت المصادر في تحديد الجهة التي كانت تقف وراء حادث الاغتيال، ففيما تميل المصادر الايرانية الى اتهام القاجاريين، تورد مصادر اخرى ادلة مقنعة تثبت ان الانكليز كانوا وراءه، الامر الذي اكدته صحافة طهران ايضا في حينه. ومن المفيد ان نشير الى ان السفارة البريطانية رفضت اقتراحا لرضا خان يقضي بتأليف لجنة من جميع الاطراف للتحقيق بالموضوع[١٥٥].

ومن جانب اخر فتح رضا خان ابواب ايران من جديد امام المصالح الالمانية التي تمكنت بسرعة من استعادة مواقعها القوية التي كانت تحتلها في البلاد قبل الحرب العالمية الاولى[١٥٦].

وهكذا استمرت «لعبة جرّ الحبل الايرانية» الى ان التقت الاطراف الاساسية فيها عند النقطة الحاسمة. وقد جاءت الاشارة الاولى من وزير الخارجية البريطاني اللورد كرزن عندما اعترف في ايار ١٩٢٤ امام البرلمان بان سمعة بلاده في ايران قد تدنت كليا. لكنه اضاف قائلا: علينا ان نهادن «روح التمرد القومي» التي تفجرت هناك[١٥٧]. وبدأت المهادنة فعلا على صورة تراجع واضح امام طموحات رضا خان. فقد ترك البريطانيون الشيخ خزعل وغيره من حلفائهم وشأنهم، وسحبوا قواتهم الموجودة في دوزداب لحراسة خط السكة الحديدية هناك لتحل محلها قوات ايرانية، وفي اواسط ١٩٢٥ سلموا جميع دوائر البريد الموجودة في الموانيء الجنوبية الى وزارة البرق والبريد الايرانية، كما سحبوا حرسهم الخاص الذي كان مكلفا بحماية مؤسساتهم

---

(١٥٣) S.L. Agayev, Op. Cit., PP. 141 - 143

(١٥٤) للتفصيل عن حادث الاغتيال راجع: D.N. Wilber, Op. Cit., PP. 87 - 89.

(١٥٥) ز. ر. عبدالله يف، بداية تغلغل الولايات المتحدة الامريكية في ايران. باللغة الروسية، موسكو. ١٩٦٣ ص٧٥ ـ ٧٧

S L. Agayev, Op cit., pp. 134 - 144; D. N. Wilber, Riza Shah, pp. 88 - 89

(١٥٦) للتفصيل حول الموضوع راجع: س. ل. آكاييف، الاستعمار الالماني في ايران، باللغة الروسية. موسكو. ١٩٦٩. ص١٤ ـ ٢٧

(١٥٧) D. N. Wilber, Contemporay Iran, New York, 1961, p. 71

الدبلوماسية في مختلف انحاء البلاد[١٥٨].

جاءت خطوات الطرف المقابل بمستوى المساومة و «الحدث الكبير» الذي كان يعد له. ففي اب ١٩٢٥ اجرى رضا خان تعديلا وزاريا ادخل بموجبه نصرت الدولة وقوام الدولة في وزارته، وكلاهما كانا من اكثر ساسة ايران ارتباطا بالبريطانيين، لاسيما الاول منهما الذي لعب دورا كبيرا في عقد معاهدة ١٩١٩ بصفته وزيرا للخارجية في عهد وثوق الدولة واحد مفاوضي الجانب الايراني، وقد بقي مخلصا للمعاهدة وللانكليز حتى النهاية، الامر الذي اشارت اليه الوثائق البريطانية الخاصة مرارا[١٥٩]. وقد أوكل اليه رضا خان حقيبة وزارة العدلية وعهد الى زميله قوام الدولة وزارة الداخلية. كما خفف رضا من حماسه لشركات النفط الامريكية الى حد كبير ووافق على توسيع اعمال شركة النفط الانكلو - ايرانية في الجنوب، ثم منح شركة طيران الامبراطورية البريطانية شبه الحكومية حق استخدام الاجواء الايرانية في رحلة جديدة ومهمة تبدأ من لندن وتمر بالقاهرة وتنتهي بكراتشي، هذا الخط الذي كان يؤلف حلقة وصل مهمة بين مستعمرات انكلترا والبلدان التي إنْتُدِبتْ هي لادارتها مع انتهاء الحرب العالمية الاولى، وكان بالامكان تحويله للخدمات العسكرية عند الضرورة. وبما ان اهداف هذا الخط كانت واضحة فان رضا خان اجرى المفاوضات بصدده بسرية تامة خشية ان يؤثر الامر على سمعته[١٦٠].

ومن المهم ان نشير الى ان رضا خان في لقاءاته الخاصة بالمسؤولين البريطانيين في تلك الفترة كان يتحدث بصراحة عن اعتماده على بلادهم. ففي تقرير سري بهذا الخصوص رفع في ٦ تشرين الثاني ١٩٢٥ الى وزير

---

(١٥٨) S L. Agayev. Op. cit., pp 151 - 152

(١٥٩) (Documents on British Foreign Policy, 1919 - 1939), First Series, Vol XII, pp. - 466 - 468, 698, 693 - 694 727 - 728 etc.

(١٦٠) S L Agayev, Op cit, pp - 186 - 187; M S Ivanov, Contemporary Iran. p. 64

الخارجية الجديد اوستن تشمبرلن اكد السفير لورين ذلك واضاف ان لديه «عوامل عديدة» تجعله متأكدا من ان رضا خان «مخلص فيما يذكر بهذا الصدد»(١٦١).

وضمن المخطط نفسه حاول رضا خان في الفترة نفسها اضفاء برود واضح على علاقات حكومته بالاتحاد السوفيتي(١٦٢). وباسلوب ما تلقفت الصحافة الغربية ذلك وبدأت تتهم موسكو بموالاة احمد شاه القاجاري لدرجة ان وكالة تاس اضطرت الى ان تنشر بيانا بتاريخ ٢٠ تشرين الاول ١٩٢٥ تؤكد فيه ان «الحكومة السوفيتية تتبع سياسة عدم التدخل المطلق في شؤون ايران وتحتفظ بعلاقات صداقة كاملة مع الحكومة الوطنية الايرانية التي يقف على رأسها رئيس الوزراء سيادة رضا خان»(١٦٣).

وكل ذلك كان يعني، في الواقع، ان الطريق اصبح مفتوحا امام رضا خان ليخطو خطواته الاخيرة نحو العرش، فبعد ان قضى على حركتي خزعل في عربستان وسمكو في كردستان، وبعد ان صفى العديد من خصومه، واثر زيارته للنجف وكربلاء اعلن رضا خان امام المجلس في الثامن من شباط ١٩٢٥ رغبته ثانية في ترك مهمته لعدم امكان استمرار التعاون مع القاجاريين حسب تأكيده، اما اذا اريد له الاستمرار في العمل حينئذ «يجب اعادة تنظيم موقعه»، وكان يقصد بذلك جعله القائد الاعلى لجميع القوات المسلحة، بما فيها جهاز الشرطة، المنصب الذي كفلته المادة ٥٠ من الدستور لشخص الشاه وحده. وقد منح رضا خان المجلس مهلة اربعة ايام فقط، فاذا لم يتخذ في الوقت المحدد الاجراء المطلوب حينذاك يضطر الى ان «يشكو امره» للشعب الايراني!(١٦٤).

---

(١٦١) «Documents on British Foreign Policy. 1919 - 1939». Series IA. Vol. I. London, 1966, P. 806.

(١٦٢) S. L. Agayev, op. cit , pp. 187 - 188

(١٦٣) «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي»، باللغة الروسية، المجلد الثامن، ص٦٣٤ ـ ٦٣٥.

(١٦٤) D. N. Wilber, Riza Shah, pp.91 - 99; O. S. Melikov,Op. cit., pp. 87 - 95; M. S. Ivanov, Contemporary Iran, p. 64

وفي اليوم المحدد، ١٢ شباط،اصدر المجلس قانونا يتألف من مادة واحدة ينص على مايلي:

«يقر المجلس حصر كل القيادة العليا لجميع قوى الدفاع والامن بيد رضا خان سردارسبه الذي يمنح كامل الصلاحيات لانجاز واجباته في حدود الدستور وقوانين الدولة المرعية ولا يجوز تجريده من هذه الصلاحية دون موافقة المجلس».

يعتبر المؤرخ الايراني عبدالله رازي الاجراء الاخير لرضا خان «كأول خطوة عملية على درب خلع الاسرة القاجارية»[١٦٥]. وكان الامر هكذا فعلا ففي ١٧ شباط زار رضا خان المجلس وشكر اعضاءه على «قرارهم» وبعد ان اكد للمرة الالف ماقدمه من خدمات «لصالح الوطن والامة» برر خطوته الاخيرة هكذا. «بالرغم من جميع ما جرى بصدد عودة صاحب الجلالة... الا انه لم يعد لحد الان، لذا اتخذت في الاونة الاخيرة بعض الاجراءات الاضافية حتى يعود جلالته من سفرته الطويلة باسرع مايمكن». وبالطبع لم يكن رضا خان يقصد من اقواله هذه ومن غيرها التي كانت تتلقفها صحافة العاصمة في الحال، سوى إظهار احمد شاه امام الملأ كإنسان لايهمه مصير الوطن والشعب. ومن اجل ان «يثبت» صدق ما يقول اقترح رضا خان في اليوم نفسه تأليف لجنة تضم ١٢ من اعضاء المجلس لمعاونته في الحكم بينما عمم في الثالث من ايار امرا على جميع دوائر الدولة يقضي بان يخاطب في المراسلات الرسمية بلقبه الجديد ـ بهلوي. ومند ذلك الوقت بدات بعض الصحف تذكر اسمه مع لقب «صاحب الجلالة»، ولم يكن ذلك سوى تجسيد لامر واقع ظهرت بوادره من قبل عندما بدأ كبار المسؤولين والاعيان يتجاهلون احمد شاه وولي عهده في الاحتفالات الرسمية ويحيطون رضا خان بالتبجيل والتقدير علنا[١٦٦] وفي ٨ حزيران سافر صاحب الجلالة غير

---

(١٦٥) عبدالله رازي، تاريخ ايران از زمان باستان تاسال ١٣١٤ شمسي ـ هجري، تهران، ١٣١٨، ص٧٧٠.

(١٦٦) Percy Sykes. A history of Persia, vol. II, London, 1963 pp 545 - 546.

المتوج الى اذربيجان وزار العديد من مدنها واتصل طوال حوالي شهرين بالمتنفذين فيها كجزء من خطته لتحشيد القوى حوله من اجل جولته النهائية.

وبعد كل هذا التمهيد بدأت حملة جديدة وواسعة ضد الاسرة القاجارية وضد شخص احمد شاه وولي عهده وغيرهما حتى لايبقى شخص واحد من العائلة المالكة يكون جديرا بعرش ايران. وظهرت هذه المرة اعلانات وملصقات جدارية ليلية كانت تحمل اسماء جمعيات ومنظمات مختلفة من قبيل «جمعية قوميي ايران»، حاولت جميعها ان تثبت، كما كان يرد في عناوينها البارزة، ان «الاسرة القاجارية ممقوتة» وان احمد شاه «يتسكع في فنادق اوربا وملاهيها» وان ما قدمه الحكم القاجاري لايران على مدى قرن ونيف لايعادل «ماقدمه رضا بهلوي لها خلال اربع سنوات فقط».

لم تفقد القوى التقليدية مع ذلك مواقعها وتأثيرها نهائيا. فقد تمكنت ان تثبت وجودها حتى في تلك الايام العصيبة بالنسبة لها، اذ استغلت نبأ عودة الشاه وازمة الخبز لاثارة قلاقل خطيرة في البلاد. ففي ١٦ ايلول ١٩٢٥ تلقى رئيس الوزراء برقية من احمد شاه يخبره فيها عن عودته قريبا الى «ايران العزيزة» وعن «غاية امتنانه» لانه سيكون «قادرا في القريب» على ان «يناقش الامور مع فخامته» شخصيا.

بعد ثلاثة ايام رد رضا خان باسلوب لم يخل من استهزاء: «حملت البرقية المباركة انباء طيبة من جلالتكم. قوبل نبأ عودتكم الميمونة، وبخاصة قرار تنفيذها العاجل، بالغبطة. التماسي هو ان نعلم امركم السامي عن الميناء الحدودي الذي يتشرف بمقدمكم. رضا»[١٦٧]. انتشر النبأ بسرعة بين الناس. وقد صادف ذلك ازمة خبز حادة في العاصمة جراء الجدب الذي حصل في الموسم الزراعي الاخير والذي ادى الى ان «يموت الناس افواجا في الطرقات» حسب تعبير جريدة «شفق سرخ» في عددها الصادر يوم ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٦. وكان سعر الخبز قد ارتفع لشحته بمعدل ٢٠٪ على اقل تقدير[١٦٨]، الامر الذي استغله اعداء رضا خان من اليمين المتطرف، فقاموا بتنظيم مظاهرات عنيفة يومي ٢٣ و ٢٤ أيلول رفع المشتركون فيها شعار «الشاه

---

(١٦٧) D. N. Wilber, Riza Shah, pp. 104 - 105

(١٦٨) O. S. Melikov, op. cit., p.97

والخبز» ، واحتلوا حديقة المجلس ، وهاجموا الدوائر الحكومية ، ثم اقام حوالي ١٧٠ منهم «بستاً»[١٦٩] في باحة السفارة السوفيتية اضطروا الى تركها بعد ثلاثة أيام تحت ضغط مسؤولي السفارة[١٧٠].

استغل رضا خان هذه الاحداث لوضع اللمسات الاخيرة على خطة خلع الاسرة القاجارية. فقد اعتقل ما بين ٨٠٠ و ٩٠٠ من الساسة الذين كان معظمهم من اشد المتحمسين للحكم القاجاري. واعاد منصب الحاكم العسكري الذي اضطر لالغائه قبل ذلك بفترة وجيزة،كما بدأ بتحريض انصاره في مختلف انحاء البلاد التي شهدت سلسلة من المظاهرات المعاكسة.ففي تبريز مثلا نظمت مسيرات واجتماعات واسعة بعث المشتركون فيها ببرقيات الى المجلس واعضائه والى رئيس الوزراء والزعماء السياسيين في ٤٤ مدينة يعربون فيها عن تاييدهم المطلق لرضا بهلوي وعن احتجاجهم الشديد على قرار عودة الشاه ويؤكدون قطع صلاتهم بالعاصمة وقرارهم لجمع المتطوعين للزحف عليها. وفي اصفهان اغلقت الحوانيت والدوائر الحكومية ابوابها.وفي طهران عقد التجار «بستا» امام دار رئيس الوزراء وفي المدرسة العسكرية ودعوا الايرانيين الى قلب الحكم الايراني وتاسيس حكم «ملكي» منتخب مكانه. وانضمت الى البست جماعات كثيرة منها «المجموعة الزرادشتيه» و«المجموعة الارمنية» و«المجموعة اليهودية» و«التجار الشباب» والاصناف المختلفة. وظهرت النشرات الليلية من جديد وقد بدأت تطالب هذه المرة صراحة بخلع احمد شاه واختيار رضا بهلوي مكانه. وكل هذه النشاطات سواء في العاصمة او في المدن الاخرى كانت تجري تحت اشراف ما عرف

---

(١٦٩) «بست» كلمة فارسية تعني العقد او الانعقاد، وقد تحول الى مصطلح يدل على الاعتصام فبموجبه كان الخارجون على القانون والمحتجون وغيرهم يعتصمون في الاماكن المقدسة والمؤسسات التابعة للسفارات الاجنبية وغيرها دونما ان يطاولهم القانون، وقد تحول الـ «بست» الى احد المظاهر الاساسية للنضال ضد الشاه ايام الثورة الدستوريه.

(١٧٠) «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي»، المجلد الثامن. ص٨٠٦

بـ «لجان الحركة الوطنية»[١٧١]. وفي هذه الفترة نشر حزب التجدد منهاجه[١٧٢] الـذي وردت فيـه شعـارات واهـداف كثـيرة كانت ايـران بامس الحـاجـة اليهـا يومـذاك، من قبيـل اصـلاح الجهـاز الاداري والقضـائي وتطـوير التعليم ومنح حريـة الكـلام والصحـافـة والاضـراب. ووضـع قانـون جديـد يعتمد الإقتراع السـري والتصـويت العـام اسـاسـا لانتخـابـات المجلس. والاهتمام بالتجارة والصناعة والزراعة. ومنع التلاعب بقوت الشعب. وتوزيع الاراضي الاميرية على الفلاحين واصدار القوانين لتنظيم علاقاتهم مع الملاكين على «اساس عادل» وتحديد ساعات العمل بالنسبة للعمال بثمان فقط. وقد جاء كل هذا «السخاء» من جانب حزب رضابهلوي على اوراق صفحات الجرائد من اجل نقطـة اساسية وردت في منهـاجـه والتي كانت تطـالب بـ «اعادة النظـر في الدستور من قبل مجلس تأسيسي»، مما كان يعني تغيير نظام الحكم صراحة.

وبعد ان هيأ رضا بهلوي الجو على الصعيدين الداخلي والخارجي بذكاء يشهد له الجميع اراد ان يتاكد نهائيا من موقف الانكليز قبل ان يضع التاج فوق راسه. ففي اواسط تشرين الاول ١٩٢٥ اجرى وزير خارجيته مرزا حسن مشاور لقائين مع السفير البريطاني في طهران حاول خلالهما ان يتاكد مما اذا كانت الخارجية البريطانية هي التي حرضت الشاه على العودة الى البلاد ام لا وليرى ما هو الحل المقبول «للازمة السياسية» الايرانية في نظر البريطانيين[١٧٣].

وجـاء الـرد البـريطـاني ذكيـا بدوره. ففي ٢٨ تشـرين الاول تسلم وزيـر الخـارجيـة الايـراني رسـالـة شفهيـة خاصة من تشمبرلن بواسطة السفير لورين يكذب الوزير البريطاني فيها الشائعات التي تشير الى مساندة بلاده لاحمد شاه (!!). وفي اللقاء نفسه اكد السفير للوزير الايراني ما ذكره تشمبرلن من

---

(١٧١) D. N. Wliber, Riza Shah, pp. 105 - 106, O. S. Melikov, op. cit., pp.99 - 100, S. L. Agayev, Op. cit., p. 108; (Contemporay Iran), p. 315.

(١٧٢) عن منهاج «حزب التجدد» راجع
O. S. Melikov. op. cit., pp. 97 - 98, M. S. Ivanov, Contemporary Iran, p. 65.

(١٧٣) (Documents On British Forreign policy, 1919 - 1939), Series IA, vol. I, pp. 763 - 764.

«ان حكومة صاحب الجلالة لاترغب في التدخل في الشؤون الداخلية لدولة اخرى صديقة» [١٧٤].

كان رد لندن واضحا بعث الاطمئنان التام في نفس رضا بهلوي. ولندع الكلام للسفير لورين ثانية. فقد اخبر تشمبرلن برقيا انه سلم رده الى وزير الخارجية مرزا حسن خان مشاور في ٢٨ تشرين الاول والتقى برضا بهلوي صبيحة اليوم التالي «فاطلع بدوره على الرد» فجاء تاثيره «ممتازا تماما وكان اختيار الوقت مناسبا» كما ورد نصا في برقيته. ثم يضيف الى ذلك قوله:

«وقد اكد رضا خان بانه عند موقفه من بياناته السابقة فيما يخص علاقات ايران بانكلترا . . . والتي ستعطي مفعولها حال تحرره من المشاكل الحالية» [١٧٥].

فلم يبق اذن سوى الاجراءات الشكلية الاخيرة لخلع القاجاريين. وهنا جاء دور رئيس «حزب التجدد» نائب رئيس المجلس محمد تدين الذي اثار الموضوع امام المجلس يوم ٢٩ تشرين الاول، اي بعد لقاء السفير البريطاني برضا بهلوي مباشرة. ففي ذلك اليوم قدم محمد تدين «نداء» وقعه ٧٦ نائبا يقولون فيه:

«بالنظر للاستياء من الاسرة القاجارية والذي بلغ حدا يهدد البلاد، وبما ان الهدف الاسمى للمجلس هو العمل لوضع نهاية للازمة (السياسية ـ ك.م.) باسرع ما يمكن نحن الموقعون ادناه . . . نقدم الاقتراح التالي ونطلب من المجلس اقراره:

«يعلن المجلس باسم الشعب [١٧٦] خلع الاسرة القاجارية ويعهد ادارة البلاد لسيادة رضا خان بهلوي وقتيا في اطار الدستور والقوانين المرعية».

---

(١٧٤) Ibid, pp. 764 - 765.

(١٧٥) Ibid, p. 765

(١٧٦) في النص «باسم سعادة الشعب»

وعندما جرى التصويت على مشروع القرار بعد يومين [١٧٧] لم يحدث داخل القاعة ما يتناسب مع خطورة القرار في شيء سوى ان المدرس ترك القاعة تفاديا للاشتراك في التصويت وان تقي زاده طالب بتاليف لجنة لدراسة مشروع القانون. ولكن ارتفع صوت رجل واحد مثالي مؤمن بما تعلمه في السوربون عن قدسية القانون وجلال الدستور فاعترض على القرار صراحة هو الدكتور مصدق الذي قدر له من بين الجميع ان يلعب دورا مشهودا في تاريخ ايران السياسي فيما بعد وبالتحديد في عهد ثاني واخر ملوك الاسرة البهلوية محمد رضا شاه.

صوت الى جانب مشروع القرار ٨٠ عضوا مقابل ٥ اعضاء فقط صوتوا ضده، فانتهى بذلك حكم القاجاريين لايران من الناحية الرسمية في ٣١ تشرين الاول عام ١٩٢٥. وقرر المجلس في الجلسة ذاتها اجراء انتخابات لمجلس تأسيسي يأخذ على عاتقه تحديد نوع الحكم في البلاد. وبعد ساعتين من اتخاذ القرار قام العسكريون بوضع الشمع الاحمر على ابواب مصر كلستان، مقر الشاه الشتوي الذي تركه ولي العهد مرتديا السواد، وقد جرى تسفيره بصحبة عدد من افراد اسرته في الليلة نفسها الى الحدود العراقية ووصل بغداد في ٣ تشرين الثاني، وبعد ان ادى مع والدته الزيارة للعتبات المقدسة ولقبور ملوك قاجار غادر العراق الى أوربا[١٧٨].

ما ان انتشر نبأ خلع احمد شاه في طهران حتى امتلأت شوارعها بالناس وبدأ اطلاق المدافع احتفاء بسقوطه. وفي اليوم نفسه زار اعضاء المجلس رضا بهلوي وهنأوه على «ثقة الشعب به»، وطلب منه محمد تدين باسم النواب الامان للقاجاريين واطلاق سراح المسجونين. وفي اليوم التالي اصدر رضا بهلوي اوامر تقضي باعلان عطلة رسمية لمدة ثلاثة ايام وبتخفيض سعر الخبز وبمنع بيع المشروبات الروحية، كما نشر بيانا بالمناسبة ذكر فيه:

---

(١٧٧) عن هذه المواضيع راجع:

D.N. Wilber. Riza Shah, PP. 106 - 107; O S Melikov, Op. Cit., PP. 102 - 105; M.S Ivanov, Contemporary Iran, PP. 65 - 66.

(١٧٨) «العالم العربي» (جريدة)، بغداد، ٤ تشرين الثاني ١٩٢٥.

«لايخفى انـه قد مضى وقت منـذ ظهرت بين الشعب الايراني الحركة التي دلت على نفوره وسخطه على حكم العائلة القاجارية وكانت رغبة الشعب في اسقاط هذه العائلة وخلعها تشتد من يوم الى اخر. وقد اشتد هذا السخط وذلك النفور الى درجة حصل معها عدة حوادث اضطراب في عاصمة البلاد وصار الموقف حرجا يخشى معه اذا اهملت هذه الحـركـات حدوث ثورة هائلة لها نتـائجهـا الفظيعـة». وبعد ان وضع بعض النقاط على الاحرف بصورة غير مباشرة بهذا الاسلوب ادعى الشاه الجديد انه التـزم «جـانب الحيـاد التـام اثناء هذه الحركات احتراما للرأي العام ورغائب الاهالي وشعـورهم ولكي يكـون للجمهـور وللمجلس الـوطني مطلق الحـريـة في التـدبر في مصـالـح الامـة وتكييفها». واختتم بيانه قائلا: «اني واثق من ان جميع الصادقين في وطنيتهم يؤيدونني في حماية مصالح الجمهور»[١٧٩].

وفي ٣ تشـرين الثـاني ١٩٢٥ نشـر في طهـران قانـون انتخـاب اعضاء المجلس التأسيسي الـذي لم يختلف عن قانـون انتخـاب البـرلمـان، وبعـد يومين عين رضـا بهلوي بصفته رئيس الدولة المؤقت وزير ماليته رئيسا للحكومة الجديدة التي اشرفت على انتخابات المجلس المذكور. وبالرغم من محاولات رضا بهلوي اضفاء صبغة ديمقـراطيـة على الانتخـابـات الا انهـا جرت باسلوب يضمن له الاكثـريـة المطلقـة وبسـرعـة جلبت انظـار الصحـافـة الاجنبية. ذلك لان الانتخابات السابقة، بما فيها الانتخـابـات الاخيـرة لمجلس النواب التي جرت باشرافه، كانت تستغرق في العادة مدة سنة واحدة، بينما لم تستغرق انتخابات المجلس التأسيسي الجديد سوى اربعة اسابيع مع ان «الامة الايرانية انتخبته برمتها» كما ادعى رضا بهلوي شخصيا[١٨٠].

إفتتـح رضـا بهلوي المجلس التأسيسي يوم ٦ كانـون الاول «بابهة ملكية» حسب وصف جريـدة «العـالم العـربي» في عددهـا الصادر يوم ٩ كانون الاول ١٩٢٥. وقد استمرت مداولات المجلس لمدة ستة ايام ناقش الاعضاء خلالها قضايا صورية من قبيـل تحـديد لقب رضا بهلوي بان يكون مجرد شاه ام شاهنشاها «ملك الملوك»[١]. ثم اصـدر المجلس في ١٢ كانـون الاول قانـونا يقضي بانهاء حكم الاسرة القاجارية

---

(١٧٩) «العالم العربي»، ٧ تشرين الثاني ١٩٢٥.

(١٨٠) حسين مكي، تاريخ بيست سالـه ايـران، حلد سوم، تهـران، ١٣٢٥، ص٤٨٤. «العالم العربي»، ٩ كانون الاول ١٩٢٥.

وحرمان جميع افرادها من حق الادعاء بالعرش الايراني في المستقبل و«بانتخاب» رضا خان بهلوي شاها جديدا على ايران باغلبية ٢٥٧ صوتا وامتناع ثلاثة فقط عن التصويت هم سليمان مرزا واثنان اخران من زملائه «الاشتراكيين»، وقد اعلنوا انهم مع اختيار رضا بهلوي لكنهم يعترضون على اقامة نظام ملكي وراثي لانه «لايتفق مع المباديء الاشتراكية»[١٨١].

ادى رضا شاه بهلوي اليمين الدستورية يوم ١٥ كانون الاول عام ١٩٢٥ بحضور الوزراء والنواب واعضاء المجلس التأسيسي وكبار العسكريين والوزراء ورؤساء الوزراء السابقين. وفي اليوم التالي دخل قصر كلستان كأول ملك بهلوي، وفي ١٩ كانون الاول كلف فروغي بتأليف اول وزارة في العهد الجديد. وبعد ان امضى رضا شاه في التمعن في ملابس ملوك اوربا اثناء تتويجهم وقع اختياره على زي نابليون بونابارت الذي اجرى بعض التعديل عليه[١٨٢] ثم لبس التاج الشاهنشاهي يوم ٢٥ نيسان ١٩٢٦ في حفل مهيب حضره، فضلا عن كبار المسؤولين الايرانيين، جمع غفير من الدبلوماسيين والصحفيين، والقى خلاله خطابا لم يختلف في محتواه عن خطبه السابقة.

صدى الحدث عالميا:

تلقفت الاوساط الدبلوماسية والصحافة العالمية انباء التغييرات التي شهدتها ايران منذ اواخر تشرين الاول ١٩٢٥ وعلقت عليها من منطلقات مختلفة، ولكن ما يهمنا اكثر من غيره هنا هو الموقف البريطاني الرسمي المعلن وغير المعلن من «الحدث الكبير» بعد وقوعه. ففي الفترة الواقعة بين يومي ٢٩ تشرين الاول و٢ تشرين الثاني ١٩٢٥ بعث السفير لورين عددا من البرقيات المستعجلة الى شخص وزير الخارجية تشمبرلن يخبره فيها بتفاصيل الاحداث الايرانية حال وقوعها. وقد اخبر تشمبرلن في احداها عن «الرغبة الملحة (للنظام الجديد ـ ك. م.) في ان تكون حكومة صاحب الجلالة اول حكومة اجنبية... تعترف به»[١٨٣]. وقد رد الاخير على ذلك بالقول:

«من المعلومات التي وصلت يبدو ان الثورة كانت منظمة كليا ولم تسبب اي ضرر للمصالح البريطانية. والى هذا الحد فان الاحداث لا تجري في اي اتجاه مخالف

(١٨١) D N Wilber, Riza Shah, p 107

(١٨٢) الدكتور عبدالسلام عبدالعزيز فهمي، تاريخ ايران السياسي في القرن العشرين، القاهرة ١٩٧٣، ص ٦٠ ـ ٦١

(١٨٣) (Documents on British Foreign policy, 1919 - 1939), Series IA, Vol I, p 775

لوجهات نظر حكومة صاحب الجلالة» . ثم يطلب الوزير من السفير ان يخبر رضا بهلوي عن استعداد حكومته «للاعتراف بالنظام الجديد» حال «اعترافه من جانبه بجميع المعاهدات والاتفاقيات المعقودة بين البلدين مع ما يترتب عليها من التزامات»(١٨٤) .

وهكذا اعترفت لندن رسميا بالنظام الجديد يوم ٣ تشرين الثاني . وفي تعليق له حول ذلك ذكر لورين لتشمبرلن في برقية بعثها له في اليوم نفسه : «ان موقف رضا خان تجاهي كان وديا للغاية ، وان اجراءكم (يقصدالاعتراف بالنظام الجديد ـ ك . م .) ترك اثرا عميقا عليه»(١٨٥) . وفي نفس اليوم ايضا ابلغت السفارة البريطانية وزارة الخارجية الايرانية عن «قرار الحكومة العراقية» بعدم اخذ الرسوم من الحبوب المصدرة الى ايران عبر اراضيها(١٨٦)، الامر الذي كان في غاية الاهمية بالنسبة لايران التي عانى انتاجها من الحبوب من نقص كبير في الموسم الزراعي ١٩٢٤ ـ ١٩٢٥ ، مما اجبرها حتى على شراء كميات كبيرة من الحبوب من الاتحاد السوفيتي فضلا عن الكميات التي تبرع بها الاخير(١٨٧) .

بدأت الصحافة البريطانية من جانبها بنشر العديد من المقالات في مديح رضا شاه الذي وصفه احد المحاضرين امام «الجمعية الاسيوية المركزية الملكية» في لندن بـ «الرجل القوي الذي تحتاجه ايران» ، الرجل الذي «قدم لبلاده قبل تسنمه للعرش اكثر مما قدمه لها غيره على مدى ثلاثة اجيال مضت»(١٨٨) .

اعترف الاتحاد السوفيتي في الرابع من تشرين الثاني بالنظام الجديد في ايران ، فيكون بذلك ثاني دولة بعد انكلترا تعترف بالعهد البهلوي . وفي الوقت نفسه ابلغ الوزير المفوض السوفيتي لدى طهران ك . ك . يورنييف رضا شاه قرار حكومته برفع تمثيلها الدبلوماسي لدى ايران الى درجة سفارة(١٨٩) .

بعد ذلك توالت إعترافات الدول الاخرى على طهران . ففي خلال الايام الثلاثة

---

(١٨٤) Ibid

(١٨٥) Ibid, pp. 776 - 777

(١٨٦) S. L. Agayev, Op. Cit., p. 190

(١٨٧) مقتبس من S.L Agayev, Op Cit., PP. 191 - 192 «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي» ، المجلد الثامن ، ص ٥٤٨ , ٩٣٤ . «الاستقلال» (جريدة) ، بغداد ، ٨ تشرين الاول ١٩٢٥ .

(١٨٨) مقتبس من S. L. Agayev, op cit., pp. 191 - 192

(١٨٩) «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي» ، المجلد الثامن ، ص٧٠١ .

التالية، من ٥ لغاية ٧ تشرين الثاني، اعترفت كل من المانيا وايطاليا وبلجيكيا والولايات المتحدة الامريكية على التوالي بالنظام الجديد. ومن بين الدول الكبرى تأخر فقط اعتراف فرنسا نسبيا وذلك بسبب خلاف سبق ان وقع بينها وبين ايران حول رسوم امتياز شركة الطيران الفرنسية، مع ذلك فان الخارجية الايرانية تسلمت اعتراف باريس بتغيير الحكم في طهران يوم ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٥[١٩٠].

صدى احداث ايران في العراق:

لم تجد احداث ايران خلال السنوات الاولى التي اتبعت الحرب العالمية الاولى صدى ملموسا لها في العراق وذلك بحكم مجموعة عوامل معروفة منها انعدام صحافة رأي في البلاد يومذاك. فعندما وقع «انقلاب حوت» في ايران كان يصدر في العراق عدد جد قليل من الجرائد والمجلات تأتي في مقدمتها «العراق» ـ الجريدة الرسمية التي كانت تصدر بصورة منتظمة[١٩١]. ولكن حتى «العراق» ظلت لفترة غير قصيرة من الزمن متخلفة عن الركب. فبالنسبة لانقلاب حوت والاحداث التي سبقته، مثلا، كانت تنشر اخبارا متأخرة ومبتسرة للغاية ما كان بوسعها تقديم الحد الادنى من المعلومات الواضحة للقاريء العراقي عن الاحداث الايرانية، حتى تلك التي كانت لها علاقة ما بالعراق من قبيل انسحاب الخبراء والعسكريين البريطانيين من ايران الى هناك او انتقال ضياء الدين طباطبائي بعد سقوطه الى بغداد وما شاكل من مواضيع. وكانت تنشر، في الغالب، اخبار وزارة ايرانية ما او منهاجها بعد سقوطها بفترة غير مقبولة في عالم الصحافة[١٩٢]. لذا ليس بغريب ان اكدت جريدة «العراق» بكل بساطة ان «موقف بريطانيا هو عدم التدخل في الامور الداخلية لايران» مع انها افردت، في الوقت نفسه، ان «الحكومة البريطانية تراقب الاحوال الايرانية بانتباه لا مزيد عليه»[١٩٣]. وقد تطرقت جريدة «الاستقلال» البغدادية الى الوقائع الايرانية بصورة افضل[١٩٤]، الا انها اغلقت في التاسع من شباط عام ١٩٢١، اي عشية «انقلاب حوت» وما اعقبته من احداث خطيرة.

---

(١٩٠) S. L. Agayev, op cit, pp. 190 - 191

(١٩١) فيما عدا الجرائد الانكليزية التي كانت تصدرها سلطات الاحتلال.

(١٩٢) راجع مانشرته جريدة «العراق» عن تأليف وزارة سبهدار اعظم بعد سقوطها بايام في عددها الصادر يوم ٢٨ شباط ١٩٢١ او عن منهاج وزارة ضياء الدين طباطبائي بعد نشره باكثر من اسبوعين في عددها الصادر يوم ١٩ اذار ١٩٢١ وعن تأليف وزارة قوام السلطنة في عددها الصادر يوم ١٠ حزيران ١٩٢١ وغير ذلك من الاخبار

(١٩٣) «العراق»، ١١ و ١٥ حزيران ١٩٢٠.

(١٩٤) راجع على سبيل المثال: «الاستقلال»، ٣٠ كانون الثاني و٢ شباط ١٩٢١.

قطعت الصحافة العراقية في السنوات اللاحقة شوطا ما الى امام، فظهرت جرائد جديدة لها رأيها دونما ان تخضع كليا لارادة سلطات الاحتلال، لذا اولت الصحافة العراقية احداث ايران في اواسط العقد الثالث اهتماما اكبر بكثير من السابق، حتى ان بعضا منها نشرت تقارير صحفية عن الاحداث الايرانية اعدها الصحفيون العراقيون بانفسهم، منها تقرير كتبه الاستاذ عبدالرزاق الحسني عن زيارة رضا بهلوي للعراق قبيل توليه العرش نشره في جريدة «المفيد»[١٩٥]. وقد جلبت الاحداث التي رافقت اعتلاء رضا بهلوي للعرش الايراني انتباه الصحافة العراقية اكثر من غيرها. فان جريدة «العالم العربي»، مثلا، نشرت بصورة واضحة تفاصيل تلك الاحداث وعلقت عليها في بعض الاحيان. فقد تحدثت عن «خلع الاسرة الايرانية المالكة» وعن «احتجاج جلالة الشاه» وعوامل سقوط القاجاريين ومواضيع اخرى كثيرة تتعلق باحداث ايران في تلك الفترة[١٩٦].

اولت الصحافة العراقية شخصية رضا شاه اهتماما خاصا. فقد كرست جريدة «العالم العربي» افتتاحية عددها الصادر يوم ١٧ كانون الاول عام ١٩٢٥ لموضوع مفصل نسبيا تحت هذا العنوان: «الامة تنهض وتتقدم برجالها. رجل ايران العظيم». فأن «البطل البهلوي» حسب تعبير الجريدة «قد تمكن بحكمته وصولته وقوته من الجلوس على العرش الشاهي، وكان هذا المجد، بل هذا الملك ثمرة جهوده العجيبة وقد اكتسبه بعمله واستحقاقه» وعليه «سيقال ان جلالة البهلوي ليس من جملة بعض الملوك الذين يدعوهم التاريخ بالكسالى والبطالين» ذلك لان «جلالة البهلوي فريد عصره اليوم في ايران ونسيج وحده وقد خط لامته بقلم من حديد وعلى صحيفة من فولاذ خطة النهوض والسير في سبيل التجدد والتقدم». ثم تختتم «العالم العربي» مقالها الافتتاحي بالقول «فالهنأ وكل الهنأ لجارتنا العزيزة امة ايران بنهضتها ورقيها وحصولها على ملك عامل وثابت في العمل»[١٩٧].

وقد بلغ اهتمام الصحافة العراقية بشخصية رضا شاه حد ان جريدة اسبوعية مثل «العالم المصور» التي قلما كانت تعير الاخبار السياسية اهتماما يذكر، كرست مقالة افتتاحية لـ «رجل ايران الحديدي» الذي «دحرج اسرة آل قاجار ورماها من شاهق، فاعاد الى الذاكرة حوادث التأريخ الماضية وذكر شباب طهران بابي الراعي نادر شاه

---

(١٩٥) مقابلة مع الاستاذ عبدالرزاق الحسني بتاريخ ١٩٨٢/١٠/٢.

(١٩٦) «العالم العربي»، تشرين الثاني وكانون الاول ١٩٢٥.

(١٩٧) «العالم العربي»، ١٧ كانون الاول ١٩٢٥.

وكيف انهى حكم الاسرة الصفوية . . » . ونشرت الجريدة صورة كبيرة لمؤسس الاسرة البهلوية في صدر صفحتها الاولى[١٩٨] . وبالاسلوب نفسه تحدث بعض المثقفين العراقيين عن رضا شاه في مؤلفاتهم . فمثلا انه كان واحدا من ابطال ثلاثة ظهروا في الشرق حسب راي الشاعر والصحفي ، صاحب مجلة «اليقين» محمد الهاشمي[١٩٩] .

كان اهتمام الاوساط السياسية العراقية بالاحداث الايرانية التي اسفرت عن تأسيس الاسرة البهلوية بالمستوى نفسه ، حتى ان ازدياد اهتمام الصحافة العراقية بالاحداث الايرانية في اواسط العقد الثالث كان بتشجيع من ياسين الهاشمي ، احد رؤساء الوزراء العراقيين انذاك[٢٠٠] . ولم يكن مجرد صدفة ان بكر صدقي ، زعيم اول انقلاب عسكري في العراق ، كان متأثرا الى حد كبير بشخصية رضا شاه حسب اجماع المؤرخين .

التقييم :

مع ان حروف المعلومات التي وردت ضمن هذا البحث في غنى عن ان توضع فوقها النقاط الا ان هنالك بعض الحقائق التي يجب ان نأخذها بنظر الاعتبار عند التقييم النهائي لتأسيس الاسرة البهلوية في ايران ، اولها ان الاحداث التي رافقته لم تكن عفوية ، بل انها كانت تعبر عن مصالح محددة اكثريتها داخلية عكست تطورات وقعت في عمق المجتمع الايراني . فان تأسيس الاسرة البهلوية كان يعني ، في الواقع ، انتهاء حكم الارستقراطية التقليدية وظهور عهد جديد يعتمد اساسا على الملاكين شبه الاقطاعيين والبورجوازيين الجدد ، التجار منهم اولا ، الذين كانوا يؤلفون فئات اجتماعية جديدة ومؤثرة موقعها ايضا في اعلى الهرم الاجتماعي . ففي الظروف الاجتماعية والسياسية التي سادت ايران في الربع الاول من القرن العشرين كان الملاكون شبه الاقطاعيين والتجار يؤلفون القوة الاجتماعية الوحيدة التي بامكانها تسنم السلطة والقضاء على النظام القاجاري الاقطاعي . وان الاعمال التي حققها رضا خان

---

(١٩٨) «العالم المصور» ، بغداد ، ١٨ كانون الاول ١٩٢٥ .

(١٩٩) محمد الهاشمي ، الابطال الثلاثة ، بغداد . ١٩٣٧ . يقصد المؤلف بالابطال الثلاثة رضا شاه ومصطفى كمال اتاتورك والملك فيصل الاول .

(٢٠٠) مقابلة مع الاستاذ عبدالرزاق الحسني بتاريخ ٢/١٠/١٩٨٢ .

بهلوي بعد «انقلاب حوت»، في الفترة ١٩٢١ ـ ١٩٢٥، لاسيما قضاؤه على التسيب الاقطاعي وتقوية السلطة المركزية وحماية الاستقلال السياسي للبلد، دفعت بالاوساط المذكورة الى الالتفاف حوله اكثر فاكثر ذلك لانها، بحكم مصالحها، كانت مهتمة يومذاك اكثر من غيرها بتلك الاجراءات.

مع ذلك فان دور القوى الخارجية في تحديد مسار الاحداث الايرانية خلال العقد الثالث من القرن العشرين لم يكن قليلا. وهنا يستحق رأي المؤلف الايراني رضا اراسته بعض التأمل. انه يقول:

«من السهل ان ترى عن كثب ان المصالح البريطانية قد روعيت بصورة افضل (من السابق ـ ك. م.) عن طريق تعزيز القوى المحافظة المتطرفة، اي بواسطة احياء الدكتاتورية المبنية على التقاليد الايرانية مع الاستفادة نوعا ما من مؤسسات ادارية وقضائية غربية غير متماسكة ـ الحاجة التي لبيت بواسطة دكتاتورية رضا شاه»[٢٠١].

ولولا «فقدان» بعض حلقات الوثائق البريطانية الخاصة لكان بالامكان القاء ضوء اكثر على هذا الجانب من الموضوع. فكما ذكرنا في حينه ان العديد من البرقيات السرية المهمة للسفير هرمن نورمن لم تطبع سوى مقتطفات خاطفة منها في المجلد الثالث عشر من التسلسل الاول لوثائق السياسة الخارجية البريطانية[٢٠٢]. ويصح القول نفسه على تقارير خلفه السفير الجديد لورين. فهناك، مثلا، اربع برقيات غير مطبوعة بعثها لورين الى لندن في عز ايام الصراع الذي ادى الى سقوط القاجاريين[٢٠٣]، فضلا عن تقرير اخر مهم، على ما يبدو، ارسله الى تشمبرلن بتاريخ ٦ تشرين الثاني ١٩٢٥ والذي تحدث فيه السفير عن مداولاته الخاصة مع رضا شاه وتأكيد الاخير له اخلاصه التام للبريطانيين وثقته المطلقة بكلامه وما الى ذلك من مواضيع حساسة وردت في التقرير دون ان تنشر منه سوى نتف وردت في الهامش كتعليق على وثيقة اخرى اقل اهمية[٢٠٤].

---

(٢٠١) A. Riza Arasteh, in Collaboration with Josephine Arasteh, Man and Society in Iran, Leiden, 1964, P. 103.

(٢٠٢) راجع على سبيل المثال:

"Documents on British Foreign policy, 1919 - 1939", First Series, vol. XIII, pp. 539, 548.

(٢٠٣) Ibid, Series IA, Vol, I, p. 775

(٢٠٤) Ibid, pp. 805 - 806

وينطبق الشيء نفسه على الوثائق السوفيتية الخاصة. ففي الوقت الذي تعطي الوثائق المذكورة رايها صراحة في شخص ضياء الدين طباطبائي باعتباره رجل الانكليز في ايران[٢٠٥] نراها تتحفظ في ذكر شيء عن رضا شاه ضمن ما هومتوفر للتداول من الوثائق المذكورة. بينما بدأ السوفيت يهتمون بشخصية رضاه شاه بصورة خاصة بعد ان اصبح رئيسا للوزراء عام ١٩٢٣، الامر الذي لاحظه العديد من المتابعين[٢٠٦]. ويسود الاستشراق السوفيتي منذ البداية وحتى الان تقييمان متناقضان لشخصية رضا شاه احدهما ايجابي والاخر منهما سلبي [٢٠٧]

ومهما يكن من امر فان دور رضا المازندراني وشخصيته وذاته وطموحاته ومركزه كان كبيرا في تحريك الاحداث التي ادت الى سقوط الاسرة القاجارية وتأسيس الاسرة البهلوية الحاكمة في ايران.

وفي الاخير يجب ان نقر ايضا بأن الحدث بحد ذاته لم يؤلف تغييرا جذريا وشاملا في واقع اجتماعي وسياسي سائد مع ان رضا شاه لم يقدم القليل لايران، الا ان جانبا مما قدمه لها فرضته سنة التطور وقوانينه وحاجة الذين ساعدوه على تبؤ العرش، كما ان اجراءاته الاولى اتسمت بطابع فوقي توخى منها الدعاية للعهد الجديد. فان قرار تخفيض سعر الخبز، مثلا، كان تقليدا قديما اتبعه العديد من ملوك ايران في ظروف مشابهة، ثم ان مفعوله لم يسر على جميع المناطق ولم يستمر طويلا في اي مكان. اما قرار منع تداول المشروبات الروحية فانه لم يؤد سوى الى رواجها في السوق السوداء، بينما لم يتخذ الشاه البهلوي اي اجراء ضد الافيون لان مئات التجار والملاكين الجدد من اعوانه كانوا يجنون اموالا طائلة من ورائه على حساب حياة الايرانيين وغيرهم. ولم يجر رضا شاه تغييرا كبيرا في الجهاز الاداري السابق، حتى ان معظم القاجاريين بقوا داخل ايران واستمروا في خدمة العهد الجديد واحتفظوا، كالسابق، بجانب غير قليل من امتيازاتهم، بل ان عددا منهم اصبحوا يتمتعون في العهد البهلوي بنفوذ اكبر من العهد القاجاري حسبما يؤكد ليونارد بندر[٢٠٨].

---

(٢٠٥) «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي»، باللغة الروسية، المجلد الرابع، موسكو، ١٩٦٠، ص٧٨٦.

(٢٠٦) G. Lenczwski, Op. Cit., p. 87

(٢٠٧) للتفصيل حول الموضوع راجع:

S. L. Agayev, Op. Cit., pp. 3 - 5; G. Lenczowski, op. cit.,

(٢٠٨) P. L. Bander, Iran. Politcal development in a Changing Society, California, 1962, pp, 67 - 88.

مع كل ذلـك فقـد بدأ عهـد جديد في تاريخ ايران بتأسيس الاسرة البهلوية ، عهد مليء بالاحداث، جدير بالدراسة من جميع الاوجه.



الموضوع الخامس

حقائق عن «المؤسسة الدينية» في ايران

«المؤسسة الدينية» في ايران [*]، من المواضيع الحساسة، والمهمة جدا، والتي تستحق اهتماما خاصا من لدن المختصين، فدون فهمها على حقيقتها يتعذر، دون شك، فهم الجوانب الاساسية من احداث ايران المعاصرة، ومحركاتها غير المرئية كما يجب.

قبل كل شيء، ومن اجل فهم واقع «المؤسسة الدينية» الايرانية، ولالقاء بعض الضوء على اداة التنفيذ بيد قمة هذه المؤسسة في ظروف ايران الخاصة نستعرض فيما يلي عددا من الارقام الاحصائية الضرورية:

حسب الاحصاءات الرسمية الايرانية كانت اللوحة او الخارطة الدينية لايران في اواخر العهد البهلوي على النحو التالي:

- بلغ عدد المسلمين حوالي ٣٤ مليون شخص (اي ٩٨٪ من مجموع السكان).
- بلغ عدد المسيحيين حوالي ٣٥٠ الف شخص كان اغلبهم من الارمن (حوالي ٢٨٠ الف) ومن الاثوريين النسطوريين (حوالي ٣٢ الف) وغيرهم.
- ٨٥ الف يهودي.
- وحوالي ٢٠٠ الف ينتمون الى طوائف وديانات اخرى.

وتؤلف الشيعة حوالي ٩٠٪ من مجموع مسلمي ايران، اما ١٠٪ الباقية فتتألف من المنتمين الى المذهب السني السائد بين قسم كبير من الاكراد والتركمان والبلوش

وحسب الاحصاء الرسمي العام الثاني بلغ عدد رجال الدين المحترفين في ايران عام ١٩٦٦ اكثر من ١٢ ألف شخص، ١٧٤ منهم كانوا من العنصر النسائي، وبعد سبع سنوات ارتفع الرقم الاول الى ١٥ ألف شخص. وفي العام ١٩٦٣ بلغ عدد المدارس الدينية في ايران ٢٢٩ مدرسة، تضم حوالي ١٤٠ ألف طالبا، كان اكثر من

(*) القي البحث في ندوة «ايران الحاضر والمستقبل» التي عقدها المعهد العالي للدراسات القومية والاشتراكية بجامعة المستنصرية في نيسان عام ١٩٨١، وكان تعقيبا على بحث اخر قدمه السيد عميد المعهد الدكتور نزار عبداللطيف الحديثي.

٦ آلاف منهم في مدينـة قم وحـدهـا. يبلغ عدد المساجد في المدن الايرانية وحدها حوالي ٤٠٠ر٥ مسجدا يقع حوالي الف منها في العاصمة طهران و١٥٥ مسجدا في مدينة قم و٩٧ مسجدا في مدينة كاشان، واكثر من ١٥٠٠ مسجدا في المدن الواقعة وسـط البـلاد، هذا اضـافة الى عدد كبير جدا من المساجد الموجودة في ارياف ايران وقـراهـا (**). ومن المهم ان نشيـر الى ان هذه المساجد والعاملين بين جدرانها كانوا مرتبطين مباشرة، ومن جميع الاوجه، ماديا ومعنويا، بقمة المؤسسة الدينية.

في السنـوات الاخيـرة من عهد الشاه ارتفع عدد الحجاج والزوار الايرانيين بصورة ملموسة للغاية، الامر الذي لم يخل عن بعض التوجهات السياسية للقمة الدينية التي زاولت نشاطا واسعا بينهم بهدف ربط اكبر عدد منهم بنفسها. ففي العام ١٩٦٣ بلغ عدد الحجـاج الايـرانيين ١١ ألف شخص فقـط، ارتفـع عددهم خلال حوالي عقـد واحـد الى اكثـر من ٥٢ ألف شخص، وبعـد سنتين اخـريين بلغ حوالي ٧٠ ألف شخص. وفي العـام ١٩٦٧ بلغ عدد زوار ضريـح الامـام رضـا في مشهد ٣٣٢ ألف شخص، وخلال خمس سنوات فقط ارتفع الرقم الى حوالي مليوني شخص ومن ثم الى ثلاثـة ملايين في العـام ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ اي بنسبـة ١٠٠٠٪. وقـد كرس لخدمة هؤلاء في مشهد عشرون فندقا واكثر من ٢٠٠ دار ومكتبة دينية ومستشفى ومتحف خاص.

تتمتع «المؤسسة الدينية» في ايران بامكانات اقتصادية هائلة تأتيها منذ زمن بعيد من الـوقف الخـاص والعـام الـذي لم يقتصـر على الارض الـزراعية وحدها بل امتد ليشمـل قنـوات الري والخانات والدور والدكاكين والحمامات وغيرها من الاموال غير المنقولة. ولتوضيح هذه النقطة نقتصر على ذكر مثلين نعتبرهما معبرين بهذا الصدد. فقد بلغ عدد قرى الوقف التابعة بصورة مباشرة الى كبار رجال الدين حوالي ستة آلاف قريـة قبـل قيـام محمـد رضا شاه باصلاحه الزراعي الاخير. وفي اواخر الستينات بلغ المورد السنوي لكبار رجال الدين في مدينة مشهد وحدها حوالي ٤٥٠ مليون ريال، وهو مبلغ ضخم للغاية حسب جميع المقاييس وكل الاعتبارات.

مَنَحتْ هذه القـوة الاقتصـاديـة الكبيـرة رجـال الدين امكانية ان يؤلفوا على طول تاريـخ ايـران (منـذ اواخـر العصـر الوسيط وفي كل العصرين الحديث والمعاصر) فئة

(**) تخص الارقام اواخر العهد البهلوي في ايران.

مستقلة عن الشاه والسلطة الى حد كبير، فانهم، كما ذكرنا، ماكانوا يأخذون الرواتب من خزينة الدولة، وكبار آيات الله ماكانوا على اتصال مباشر بالشاه، انهم عند الضرورة كانوا يدعون اليهم من يريدون من كبار المسؤولين ويسلمونه مايريدون ليقوم بايصاله الى الشاه، وكان يستثنى من ذلك في العقود الاخيرة امام الجمعة في مسجد الشاه بطهران الذي كان يعين من قبل الشاه ويأخذ راتبا منظما من خزينة الدولة كأي موظف اخر.

ومما زاد من نفوذ «المؤسسة الدينية» بين الايرانيين انها ظلت تسيطر لغاية العقود الاولى من القرن العشرين على الجانب الاساس من السلطة القضائية، فأن النظر في كل ماكان يتعلق بحياة الناس، فيما عدا قضايا السرقة والقتل والتمرد، كان من اختصاص كبار رجال الدين الذين كانت احكامهم قطعية لايحق لاحد التدخل فيها سوى مرجع ديني اعلى. وينطبق القول نفسه على مسألة التعليم ذات المردود الفكري الكبير. فلغاية العقد الثالث من القرن العشرين كان رجال الدين يسيطرون تقريبا على كل شؤون التعليم في البلاد. وحتى حينما قام رضا شاه باصلاحاته المعروفة في مجال التعليم فان رجال الدين ظلوا يحتفظون ولمدة طويلة نسبيا بحق تدريس مادة الدين في المدارس الرسمية.

ومما كان يقوي من نفوذ كبار رجال الدين بين الايرانيين على مدى قرون طوال هو ظهور الظاهرة الغريبة المعروفة بالـ « به ست » التي كانت تمنح حق الحماية الكاملة لكل خارج على القانون ولكل مناهض للسلطة يلجأ الى بعض المساجد المعروفة، او الى دور كبار رجال الدين دون ان تتمكن السلطة من اتخاذ اي اجراء بحقه.

كل هذه الامتيازات وكل هذا النفوذ دفع كبار المتنفذين في المجتمع الايراني الى الانخراط في المؤسسة الدينية فاصبحوا يؤلفون اساس قمتها وقيادتها. فعلى طول القرون الاخيرة كان كبار رجال الدين الايرانيين ينتمون بالاساس الى الارستقراطية الاقطاعية وكبار ملاكي الارض وكان معظمهم على اتصال وثيق بالسوق وبالرأسماليين الفرس منذ ظهورهم. وحتى صغار رجال الدين فانهم كانوا في اغلبيتهم الساحقة ينتمون الى الفئات الاجتماعية الوسطى كصغار التجار والحرفيين، وفي حالات قليلة فقط، ولاسيما في الريف، كانوا ينتمون الى الوسط الفلاحي

من كل ماسبق نستطيع القول اننا نجد في «المؤسسة الدينية» الايرانية صورة مطابقة الى حد كبير للبابوية الكاثوليكية في اوربا، ويستطيع المرء ان يلمس في صراع القمة الدينية من اجل السلطة الدنيوية بعض ظواهر هذا الصراع في أوربا القرون الماضية. وفي كل الاحوال فأن استقلالية المؤسسة الدينية في امور كثيرة، وكذلك اهتماماتها، ولاسيما الاقتصادية، تشبه البابوية الى حد غير قليل. وعلى غرارها لم تستطع «المؤسسة الدينية» الايرانية ان تبقى بعيدة عن الاحداث السياسية، بل انها تحولت الى محركة اساسية لكل حدث مهم شهدته الساحة الايرانية. والى جانب العوامل الاساسية العامة كانت هنالك ايضا عوامل اساسية خاصة تحرك الفئات المختلفة من كبار رجال الدين بحيث لم يكن هناك تطابق كلي في مواقفها واجتهاداتها التي اتخذت طابعا غريبا في حالات غير قليلة. فعلى سبيل المثال لم يكن بأمر غير متوقع ان تظهر البابية والبهائية في ايران بالذات وان تدعو الحركتان الى امور غريبة تصل حد المطالبة بالغاء الحدود الدولية واللغات القومية والدفاع من بين الجميع عن اليهود المسيطرين على مفاتيح مهمة من التجارة الايرانية. فان زعماء الحركتين بدءاً « بالمهدي المنتظر» علي محمد الشيرازي ومرورا بالشاعرة المعروفة الخارقة الجمال قرة العين ووصولا الى العديد من زعماء البابية والبهائية المتحمسين كانوا ينتمون في ان واحد الى اسر دينية وتجارية معروفة كانت مصالحها مرتبطة بالسوق الرأسمالية العالمية بصورة مباشرة في احيان كثيرة وغير مباشرة في احيان قليلة.

ولئن وقف بعض كبار رجال الدين ضد التسيب الاقطاعي وارادوا الدستور فان ذلك كان نابعا الى حد كبير من حرصهم على مصالحهم الدنيوية الخاصة. فان رجل الدين المعروف الشيخ محمد الخياباني الذي كان من قادة الثورة الدستورية ومن زعماء الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الاولى مباشرة كان بدوره تاجرا كبيرا، ولكن تجارة اسرته كانت تعتمد على الداخل بالاساس، فلم يكن من مصلحتها ولا من مصلحة امثالها ان تدفع قوافلها التجارية ضرائب باهظة الى رؤساء العشائر ١٤ مرة خلال مسيرتها من شمال البلاد الى جنوبها.

وهكذا فان كبار رجال الدين الايرانيين كانوا يتوخون من كل موقف سياسي يتخذونه خدمة مصالحهم الخاصة وحمايتها، وتوسيع نفوذهم السياسي والاجتماعي الى حد كبير. وقد حققوا من مواقفهم السياسية مكاسب كبيرة ونادرة في التأريخ. ومن

الشـواهـد المعبـرة المجلس الخـاص الذي أُسِسَ قانونا عام ١٩٠٧، اي في عز ايام انتصـار الثـورة الـدستورية، والذي تقرر ان يضم خمسة من كبار المجتهدين يقومون بتنفيـذ مهمـة خطيـرة للغاية هي النظر في جميع قرارات البرلمان واقرار موافقتها لروح الاسلام ليتم بعد ذلك فقط عرضها على الشاه الذي لم يحق له اقرار اي قانون جديد مهما كان طابعه دون موافقة المجلس الخماسي المذكور. اذن حققت قمة المؤسسة الـدينيـة جانبـا كبيرا مما ارادت من اشتراكها في الثورة الدستورية من منطلق صراعها من اجل السلطة الدنيوية وتحويل الشاه الى اداة طيعة بيدها. ولم يكن مجرد صدفه ان انتقـل بعـد ذلـك معظم الزعماء الدينيين الى الخندق المقابل عندما بدأت الثورة تتخذ لها مجرى اعمق وبدات تقترب من قضايا تخص الاستغلال الاقطاعي ومسألة الارض وما شابه من امور كان من شأنها مس مصالح قمة «المؤسسة الدينية».

والسؤال المهم الـذي يفـرض نفسـه هنـا هو لمـاذا استفحـل الصـراع بين قمـة «المؤسسـة الـدينيـة» والسلطـة الـدنيـويـة الايـرانيـة في ظل حكم الاسـرة البهلوية بالذات؟. قبل الخوض في الموضوع لابد من التأكيد اولا على انه كان من الطبيعي ان يحـاول النظـام الشـاهنشـاهي استخدام «المؤسسة الدينية» لتثبيت مواقع اقدامه ولتحـويلهـا الى اداة لقمـع الحـركـة الـوطنيـة، وقـد حقق نجـاحـا غير قليل في هذا المضمـار، ولاسيمـا بعـد الحـرب العالمية الثانية مباشرة حينما اعاد محمد رضا شاه امتيـازات مهمـة لكبـار رجـال الـدين. بل ان هذا العـامـل ذاته، اي محاولة تحويل «المؤسـسـة الـدينيـة» الى مجـرد اداة تنفيـذ بيـد الشـاه هو الـذي أجَجَ نار الصراع بين الطـرفين، ذلـك لان الامـر كان يقتضي تجـريـد كبـار رجـال الـدين من امكـانـاتهم الاقتصادية الهائلة لاضعاف نفوذهم ولربطهم بعجلة النظام اكثر فاكثر. ثم ان السلطة كانت تنظـر دائمـا بعين الحسـد والغيـرة الى نفـوذ كبـار رجـال الـدين، لاسيمـا الى امكاناتهم الاقتصادية في وقت كانت خزينتها تعاني من عجز مستمر وتحتاج الى كل ريـال من اجـل تثبيت دعـائمها، خاصة قبل ظهور الموارد النفطية الضخمة. اذن ان تطور الدولة المركزية الحديثة المتوافقة مع روح العصر كان يتطلب في ظروف ايران تجـريـد «المؤسسـة الدينية» من استقلاليتها، وكان من الطبيعي جدا ان يتحول كبار رجـال الـدين الى اعـداء ألـداء لكـائن من كان يحـاول حرمانهم لاي سبب كان من ثرواتهم الطـائلة ونفـوذهم اللامحدود. وقد حاول رضا شاه ان يقوم بذلك فعلا. فقام باجـراءات من شأنهـا تقليص نفـوذ القمـة الـدينية في مجالي التعليم والقضاء. ففي

العام ۱۹۳۱، مثلا، منع المحاكم الدينية من النظر سوى في قضايا بسيطة ونادرة من قبيل زواج رجل غير مسلم من امرأة مسلمة. وقلص عدد المدارس الدينية الى حد كبير بحيث لم يتجاوز عدد طلابها في اواخر عهده ٧٨٤ شخصا. والاخطر من ذلك ان رضا شاه فرض سيطرة الدولة على اراضي الوقف المسجلة بأسم ضريح الامام الرضا في مشهد. وجاء رد فعل كبار رجال الدين على اجراءات رضا شاه قويا، فقد وقفوا بحماس ضده وضد اصلاحاته ورفعوا شعار «ضرورة الجهاد المقدس لحماية الاسلام من تدخلات السلطة الدنيوية» الا ان رضا شاه الذي قدر الامور بصورة صحيحة عرف كيف يضع حدا لمعارضة الزعامة الدينية التي ضربها بشدة، ولكنه بعمله هذا دق ايضا اسفينا بين «المؤسسة الدينية» والاسرة البهلوية!

ولعوامل معلومة انتهج محمد رضا شاه في المرحلة الاخيرة من حكمه نفس نهج والده في امور عديدة تتعلق بالمؤسسة الدينية. فانه مثلا حاول ايام اصلاحاته ان يفرض سيطرة اقوى للدولة على اراضي الوقف وموارد «المؤسسة الدينية»، فاقام لهذا الغرض مؤسسة خاصة للاوقاف مرتبطة بشخص رئيس الوزراء مباشرة اصبح رئيسها احد نواب رئيس الوزراء المتنفذين.

والسؤال، الذي يفرض نفسه بالحاح هو:

لماذا جاء حسم الصراع لصالح «المؤسسة الدينية»؟. يمكن تلخيص عوامل ذلك، على ما نعتقد، في النقاط الرئيسة التالية:

١- تحلل نظام الشاه وضعفه رغم جميع مظاهر القوة البادية عليه.

٢- وجود فراغ سياسي كبير بسبب ضعف البورجوازية الوطنية ممثلة بجماعة مصدق، وبسبب ضعف اليسار الكبير لاسباب معلومة، وكذلك لعجز اليسار المتطرف في ظروف ايران من احداث تغيير جذري.

٣- تحييد الجيش.

٤- اساليب عمل «المؤسسة الدينية».

ومن اجل توضيح هذه الامور نشير الى الملاحظات التالية التي من شأنها القاء اضواء على النقاط المذكورة اعلاه.

* من الطبيعي جدا ان تتحول «المؤسسة الدينية» الايرانية بامكاناتها وتأثيراتها الواسعة الى محط انظار القوى الخارجية المهتمة بأيران، وهذا عامل مهم اثر دائما على تصرفات «المؤسسة الدينية» الايرانية. ومن المفيد ان نشير هنا الى ان مكان

اول اعتصام قام به الدستوريون بزعامة رجال الدين في المرحلة الاولى من الثورة كان باحة السفارة البريطانية في طهران لاغيرها.

* تلقت الزعامة الدينية «اصلاحات» الشاه التي توخى منها تقوية اركان نظامه بتحفظ كبير وعارضتها منذ البداية، وخاصة ماكان يتعلق منها بالمسألة الزراعية، حتى ان الاصلاح الجزئي والسطحي الذي دشنت به الحكومة توجهاتها الجديدة في عهد اقبال لم ترض الزعامة الدينية فوقف ضدها حتى اولئك الزعماء الذين كانوا يأثرون قبل ذلك البقاء بعيدين عن الحياة السياسية فبدأوا يدّعون، مع غيرهم، ان اي تغيير للواقع السائد يتنافى مع روح الشريعة ومضامين الدستور. وقد تمكن هؤلاء فعلا من تنظيم اضراب عام في سوق طهران في كانون الاول عام ١٩٦٢.

* عرفت الزعامة الدينية كيف تستغل كل ثغرة اجتماعية واقتصادية وسياسية للنفوذ من خلالها الى صفوف الجماهير. فأستغلت بنجاح الفقر المدقع الذي كانت تعاني منه الاوساط الاجتماعية المدنية الدنيا، لاسيما تفشي البطالة بينها، واستغلت كذلك الظروف الصعبة للحرفيين وصغار التجار الذين كانوا يعانون بشدة من ضغط كبار الرأسماليين المحليين والبضاعة الاجنبية. انها ادانت سياسة الشاه الخارجية فكسبت بذلك قطاعا واسعا من المثقفين. والتاريخ مليء بالشواهد التي تدل على حالات مشابهة حينما تمكن قائد ما من كسب قطاعات مختلفة وشرائح متناقضة في المجتمع، وربما كان هتلر خير مثال على ذلك.

* كان رجال الدين يعرفون كيف يعملون وكيف يحركون العواطف. فعلى سبيل المثال لا الحصر انهم كانوا يشبهون الشاه بيزيد، الامر الذي كان يكفي لهز عواطف بسطاء الناس في ايران من الاعماق. وقد لجأوا ايضا الى اساليب لا تخلو من الجرأة وروح المغامرة. فقد استولى انصار خميني، مثلا، على اذاعة قم خلال الفترة الواقعة بين يومي ٣ و ٥ حزيران عام ١٩٦٣ حيث اذاعوا النشرات والخطب الحماسية التي كان من شأنها اثارة الجميع ضد الشاه. كما قاموا بتوزيع عشرات الالوف من النشرات المطبوعة المدونة باسلوب عاطفي مؤثر مع التأكيد على مثالب نظام الشاه، واصدروا

مجلة «نهضت روحانيات» السرية منذ خريف ١٩٧١ والتي كانت توزع على نطاق واسع.

* وبالمقابل لم يلجأ الشاه الا الى اساليب فوقية بهدف فت عضد «المؤسسة الدينية»، فقبل كل شيء انه لم يكن مستعدا لمنح الحريات الديمقراطية واجراء تغييرات جوهرية تكون في صالح القوى المؤثرة في المجتمع الايراني ليتمكن بذلك من ابعادها عن «المؤسسة الدينية» حتى وان لم يكسبها الى جانبه. لذا اقتصر الشاه واعوانه على اتخاذ اجراءات فوقية مثل السماح لعدد من رجال الدين بالقاء احاديث يومية من اذاعة طهران والتي لم تلق اذنا صاغية من احد لانها كانت تؤكد اساسا على كيل المديح للشاه ولاجراءاته والتأكيد على اخلاصه للاسلام، وكان دليلهم على ذلك تشجيعه لطبع المصحف الشريف طبعاً أنيقا وباعداد كبيرة، وكان رد المؤسسة الدينية انه (اي الشاه) يعطي النفط للكيان الصهيوني ويؤيدها ضد العرب المسلمين، حتى ان دعاتها وزعت نشرة خاصة بهذا المفهوم على الحجاج الايرانيين في مكة عام ١٩٧٣.

ومن اجراءات الشاه الشكلية ايضا انه قرر عام ١٩٧١ تأسيس ما أسماه بالفرقة الاسلامية بهدف «تقوية الاسلام» كما جاء في قرار اقامة الفرقة التي ضمت خريجي فروع الفقه من الجامعات الايرانية الذين عينوا في الجيش للقيام بالدعاية للشاه في صفوفه. ومن اجراءاته كذلك انه رصد الاموال اكثر من مرة لترميم الاضرحة المقدسة، وتبرع بمليون ونصف مليون ريال لشيعة لبنان، ومليون باون استرليني لترميم المساجد في عمان، كما انه اهدى المسجد الحرام سجادة نادرة تبلغ مساحتها ٨ آلاف متر مربع.

في الختام اؤكد ثانية على الاهمية العلمية والعملية لدراسة «المؤسسة الدينية» في ايران، الموضوع الذي تكمن في ثناياه مفاتيح العديد من «اسرار» ايران في تأريخها الحديث والمعاصر.

الموضوع السادس

حقائق عن النضال التحرري الاذربيجاني في ايران

تقـع اذربيجـان في القسم الجنـوبي الشرقي من المنطقة المعروفة بما وراء القفقاس، تحدها من الشمال داغستان، ومن الشمال الغربي جورجيا، ومن الجنوب الغربي ارمينيا وتـركيـا، ومن الجنـوب كردستـان. كما تشغـل قسـما اسـاسيـا من السواحل الجنوبية، والغربية من قزوين الذي يعتبر اكبر بحر مغلق في العالم[1].

تقـدر مسـاحـة اذربيجـان بحـوالي ١٨٦ الف كم٢، يقع حوالي ٨٧ الف كم٢ منها داخل الاتحاد السوفيتي[2]، وتقع البقية داخل ايران، وتشغل اقسامها الشمالية الغربية. يتجـاوز عدد الاذربيجـانيـين في الاتحاد السوفيتي ٤ ملايين نسمة في الوقت الحاضر[3]، وفي ايران يتجاوز عددهم ٦ ملايين نسمة.

يعتبر الاذربيجانيون من السكان الاصليين في المنطقة التي كانت تعرف قديما باتروباتينا[4] والبانيا القفقاسية[5]، وقد اختلطوا في غضون فترة تأريخية طويلة، تمتد بين الالف الاول قبـل الميـلاد والالف الاول بعـد الميـلاد، بمجمـوعـات ايـرانيـة وتـركية الاصل. وفي الفترة الواقعة بين القرنين الحادي عشر والثالث عشر تكونت اللغة الاذرية المـوحـدة نتيجـة انتقـال موجـات من العشائر الناطقة بالتركية الى اذربيجان[6]، والتي كانت لغاتها اسهل نطقا، وتركيبا من اللغات التي كانت سائدة هناك، فحدث نوع من التفاعل الطبيعي بينها.

وعلى هذا الاسـاس اصبـح لاذربيجـان موقـع متميز في الشرق العريق. فتوجد في سهـولهـا ووديانها اثار حضارية تعود الى عصور ماقبل الميلاد. وفي بداية القرن الخامس كان الاذربيجانيون يستخدمون (الفباء) خاصا بهم يتألف من ٥٢ حرفا[7]. وفي الفترة نفسهـا عاشت اذربيجـان، ذات الامكـانـات الـواسعـة، ازدهـارا اقتصاديا ملموسا، فظهـرت فيهـا مدن لها وزنهـا الحضاري والاقتصادي حسب مقاييس ذلك الزمن، منها

---

(١) يبلغ طول سواحـل بحر قزوين حوالي ٧ الاف كم، يقـع اكثـر من ٦ الاف كيلومـتر منهـا داخل الاتحاد السوفيتي، وأقل من الف منها داخل ايران.

(٢) يؤلف ذلك القسم من اذربيجان احدى جمهوريات الاتحاد السوفيتي.

(٣) بلغ تعدادهم ٣ ملايين و ٦٠٠ ألف نسمة في العام ١٩٦٥.

(٤) اتـروبـاتـين ـ اتـروباتينا (Atropatene) اسم اغريقي قديم، اطلق على جنوب اذربيجان، ويعني بالاصل بلاد الاخمينيين.

(٥) البانيا القفقاسية احدى الدول القديمة التي تأسست في شرق ماوراء القفقاس.

(٦) خصوصا الموجات السلجوقية.

(٧) لاعـداد القسم الاول من هذا البحث استفـاد المؤلف كثيرا من المجلدات الاربعة التي اصدرتها اكـاديميـة العلوم الاذربيجانية بعنوان «تاريخ اذربيجان» باللغة الروسية في ١٩٥٨ ـ ١٩٦٣، ولاسيما المجلدان الاول والثاني (Istoria Azerbaijana, Baku)

شابران وشماخا وكبالا وشمخور وشكي وبرده وكنجه (Ganja) وتبريز، وغيرها من المدن التي تحول بعضها الى مراكز اسلامية مهمة بعد ان انتشر الدين الجديد في اذربيجان في القرن السابع الميلادي. وفي النصف الثاني من القرن التاسع، والنصف الاول من القرن العاشر ظهرت امارات شبه مستقلة في اذربيجان، منها الامارتان المعروفتان السالارية والشدادية[8]، وغيرهما من الامارات التي شهدت المدن الاذربيجانية في ظلها تطورا لاحقا، بحيث بلغ تعداد سكان بعضها (تبريز واردبيل وباكو مثلا) عشرات الالوف.

ومنذ العصور القديمة توجهت انظار الطامعين من مختلف الملل والنحل صوب اذربيجان الغنية. ففي بداية القرن الثالث استولى الساسانيون عليها، وتحول أديمها الى أحد ميادين الصراع الساساني الروماني في القرن الرابع. ومنذ ذلك الوقت لم يقف الاذربيجانيون مكتوفي الايدي امام مضطهديهم، فقد انتفضوا ضد الساسانيين مرارا، في السنوات ٤٥٠ ـ ٤٥١ و٤٥٧ و٤٨١ ـ ٤٨٤ و٥٧١ ـ ٥٧٢.

وفي اواسط القرن الحادي عشر تعرضت اذربيجان للغزو السلجوقي، ومن ثم للغزو المغولي في العقد الرابع من القرن الثالث عشر، وبقيت تؤلف جزءا من دولة المغول لغاية العقد السابع من القرن الرابع عشر، ومن ثم تحولت الى جزء من دولتي قره قوينلو وآق قوينلو المعروفتين.

لعب تأسيس الدولة الصفوية فوق ارض اذربيجان مطلع القرن السادس عشر، دورا مهما في تأريخ تلك البلاد. فقد استولى مؤسس الدولة الصفوية الشاه اسماعيل (١٥٠٢ ـ ١٥٢٤) على القسم الاعظم من اذربيجان التي تحولت الى مركز حكمه. وفي غضون عقود قليلة استطاع الصفويون ضم كل ماتبقى من اذربيجان الى دولتهم التي اتخذت من مدينة تبريز عاصمة لها، ومن الاذربيجانية لغة رسمية لبلاطها وجيشها ومؤسساتها الادارية، وحتى لمراسلاتها الرسمية مع الدول الاجنبية. وسيطر الاذربيجانيون على معظم مرافق الدولة الصفوية ومؤسساتها، ففي اواسط القرن السادس عشر كان ٦٩ من امراء الدولة البالغ مجموعهم ٧٤ اميرا فقط، من الاذربيجانيين الذين كانوا يؤلفون ايضا نسبة عالية داخل الجيش الصفوي قيادة وافرادا. لذا فان رأي بعض المؤرخين بخصوص الانتماء القومي للدولة الصفوية في المرحلة الاولى من وجودها يستحق التأمل. يقول المتخصص المعروف في الدراسات الايرانية البروفيسور م. س. ايفانوف بهذا الصدد مانصه:

---

(٨) عنهما راجع:

C.E. Bosworth, The Islamic Dynasties-A Chronological and Genealogical Handbook, Edinburgh, 1967, NN. 35, 37.

«رغم ان العهد الصفوي في تاريخ ايران لم يدرس الا في حدود ضيقة للغاية، الا انه يمكن القول ان الدولة الصفوية في ظل الصفويين الاوائل لم تكن قطعا دولة ايرانية من حيث المفهوم القومي»[٩].

ولكن لم يدم هذا الواقع طويلا. ففي عهد الشاه عباس الاول، الذي حكم ايران مدة ٤٢ عاما (من ١٥٨٧ حتى ١٦٢٩)، فقد الاذربيجانيون وزنهم السابق في الدولة الصفوية، فقد ابعد الشاه الطموح القادة الاذربيجانيين من الجيش، وزعماءهم من البلاط، وفي العام ١٥٩٨ نقل عاصمة ملكه من قزوين الى اصفهان[١٠]. وبسرعة حلت الفارسية محل الاذربيجانية منذ ذلك التأريخ. وهكذا تحولت اذربيجان الى مجرد مقاطعة داخل ايران. وقد رافق ذلك ترد في الاوضاع الاقتصادية، التي تفاقمت صعوباتها اكثر فاكثر بسبب الصراع الصفوي ـ العثماني الدموي من أجل السيطرة على المنطقة، وفي مقدمتها اذربيجان، كما باشر الصفويون اتباع سياسة التهجير الممقوتة تجاه العناصر غير الفارسية في عهد الشاه عباس الاول.

ظهرت بحكم هذه العوامل امام الشعب الاذربيجاني مهمة النضال ضد مضطهديه من الحكام الصفويين، ويمكن تأشير بداية ذلك النضال في عهد الشاه اسماعيل الصفوي الذي ارسل في العام ١٥٠٩ حملة قوية ضد سكان شابران وشيروان ودربند الذين قاوموها رغم امكاناتهم المتواضعة، خصوصا اهل دربند، اذ لم تستطع قوات الشاه فرض سيطرتها على مدينتهم الا بعد ان حفرت ١٢ منفذا من تحت جدران قلعتها[١١]. وفي عهد الشاه طهماسب الاول (١٥٢٤ ـ ١٥٧٦)، الذي تصفه المصادر كأنسان بخيل ومكروه[١٢]، انفجرت انتفاضة واسعة في مدينة تبريز، والمناطق المجاورة لها، لعب المصارعون فيها دورا قياديا بارزا. ففي ربيع سنة ١٥٧١ لجأ اهل تبريز الى السلاح، واجبروا حاكمها، وعددا من المتنفذين فيها، على الهرب منها. وفي غضون حوالي العامين ظل الثوار يسيطرون على تبريز وماحولها، اذ لم تتمكن قوات الشاه من أستعادتها لغاية العام ١٥٧٣. وبعد ان أعاد الشاه سيطرته على تبريز وضواحيها، امر بشنق اكثر من ١٦٠ من مواطنيها الذين علقت جثثهم في شوارع المدينة، وامام ابواب جوامعها. ولكن الشاه اضطر، مع ذلك، الى ان يعفي اهل تبريز من دفع «ضريبة الديوان» تهدأة لهم[١٣].

---

(9) M. S. Ivanov, Ochirk..., PP. 61 - 62

(10) «Vsemirnaya Istoria», Vol. IV, Moscow, 1958, P. 561.

(11) «Istoria Azerbaijana», T.I., Baku, 1958, P. 26.

(12) M.S. Ivanov, Ochirk.., P. 62.

(13) «Vsemirnaya Istoria», Vol. IV, P. 560; «Istoria Azerbaijana», T.I., P. 250.

اتبعت انتفاضة تبريز انتفاضات مشابهة انفجرت في العقدين الثامن والتاسع من القرن السادس عشر في كل من شيروان وطالش، وتمكن ثوار طالش من السيطرة على المنطقة الممتدة الى مدينة اردبيل، حيث هزموا هناك من قبل قوات الشاه المتفوقة عليهم عددا وعدة. ومنذ ذلك التأريخ، وطيلة النصف الاول من القرن السابع عشر، تحولت منطقتا شيروان وطالش، الى مركزين اساسيين لمقاومة الحكم الصفوي. فقد شهدتا، مع المناطق المجاورة لهما، سلسلة من الانتفاضات في السنوات ١٦١٤ و١٦١٥ و ١٦٢٩ وغيرها. حتى ان الشاه عباس الاول اضطر الى ان يذهب بنفسه على رأس قوة كبيرة الى اذربيجان من أجل قمع حركاتها المعادية المتكررة. وفي كل مرة كانت القوات الايرانية تلجأ الى اشد اساليب القمع ضد سكان المنطقة. فعندما ثار مالايقل عن ثلاثين الف من فلاحي طالش ضد الاقطاعيين الفرس عام ١٦٢٩، قامت قوة حكومية كبيرة بقتل اكثر من سبعة الاف من الطوالش في سبيل القضاء على انتفاضتهم[١٤]. وفي العام ١٦٧١، وعلى مدى عدة سنوات، شهدت قره باغ المجاورة نضالا مسلحا ضد الشاه، واعوانه من الخونة المحليين. وباعتراف المتخصصين ان الانتفاضات الاذربيجانية المتوالية لعبت دورا ملموسا في اضعاف الدولة الصفوية، وسقوطها فريسة سهلة بيد الغزاة الافغان.

ولم يطرأ تغيير ماعلى وضع الاذربيجانيين سواء في سنوات التسيب الافغاني، أو في عهد نادر شاه الافشاري القوي (١٧٣٦ ـ ١٧٤٧). بل بالعكس، فقد ترددت الامور في اذربيجان الى حد واضح ايام حكم الافشاريين لايران. فحسب اقوال شهود عيان غدت متاجر مدنها خاوية من البضائع، فيما جمع رضا قولي، نجل نادر شاه، من اهلها مبلغا ضخما للغاية بلغ مليونا ونصف مليون قران فضي[١٥]، مما اثار اعجاب والده ودهشته. وازداد الضغط الضريبي على السكان بسبب حروب الشاه الافشاري المتكررة، الامر الذي ادى الى حدوث ازمة اقتصادية حادة في المنطقة. وحسبما ورد في وثيقة تعود الى تلك الفترة فان اسعار المواد الحياتية الضرورية قد ارتفعت في اذربيجان بصورة خيالية. وقد ادى الجوع الى انتشار الطاعون في معظم اصقاع اذربيجان سنة ١٧٣٧. وفضلا عن كل ذلك مارس الافشاريون سياسة التهجير بحق الاذربيجانيين، فنقلوا عشرات الالوف منهم الى مناطق ايرانية مختلفة. لذا فان المؤرخين يعتبرون العقد الرابع من القرن الثالث عشر من اصعب فترات التأريخ الاذربيجاني[١٦].

---

(14) «Istoria Azerbaijana», T.I., PP. 250, 275 - 276.

(١٥) عملة فضية، كان وزنها يتراوح مابين ٥ر٤ و ٥ غرامات.

(16) «Istoria Azerbaijana», T.I., PP. 321 - 324

وبحكم كل ذلك كان من الطبيعي جدا ان يتخذ نضال الاذربيجانيين بعد سقوط الصفويين طابعا اوسع حتى من السابق، وذلك بغض النظر عن سطوة نادر شاه، وقسوته التي لم تقف عند حد[١٧]. وربما يكفي ان نشير بهذا الصدد الى ان نادر شاه، رغم انشغاله بحروبه، وغزواته التي اوصلته الى اعماق الهند، الا انه اضطر الى ان يقود بنفسه اربع حملات على اذربيجان بهدف قمع انتفاضات اهلها، دون ان يحصل على نتيجة حاسمة[١٨]. وقد اشار محمد كاظم، مؤرخ نادر شاه الخاص، الى زخم الحركة الثورية الاذربيجانية في العهد الافشاري، الامر الذي اكدته ايضا بعض التقارير الدبلوماسية الخاصة[١٩].

وأهم الانتفاضات التي انفجرت في اذربيجان ايام حكم نادر شاه كانت انتفاضة آستر في حزيران ١٧٣٤، التي اتبعتها انتفاضة اقوى في السنة التالية في مناطق مجاورة لها، فشلت حملتان كبيرتان، قادهما نادر شاه بنفسه، في القضاء عليها. وفي العام ١٧٣٨ انتفض سكان قره باغ وشكي وشيروان وغيرها، فارسل نادر شاه قوة كبيرة ضدهم بقيادة شقيقه ابراهيم خان الذي لقي مصرعه في معركة كبيرة وقعت بين الطرفين يوم ٢٦ تشرين الاول من العام نفسه. وبما ان نادر شاه كان منشغلا في ذلك الوقت بحملته على الهند، لم يتمكن من تكريس قوات اخرى لقمع الثوار الاذربيجانيين لغاية شباط عام ١٧٤١، عندما وجه جيشا جرارا قوامه ١٠٠ الف رجل بهدف القضاء على جميع بؤر المقاومة في اذربيجان وداغستان. ولكن رغم ذلك لم يمر سوى عامين حتى اعلن أهل شيروان، وأردبيل، ومناطق اخرى، العصيان ضد نادر شاه، الذي هزم الثوار قواته، وقتلوا قائدها حيدر خان. واثر ذلك انتقلت المنطقة الممتدة من آق صو حتى دربند الى ايدي الثوار الذين ارسل الشاه جيشا اكبر للقضاء على حركتهم. وبامر منه لجأ جنده الى أساليب في غاية الوحشية ضد الاذربيجانيين. ففي دربند وحدها بلغ وزن العيون التي سملت ١٤ منا (حوالي ٤٠ كيلوغراما)، كما قتل ما لا يقل عن ١٥ الف شخص في شيروان. مع ذلك فان مقاومة اذربيجان استمرت، واضطر نادر شاه لان يقود بنفسه حملته الرابعة، والاخيرة ضد اهلها دون ان يحقق اهدافه النهائية قبل ان يغتال[٢٠].

بعد مقتل نادر شاه، اثر مؤامرة دبرت ضده ليلة ٩ شباط عام ١٧٤٧، دب الوهن

(١٧) عانت معظم شعوب المنطقة الممتدة بين القفقاس ودجلة والسند من قسوة نادر شاه وتعسفه.

(18) «Istoria Azerbaijana», T.I., P. 332.

(١٩) راجع:

«Vsemirnaya Istoria», Vol. IV, PP. 245 - 246

(20) Ibid, Vol. V, PP. 246 - 247; «Istoria Azerbaijana», T.I., PP 324 - 329, 332.

من جديد في اركان الدولة الايرانية التي اقتر بت السلطة المركزية فيها من العدم. فظهر في اذربيجـان عدد كبـير من الامـارات (الخـانيـات) شبه المستقلة، هي قره باغ وشكي وشـير وان وكنجـة وبـاكـو وكـوبـا ودربنـد وتبر يز واردبيل ومراغه وقرهداغ، وغيرها من الامـارات التي لم تخضـع للشـاه الايـراني عمليـا الا في عهـد كريم خان زند (توفي عام ١٧٧٩). ولكن تغير الوضع بالنسبة لها في العهد القاجاري، الذي تمكن مؤسسه اغا محمـد خان من فرض سيطـرتـه على عدد من خانيات اذربيجان الجنوبية اثر حملة شنها على المنطقـة في العـام ١٧٨١. وفي غضـون عامـين آخـرين احتـل كلا من اسـترا باد ومازندران وكيلان[٢١].

وبعـد ان تمكن اغـا محمـد خان القـاجـاري من فرض سيطـرتـه على جنـوب اذربيجـان، جاء دور منـاطقهـا الشمـالية التي استولى عليها تباعا، الامر الذي كلف الطـرفين غاليـا. فعنـدمـا رفض ابـراهيـم خان، امير قره باغ، ان يبعث ابنه رهينة الى طهران، ارسل اغا محمد خان قوة مؤلفة من ٨ الاف رجل للقضاء على امارته. وقد دحر القره باغيون، بالتعاون مع جيرانهم الجورجيين، القوة الايرانية في معركة وقعت قرب قلعة عسكران. فتوجه جيش كبير[٢٢] الى قره باغ في صيف عام ١٧٨٥، وفرض الحصـار على قلعـة شوش التي بلغ عدد المـدافعين عنهـا ١٥ الف شخص. وبعـد قصف مدفعي دام لمـدة ثلاثـة ايـام، فشل حصار شوش الذي استمر لمدة ٣٣ يوما. وقد مارس االغزاة شتى انواع السلب، والنهب، والقسوة مع سكان المنطقة الامنين[٢٣].

ومنذ تأسيس الدولة القاجارية ارتبط مصير اذربيجان باحداث الحروب الايرانية ـ الـروسيـة، ونتائجها بصورة مباشرة[٢٤]. ويومذاك عبر الاستياء الاذربيجاني عن نفسه في صور مختلفة، اهمها قاطبة كان تعاون العديد من ابناء اذربيجان مع الروس ضد الايـرانيين في مواقف ومـواقـع حاسمـة، اسهبنا في استعراض ظواهره ضمن موضوع سابق. ونضيف على ماورد هنـاك الحقـائق التـاليـة التي لهـا مغزاها بالنسبة لما نحن بصدد توضيح ابعاده هنا. ففي الفترة الواقعة بين عامي ١٧٩٧ و ١٧٩٩ ذهبت بعثات عدة من امـارتي قره باغ وكـوبـا الى روسيـا طلبـا للحماية. وفي بداية حرب ١٨٠٤ ـ ١٨١٣ طلب ابـراهيم خليـل خان، اميـر قره باغ، مسـاعدة الروس لردع الايرانيين.

---

(٢١) تمكن اغا محمد خان القاجاري حتى نهاية عام ١٧٩٤ من فرض سيطرته على معظم المقاطعات الايرانية.

(٢٢) كان جيش اغا محمد خان يتألف، حسب ماورد في بعض المصادر، من ٨٥ ألف رجل.

(23) «Istoria Azerbaijana», T.I., PP. 334 - 343, 372 - 376

(٢٤) للتفصيـل عنهـا راجـع المـوضـوع المعنـون «من تاريخ الحروب الايرانية الروسية. صفحة من العلاقات الدولية في الشرق الاوسط قبل ظهور الامبر يالية» في هذا الكتاب.

وعندما اقترب الخطر الايراني من امارته اكثر، وقع في ١٤ ايار ١٨٠٥ اتفاقية مع قائد القوات الروسية العاملة في ماوراء القفقاس، وضع امارته، بموجب بنودها، تحت حماية روسيا. وفي الوقت نفسه تقريبا اتخذت خانية شكي المجاورة خطوة مشابهة لتلك[٢٥].

ولم يقتصر الامر على ماحدث من تقارب ملموس بين اوساط اذربيجانية مسلمة مع روسيا المسيحية، بل تعداه، وبلغ حد حمل الاذربيجانيين السلاح من جديد ضد مضطهديهم الايرانيين. ومن المهم ان نشير بهذا الخصوص الى ان مؤرخ البلاط القاجاري مرزا فيض الله يعترف بالمقاومة الثابتة التي أبداها أهل اذربيجان للقوات الايرانية في سنوات حرب ١٨٠٤ - ١٨١٣، الحقيقة التي اشارت اليها كذلك الوثائق الروسية الخاصة. واثناء حرب ١٨٢٦ - ١٨٢٨ الف الاذربيجانيون كتائب خاصة لضرب الجيش الايراني. وعندما اضطرت قوات ولي العهد عباس مرزا لان تنسحب من العاصمة الثانية تبريز، قام أهل المدينة بجريد من تبقى من الجنود من اسلحتهم، ومن ثم استقبلوا الجيش الروسي الذي دخل تبريز في الايام الاخيرة من الحرب المذكورة[٢٦].

أدت حربا ١٨٠٤ - ١٨١٣ و١٨٢٦ - ١٨٢٨ الى تقسيم اذربيجان الى جزئين متساويين تقريبا، بقي احدهما داخل ايران ليعرف منذ ذلك الوقت باذربيجان الايرانية، التي ظلت تعاني الامرين من السياسة الشوفينية لحكام ايران. وقد تحول هذا الواقع الى محرك اساس للنضال التحرري الاذربيجاني الذي غدا يحتل موقعا متميزا في تأريخ ايران الحديث والمعاصر. فلم تشهد تلك البلاد حدثا سياسيا كبيرا دون ان يكون للاذربيجانيين دور كبير فيه[٢٧].

ان مجموعة من العوامل المتفاعلة فيما بينها هي التي جعلت من الاذربيجانيين راس رمح الحركة الوطنية داخل ايران منذ العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر. فقد تعمقت سياسة حكام ايران الشوفينية تجاههم من جميع الاوجه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، كما تفاقم استغلالهم، وازداد وضعهم الاقتصادي سوءا، مما أجبر عشرات الالوف منهم على عبور حدود روسيا الدولية بحثا عن العمل في حقول نفط باكو، وفي غيرها من الاماكن. ففي اواخر القرن التاسع عشر، واوائل القرن العشرين كان يعبر تلك الحدود سنويا مالايقل عن ٢٠٠ الف ايراني، كان معظمهم من

---

(25) «Istoria Azerbaijana», T.I., P. 381; T. II, Baku, 1960, PP. 6 - 7.

(26) Ibid, T. II, PP. 8 - 9, 37, 42.

(٢٧) يلاحظ نوع من الركود في النضال المسلح للاذربيجانيين، وغيرهم من ابناء شعوب ايران، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.

الاذربيجانيين بالتحديد. فقد بلغ عدد الذين انتقلوا من مدينة تبريز وحدها الى روسيا، وبصورة رسمية[٢٨]، ٢٦٨٥٥ شخصا في العام ١٨٩١، فيما ارتفع الرقم الى ٣٢٨٦٦ في العام ١٩٠٣. وفي العام ١٩٠٤ وصل روسيا من تبريز واورميه وحدهما ٦٢٢٦٧ شخصا بصورة رسمية. وخلال الفترة نفسها كان ينتقل سنويا حوالي ٣٠ الف شخص من ولاية اردبيل وحدها الى روسيا[٢٩]. وكان هؤلاء يلاحظون عن كثب كيف ان ابناء الجزء الشمالي من وطنهم، الذي اصبح تحت سيطرة دولة اوروبية، بدأ يشق طريقا جيدا من التقدم، لايمكن مقارنته بما كان يسود اذربيجان الجنوبية من تخلف قروسطي. فقد بدأت مظاهر اقتصادية وحضارية وثقافية وفكرية مختلفة جديدة تظهر في اذربيجان الشمالية، وخصوصا داخل مدينة باكو[٣٠] التي وجدت المؤسسات الرأسمالية طريقها اليها بفضل ثروتها النفطية التي باشر الروس باستخراجها. ففي بداية القرن العشرين بلغ عدد العمال في ذلك الجزء من اذربيجان حوالي ٦٠ الف شخص. وقبل ان ينتهي القرن التاسع عشر بفترة ظهرت في اذربيجان الشمالية فئة مثقفة متنورة احتكت بالفكر الاوربي بصورة مباشرة، ولها ادبياتها، وصحافتها الخاصة بها. وارتفعت الابنية الحديثة، والمصارف، ودار للاوبرا، وغيرها، في شوارع باكو.

كان من الطبيعي ان تترك هذه الظواهر بصماتها على الوعي الفكري والسياسي للاذربيجانيين الجنوبيين الذين انتقلوا الى مدن اذربيجان الشمالية بدوافع مختلفة، لاسيما وانهم لم يفقدوا صلتهم باهلهم ومواطنيهم في الجنوب، فان معظمهم انتقلوا الى الشمال دون ان يأخذوا اسرهم معهم. ثم ان الواعين منهم اصبحوا على اتصال بالتنظيمات الثورية السرية في روسيا، بما فيها التنظيمات الاشتراكية. وللاستدلال على التأثير الفكري لهؤلاء على الايرانيين عموما، وعلى الاذربيجانيين خصوصا، نقول ان بعضا منهم قاموا بتأسيس اول تنظيم شبه عمالي للكادحين في ايران اطلقوا عليه اسم

---

(٢٨) كانت اعداد كبيرة من الاذربيجانيين يعبرون الحدود بصورة غير رسمية.

(٢٩) للتفصيل راجع:

S. Sh. Aslan, Obrozovanie Iranskay Partii «Ejtimaion - Amion» (Mujahid), Baku, 1975, PP. 6-7.

س. ش. اسلان، تأسيس الحزب الايراني «اجتماعيون - عاميون» (مجاهد)، ملخص رسالة دكتوراه، باللغة الروسية، باكو، ١٩٧٥، ص ٦ - ٧؛

A.R. Arasteh in Collaboration with Josephine Arasteh, Man and Society in Iran, Lieden, 1964, P. 113.

(٣٠) باكو الان عاصمة جمهورية اذربيجان داخل الاتحاد السوفيتي.

«حزب اجتماعيون عاميون»، الذي كان تنظيما اشتراكيا ـ ديمقراطيا، وضع برنامجه ونظامه الداخلي بتأثير من الاشتراكيين الروس. وكان الحزب يطبع منشوراته في باكو بصورة غير علنية، ومن هناك كان ينقله سرا الى داخل ايران، لتقوم فروعه بتوزيعها في المدن الاذربيجانية وغيرها[٣١]. كما وجد النتاج الفكري المتطور للمثقفين الاذربيجانيين الشماليين، من امثال الاديب والمفكر البارز مرزا فتح علي آخندوف (١٨١٢ ـ ١٨٧٨)[٣٢]، وكذلك صحافتهم، اقبالا واسعا بين المثقفين الاذربيجانيين في ايران. فعلى نطاق واسع تداولوا، مثلا، المجلة الانتقادية «ملا نصر الدين» التي كانت تصدر في تبليس باللغة الاذربيجانية، وكانت تتصدى للقضايا الايرانية باسلوب ساخر ترك اثرا كبيرا على الصحافة الايرانية فيما بعد.

تجسدت انعكاسات هذه الامور، وكذلك الدور المتميز للاذربيجانيين في الحركة الديمقراطية الايرانية قبل الثورة الدستورية، وفي سنواتها. فعندما انفجرت حركة اضرابية عامة في اواسط عام ١٨٩١ ضد امتياز التبغ الذي منحه ناصر الدين شاه لشركة تالبوت البريطانية، كان الاذربيجانيون في مقدمة من استجابوا لشعاراته. ففي ١٩ آب نظم التبريزيون مظاهرات واسعة طافت شوارع المدينة، ومرت امام قصر ولي العهد، حاكم الولاية، واقسموا ان يحطموا القنصلية البريطانية في تبريز اذا لم يلغ الشاه الامتياز، كما مزقوا اعلانات شركة تالبوت. وايام الاضراب حمل ٢٠ الف تبريزي السلاح. وكانت تبريز المدينة الوحيدة التي لم يستطع ممثلو تالبوت الدخول اليها.

وردا على ذلك ارسل ناصر الدين شاه قواته للقضاء على المقاومة في تبريز التي اراد ان يجعل منها درسا لكل من يتجرأ على التصدي لامتيازه. ولكنه اضطر أخيرا الى ان يتراجع، ويلغي الامتياز الممنوح للشركة البريطانية[٣٣].

تجسدت انعكاسات الظاهرة الجديدة للحياة السياسية في اذربيجان في سنوات الثورة الدستورية (١٩٠٥ ـ ١٩١١) التي كانت تمثل انطلاقة رائعة بوجه الاستعمار،

---

(31) A. Sh. Aslan, Op. Cit., PP. 12 - 15; «Sovrimenay Iran,» Moscow, 1975, P. 142.

(٣٢) عن تأثيره الكبير على الفكر الثوري الايراني راجع:

A.M. Agahi, O vlianıı M.F. Akhundova na Razvitie Progressivenay Obshestvenay Misl V Irane, «Izvestia Academii Nauk Azerbaijana USSR», N. 10, 1962, PP. 75 - 84.

الدكتور أ. م. اغاهي، حول تأثير اخندوف على تطور الفكر الاجتماعي التقدمي في ايران، مجلة «اخبار اكاديمية علوم اذربيجان السوفيتية»، العدد العاشر، ١٩٦٢، ص ٧٥ ـ ٨٤. راجع خلاصة تاريخ حياة اخندوف في كراس «اخندوف»، تعريب عزالدين مصطفى رسول، باكو، ١٩٦٢.

واستبـداد الشـاه، وكبـار الاقطـاعيـين، رفعت شعـار وضع دستور ديمقراطي للبلاد، المطلب الذي التفت حوله اوساط وفئات اجتماعية مختلفة.

لعب الاذربيجـانيـون دورا اسـاسيا في جميع مراحل الثورة الدستورية. ففي مرحلة الاعـداد والتفجير برزت في الميـدان مجموعة من «الانجمنات» الجمعيات السرية التي ظهرت نواتها في اذربيجان والمقاطعات الشمالية الاخرى منذ العام ١٩٠٥، وكان يطلق على اعضـائهـا اسم (المجـاهـد). ويمكن حصر اهم اهداف هذه الجمعيات الثورية السرية بما يلي:

١ـ ضمان حق انتخاب عام، واقتراع سري لجميع ابناء الشعب.

٢ـ منح الشعب ماسمته بالحريات السبع، التي كان يقصد بها حرية الكلام والطباعة والخطابة والاجتماع، وحق تأسيس الجمعيات، والاضراب، والحريات الشخصية.

٣ـ الاستيلاء على اراضي الشاه، وشراء اراضي كبار الاقطاعيين لتوزيعها على الفلاحين.

٤ـ تحديد يوم العمل بثمان ساعات.

٥ـ اصلاح النظام الضريبي على اساس نسبي ـ تصاعدي يتفق مع ثروة الفرد وامكاناته.

٦ـ نشر التعليم المجاني العام[٣٤].

آمنت هذه الجمعيـات بالارهـاب الفـردي وسيلة للقضـاء على النظـام القاجاري ومؤسسـاتـه. وفعلا دبر المجاهدون من اعضائها امر اغتيال عدد من كبار المسؤولين الـرجعيـين، منهم رئيس الوزراء اتابك اعظم الذي قتله فدائي اذربيجاني يوم ٣١ آب

---

(٣٣) للتفصيل حول الموضوع راجع:

N.R. Keddlie, Religon and Rebellion in Iran. The Tabacco Protest of 1891 - 1892, London, 1966, PP. 39 - 40, 45 - 47, 55 - 59; 66 - 68 etc.; L.M. Kulagina, Ekspansia Inostranovo Imperialisma V Iran..., «Ochirk Novay Istorii Irana», Moscow, 1978, PP. 161 - 165.

ل. م. كولاكينـا، تغلغـل الامـبريـاليـة في ايران وتحويلها الى شبه مستعمرة (العقد الثامن من القرن التـاسـع عشـر ـ بدايـة القـرن العشـرين)، باللغة الروسية، في كتاب «موجز تاريخ ايران الحديث»، موسكـو، ١٩٧٨، ص ١٦١ ـ ١٦٥؛ ب. و. ليبـاريتوفيتش، النضال المعادي للكولونيالية والاقطاع في ايران في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ملخص رسالة دكتوراه باللغة الروسية، يريفان، ١٩٧٤، ص ٢٥ ـ ٢٦.

(٣٤) للتفصيل عن هذه الجمعيات، ونشاطها راجع:

M.S. Ivanov, Ochirk..., PP. 209 - 210.

عام ١٩٠٧ امام بناية المجلس وسط العاصمة طهران[٣٥]، كما انهم حاولوا اغتيال محمد علي شاه في شباط من العام التالي عندما القوا قنبلة على موكبه في أحد شوارع العاصمة، وقد نجا من الموت المحقق صدفة، إذ لم يكن في العربة المخصصة له وقت انفجار القنبلة.

وفي بداية الثورة ظهرت جمعيات «انجمنات» علنية كان ينتخب اعضاؤها للاشراف على عملية انتخابات اعضاء المجلس، وذلك بعد ان اضطر مظفر الدين شاه للموافقة على وضع اول دستور للبلاد في ايلول ١٩٠٦. ولكن هذه (الانجمنات) تحولت بسرعة الى مؤسسات سياسية ثابتة لها وزنها الجماهيري الكبير. وقد ظهر اول انجمن من هذا القبيل باسم «انجمن ملى» (المجلس الشعبي او الجمعية الشعبية) في تبريز التي اشترك اهلها على نطاق واسع في اختيار اعضائها. وقد بلغت سمعة انجمن تبريز، وشعبيته حد ان حاكم اذربيجان، ولي العهد محمد علي مرزا[٣٦]، الغارق حتى اذنيه في افكاره الرجعية، اضطر، على مضض منه، الى ان يحسب له، ولمقترحاته حسابا خاصا. وكان اعضاء الانجمن يفضحون نواقص النظام دون تردد في نشاطهم اليومي، بل انهم اتخذوا بعض الاجراءات المهمة لصالح الجماهير دون ان يعيروا مؤسسات الشاه الحكومية ادنى اهتمام. فقد سعرت هيئات الانجمن الحاجيات الحياتية الضرورية من لحم وخبز، ونظمت الموازين والمقاييس، وحاربت السوق السوداء، واستولت على الحبوب المخزونة لدى بعض المضاربين، ثم وزعتها على المعوزين من سكان تبريز وضواحيها. وبعث انجمن تبريز مندوبين عنه الى المدن والقرى الاذربيجانية بهدف توعية السكان، ونشر الفكر الثوري الدستوري بينهم. وكان للانجمن صحيفته الناطقة باسمه، والتي كانت تسمى ايضا «انجمن»، وتطبع منها في كل مرة خمسة الاف نسخة، الرقم الذي له مغزاه حسب مقاييس زمانه[٣٧]. وكان الانجمن يزود اعضاءه بهوية تحمل شعار «العدالة. الحرية. المساواة. الاتحاد»، وهو بذلك كان يشبه نوادي الثورة الفرنسية الى حد كبير[٣٨].

---

(٣٥) وجدت بحوزة قاتل اتابك اعظم بطاقة شخصية دون فيها مايلي:
«عباس آغا. صير في اذري. عضو الانجمن. فدائي شعبي. الرقم ٤١». راجع:
P. Sykes, A History of Persia, Vol. II. PP. 408 - 409

(٣٦) تبوأ العرش في العام ١٩٠٧ بعد موت والده مظفر الدين شاه، فاصبح يعرف بمحمد علي شاه.

(٣٧) شهدت الصحافة الايرانية في سنوات الثورة الدستورية مدا لم يسبق له مثيل لا في تاريخ ايران حسب، بل ايضا في تاريخ معظم الاقطار الشرقية الاخرى. ففي المرحلة الاولى من الثورة فقط صدرت اكثر من ١٥٠ جريدة ومجلة، كان بعضها باللغة الاذربيجانية.

(٣٨) احمد كسروي، تاريخ مشروطه ايران، جاب هفتم، تهران، ١٣٤٦، ص ٧٢٢؛
P. Sykes, Op. Cit., Vol. II, P. 408.

وفي آب سنة ١٩٠٧ رفض «انجمن تبريز» قبول قرار الشاه الجديد محمد علي، الذي كان يقضي بتعيين الامير فرمان فرما حاكما على اذربيجان، بعد ان شغر المنصب اثر انتقال العرش اليه. ولعب الانجمن نفسه دورا قياديا داخل المجلس ايضا، وذلك من خلال اعضائه الاذريين الذين كانوا يضغطون باستمرار من أجل فرض اجراءات ديمقراطية على الحكومة، ولابعاد كبار المسؤولين المعروفين باتجاهاتهم الرجعية، من وظائفهم.

تحول «انجمن تبريز» بفضل نشاطه، وانجازاته الى قدوة اهتدى بافكاره الثوريون في المدن الايرانية الاخرى، كما ان دوره الكبير جلب انظار المراقبين الاجانب. فقد ورد بحقه في تقرير دبلوماسي روسي، يحمل تأريخ ٢٤ آب ١٩٠٨، مانصه:

> «في الواقع ان كل السلطة في تبريز انتقلت منذ زمن بعيد الى الانجمن المحلي الذي يعتبر من اكثر الانجمنات الايرانية نفوذا، وله فرع في العاصمة طهران يصغي الى صوته جميع اعضاء المجلس»[٣٩].

وعندما تمكن محمد علي شاه من توجيه ضربة قوية للقوى الديمقراطية في العاصمة، انتقل ثقل النضال الثوري الى اذربيجان. ففي ٢٣ حزيران ١٩٠٨ اعلن الشاه الاحكام العرفية في طهران، وبامر منه قصف القوزاق[٤٠] بناية المجلس بالمدفعية لمدة عدة ساعات، واعتقل اعضاؤه الراديكاليون، مع غيرهم من العناصر الديمقراطية الذين تعرضوا لصنوف الاهانة والتعذيب، كما نفذ حكم الموت بحق عدد من ابرزهم، منهم الصحفي والكاتب المعروف ملك المتكلمين. وقد تجاوز عدد ضحايا القصف والارهاب عدة مئات من الوطنيين بين قتيل وجريح وسجين[٤١].

كان رد فعل اذربيجان على احداث العاصمة سريعا، وقويا للغاية. فقد ظهر في صفوف الجماهير المعذبة هناك قائدان ثوريان ذاع صيتهما في طول البلاد وعرضها، هما ستار خان وباقر خان[٤٢]، اللذان بعثا في اليوم الاول لانقلاب الشاه برقية الى المجلس يؤكدان فيها باسم انجمن تبريز ان اكثرية المدن الايرانية تعتبر محمد علي شاه خائنا

---

(٣٩) مقتبس من:

M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 212.

(٤٠) قوة عسكرية اسست على نمط القوزاق الروس، وكان يقود افرادها، ويدربهم ضباط من الروس.

(٤١) تسمى المصادر هذه الاحداث «انقلاب محمد علي شاه».

(٤٢) جاءهما لقب الخان من بسطاء الناس تعبيرا عما كانوا يكنونه نحوهما من تقدير واحترام.

للوطن[٤٣].

كان ستار خان مزارعا صغيرا، قوي التأثير على اقرانه، شجاعا مقداما، ثابت العزم والارادة، صادقا صدوقا، وقف باستمرار الى جانب فقراء اذربيجان في نضالهم من اجل الارض والخبز[٤٤]. وكان من الطبيعي ان يشترك بحماس في احداث الثورة الدستورية منذ لحظة انفجارها، بحيث استحق عن جدارة شرف انتخابه عضوا فخريا في «انجمن تبريز». جمع ستار خان عددا كبيرا من اصلب الفدائيين حوله، وذاد بحماس عن مكتسبات الثورة، مما أثار ضده حنق الرجعيين، حتى ان الشاه خصص مبلغا ضخما مكافئة لمن يأتيه برأسه. ومن الجدير بالذكر ان اسم ستار خان قد برز حتى في الصحف الاوربية التي كانت تسميه «غاريبا لدي ايران»، اما الجماهير فقد منحته لقب «سردار ملى» الرفيع، أي القائد الوطني. كما خلده الشعر الاذربيجاني الحديث باعتباره بطلا قوميا[٤٥].

اما رفيقه في الفكر والسلاح باقر خان، فقد كان عاملا بسيطا، يشتغل في مقلع للحجر، تميز ايضا بالشجاعة والاخلاص، فمنحه ثوار اذربيجان لقب «سالار ملى»، أي الزعيم الوطني.

التف الوطنيون الاذربيجانيون حول هذين الزعيمين، لتتبلور بذلك ابعاد انتفاضة رائعة في تبريز، تعتبر ذروة العمل الثوري في خضم احداث الثورة الدستورية[٤٦]، والتي عبرت شعاراتها بصدق عن عمق محتواها، وتقدير قادتها لمهمات مرحلتهم التأريخية. فقد تركزت مطاليب الثوار على اعادة الدستور، والدعوة لانعقاد مجلس جديد، وطرد كل الاجانب الذين وقفوا الى جانب محمد علي شاه، وبطانته الرجعية ايام انقلاب حزيران ١٩٠٨ في طهران.

وبفضل التفاف الجماهير حول هذه الشعارات تمكن قادة الانتفاضة من ضرب اعداء الثورة، وتطهير تبريز منهم في تشرين الاول عام ١٩٠٨. واستولى الثوار على موجودات مخزن الاسلحة التابع للحامية الحكومية في تبريز، والتي كانت تتألف من

---

(٤٣) عبدالله رازي، تاريخ مفصل ايران از تأسيس سلسلهء ماد تا عصر حاضر، ص ٥٢١.

(٤٤) عن تاريخ حياة ستار خان وباقر خان، وعن نشاطهما راجع:

محمد رضا عافيت، سردار ملى ستار خان، باللغة الاذربيجانية، باكى (؟)، ١٩٦٨؛ اسماعيل امير خيزي، قيام اذربايجان وستارخان، تبريز، ١٣٣٩ هـ، ص ٢ - ٧، ٢١ - ٢٣؛ احمد كسروي، تاريخ مشروطهء ايران، ص ٦٩١ - ٧٠٩؛ كريم طاهرزاده بهزاد، قيام اذربايجان در انقلاب مشروطيت ايران، ص ٤٤٢ - ٤٤٧.

(٤٥) راجع: محمد رضاعافيت، سردار ملى ستار خان، ص ١٣٥ - ١٤٩.

(46) «Sovrimenay Iran», P. 143.

عشرين الف بندقية، مع عدد من المدافع، وكميات من الذخائر[47]. كما نظم الثوار شؤون المدينة، وما والاها من مناطق باسلوب استرعى انتباه المراقبين الاجانب. فان المسؤولين الروس الذين كانوا يكنون الحقد تجاه الثوار، ويتآمرون ضدهم، اعترفوا في تقاريرهم السرية التي كانوا يبعثونها الى بطرسبورغ، بان اوضاع المنطقة في ظل ادارة الثوار غدت افضل بكثير مما كان عليه الامر قبل ذلك.

تمكن ثوار تبريز في غضون فترة وجيزة من تأليف هيئات خاصة للاشراف على البلدية، ودوائر البرق والبريد والمالية والمعارف والعدل، ووضعوا حدا للمضاربين، والمتلاعبين بقوت الشعب، وصادروا ممتلكات الشاه واقربائه في المنطقة. واتخذوا اجراءات معينة ضد المصالح الاجنبية في اذربيجان، فقد استولوا على اراضي عدد من الملاكين الذين كانوا من تبعية روسية، واجبروا الشركة البريطانية للتلغراف على دفع مبالغ محددة لصالح خزينة الثوار. كما اولوا الدفاع عن تبريز جانبا كبيرا من اهتمامهم، فقد الفوا لجنة خاصة للاشراف على شؤونها باسم «كمسيون جنك»، اي اللجنة الحربية التي اخذت على عاتقها امور تنظيم كتائب المتطوعين، وتدريب افرادها على استخدام الاسلحة، بما فيها المدافع. ولغاية ايلول ١٩٠٨ ارتفع عدد المتطوعين في المنطقة الى حوالي عشرة الاف رجل[48]. وتتوفر شهادات مقنعة تبين ان الأمور داخل تبريز وضواحيها كانت مستتبة تماما في ظل ادارة الثوار[49].

تلقت الاوساط الشعبية الاذربيجانية في كل مكان انباء انتفاضة تبريز بارتياح بالغ، فتقاطر المتطوعون على المدينة، ولم يمر سوى وقت قصير حتى انتقلت السلطة الفعلية في معظم المناطق الادرية الايرانية الى ايدي ثوار تبريز الذين تلقوا ايضا مساعدات قيمة من اخوتهم الاذربيجانيين الشماليين، ومن ثوريي ماوراء القفقاس الذين اسسوا لجنة خاصة اخذت على عاتقها مهمة طبع منشورات الثوار، وابداء صنوف المساعدات الممكنة لهم، بما في ذلك الاسلحة وذخيرتها التي كانوا يخفونها ضمن بضائع القوافل التجارية المتوجهة الى ايران. وفضلا عن ذلك جاء متطوعون من

(47) M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 228

(٤٨) اسماعيل امير خيزي، قيام اذربايجان وستار خان، ص ٢٤٩ - ٢٥٠؛
M.S. Ivanov, Ochirk .., PP 228 - 229; H. Nazem, Russia and Great Britain in Iran (1900 - 1914), Teheran, 1975, P 42.

(٤٩) راجع:
W.M. Shuster, The Strangling of Persia, Story of the European Diplomacy and Oriental Intrique That Resulted in the Denationalization of Twelve Million Mohammedans. A Personal Narrative, New York, 1912, P. XI.

مختلف مناطق ماوراء القفقاس الى تبريز، حيث اسسوا ورشات صغيرة لانتاج القنابل والرمانات، واقاموا مستشفى لمعالجة المرضى والجرحى من أهل المدينة وضواحيها، افتتح يوم ١٤ ذي القعدة ١٣٢٦ (٩ كانون الاول ١٩٠٨) باسم «مريضخانهء ملى»، اي مستشفى الشعب. واشتركوا ايضا في القتال الفعلي للثوار ضد اعدائهم، فقتل منهم اكثر من عشرين متطوع، تحول تشييعهم الى تظاهرة شعبية. وكان من الطبيعي ان تثير هذه الامور حنق محمد علي شاه، فاتصل بشخص القيصر نيقولا الثاني يطلب منه العمل للحيلولة دونها، وفعلا اصدر القيصر اوامر صارمة بهذا الصدد(٥٠).

وجدت انتفاضة تبريز صدى ابعد لها من مناطق ماوراء القفقاس. فقد نشرت جريدة «مساوات» الاسبوعية في عددها الصادر يوم ١٤ محرم ١٣٢٧ هـ نص الرسالة التي بعثها ٧٥٨ من طلاب دار الفنون بموسكو الى ستارخان يؤيدون فيها بحماس نضاله من أجل «اعلاء راية الحرية». وفي العدد نفسه نشرت الجريدة رسالة اخرى بعثتها الى ستارخان «الجمعية الخيرية للايرانيات المقيمات باستانبول»، التي ختمت رسالتها بالدعاء لنصرة «المجاهدين في سبيل الله على عموم خونة الشعب، ومخربي الوطن المقدس». ونشرت جريدة «صباح» الصادرة في استانبول مقالات تؤيد فيها ثوار اذربيجان، وتدعو الناس لجمع التبرعات لهم. وكما يؤكد اسماعيل أمير خيزي، احد اعضاء «انجمن تبريز»، ان نشيدا وطنيا شاع في المغرب ايام الثورة الدستورية كان يتغنى ببطولات ستار خان(٥١).

انتقلت اشعاعات احداث اذربيجان الثورية الى المناطق الايرانية الاخرى بسرعة، ليتحول الجزر الذي سببه انقلاب حزيران ١٩٠٨ الى مد ثوري جديد. ففي كانون الثاني ١٩٠٩ انفجرت انتفاضة في اصفهان ادت الى انتقال السلطة في المدينة، وماحولها الى الدستوريين الذين انضم اليهم ابناء عشيرة بختياري المعروفة، بعد ان فشل الشاه في استخدامهم ضد ثوار تبريز. كما تحرك اهل كيلان، واستولى الدستوريون على السلطة في العديد من المدن والمناطق الجنوبية، بما فيها ميناء بندر عباس وبوشهر.

وهكذا بدأ الخطر يهدد من جديد، ومن كل جانب عرش محمد علي شاه الذي فقد سيطرته على معظم المناطق الايرانية. وفي محاولة منه لردع الثوار لجأ الشاه الى

---

(50) M.S. Ivanov, Ochirk..., PP. 229 - 231

(٥١) اسماعيل امير خيزي، قيام اذربايجان وستار خان، ص ٢٩٧ - ٢٩٨، ٣٠٣، ٣٩٦ - ٣٩٧.

استخدام القوة، وحرك اكثر القوى الاقطاعية تخلفا ضدهم، بل وحتى استعان بقطاع الطرق، والقتلة، وحاول توجيه ضربته الاولى الى ثوار اذربيجان الذين ارسل قوات كبيرة من الجيش، ورجال الاقطاعيين الخونة من أمثال رحيم خان، للقضاء على حركتهم. وقد تمكن الاعداء بالفعل من اعادة فرض سيطرتهم على بعض المناطق، وسيطروا على طريق جلفا - تبريز المهم الذي كان يؤلف حلقة وصل اساسية بين الثوار وديمقراطيي ماوراء القفقاس، وقبل حلول شباط ١٩٠٩ اطبقوا حصارا محكما على تبريز نفسها، اشترك فيه بايعاز من الشاه، الشقاة وقطاع الطرق، فعانى سكان تبريز من نقص خطر في المواد الغذائية[٥٢]. ولكن رغم ذلك دافع الثوار عن مكتسباتهم ببسالة، واتخذوا كل ما من شأنه وقف الزحف المعادي، فوجه رجال ستار خان وباقر خان ضرباتهم لقوات الشاه واعوانه، كما ارسل الثوار دعاتهم للاتصال بالجنود.

وعندما لم يحقق الشاه النجاح المطلوب، وظل خطر الثورة جاثما، هب المستعمرون الروس والبريطانيون لمساعدته، خاصة وانهم بدأوا يخشون مضاعفات الثورة الدستورية، واحتمال تأثيرها على شعوب القفقاس والهند المجاورة، الامر الذي تفاقم خطره اكثر بعد انتصار ثورة الاتحاديين في تركيا عام ١٩٠٨. وهكذا القى حكام بطرسبورغ ولندن الاقنعة من وجوههم، فنزلت قواتهم الى الميدان الايراني منذ نيسان ١٩٠٩ للاشتراك الفعلي في ضرب بؤر الثورة. فقد احتلت القوات البريطانية العديد من المدن الايرانية الجنوبية، فيما وجه حكام روسيا قواتهم بقيادة الجنرال سنارسكي (Snarski) الى تبريز في أواخر نيسان، وذلك بحجة انقاذ الاجانب الموجودين هناك، وايصال الحاجيات الضرورية اليهم، كما قامت قوة روسية اخرى باحتلال اردبيل في الوقت نفسه.

ورغم احتلالهم لتبريز، الا ان الروس لم يلقوا القبض على ستار خان وباقر خان[٥٣]، كما لم يقدموا على تجريد رجالهما من اسلحتهم مباشرة، خشية ماكانوا يتوقعونه من عواقب اجراء من هذا القبيل. ولكن ماان استتبت الامور لهم حتى طلبوا منهما مغادرة تبريز، فتوجها مع قسم من رجالهما الى العاصمة طهران، حيث استقبلتهما جماهير المدينة استقبال الابطال. واضطر اخرون من قادة الانتفاضة الى ترك البلاد، والتوجه الى استانبول.

أثار احتلال تبريز من جانب القوات الروسية الدستوريين في المناطق الاخرى،

(52) M.E. Yapp, 1900 - 1921, the Last Years of Qajar Oynasty, «Twentieth Century Iran», New York 1977, P. 11; H. Nazem, Op. Cit., PP. 47 - 50.

(٥٣) لجأ ستار خان وباقر خان في البداية الى دار القنصلية العثمانية في تبريز.

فانهـالت على رئيس الـوزراء برقيـات احتجـاج شديـدة اللهجـة من رشت وقـزوين واصفهـان، فضـلا عن تبـريز نفسها، طالب اصحابها منه ان تتخذ حكومته اجراءات حاسمة لفرض انسحاب عاجل للقطعات الروسية من المنطقة[٥٤]. وبعد فترة وجيزة لجأ التبريزيون الى السلاح ثانية في محاولة منهم لاجبار المحتلين على الانسحاب، مع العلم ان زعماء الدستوريين اوصوا المجاهدين في البداية ان لايتحرشوا بالقوات الروسية على اساس ان قادتها اكدوا ان مهمتها تقتصر على فتح الطريق الى المدينة، وايصال المؤن الى اهلها، وضمان انسحاب الاجانب منها، لتنسحب هي بعد ذلك من االمنطقـة دون تأخيـر. ولكن الـروس الـذين كانـوا يطمعـون بمنطقة تبريز، التي طالبوا بها اثناء مفاوضات عقد «معاهدة تركمانجاي»، لم تبد عليهم نية الانسحاب، بل بقـوا هنـاك بالفعـل حتى سنـوات الحـرب العالمية الاولى، وعززوا مواقعهـم كلما وجـدوا الى ذلـك سبيـلا. فعنـدمـا هاجم رجـال رحيم خان اردبيل في ايلول ١٩٠٩ اتخذت بطرسبورغ منه ذريعة لارسال قوات جديدة الى المنطقة، وتأجيل الانسحاب المـوعـود. وامـام عجـز الحكـومـة المركزية، وتلكؤها الصـريح، نـزل أهل تبريز الى ميـدان التصـدي المسلح للقـوات الروسية رغم امكاناتهم المتواضعة جدا. ففي ٢٧ كانون الاول ١٩٠٩ هاجم الفدائيون القوات الروسية التي اخترقت حرمة المدينة ردا على الهجـوم، فدخلتهـا على رأس الجنرال فوربانوف (Vorbpanov)، ونفذت حكم الموت بحق عدد من المجاهدين[٥٥].

وتجـددت مقـاومـة الاذربيجـانيين للقـوات الـروسية في اواخر عام ١٩١١، اثناء الازمـة السيـاسيـة الحادة التي ظهرت بسبب موقف روسيا المعارض من وجود الخبير المـالي الامـريكي شوستـر في ايـران. فارتفعت اصـوات تنـادي بمقـاطعـة البضائع الـروسيـة. وفي اواخـر كانون الاول وقع صدام مباشر بين الجنود الروس واهالي تبريز ورشت، ادى الى وقـوع خسـائـر بين الطرفين، تختلف المصادر في تقدير حجمها. ولكن الـذي يستـرعي الانتبـاه ان التبـريـزيين مثلوا بجثث القتلى من الجنـود الروس الذين نشرت جريدة تايمس اللندنية صورهـم في عددها الصادر يوم ١٥ كانون الثاني ١٩١٢. وقد دفع ذلك الروس الى اتخاذ اجراءات مشددة بحق التبريزيين، فقد القوا القبض على اعـداد كبيـرة منهم، قدموهـم الى محاكم خاصة شكلوها لهذا الغرض،

---

(54) H. Nazem, Op Cit., P. 51

(٥٥) بروفيسور و. مينورسكى، تاريخ تبريز، ترجمه وتحشيهء عبد العلي كارنك، ص ٧٥.

كمـا نفـذوا حكم المـوت بحق ٩ من ابـرز زعمـاء الفـدائيين الاذبيجـانيين، مما اثار استياءً كبيرا في النفوس على الصعيدين الداخلي والخارجي[٥٦].

ان انتفاضة تبريز، ونتائجها، مع موقف الشاه من الاحتلال الروسي ومضاعفاته، فجرت الاوضاع في ايران، فتحرك المجاهدون من الشمال والجنوب صوب طهران، حيث اجبـروا محمـد علي شاه على التخلي عن العرش لابنه احمد شاه الذي اصبح اخر ملك قاجاري حكم ايران لغاية عام ١٩٢٥[٥٧]. اما الثورة الدستورية، التي كان الاذربيجـانيـون يؤلفون قوة محركة اساسية فيها، فقد اصبح بالامكان وضع نهاية لها بتـدخـل مباشر من المستعمرين البريطانيين، ولاسيما الروس، وتعاونهم مع حكومة الشاه في أواخر سنة ١٩١١.

بعد القضاء على الثورة الدستورية بدأت فترة جزر في النضال التحرري الاذري، شأنه في ذلك شأن مجمل الحركة الوطنية الايرانية. ولكن حتى انذاك ارتفعت اصوات الاحتجـاج مرارا ضد الـوجـود الـروسي في اذربيجـان، الامـر الـذي سجلتـه الوثائق الدبلوماسية السرية الروسية اكثر من مرة[٥٨]. كما ان الموضوع نفسه اثار اوساطا اخرى خارج ايران. ففي لقاء جرى بين وزير خارجية تركيا عاصم بيك والسفير الروسي لدى الباب العالي جريكوف (Chrikoff) عبر الوزير عن امله في «حل مشكلة تبريز بسرعة»، خصوصا وانها، كما اكد، «تثير قلقا كبيرا بين مسلمي تركيا»[٥٩].

وكـل الـدلائـل تشير الى ان حكام روسيا كانوا يخططون للاستيلاء على اذربيجان الجنـوبيـة لضمهـا الى بلادهم في اقرب فرصة مواتية، لذا نراهم يشجعون على نطاق واسـع اقتنـاء الارض الـزراعيـة هنـاك من قبل مواطنيهم، واعوانهم من الاذربيجانيين وغيرهم من الايرانيين. فحسبما اكدت جريدة «تايمس» اللندنية في عددها الصادر يوم ١٨ حزيـران ١٩١٤، وبـالاستنـاد الى مصـادر ايرانية رسمية، ان حوالي ثلث اراضي

---

(٥٦) للتفصيل راجع:

H. Nazem, Op. Cit., PP 105 - 108

(٥٧) للتفصيل راجع:

P. Sykes, Op. Cit., PP 419 - 420.

(٥٨) «وزارة الخارجية ـ العلاقات الدولية في عصر الامبريالية ـ وثائق ارشيفات الحكومة القيصرية والحكـومـة المؤقتـة ١٨٧٨ ـ ١٩١٧»، التسلسـل الثالث، المجلد الرابع (٢٨ حزيران ـ ٢٢ تموز ١٩١٤)، موسكو ـ لينيغراد، ١٩٣١، ص ٣١٥ ـ ٣١٨، الوثيقة رقم ٢٥٥.

(٥٩) المصـدر نفسـه، المجلد التـاسع عشر، القسم الثاني (١٤ كانون الثاني ـ ١٣ ايار ١٩١٢)، موسكو ـ لينيغراد، ١٩٣٨، ص ١ ـ ٢، الوثيقة رقم ٣٤٦ والهامش رقم ٢.

المنطقــة غدت تحت سيطرة الروس [illegible] من ملاكي الارض في اذربيجان كانوا عشية الحرب العالمية الاولى [illegible] رعايا روسيا، او من كانوا يتمتعون بحمايتها(٦٠).

وهكـذا فان اذربيجان الايرانيـة قد غدت [illegible] رسمية قبل الحرب، خاصـة بعـد ان عين [illegible] من الـروس، فقـد تمادى في موقفه [illegible] مصالح الخـزينـة المـركـزيـة، مع ان ذلك كان يمثل القناة [illegible] التي مارست طهران نفـوذهـا في الـولايـة من خلالها. كما [illegible] الانتخابات الجديدة للمجلس التي بدأت في اذار ١٩١٤(٦١). [illegible] ان اعترض على اقامة الاحتفالات بمناسبة تتويج احمد شاه [illegible] اوامر صريحة بهذا المعنى(٦٢).

عانت اذربيجان الايرانيـة [illegible] الحرب العالمية الاولى، خصوصا وان اراضيها تحولت الى ميدان [illegible] والتركية، وحتى الالمـانيـة، فضـلا عن مزاولات [illegible] فعليـين، يسلبـون وينهبـون [illegible] صعوبات اقتصادية كبيرة، عانت الاوساط الفقيرة منها [illegible] ان سعر القمح في تبريز قد ارتفع بمقدار حوالي [illegible] قبل الحرب(٦٣).

ورغم صعوبة الموقف لم يترك الوطنيون الاذربيجانيون ميدان النضال الذي اتخذ في سنوات الحرب صورا متباينة في الشكل، متعددة في المواقع. فمع اندلاع نيران الحرب عاود «حـزب مجاهـدي اذربيجـان» نشاطه، وهو من التنظيمات السياسية التي اشتركت بنشـاط في الثـورة الـدستـوريـة. وفي سنوات الحرب [illegible] القوات الـتركيـة التي غزت الاجزاء الغربية من ايران [illegible] ضد السلطة

(60) H Nazem, Op Cit, P 128

(61) Ibid, PP 157 - 158

(٦٢) «وزاره الخارجية ـ وثائق ارشيفات [illegible]»، السلسلة الثالث، المجلد الـرابـع (٢٨ حزيران ـ ٢٢ تموز ١٩١٤) [illegible] ١٩٣١، ص ٢٢٣، الوثيقة رقم ١٦٨

(٦٣) راجع.

جبـرائيـل روئين دز، انقـلاب [illegible]، از انتشارات شعبه تبليغات، حزب توده ايران، [illegible]

المركزية والحلفاء. ولما تحول الاتحاديون من شعارات «الوحدة الاسلامية» الدينية الى شعارات «الوحدة الطورانية» القومية استجاب لهم العديد من الاذربيجانيين الايرانيين الـذين نشـروا في صحفهم مقـالات تؤكـد على انتمائهم الطـوراني. وحينما اسس الاذربيجانيون الشماليون بمساعدة تركيا «جمهورية اذربيجان» قبل انتهاء الحرب، دعوا اذربيجانيي ايران للانضمام اليها، ورفعوا شعار نقل عاصمتهم من باكو الى تبريز. كما بشرت صحفهم بالافكار نفسها، وكانت اعدادها تصل تبريز والمدن الحدودية، حيث لقت رواجـا واسعـا، الامـر الـذي اثـار حكـام ايـران والاوسـاط القومية الفارسية التي تصدت صحافتها لافكار المنشقين الاذربيجانيين[٦٤].

ومع اعلان الحرب عقدت «جمعية نشر المعارف» اجتماعا طارئا في تبريز للمداولة في الموقف الذي على اعضائها تبنيه في الظرف الجديد، فانقسمت اراء المجتمعين بين من يرغب في استغـلال ظروف الحـرب لتفجـير ثورة في اذربيجان، ومن يؤيد الوقوف الى جانب العثمانيـين والالمان، وفريق ثالث رأى المصلحة في اتخاذ موقف محايد. وقد سافر ثلاثة من ابرز اعضاء الجمعية، هم محمد علي خان ومرزا رضا خان تربيت ومحمود غني زادة، الى برلـين حيث اسسـوا بالتعـاون مع حسن تقي زادة جمعيـة اصـدرت مجلتهـا الخـاصـة بها باسم «كـاوه» التي يحمـل عددهـا الاول تاريـخ ٢٤ كانون الثاني ١٩١٦، وكانت تعالج قضايا ايران السياسية. ومع انتهاء الحرب اختفت الجمعية، فيما انتقلت ادارة «كاوه» الى اخرين من غير اعضائها[٦٥].

برز في سنـوات الحـرب العـالمية الاولى نجم الشخصية السياسية الليبرالية المعروفة الشيخ محمد خياباني، الذي قدر له ان يلعب دورا كبيرا في تأريخ ايران عموما، وتأريخ اذربيجان خصوصا.

ولـد محمـد بن الحـاج عبدالحميد، الذي اصبح يعرف بالشيخ محمد خياباني، سنة ١٨٨٠ في قرية خامنئي القريبة من تبريز في اسرة تجارية صغيرة، وزاول بنفسه التجارة في شبـابـه[٦٦]. حصـل خيـابـاني التعليم منذ صغره، فدرس الفقه والاصول والحكمة

---

(٦٤) للتفصيل راجع:
فوري خلف شويـل، ايـران في سنـوات الحرب العالمية الاولى، رسالة ماجستير، كلية الاداب - جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٦٥) للتفصيل راجع:
كريم طاهر زاده بهزاد، قيام اذربايجان در انقلاب مشروطيت ايران، ص ٣٦٨ - ٣٧٦.

(٦٦) عن تأريخ حياة خياباني راجع:
شيـخ محمـد خيـاباني، اذربايجان واذربايجانين دموكراتيك قوه لرى، «اذربايجان» روزنامه سينين

والكلام والعلوم الصرفة في تبريز وبيترو وفسك[٦٧]، فاصبح مثقفا بارزا، مولعا بالفلسفة والتأريخ والاقتصاد والرياضيات والفلك. وفضلا عن لغته الاذرية كان يجيد الفارسية والتركية والعربية والفرنسية. تميز خياباني بالذكاء، والصبر والاخلاص، وكان خطيبا لامعا، تنفذ كلماته الى اعماق مستمعيه. وقد وصفت جريدة «تجدد» امكاناته الخطابية هكذا:

«تسري كلماته الجميلة، وعباراته البليغة سريان الماء الرقراق في جدول جار»[٦٨].

كان الشيخ محمد خياباني مؤمنا بعمق بالحياة البرلمانية، وبالقيم الديمقراطية والحرية الفردية، وقف ضد كل انواع التعسف والارهاب، وكان يؤكد في خطبه وكتاباته على انه يضع مصلحة شعبه، ومواطنيه فوق أي مصلحة اخرى[٦٩].

إشترك خياباني بحماس في الثورة الدستورية، ولعب دورا بارزا في انتفاضة تبريز، كما انتخب عن اذربيجان للمجلس في دورته الثانية التي بدأت عام ١٩٠٩. واثناء ازمة عام ١٩١١ وقف خياباني في المجلس بثبات الى جانب رفض الانذار الروسي، ودخل في نقاش طويل مع رئيس المجلس وكبار المسؤولين حول الموضوع. ثم عقد اجتماعا حاشدا في احدى ساحات العاصمة طهران كشف فيه على مدى ساعة ونصف الساعة ابعاد سياسة حكومة الشاه، وحكام روسيا تجاه اذربيجان[٧٠]. وعلى اثر ذلك اضطر الى ان يترك ايران خشية اعتقاله، فانتقل للمرة الثانية الى داغستان، حيث اصبح على اتصال وثيق بالمفكرين الثوريين في مناطق ما وراء القفقاس، منهم التبريزي الاصل مرزا رحيم طالبوف، الذي لعبت كتاباته دورا ملموسا في رفع الوعي السياسي والاجتماعي بين مثقفي اذربيجان الايرانية. ومنذ ذلك الوقت بدأت افكار خياباني تقترب الى حد كبير من اراء الاشتراكيين الديمقراطيين. فقد غدا يؤمن بضرورة

نشريه سى، ١٩٦١، باللغة الاذربيجانية، ص ١ ـ ٩ (المقدمة)؛ بروفيسور و. مينورسكى، تاريخ تبريز، ترجمه وتحشيهء عبد العلي كارنك، ص ٧٨ ـ ٧٩؛

N.S. Fatemi, Diplomatic History of Persia 1917 - 1923. Anglo - Russian Power Politics in Iran, New York. 1952, PP. 246 - 248, 250; M.S. Ivanov, Ochirk..., P. 275.

(٦٧) عاصمة داغستان، وقد اعيد اليها اسمها السابق محج قلا بعد ثورة اكتوبر.

(٦٨) مقتبس من:

N.S. Fateml, Op. Cit., P. 247.

(٦٩) راجع خطبه في:

س. علي اذري، قيام شيخ محمد خياباني در تبريز، جاب اول، تهران، ١٣٢٩.

(٧٠) المصدر نفسه، ص ٢٤ ـ ٣٩.

استيلاء الشعب على السلطة لصالح الاحرار[٧١] . ومن الضروري ان نشير الى ان خياباني فهم طبيعة الاطماع الدولة الاستعمارية في تلك المرحلة من نضاله[٧٢] ، اي في وقت كان لايزال العديد من القادة الليبراليين الايرانيين يعتقدون بامكانية الاعتماد على لندن في نضالهم من أجل الدستور، بحيث انهم اختاروا باحة السفارة البريطانية لاول اعتصام اعتبر بمثابة الشرارة الاولى للثورة الدستورية .

عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى عاد خياباني الى ايران ، وزاول نشاطا واسعا ضد سياسة الشاه، والوجود الاجنبي في تبريز، فتعرض الى ملاحقة السلطات المحلية التي خشيت التفاف العناصر الليبرالية حوله . وعندما احتل الاتراك تبريز عام ١٩١٦ القوا القبض عليه ، وابعدوه الى قارص . ولكن سرعان ما افرج عنه ، فعاد الى تبريز حيث عاود نشاطه السياسي ، وبدأ باصدار جريدة «تجدد» اعتبارا من يوم التاسع من نيسان سنة ١٩١٧ ، والتي التف حولها المثقفون الثوريون الاذربيجانيون . ثم بادر خياباني الى تأسيس الحزب الديمقراطي الاذربيجاني الذي انعقد مؤتمره التأسيسي الاول في أواخر آب ١٩١٧ بحضور ٤٨٠ مندوبا ، كانوا يمثلون الملاكين الليبراليين ، والمثقفين الثوريين ، والعناصر البورجوازية الجديدة ، وبعض الواعين من العمال والحرفيين ، وصغار رجال الدين[٧٣] .

تحولت ثورة اكتوبر الاشتراكية الى نقطة تحول مهمة بالنسبة للنضال التحرري الاذربيجاني في ايران . فان مجرد سحب القطعات الروسية من تبريز واردبيل ، وغيرهما من المناطق الاذربيجانية ، قد هيأ ظروفا انسب للتحرك السياسي الاذربيجاني في ظروف الانحلال الكبير الذي كانت تعاني منه السلطة المركزية في طهران . ثم ان تحولا فكريا ملموسا قد طرأ على التوجهات السياسية للاوساط الراديكالية الاذرية . فقد رفع الحزب الديمقراطي الاذربيجاني شعار تأسيس نظام اشتراكي ، ودعا الى اشتراك الجماهير في تسيير دفة الحكم[٧٤] .

---

(71) Sh. M. Badı, Op. Cit., P 134.

(٧٢) س . علي اذري ، قيام شيخ محمد خياباني در تبريز، ص ٤١ .

(73) Sh. A. Tagıeva, Natsıonalno - Osvoboditelnoe Dvıjenıe V Iranskom Azerbaıjane V 1917 - 1920, Baku, 1956, PP. 44 - 48

ش . أ . تاغييفا ، حركة التحرر الوطني في اذربيجان الايرانية في ١٩١٧ - ١٩٢٠ ، باللغة الروسية ، باكو، ١٩٥٦ ، ص ٤٤ - ٤٨ ؛ جبرائيل روئين دز، انقلاب كبير سوسياليستي اكتبر وجنبش خياباني ، ص ٢٩٧

(74) N.S Fatemı, Op Cit , P. 250.

ولكن بالمقابل ان خروج روسيا من اللعبة ادى الى فتح ابواب ايران على مصراعيها امام القوى الطامعة الاخرى. فاعاد الاتراك احتلال اراضي واسعة من اذربيجان، بما فيها مدينة تبريز، والقوا القبض ثانية على خياباني وعدد من رفاقه الذين نفوهم الى اورميه. كما نشط الالمان والامريكان، وغيرهم في مناطق ايرانية مختلفة. ولكن لم يستفد طرف دولي بقدر ما استفاد الانكليز من الاوضاع التي استجدت على الساحة الايرانية، فقد صفي الجو امامهم كليا ليثبتوا اقدامهم هناك بشكل لم يسبق له مثيل، خصوصا بعد ان اضطر الالمان والاتراك الى الانسحاب من اراضي ايران، مثل غيرها، اثر هزيمتهم في الحرب العالمية الاولى.

فقبل ان تضع الحرب اوزارها بشهرين ونيف الف وثوق الدولة وزارة جديدة لم تتردد عن التعاون مع البريطانيين في الميادين كافة. ولم تمض سوى فترة وجيزة على انتهاء الحرب عندما وقعت حكومته معاهدة جديدة مع لندن منحتها بنودها من الامتيازات ماجعلت من ايران اشبه ماتكون بمحمية بريطانية(٧٥).

أثار عقد المعاهدة الانكلو- ايرانية موجة استياء شديدة بين الايرانيين. الا ان حكومة وثوق الدولة لجأت الى سلسلة من الاجراءات للحد من تأثير المعارضة الوطنية، فقد اعلنت الاحكام العرفية في العاصمة طهران، وجرى مفعولَ منع التجول بعد التاسعة ليلا لفترة طويلة من الزمن، ومنعت النشاط الحزبي، وفرضت رقابة مشددة على المطبوعات، وعلى تحركات العناصر الليبرالية.

وفي الوقت نفسه تحولت آثار التغلغل البريطاني المتزايد الى عبء جديد اثقل كاهل الاقتصاد الايراني الذي ظل يعاني بشدة من بقايا الخراب الاقتصادي الذي تركته سنوات الحرب. كما ان انقطاع العلاقات التجارية مع روسيا، التي كانت تؤلف ٧٠٪ في الميزان التجاري الخارجي الايراني مقابل ٢٠٪ فقط لانكلترا عشية الحرب(٧٦)، أثر على الوضع العام في السوق. وجراء كل ذلك ساء وضع الفئات الفقيرة في الريف، والمدن التي امتلأت شوارعها بجيش كبير من المتسولين والعاطلين عن العمل، وغدت الهجرة من الريف الى المدينة، او الى الخارج احيانا، من الظواهر الاجتماعية المألوفة.

أدت هذه الاوضاع الى تفجير الوضع السياسي في البلاد بعد انتهاء الحرب مباشرة. فقد شهدت العديد من المدن الايرانية تحركات جماهيرية، واضرابات عمالية

---

(٧٥) للتفصيل عنها راجع موضوع «رضا المازندراني والعرش الايراني».

(76) H Nazem, Op. Cit , P. 173.

في تلك الفترة. واتخذ الموقف في اذربيجان طابعا اخطر، واكثر جدية من بقية انحاء ايران، فقد انفجرت فيها انتفاضة جديدة في العام ١٩٢٠ دخلت التأريخ باسم «انتفاضة خياباني»، نسبة الى قائدها الشيخ محمد خياباني، الذي اعلن يوم ٩ نيسان(٧٧) في اجتماع جماهيري عن قطع ولاية اذربيجان لعلاقاتها بالسلطة المركزية المعادية للديمقراطية. وبعد أيام اعلن عن خطة اصلاحية تناولت الامور الثقافية والمالية في اذربيجان، واسس مستشفى، وثلاث مدارس جديدة في تبريز هي «المحمدية» و«فيوضات» و«حكمت». واصدر مجلة «ازاديستان» التي اخذت على عاتقها مهمة نشر «نظريات وعقائد النهضة». واعلن عن تخفيض اسعار المواد الحياتية الضرورية، وعن الغاء الالقاب. كما خطط لتأسيس جيش شعبي يضم ١٢ ألف مقاتل(٧٨). وحاول خياباني تحريض المناطق الايرانية الاخرى للقيام بوجه وزارة وثوق الدولة. ففي عددها الصادر يوم ١٥ حزيران ١٩٢٠ كتبت جريدة «تجدد» تقول:

«ان حركة تبريز هي تحذير للطبقة الحاكمة الفاسدة في طهران، وهي نموذج جيد للمقاطعات الاخرى في البلاد»(٧٩).

فقد كان خياباني يصر في كتاباته، وخطبه اليومية(٨٠)، على ضرورة «تغيير نظام الحكم في ايران» بنظام جمهوري يوفر «الحرية، وقيما اخلاقية افضل، وتسهيلات اكبر في مجال التعليم»(٨١).

استقبلت جماهير اذربيجان حركة خياباني بحماس بالغ، فارتفعت اصداء الاناشيد الثورية في كل مكان، وخصوصا في المراكز المدنية(٨٢). وقد استولى الثوار على المراكز الحكومية، وطردوا جميع الموظفين الموالين للشاه، فيما انضم الاخرون الى المؤسسات الثورية الجديدة، منهم رجال الجندرمة الذين كان يوجد بينهم عدد غير قليل من الذين

---

(٧٧) حسب بعض المصادر يوم السابع من نيسان.

(٧٨) س. علي اذري، قيام شيخ محمد خياباني در تبريز، ص ٤٠٧، ٤٩٥ - ٤٩٦؛

Sh. A. Tagieva Op. Cit., PP. 98 - 99.

(٧٩) مقتبس من:

N S. Fatemi, Op. Cit., PP. 251 - 252

(٨٠) كان خياباني يلقي عصر كل يوم خطابا في جماهير تبريز (و. مينورسكى، تاريخ تبريز، ترجمه وتحشيهء عبد العلي كارنك، ص ٧٩).

(81) G. Lenczowski, Russia and the West in Iran (1918 - 1948), New York, 1949, P. 61.

(٨٢) لم يول نظام خياباني موضوع الارض مايستحق من اهتمام، مما ادى الى بقاء الوسط الفلاحي الواسع بعيدا الى حد واضح عن الاحداث الثورية في تبريز.

اشتركوا في الثورة الدستورية. واختار الثوار لنظامهم، وللمناطق المحررة، اسما جديدا هو «ازاديستان»، اي بلاد الحرية التي الفوا لها حكومة خاصة يوم ٢٤ حزيران عام ١٩٢٠، اشترك في عضويتها ممثلون عن المثقفين والتجار ورجال الدين وصغار الملاكين. وقد لخصت حكومة «ازاديستان» اهدافها في النقاط الرئيسة التالية:

١ـ قلب نظام الشاه، واقامة نظام جمهوري ديمقراطي مكانه.

٢ـ وضع نهاية لتبعية ايران للدول الكبرى الاستعمارية.

٣ـ منح اذربيجان الايرانية الحكم الذاتي.

٤ـ منح الحريات الديمقراطية، واجراء اصلاحات اقتصادية وثقافية وغيرها.

أدخلت احداث اذربيجان الثورية الخوف في نفوس الحكام، وكل الرجعيين في ايران، فاسرعوا الى اتخاذ الاجراءات الكفيلة بقمع الحركة الوطنية الاذرية قبل ان تتحول، في مرحلتها الحاسمة الجديدة، الى ثورة عامة مشابهة للثورة الدستورية[٨٣]. وقد لقيت خطة حكومة الشاه ضد «ازاديستان» تشجيعا مباشرا من السفارة البريطانية في طهران، لاسيما وان جانبا كبيرا من اصوات احتجاج ثوار اذربيجان انصب ضد الوجود البريطاني في البلاد، وبالتحديد ضد معاهدة عام ١٩١٩ التي وردت بالاسم مرارا في خطب خياباني، وعلى صفحات جريدة «تجدد»[٨٤]. فكان من الطبيعي ان يعادي البريطانيون انتفاضة خياباني، فبعثوا ادموندس خصيصا الى المنطقة «لمهمة تخريبية» على حد تعبير علي اذري مؤلف كتاب «قيام الشيخ محمد خياباني في تبريز»[٨٥]. وقد اشاع المسؤولون الايرانيون، وبتشجيع من البريطانيين، اشاعات كاذبة عن خياباني، واتهموه بالانفصالية، مع ان مطاليبه ركزت على الحكم الذاتي، وبتوافق تام مع مضمون المادة التاسعة والعشرين من قانون ذيل الدستور الايراني[٨٦].

وضعت طهران خطة مخاتلة للقضاء على انتفاضة خياباني. فقد عينت مخبر السلطنة هدايت، الذي كان يحاول ان يظهر نفسه في ثوب المؤمن بالافكار الليبرالية،

---

(٨٣) في هذه الفترة بدأت مناطق اخرى من ايران بالتحرك الثوري، وكان لاحداث اذربيجان التأثير على بعضها.

(84) M.S Ivanov, Ochirk..., PP. 275 - 276.

(٨٥) س. علي اذري، قيام شيخ محمد خياباني در تبريز، ص ٤١٣.

(86) Sh. M. Badi, Op. Cit., PP. 136 - 137.

حاكما عاما جديدا على اذربيجان. وقد رافقته الى هناك قوة من القوزاق، عسكرت قرب تبريز.

دخل الحاكم العام الجديد في مفاوضات «ودية» مع قادة الانتفاضة، فيما كان يجري سرا اتصالات مريبة مع العناصر الرجعية، ويعمل من أجل شراء ذمم اصحاب النفوس الضعيفة الذين اندسوا بين صفوف الثوار، وظل يدرس بامعان تحصيناتهم على مدى عشرة ايام من المفاوضات، اجراها باسلوب ادخل الاطمئنان في نفوس خياباني ورفاقه. واخيرا وجه مخبر السلطنة ضربة مباغتة للثوار صبيحة ١٢ ايلول ١٩٢٠، رافقها الاستيلاء على مراكز الثوار، واحتلال اكثر من ٣٠٠ دار من دور قادة الانتفاضة الذين قتل العديد منهم، واعتقل الاخرون. ولم يستسلم خياباني، بل ظل يقاوم مع نفر من اعوانه على مدى اليومين التاليين، الى ان قتل شر قتلة على أيدي المهاجمين يوم ١٤ ايلول[٨٧]، لتبدأ بعد ذلك فترة جزر جديدة في النضال التحرري الاذربيجاني في ايران.

رغم فشلها، الا ان انتفاضة خياباني ساعدت على رفع الوعي الثوري في المناطق الايرانية الاخرى، كما تدخل ضمن العوامل التي أدت الى سقوط وزارة وثوق الدولة الموالية للبريطانيين في اواسط عام ١٩٢٠. وفضلا عن ذلك اسهمت الانتفاضة، مع غيرها، في فضح نواقص الحكم القاجاري الذي فقد بعد الحرب سمعته نهائيا في نظر الايرانيين، مما هيأ ظروفا انسب لازاحته، الامر الذي عرف رضا المازندراني (البهلوي فيما بعد) كيف يستغله للقضاء على حكم احمد شاه لينتهي بذلك العهد القاجاري في تاريخ ايران الحديث يوم ٣١ تشرين الاول ١٩٢٥، وليبدأ عهد جديد في تأريخها المعاصر يعرف بالعهد البهلوي، الذي أصبح مؤسسه رضا شاه اول ملك له اعتبارا من يوم ١٢ كانون الاول ١٩٢٥[٨٨].

قبل ان يتبوأ العرش بسنوات تمكن رضا شاه من قمع الحركات والانتفاضات الثورية للشعوب غير الفارسية في ايران بقسوة. لذا فان سنوات حكمه الدكتاتوري تعتبر فترة هادئة نسبيا، وفي الظاهر على الاقل، في تاريخ ايران المعاصر. ولكن في

---

(٨٧) للتفصيل راجع:

س. علي اذري، قيام شيخ محمد خياباني در تبريز، ص ٦٤٨ - ٦٥٢؛ جبرائيل روئين دز، انقلاب كبير سوسياليستى اكتبر وجنبش خياباني، ص ٣٠٢ - ٣٠٣؛

Sh. A. Tagieva, Op. Cit., PP. 113 - 114

(٨٨) للتفصيل راجع الموضوع المعنون «رضا المندراني والعرش الايراني».

الـواقـع كانت عمليـة التراكم الكمي للحقد المشروع في نفوس ابناء تلك الشعوب في تزايـد مستمـر، خصوصا بسبب تمادي العهد البهلوي في سياسته الشوفينية المبنية على تفريسهم. يقول البر وفيسور م. س. ايفانوف بهذا الصدد:

«كانت ايران في عهد رضا شاه عبارة عن معتقل كئيب للشعوب، تستباح فيه ابسط حقوق الاقليات القومية»[٨٩]

ورغم استبداده، ووسائله القمعية، الا ان الاستياء الاذربيجاني قد عبر عن نفسه بصور مختلفة في عهد رضا شاه الذي كان يكن حقدا في نفسه تجاه اذربيجان على حد قول المـؤ رخ الـبر يطـاني بيـتر افرى[٩٠]. ويومذاك ظهرت ممارسات جديدة في النضال التحـرري الاذربيجـاني، تميـزت بنمـودور الكادحين، من عمال وفلاحين، فيها. ففي حزيران عام ١٩٢٦ انتفض جنود وفلاحو ديلمان التي اصبحت تعرف بشاهبور في العهد البهلوي[٩١]. وقـد استخـدم رضا شاه الجيش لقمعهم بقسوة بالغة. وفي العام ١٩٣٠ اعلن مالايقـل عن الفي فلاح مازنـدراني التمـرد بسبب قطـع الميـاه عن اراضيهم، وتحـويلهـا الى اراضي الشـاه الـذي لم يتردد عن استخـدام القـوة ضدهم، فالتجأ العشرات منهم الى الغابات المجاورة. وفي العام ١٩٣١ حدث تمرد في معمل الشخاط بتبريز، ووقع اضرابان بين عمال السكك في مازندران المجاورة. وجرت في الوقت نفسه محاولات لتأسيس منظـمات للعـمال والشباب في العديد من المدن الاذربيجانية[٩٢]. كما شهـدت المنـاطق الاخـرى، وفي اوقـات مختلفـة، حركـات مشـابهـة لما وقـع في تبريـز ومـازنـدران، كانت تعكس الـواقـع المأسـاوي للطبقات الاجتماعية الكادحة في العهد البهلوي. فقد ورد في النداء الذي وجهته «عصبة مكافحة الامبريالية» الى عمال العالم بتأريخ ٢٠ تموز ١٩٣١ مانصه:

«ان اكثـر من الفي معتقـل سيـاسي يعـانـون من التعـذيب في السجـون الفـارسيـة. ان حكـومـة بهلوي لاتعترف لهم بحق المثول امام المحاكم. ان المنظمات العمالية الثورية تتعرض لارهاب وحشي»[٩٣].

---

(89) M S Ivanov, Ochırk , P 325.

(90) P Avery, Modern Iran, P. 387

(٩١) غيرت السلطات اسماء العديد من المدن والمناطق الاذربيجانية في العهد البهلوي.

(92) A E Dıomın, V V Trubetskay, Iran V Godı Economicheskovo Crısisa, «Iran. Ochirk Noveyshı Istorıı», Moscow, 1976, PP 106, 109; M.S Ivanov, Ochirk , PP 325, 327.

(٩٣) مقتبس من:

M S Ivanov, Ochırk , P 328.

ولكن رضا شاه لم يعر الرأي العام الداخلي والخارجي ادنى اهتمام، فاستمر يزاول سياسة القمع بحق الاذربيجانيين، وغيرهم من الايرانيين، دون هوادة. فباعتراف الصحافة الايرانية نفسها ان المحاكم العسكرية الخاصة ادانت في غضون النصف الثاني من عام ١٩٣٢ فقط ١٥٣ شخصا، نفذ حكم الموت بحق ٣٦ منهم، وحكم على ١٩ منهم بالسجن المؤبد، وصدرت احكام بحق البقية بلغ مجموعها ٣٥٥ عاما(٩٤).

دخل النضال التحرري الاذربيجاني مرحلة جديدة من مراحل تطورها في سنوات الحرب العالمية الثانية، ولاسيما بعد ابعاد رضا شاه عن العرش يوم ١٦ ايلول عام ١٩٤١. ومنذ ذلك التأريخ فقدت طهران عمليا كل نفوذ لها في اذربيجان التي دخلت ضمن المنطقة التي اصبحت في حوزة القوات السوفيتية(٩٥). وفي الواقع اصبحت اذربيجان الايرانية تعيش في سنوات الحرب مخاضا ثوريا مهما، فقد عم الاستياء الاكثرية الساحقة من سكانها. ولم يكن مجرد صدفة ان اكد محمد رضا شاه بعد تسنمه للعرش مباشرة، على ضرورة اجراء الاصلاحات في اذربيجان بصورة خاصة(٩٦).

تركزت مطاليب الاذربيجانيين في سنوات الحرب العالمية الثانية على تعديل الدستور بصورة تضمن حقوقهم القومية المشروعة، وتطهير اجهزة الدولة، ومنح الحريات الديمقراطية. وبما ان الاوساط الحاكمة كانت تخشى مبادرات الاذربيجانيين بصورة خاصة، لذا لجأت بحقهم الى اجراءات غريبة في بابها. ففي العام ١٩٤٤ رفض المجلس تصديق عضوية الشخصية السياسية الاذربيجانية البارزة جعفر بيشوري الذي حصل على الاكثرية الساحقة من اصوات ناخبي تبريز في انتخابات ١٩٤٣، الامر الذي اثار موجة احتجاج شديدة بين الاذريين، انتقلت اثارها الى طهران، حيث احتج ضد قرار المجلس ٦٠ صحفيا من محرري جرائد العاصمة. وعلى الغرار نفسه رفضت وزارة الداخلية في العام التالي الاعتراف بالاعضاء المنتخبين للمجلس البلدي في تبريز(٩٧).

---

(94) A.E. Diomin and V V. Trubetskay, Op Cit., P. 110

(٩٥) اثر تزايد النفوذ الالماني في ايران، دخلت القوات السوفيتية المناطق الشمالية، والبريطانية المناطق الجنوبية من ايران في ٢٥ آب ١٩٤١، وانسحبت منها بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

(٩٦) راجع:

عبد الهادي كريم سلمان، ايران في سنوات الحرب العالمية الثانية، رسالة ماجستير، كلية الاداب - جامعة بغداد، ١٩٨٣، ص ١٣٠.

(97) P. Avery, Op. Cit., P. 388; M.S. Ivanov, Ochirk..., P 367.

ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية شدد الاذربيجانيون نضالهم في سبيل حقوقهم القومية، وقد اولوا التنظيم في خضمه اهتماما اكبر من السابق. ففي اب ١٩٤٥ اسس الوطنيون الاذربيجانيون «فرقهء ديمقرات اذربايجان» (الحزب الديمقراطي الاذربيجاني)، الذي عقد اول مؤتمر له في تبريز يوم ٢ تشرين الاول من العام نفسه. وقد حضر المؤتمر ٢٣٥ مندوبا ناقشوا على مدى اربعة ايام برنامجه ونظامه الداخلي، وانتخبوا لجنته المركزية. واصدر الحزب جريدته المركزية «اذربايجان» باللغة الاذرية[٩٨].

التفت جماهير واسعة حول الحزب الديمقراطي الاذربيجاني. فحسب المعلومات التي نشرتها جريدة «اذربايجان» في عددها الصادر يوم ٢٣ كانون الثاني ١٩٤٦ بلغ عدد اعضاء الحزب في اواخر العام ١٩٤٥ حوالي ٧٠ الف عضو، كان ٥٦ الفا منهم من الفلاحين، و٦ الاف من العمال، و٣ الاف من الحرفيين، والفان من المثقفين، والفان من صغار التجار، و ٥٠٠ من صغار الملاكين، و ١٠٠ من رجال الدين.

وقبل ان ينتهي عام ١٩٤٥ خطا الاذربيجانيون خطوة اخرى. فاثر اجتماعات جماهيرية في كل انحاء اذربيجان الايرانية، تقرر تأسيس مجلس شعبي، افتتح يوم ٢٠ تشرين الثاني بحضور ٧٤٤ مندوبا كانوا يمثلون كل الفئات الاجتماعية، وجميع المناطق الاذربيجانية. وقد رفع المجلس شعار «الحكم الذاتي»، وانتخب لجنة خاصة مؤلفة من ٣٩ عضوا، عهد اليها ادارة اذربيجان، واجراء الانتخاب لاعضاء مجلس اذربيجاني خاص، مع حق المفاوضة مع السلطات المركزية لحل المشكلة الاذربيجانية حلا سلميا.

جرت انتخابات المجلس الوطني الاذربيجاني التي اشتركت المرأة فيها لاول مرة في تاريخ ايران، وفي ١٢ كانون الاول ١٩٤٥ افتتح المجلس الذي بلغ عدد اعضائه ١٠١. وعهد المجلس الى جعفر بيشوري رئاسة حكومة اذربيجان ذات الحكم الذاتي، التي حددت برنامجها في النقاط التالية:

١ـ تعزيز الحكم الذاتي في اذربيجان.
٢ـ انتخاب المجالس الادارية للمدن والمقاطعات.
٣ـ تحويل كتائب الفدائيين الى جيش شعبي.

---

(٩٨) في سنوات الحرب العالمية الثانية، وخاصة بعد سقوط رضا شاه، ارتفع عدد الصحف الصادرة في ايران بصورة ملموسة. ففي العاصمة طهران وحدها كانت تصدر ١٠٣ جرائد، و٢٩ مجلة. اما في تبريز فقد كانت تصدر اربع جرائد.

٤- جعل الاذربيجانية لغة رسمية.
٥- نشر التعليم الالزامي المجاني، وتأسيس جامعة خاصة.
٦- تطوير الصناعة والتجارة.
٧- وضع قانون للعمل، وتنظيم العلاقات بين الملاكين والفلاحين.
٨- توزيع اراضي الدولة، واراضي الاقطاعيين الاذربيجانيين الذين انتقلوا الى الخندق المعادي، بين الفلاحين.
٩- ضمان حرية الرأي والاعتقاد لجميع مواطني اذربيجان.

وفي الوقت نفسه اعلنت حكومة بيشوري انها تعترف بالحكومة المركزية، وتنفذ كل مايصدر عنها في حالة عدم تعارضه مع اسس الحكم الذاتي المعلن لاذربيجان(٩٩). كما اتخذت سلسلة اجراءات بصدد تنظيم العلاقات بين الفلاحين والملاكين فيما يخص تقسيم الحاصل، ووزعت حوالي ٢٦٠ الف هكتار من الارض الزراعية على حوالي ٢١٠ الاف فلاح، ونظمت الشؤون الاقتصادية للمنطقة، واسست ورشة لصناعة السجاد، وحددت ساعات العمل اليومي للعمال بثمان فقط. واولت حكومة بيشوري الثقافة والفن اهتماما خاصا، فاعلنت عن تأسيس «جامعة اذربيجان الحكومية»، وافتتحت عددا كبيرا من المدارس الجديدة، والفت فرقا خاصة لمكافحة الامية في الريف، واسست مدرسة للفنون، ومسرحا، وفرقة موسيقية. وبفضل الاجراءات الجديدة اصبحت كلفة الحياة في تبريز، ثاني كبرى مدن ايران، تؤلف، في المعدل، نصف كلفتها في طهران.

وفي ظروف ايران يومذاك، ونتيجة لفشل جميع محاولات الاوساط الحاكمة، وكبار الاقطاعيين الاذربيجانيين لخلق مشاكل جدية في اذربيجان(١٠٠)، اضطرت حكومة قوام السلطنة للدخول في مفاوضات مع حكومة بيشوري، التي انتهت يوم ١٣ حزيران ١٩٤٦ بالتوقيع على اتفاقية بين الطرفين نصت موادها على تلبية جانب كبير من مطاليب الاذربيجانيين.

ولكن الاوساط الحاكمة الايرانية استطاعت ان تعيد ترتيب اوضاعها بفضل سلسلة من المناورات السياسية، ونتيجة المساندة المباشرة التي ابدتها لها لندن وواشنطن. فمنذ

---

(٩٩) للتفصيل راجع:

M S Ivanov, Ochirk. , PP. 369 - 370; P. Avery, Op Cit., PP 390 - 391

(١٠٠) فقط خلال شهر تشرين الاول سنة ١٩٤٥ دبر الرجعيون اغتيال حوالي مئة شخص من مؤيدي الحزب الديمقراطي الاذربيجاني.

اواسط عام ١٩٤٦ توالت ضرباتها الموجهة للمكتسبات الديمقراطية القليلة التي حققها الايرانيون في ظروف الحرب، واندحار الفاشية. بعد ذلك جاء دو اذربيجان وكردستان[١٠١]. ففي ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٦ اعلن قوام السلطنة عن عزم طهران ارسال قواتها الى جميع مقاطعات ايران دون استثناء بهدف «ضمان حرية الانتخابات» للمجلس في دورته الخامس عشرة، كما ادعى، وفعلا توجهت القوات الايرانية صوب اذربيجان بعد اقل من ثلاثة اسابيع من نشر التصريح، وبدأت حملة ارهاب واسعة النطاق ادت الى مقتل واعتقال الالوف من الاذربيجانيين، والى هرب عشرات الالوف منهم الى داخل اراضي اذربيجان السوفيتية، بمن فيهم جعفر بيشوري[١٠٢]. وحسب المعلومات التي نشرتها جريدة «مردم» في عددها الصادر يوم ٧ تموز ١٩٤٧ تم تنفيذ احكام الاعدام بحق ٧٦٠ من الديمقراطيين الاذربيجانيين بعد القضاء على حكومة بيشوري.

تحولت الاحداث الاخيرة الى ضربة قوية وجهت للنضال التحرري الاذربيجاني في ايران، فقد احتاج الى سنوات عديدة قبل ان يستعيد انفاسه من جديد، ويتحول مرة اخرى الى قوة ضاربة، وحاسمة في الساحة السياسية الايرانية. ان النضال التحرري الاذربيجاني ظل يؤلف شوكة سامة بجنب النظام البهلوي حتى النهاية...



(١٠١) بالنسبة لاحداث كردستان راجع الموضوع المعنون «حقائق عن النضال التحرري الكردي في ايران».

(١٠٢) توفي جعفر بيشوري بحادث سيارة قرب مدينة باكو. تحوم الشبهات في تدبير الحادث حول باقروف، الزعيم الستاليني الاذربيجاني المتطرف، السكرتير الاول السابق للحزب الشيوعي الاذربيجاني السوفيتي الذي ادين مع بيريا، ونفذ فيه حكم الموت...

الموضوع السابع

حقائق عن النضال التحرري الكردي في ايران

تشغل كردستان الايرانية الاقسام الشمالية الغربية من ايران، وهي تتصل من الشمال والشرق باراضي اذربيجان الجنوبية، وتمتد شرقا حتى همدان، وجنوبا حتى مرتفعات برووشاهو ودالـه هو وامتداداتها، وغربا حتى الحدود الشرقية العراقية. وتختلف المصادر في تقدير مساحتها بين ربع، وهورقم مبالغ فيه(١)، واقل من عشر مساحة ايران التي يتجاوز مجموعها مليونا و ٦٠٠ ألف كم٢ (يقدر الدكتور عبدالرحمن قاسملو مساحة كردستان الايرانية بحوالي ١٢٥ ألف كم٢). ويؤلف الاكراد ثالث اكثرية في ايران بعد الفرس والاذربيجانيين. وتختلف المصادر في تقدير عددهم مابين ثلاثة وسبعة ملايين نسمة(٢). ولكن اغلب الظن ان عدد الاكراد في ايران لايقل في الوقت الحاضر عن خمسة ملايين نسمة، بمن فيهم الاكراد القاطنون خارج كردستان (في العاصمة طهران، واذربيجان، وشمال خراسان، وكرمان وكَيلان وفارس، وغيرها(٣))، مما يؤلف حوالي سدس العدد الكلي لسكان ايران(٤). ولكن المصادر الرسمية الايرانية لم تعترف في اواخر العهد البهلوي الا بوجود مليوني كردي في ايران(٥).

ينقسم الشعب الكردي في ايران على حوالي ٣٠ عشيرة، اكثريتها الساحقة مستقرة، وقسم منها نصف متنقل بين مشاتي ومصائف ثابتة. وتعتبر موكري وديبوكري وشكاك وكلهور وسنجاوي وكَوران (Goran) ويلباس وجلالي وجوانرو من اهم العشائر الكردية في ايران. اما اهم المراكز المدنية في كردستان الايرانية فهي كرمنشاه وسنندج ومهاباد وماكو وبانه وسقز ونغده وغيرها. ومن اجل تصور التطور السكاني للمدن

---

(١) ورد الرقم المذكور في مجلة «ام درمان»، العدد الخامس والعشرون، السنة الثانية، اول يونيو ١٩٤٦، ص ٥.

(٢) للتفصيل راجع:
سرتيب علي رزم آرا، جغرافياى نظامى ايران. كردستان، تهران، ١٣٢٠، ص ٤ ـ ٥؛ الدكتور عبدالرحمن قاسملو، كردستان والاكراد. دراسة سياسية واقتصادية، ترجمة ثابت منصور، بيروت (؟)، ١٩٦٨، ص ٤ ـ ٦، ١١ ـ ١٧؛ فؤاد حمه خورشيد، الاكراد. دراسة علمية موجزة، بغداد، ١٩٧١، ص ١٠، ٢٠ ـ ٢١؛
A.R. Ghassemlou, Iranian Kurdistan, PP. 1 - 2.

(٣) تقدر بعض المصادر عدد ذلك الجزء من الشعب الكردي بربع مليون نسمة.

(٤) في آذار عام ١٩٧٤ بلغ عدد سكان ايران ٣١٫٨ مليون نسمة. راجع:
«Sovrimenay Iran», P. 16.

(5) Ibid, P. 34.

الكردية في ايران نشير الى ان عدد سكان كرمنشاه بلغ حوالي ١٢٦ الفا في العام ١٩٥٦، و١٨٨ ألفا في العام ١٩٦٦، وحوالي ٢٢١ ألفا في العام ١٩٧٠[٦].

منذ القديم توجهت انظار الحكومات الايرانية الاخمينية والارشاكية - الفرثية والساسانية المتعاقبة[٧] صوب كردستان التي عانى شعبها، مثل بقية شعوب المنطقة، الكثير من ويلات حروبها المستمرة مع اليونان والرومان. فان من شأن اللوحة التي يرسمها شارموا في مقدمته للاثر التأريخي «شرفنامه» عن الواقع السياسي لكردستان في تلك المرحلة ان يعطينا تصورا واضحا حول الموضوع. فكما يشير كان الاخمينيون هم الذين يسيطرون في البداية على كردستان التي حكموها بواسطة اسرة هيكان الارمنية التابعة لهم، لتنتقل بعد ذلك الى اسكندر المقدوني، لترجع بعد موته المفاجىء في بابل الى الاخمينيين الذين حكموها هذه المرة بواسطة الاسرة الارشاكية الارمنية، ليسيطر عليها بعد ذلك اسكندر ابن مارك انطونيو، ولترجع بعد فترة الى الارشاكيين الذين حكموها باسم الفرث تارة، وباسم الرومان تارة اخرى، ليأتي بعد ذلك دور الساسانيين الذين فرضوا سيطرتهم عليها في عهد الملكين اردشير وشاهبور، ليرجع اليها الرومان، ثم الساسانيون الذين تناوبوا السيطرة عليها مع البيزنطيين لغاية بزوغ فجر الاسلام.

ومنذ ذلك الوقت ثار اجداد الكرد مرارا ضد الملوك الاخمينيين والفرث والساسانيين[٨] واليونان والرومان والبيزنطيين. ولشهادة الفيلسوف والقائد اليوناني زينفون قبل حوالي ٢٤٠٠ سنة مضت اهمية تاريخية خاصة بهذا الخصوص. فقد اشار زينفون في كتابه «أناباسيس» الى ما كان يتمتع به الكرد من استقلالية، وكيف انهم «ما كانوا يخضعون للملك»، كما اسهب في وصف ماعاناه جيشه على ايديهم اثناء انسحابه عبر اراضيهم. وفي حالات غير قليلة اضطر ملوك ايران الى ارسال جيوش جرارة الى

---

(٦) لم يكن هذا التطور النسبي السريع ناجما عن النمو الطبيعي الداخلي وحده، فقد لعبت الهجرة من الريف ايضا دورها فيه.

(٧) حكم الاخمينيون ايران في الفترة الواقعة بين عامي ٥٥٠ و ٣٣٠ قبل الميلاد، وحكمها الارشاكيون - الفرث من سنة ٢٥٠ قبل الميلاد حتى سنة ٢٢٤ بعد الميلاد، ثم جاء دور الساسانيين الذين حكموها من سنة ٢٢٤ حتى سنة ٦٥١ ميلادية.

(٨) يرجع رشيد ياسمي، الاستاذ السابق بجامعة طهران، أصل الساسانيين الى الاكراد، وذلك في محاولة غير علمية منه، وواضحة المقاصد (انظر. رشيد ياسمي، كردوبيوستكى نزادى وتاريخى او، تهران، ص ١٦٥ - ١٧٤)

كردستان التي وقف اهلها دائما بوجه الغزاة، وكبدوهم افدح الخسائر[٩].

وفي العصر الوسيط ظهرت في ايران امارات كردية مستقلة، منها امارة الراودية التي كان مركزهـا في تبريز، وعاشت من مطلع القرن العاشر حتى سنة ١٠٧١[١٠]، وامارة شوانكاره في اقليم فارس، والتي عاشت من مطلع العقد الرابع من القرن الحادي عشر حتى اواسط العقد السادس من القرن الرابع عشر الميلادي. كما كانت الاسرة الحاكمة في الامارة الشدادية التي ظهرت في اذربيجان سنة ٩٥١ كردية الاصل ايضا[١١].

دشن العهد الصفوي (١٥٠٢ ـ ١٧٣٦) بداية جديدة للتأريخ الكردي في ايران، تشغل الفواجع والاحداث الدموية معظم صفحاته. **فان مؤسس الدولة الصفوية** الشاه اسماعيل الصفوي (١٤٨٧ ـ ١٥٢٤) كان يرفض كل ما هو كردي، بحيث انه لم يتحمل حتى اولئك الامراء من الكرد الذين اتوه الى بلدة خوي لتقديم الولاء له، فامر بالقاء القبض عليهم جميعا، وعين مكانهم ولاة من اتباعه القزلباش[١٢]. وفي تعليق له على تلك الحقبة يقول المؤرخ الكردي المعروف محمد أمين زكي مانصه:

«وكان عهد الشاه اسماعيل وسيره في الكرد. . . عهد ظلم وعدوان شديدين، لان الكرد كانوا من أهل السنة، فكان لايأمن جانبهم،

---

(٩) للتفصيل عن هذه المواضيع راجع:

Xenophon, Anabasis, Russian trans. by M. Maksimovich, Mosow - Leningrad, 1951, book III and IV; Xenophon, The Persian Expedition, trans. by R. Warner, Baltimore, 1961, PP. 97 - 146; B. Nikitine, Les Kurdes, Russian trans. by I.O. Farizov, Moscow, 1964, PP. 238 - 243;

محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور التأريخية حتى الان، ترجمة محمد علي عوني، الطبعة الاولى، القاهرة، ١٩٣٩، ص ٨٦ ـ ١٢٩؛ سرتيب علي رزم آرا، جغرافياى نظامي ايران. كردستان، ص ١.

(١٠) حسب المعلومات التي يوردها محمد أمين زكي تأسست الامارة الراودية عام ٤٢٠ هـ ـ ١٠٢٩م، ودام حكمها حتى عام ٤٢٦ هـ ـ ١٠٣٥م، فيما يؤكد كليفورد أدموند بوسورث انها ظهرت في بداية القرن الرابع الهجري ـ بداية القرن العاشر الميلادي، وعاشت لغاية عام ٤٦٣ هـ ـ ١٠٧١م.

(١١) للتفصيل راجع:

محمد أمين زكي، المصدر السابق، ص ١٤٦ ـ ١٤٧؛

C.E. Bosworth, Op. Cit., NN. 36, 37, 39; Sharifli, O gosudarstve Ravadidov, - «Trudi Instituta istorii Academii Nauk Azerbaijanskay USSR», Baku, 1957, N XI.

شريفلي، حول الدولة الراودية، ـ «أعمال معهد التأريخ التابع لاكاديمية علوم اذربيجان السوفيتية»، باللغة الروسية، باكو، ١٩٥٧، العدد الحادي عشر.

(١٢) رشيد ياسمي، كردوبيويستكى نزادي وتاريخي أو، ص ٢٠٣.

ولا يثق بهم . . . ولهـذا لم يكن يدع فرصـة تمر من غير ان ينتهـزهـا ويلحق فيها بالأكراد أذى كبيرا»[١٣] .

وعـرف العثمـانيـون كيف يستغلون ذلـك لكسب الامـراء الكـرد الى جانبهم في صراعهم المصـيري مع الايـرانيين . فسرعان ماثارت كردستان ضد الحكم الصفوي في كل مكان ، حيث ابعد الثوار الحكام الموالين للشاه ، وطردوا قواته حيثما وجدت . وعندما حاول الشـاه اسـماعيل استعادة مافقده من المناطق الكردية ، جوبه بمقاومة شديدة اينما حل ، مما كلف الاكـراد ضحـايـا جسيمة . فان حصار قوات الشاه لمدينة ديار بكر الذي دام اكثـر من عام واحـد ، أودى بحـوالي ١٥ ألفـا من سكـانها . وطيلة العهد الصفوي تكـررت هذه الصـورة الدموية مرارا . فعندما زحف الشاه طهماسب الاول سنة ١٥٥٤ على كردستـان فانـه «لم يترك في الطـريق الـذي سلكه عامرا الا دمره» . واعادت قوات طهـماسب الكـرة بعـد أقـل من سنـة لتـدمـر من المدن الكردية بدليس وأرجيش وموش وغـيرهـا «تـدمـيرا كامـلا ، وتقتل من اهاليها مقتلة عظيمة» ، ليكمل رئيس حرسه من بعـده عمله «على افظـع وجـه ، وأشنـع صورة» ، فقـد ارتكبت القـوات الايرانية «من الاعمال الوحشية وضروب القسوة والفظاعة ، ماأنسى الناس هول الاعمال البر برية التي اجـتـرحهـا في هذه البـلاد كل من هولاكـو وتيمـور لنـك» . وفي يوم واحـد قتـل رجـال طهـماسب ٤٠٠ من ابنـاء عشـيرة دنبـلي ، ونفذوا حكم الموت بكل دنبلي كان يعمل في بلاط الشـاه ، مما أجـبر من تبقى على قيـد الحياة من الدنبليين على اللجوء الى داخل الاراضي العثمانية[١٤] .

ولم تكن ممارسـات الشـاه عبـاس الاول (١٥٨٧ ـ ١٦٢٩) أقـل قسوة من ممارسات أسلافه ، بل انه في بعض الاحوال تجاوزهم الى حد كبير . فانه توجه بنفسه على رأس جيش كبير الى خوي ، ومن هنـاك زحـف على منازل عشيرة محمودي الكردية التي دافع رئيسها مصطفى بيك عن قلعة ماكوببسالة ، ولكن الجيش الايراني «عاث في ارض تلك البـلاد فسـادا ، وغـالى في النهب والسلب والتدمير ، وقتل من الاهالي مقتلة عظيمة» ، ونقـل منهم بضعـة الاف من النسـاء والاطفـال الذين عوملوا معاملة الاسرى ، كما يقر

---

(١٣) محمد أمين زكي ، المصدر السابق ، ص ١٧٤ .

(١٤) للتفصيل عن احداث كردستان ايران في العهد الصفوي راجع :
شرف خان البدليسي ، شرفنامه ، الطبعتان الروسية (ترجمة ی. فاسيليفا ، موسكو ، ١٩٦٧) والكردية (تـرجمـة هزار ، بغـداد ، ١٩٧٣) ؛ محمـد أمين زكي ، المصـدر السـابق ، ص ١٧٤ ـ ٢١٦ ؛ رشيـد ياسمى ، كردوييويستكى نزادي و تاريخي أو ، ص ٢٠٧ .

مؤرخ الشاه الشهير اسكندر منشي[15]. ومنذ كانون الاول عام ١٦٠٨ ضرب جيش الشاه حصارا محكما على الاكراد البرادوستيين في قلعة دمدم الشهيرة قرب اورمية، والذي دام عدة شهور «أصيب خلالها الجيش الايراني بضحايا كبيرة، وخسائر فادحة، بسبب مهاجمة الكرد لهم، ومباغتتهم ليلا في معسكراتهم المنبثة حوالي القلعة». ودافع الاكراد عن قلعتهم بقيادة أمير خان حتى ابيدوا عن آخرهم، إذ «لم يترك الأعجام من المقاتلة احدا، ولا من غير المحاربين، الا وقتلوه شر قتلة»، لتتحول المأساة فيما بعد الى ملحمة اشاد بها المستشرقون، وتغنى بها الادباء[16]. ومما له مغزاه ان المناطق الخاضعة للنفوذ الايراني شهدت في الفترة ذاتها سلسلة من الانتفاضات الشعبية المشابهة لتلك التي وقعت في كردستان من حيث الدوافع والوقائع، منها انتفاضة طالش عام ١٥٩٣، وانتفاضة عربستان عام ١٥٩٦، وفي جورجيا الشرقية عام ١٦٢٣ ـ ١٦٢٤، وفي اذربيجان بقيادة كور اوغلو عام ١٦١٠ ـ ١٦٣٠.

لم تمر على مأساة دمدم سوى فترة وجيزة عندما زحف الشاه عباس بنفسه على رأس قواته ضد عشيرة مكري، فارتكب رجاله مذابح عامة في أفرادها، وغيرهم، إذ «لم يستثنوا أحدا من القتل العام»، كما اسروا الافا من نساء المنطقة وأطفالها. وفي عهد الشاه عباس الاول ايضا تم تهجير ١٥ ألف اسرة كردية الى منطقة خراسان[17].

---

(١٥) أسكندر بيك تركمان منشي (١٥٦٠ أو١٥٦١ ـ ١٦٣٤)، مؤرخ الشاه عباس الأول، ومؤلف الكتاب الشهير «تاريخ عالم آراى عباسي» باللغة الفارسية. للكتاب أهمية تأريخية كبيرة لان صاحبه كان شاهد عيان لمعظم الوقائع التي دونها، فقد رافق الشاه في غزواته وترحاله. سجل معظم أحداث كردستان في عهد الشاه عباس الاول باسلوب غير ودي، كما فعل الشيء نفسه مع أحداث شيروان وجورجيا. وأولى أحداث وطنه اذربيجان جانبا كبيرا من اهتمامه.

(١٦) سجل القاصان الكرديان عرب شميلوف ومصطفى صالح كريم أحداث ملحمة دمدم في قصتين لهما مكانتهما المتميزة في الادب الكردي المعاصر. فقد ترجمت قصة شميلوف الى عدد من اللغات، بما فيها الروسية في العام ١٩٦٩. تقع الترجمة الروسية لدمدم في ٢٠٦ صفحات، وطبعت منها ٣٠ ألف نسخة. وصدرت من قصة «شهداء قلعة دمدم» للقاص مصطفى صالح كريم طبعتان حتى الان. كما نشر الدكتور اورديخان جليلوف دراسة مفصلة باللغة الروسية حول الموضوع نفسه. راجع:

O.J, Jalilov, Kurdski giroechiski epos «Zlotoruki Khan», Moscow, 1967, 206 PP.

راجع ايضا «بطولة الكرد في ملحمة قلعة دمدم»، اعداد جاسم جليل، ترجمة شكور مصطفى، تقديم ومراجعة الدكتور عز الدين مصطفى رسول، بغداد، ١٩٨٣.

(١٧) رغم كل فظائعه وقسوته تمكن الشاه عباس الاول من كسب عدد غير قليل من الزعماء الكرد باساليب مختلفة، فكرس إمكاناتهم الكبيرة لخدمة اغراضه التوسعية.

ورغم كل هذا الارهـاب لم يستطـع الملوك الصفويون فرض ارادتهم على كردستان التي ظلت منـاطق واسعـة منهـا تقاوم نفوذهم، فيما تمتعت اجزاء اساسية منها باستقلال فعلي عن الشاه الايراني. ففي أواخر القرن السادس عشر، مثلا، بلغت سلطات هه لو خان، زعيم اردلان، واستقـلاليتـه الكبيرة عن الشاه درجة «يصعب وصفها» على حد تعبير شرف خان البـدليسي. كما تحدث مؤرخ الشاه عباس الاول المذكور عن القاب خان أحمـد خان، الـذي خلف والـده هه لوخان في إمارة اردلان. فقد كان لديه جيشه الذي استعان به الشاه في حملاته، وكان في قصره الأميري يحيط به الشعراء الذين كانوا يتغنون بمآثره. وبعد موت الشاه عباس بدأ خان أحمد خان يسك النقود باسمه، ويعين حكـام منطقـة واسعـة تمتد من كرمنشاه حتى اورميه. ولكن لم يرق ذلك للشاه الايراني صفي الـذي شن حملة ضده في العـام ١٦٣٨ ـ ١٦٣٩. ورغم المساعدات التي تلقاها من السلطـان العثـماني الا ان قوات خان أحمـد خان انـدحـرت امام الجيش الايراني في معركة وقعت بين الطرفين على ضفاف بحيرة مريوان، فلجأ هوالى الموصل وبقي هناك الى ان وافاه الأجل[١٨].

وفي كل الاحـوال لم يلعب النضـال الكـردي، شأنـه في ذلـك شأن نضال الشعوب الايرانية الاخرى، الدور الاخير في اضعاف الدولة الصفوية، ومن ثم في سقوطها.

إن ماعـانـاه الاكـراد من مظالم نادر شاه الافشاري[١٩] (١٧٣٦ ـ ١٧٤٧) لايختلف كثيرا عما عاناه الاذربيجانيون في عهده[٢٠]. فقد اقترفت قواته جرائم بشعة بحق اكراد موكـريـان وبـوتـان واربيـل والمـوصـل، وكذلك بحق ابناء عشيرة دنبلي الذين امتشقوا السلاح بوجهه، واثاروا انتفاضة كبيرة ضد نظامه في اواسط العقد الخامس من القرن الثامن عشر، والتي امتد لهيبها الى خوي وسلماس وغيرهما من المناطق الكردية في ايـران[٢١]. وفي بعض المنـاطق لم ينـج حتى النساء والاطفال من مذابح تلك القوات. وفي تعليق له على مظالم نادر شاه بحق الشعب الكردي، يقول المؤرخ محمد أمين زكي:

---

(١٨) راجع:

«تاريخ خسرو بن محمد بني اردلان»، باللغة الفارسية، تحقيق وترجمة وتقديم ى. فاسيليفا، موسكو، ١٩٨٤، ص ٧٨ ـ ٧٩ من المقدمة الروسية، ٥٧ (٢٧ أ)، ٦٥ (٣١ أ) من نص المخطوط المنشور مع الترجمة الروسية.

(١٩) مع انه حمل لقب الشاه اعتبارا من ٨ آذار عام ١٧٣٦، الا ان السلطة الفعلية لنادر شاه بدأت قبل ذلك التأريخ بما لايقل عن ستة أعوام.

(٢٠) للتفصيل راجع موضوع «حقائق عن النضال التحرري الاذربيجاني في ايران».

(21) «Vsemirnaya Istoria», Vol. V, P. 246.

«ولايخفى ان معـاملة نادر شاه للكـرد لم تكن طيبـة قط، فلهـذا كان الكـرد يكـرهـونـه أشـد الكـراهية، حتى انهم الفوا قصائد باللهجة الكَورانية الكردية في هجو نادر شاه، ونعتوه بالقسوة والغدر»[٢٢].

ومن الجـديـر بالـذكر ان نادر شاه قد اغتيل يوم ٢٠ تموز عام ١٧٤٧ أثناء حملته ضد اكراد خراسان الذين ظلوا شبه مستقلين مثل اخوتهم اكراد اردلان وشدلو وظفرانلو[٢٣].

رغم اساليب البطش والحرمان ظل الاكراد يؤلفون، مثل الاذربيجانيين، قوة فاعلة ومؤثرة في حياة ايران السياسية، الامر الذي تجسد بصورة خاصة في استيلاء محمد كريم خان[٢٤] زعيم عشيرة زند الكردية[٢٥] على السلطة في ايران في اواسط العقد السادس من القرن الثامن عشر. وهنا يسترعي الانتباه واقع ربما كان نابعا من وضع نفسي كامن خلقـه الاضطهـاد المستمـر في اعـماق الكردي الايراني. فرغم ان كريم خان كان اعدل حاكم ظهـر في تاريـخ ايـران الحديث، والذي يسميه الاوربيون «الملك الصالح»[٢٦]، ورغم انه اصبح الحاكم الفعلي الوحيد لكل ايران منذ عام ١٧٦٠[٢٧]، الا انه لم يحمل لقب الشـاه، بل سمى نفسـه الـوكيل[٢٨]، في وقت اودع الزعيم الصفوي، الذي كان يطالب بالعرش، السجن بعد ان أيده مع علي مردان خان قبل ذلك التأريخ.

لم يدم حكـم الـزنـديـين لايـران طويلا. فبعد ان وافى الأجل مؤسسه كريم خان في سنـة ١٧٧٩ خلفـه في الحكم من الـزنـديـين من كانوا دون مستواه في كل شيء، الامر الـذي استغله الـزعيم القـاجـاري آغا محمد خان، فتمكن من القضاء على الزنديين، ليبدأ منذ عام ١٧٩٦ عهد جديد في تأريخ ايران الحديث يعرف بالعهد القاجاري.

عانى الجميـع، دون استثنـاء، من قسـوة القـاجاريين، وتخلفهم، ومن واقع تحول ايران الى شبه مستعمرة تابعة للدول الكبرى في عهدهـم. فان اغا محمد خان، الذي تحدثنا عن قسوته اللامتناهية في مكان آخر من هذا الكتاب[٢٩]، دشن عهده باراقة دماء الـزنـديـين دون هوادة، مع ان كريم خان زنـد كان قد اكـرم وفـادتـه باعـتـراف جميـع

---

(٢٢) محمد أمين ركي، المصدر السابق، ص ٢٣٠.

(23) P Sykes, Op Cit, P 291

(٢٤) ولد عام ١٧٠٤ أو ١٧٠٥، وتوفي عام ١٧٧٩.

(٢٥) تقطن عشيرة زند في غرب وجنوب غربي ايران.

(26) «The Good King»

(٢٧) تستثنى من ذلك فقط منطقة خراسان التي كان يحكمها حفيد نادر شاه الضرير شاه رخ.

(٢٨) كان يقصد به الوصي على العرش.

(٢٩) راجع موضوع «من تاريخ الحروب الايرانية الروسية».

المؤرخين، من ايرانيين وغربيين على حد سواء[٣٠]. فانه تزوج من شقيقته، وكان يستشيره في الامور السياسية المهمة طيلة ستة عشر عاما قضاها «بين الصيد والتفكير» في شيراز عاصمة الزنديين.

ولكن اغا محمد خان الذي يصفه المؤرخ الايراني سعيد نفيسي كأنسان نحيف، قاس في تقاطيع وجهه، ، حاقد في اعماقه، انسان لم يعرف العفو عمن حقد عليهم، ولم يتردد في قتل أقرب أقربائه، واحب اصدقائه من أجل كرسي الحكم[٣١]، قد تعدى الحدود في قسوته مع الزنديين، وكل من تعاون معهم. فبعد انتصاره في آخر موقعة له مع لطف علي خان، اخر حاكم زندي، أمر باحضار عشرين الف زوج من عيون اعدائه امامه. وعندما اتوه بخبر أسر لطف علي خان نفسه، أمر بقطع رؤوس ستة الاف من الاسرى الزنديين احتفاء بالمناسبة!![٣٢]. وقد بلغ المرض به درجة انه قام بنفسه بتقطيع سجادة نفيسة تركها كريم خان لانها، كما ذكر، كانت تذكره بمثوله امامه[٣٣]. كما نقل رفاته، مع رفات نادر شاه الافشاري، ودفنهما امام عتبة قصره حتى يظهر بذلك عظمته! ولكن هل كان بالامكان ان يتوقع من اغا محمد خان القاجاري أقل من ذلك، وهو الذي لم ينس ان ينتقم من بائع سمن شيرازي غشه في يوم من الأيام قبل ان يتبوأ العرش، والذي قتل شقيقه جعفر قلي خان لمجرد انه تجرأ وطالب بتوليته ولاية اصفهان بعد ان وقف باخلاص مشهود الى جانبه ايام صراعه من أجل السلطة، وقد خدع والدته، إذ بعد توسلاتها، عندما شكت في الامر، تعهد لها بانه لن يبقي شقيقه في طهران اكثر من ليلة واحدة لمهمة ضرورية، وفعلا نفذ ماوعدها، إذ لم يبق جعفر قلي خان اكثر من ليلة واحدة في عاصمة ملكه![٣٤].

وهنا يجب ان نشير ايضا الى ان اغا محمد خان تصرف بمثل تلك القسوة مع الزنديين مع ان عددا من المتنفذين الكرد في ايران وقفوا الى جانبه، منهم صادق خان زعيم عشيرة شكاك القوية، الذي كان يتبعه اكثر من ١٥ ألف مسلح، ومنهم ايضا خسروخان، أمير اردلان، الذي «كان مستقلا في منطقة واسعة»، وتحول الى «سند

---

(٣٠) راجع على سبيل المثال:

سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره‌ء معاصر، ص ٤٦، ٥٥، ٥٧؛

J R Perry, Karim Khan Zand A history of Iran 1747 - 1779, Chicago - London, 1979, PP 146 - 147; P Sykes, Op Cit, P 298

(٣١) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره‌ء معاصر، ص ٥٢ - ٥٤

(٣٢) دكتر علي سينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد اول، ص ٣٥

(٣٣) سعيد نفيسي، تاريخ اجتماعي وسياسي ايران در دوره‌ء معاصر، ص ٥٥ - ٥٦؛

P Sykes, Op Cit P 298

(34) J R Perry, Op Cit, P 147; P Sykes, Op Cit, PP. 295 - 296.

قوي لاغا محمد خان» على حد تعبير بيرسي سايكس[٣٥]. وعندما قتل اغا محمد خان داخل خيمته بشوش، وهو في طريقه للاغارة على جورجيا عام ١٧٩٧، حامت الشبهة حول صادق خان الشكاك في تدبير اغتيال الشاه لعدة أسباب، اهمها مطالبته بالعرش، وحمايته للحراس الذين قاموا بتنفيذ عملية الاغتيال، وانسحابه الى اذربيجان حيث فرض حكمه على عدد من مدنها[٣٦]. كما ان صادق خان كان على اتصال وثيق بالاذربيجانيين، وكذلك بالجورجيين الذين الفوا مجلسا سريا منذ ايام الحملة الاولى للشاه القاجاري على بلادهم اتخذ قرارا يقضي بالتوسل بجميع الوسائل التي تحول دون عودة الايرانيين الى بلادهم، والعمل من أجل القضاء على اغا محمد خان، لاعتقادهم ان مجرد اغتياله يكفي لابعاد شبح الاحتلال الايراني[٣٧]. وبعد صدام مسلح قرب قزوين اندحر فيه الشكاك امام قوات فتح علي شاه الذي خلف اغا محمد خان في العرش، جرى نوع من المساومة السياسية بين القاجاريين والشكاك لحل الازمة التي ظهرت بين الطرفين، وذلك بان اعاد صادق خان مجوهرات الشاه المقتول الى خلفه مقابل توليه حكم كَرمرود وسراب[٣٨].

وفي الوقت نفسه ظلت مناطق اخرى من كردستان ايران غير خاضعة لسلطات الشاه. فان الرحالة الاوروبيين الذين زاروا المنطقة في النصف الاول من القرن التاسع عشر، ومنهم مالكولم الشهير، والمقيم البريطاني في بغداد كلوديوس جيمس ريج صاحب الرحلة الشهيرة الى كردستان، وغيرهما، تحدثوا باسهاب عن نفوذ امير اردلان أمان الله خان، الذي كان وضعه يشبه وضع الملوك، حسب وصفهم له. فباعتراف اكثر من شاهد عيان اجنبي لم يضاه في كل ايران قصر آخر قصر امان الله خان في سنندج الصبورة»، على حد تعبيره، لذا لم يخضع للشاه الا بالاسم فقط. ولم يكن مجرد صدفة ان توجه الثوار الهنود الى الشاه وامان الله خان على حد سواء طلبا للعون في نضالهم ضد البريطانيين.

ومن المفيد ان نشير الى ان خسروخان، نجل امان الله خان، تزوج من وليه خانم، ابنة فتح علي شاه التي طغى نفوذها بعد انتقال الامارة الى زوجها. ومنذ ذلك

---

(35) P. Sykes, Op. Cit , P 291

(٣٦) راجع ايضا موضوع «من تاريخ الحروب الايرانية الروسية».

(37) Z.M Sharashenidze, Iran vo ftoroi polovine XVIII veka Tiflis, 1971, pp 34 - 35

ز. م. شاراشينيدزي، ايران في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ملخص رسالة دكتوراه. باللغة الروسية، تبليس، ١٩٧١، ص ٣٤ ـ ٣٥.

(٣٨) دكتر علي بينا، تاريخ سياسي وديبلوماسي ايران، جلد أول، ص ٥٣.

الوقت بدأ يحكم في كردستان «الغرباء الذين يتكلمون الفارسية» كما ورد نصا في مخطوط «تاريخ خسرو بن محمد بني اردلان» الذي يعود تأريخ تأليفه الى ذلك العصر[٣٩]. ولئن مهد ذلك الطريق لناصر الدين شاه (١٨٤٨ ـ ١٨٩٦) ان يفرض عمه النشط، الابن الخامس عشر لعباس مرزا نائب السلطنة الشهير، الحاج فرهاد مرزا معتمد الدولة حاكما على اردلان بعد وفاة امان الله خان الثاني بن خسروخان سنة ١٢٨٤ هجرية (١٨٦٧ ـ ١٨٦٨ ميلادية)، الا ان منطقة هورامان رفضت الرضوخ لطهران «لتعارض ذلك مع طبع اهلها» حسب تعبير باسيل نيكيتين. وبصعوبة كبيرة تمكن معتمد الدولة من فرض سيطرته على تلك المنطقة التي ظل زعماؤها يتمتعون بوضع شبه مستقل لفترة اخرى من الزمن[٤٠].

تعكس انتفاضة الشيخ عبيدالله بن السيد طه الشمزيني[٤١] عام ١٨٨٠ ذروة الاستياء الكردي من الحكم المتخلف لملوك آل قاجار في ايران. فقد كان الشيخ يتمتع بنفوذ ديني ودنيوي كبير بين الاكراد في منطقة واسعة تمتد من بحيرة وان الى منطقة اورمية وخوي ومهاباد واردلان، وغيرها من المناطق التي كانت ٢٠٠ من قراها ملكا خاصا له[٤٢]. وحسب وصف كرزن ان الشيخ عبيدالله كان «يتصرف على طريقة الملوك»، فكان معدل من يزورونه في ديوانه يوميا يتراوح مابين خمسمائة والف شخص. ويقول ايضا انه كان يحلم بالانعتاق «حجرا اساسا للهجوم على حكومة... ايران

---

(٣٩) «تأريخ خسرو بن محمد بني اردلان»، ص ٩٣.

(40) B. Nikitine, Op. Cit, PP. 257 - 258.

(٤١) جاءه اللقب من اسم قرية شمدينان بمنطقة حكاري التي كان الشيخ يسكنها

(٤٢) للتفصيل عن الشيخ عبيدالله، وانتفاضته راجع:

اسكندر قوريانس، قيام شيخ عبيدالله شمزيني در عهد ناصر الدين شاه، به اهتمام عبدالله مردوخ كردستاني، تهران، ١٣٣٦ وردت في الكتاب، رغم عدم موضوعية مؤلفه، معلومات مهمة يمكن الوقوف من خلالها على حوانب مهمة من انتفاضة الشيخ عبيدالله ونتائجها؛

Jalile Jalil, Vosstanie Kurdov 1880 goda, Moscow, 1966.

جليلي جليل، انتفاضة الاكراد عام ١٨٨٠، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٦٦؛

N A. Khalphin, Borba za Kurdistan, Moscow, 1963, PP 108 - 132, 134 - 144.

ن. أ. خالفين، الصراع على كردستان، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٦٣، ص ١٠٨ ـ ١٣٢، ١٣٤ ـ ١٤٤. نشر الدكتور احمد عثمان ابوبكر الترجمة العربية للكتاب في العام ١٩٦٩، وحلال أحمد تقي ترجمة كردية له في العام ١٩٧٠.

المقوتة»[٤٣].

ولم يدفع الاضطهاد وحده ابناء الشعب الكردي في ايران الى الالتفاف حول الشيخ عبيدالله، بل انه، فضلا عن ذلك، كان في تعامله نموذجا يختلف تماما عن المسؤولين الايرانيين الذين تحولوا، بشهادة الجميع، الى عبء ثقيل على كاهل الناس. فقد تبين من المعلومات التي كانت تصل القنصل البريطاني في تبريز ان الشيخ جعل الموت جزاءا لكل مرتش. وكما يقول القنصل في تقرير له عما اسماه «بالغزوة الكردية لايران»، ان الشيخ عبيدالله كان «رجلا مثقفا، حاول قدر المستطاع ان يتعلم أفكار واسلوب حياة المجتمعات المتحضرة». وكما تؤكد المصادر الارمنية، وغيرها، ان الشيخ لم يكن متعصبا من الناحية الدينية، الامر الذي جلب اليه عطف الارمن والاثوريين بقدر المسلمين[٤٤]. وقد جاء وصفه على لسان أرمني بهذا الاسلوب:

> «انه كان انسانا رائعا، محبا للعمل، جذابا، مؤثرا، رقيقا وذكيا. انه دائما كان يبدي عطفا ابويا تجاه اليتامى والارامل. ومن كل صوب كان الكرد يتقاطرون على شمدينان حتى يتحدثوا له عن مآسيهم، ومايتعرضون له من ضغط، ويستشيروه، ويستفتوه في قضايا الدين والدنيا. انهم كانوا يحترمونه، ويعتبرونه زعيما انسانيا، وعادلا».

سجل الشيخ عبيدالله بنفسه وقائع معينة من المظالم الايرانية التي دفعت الكرد الى الانتفاض بوجه طهران، وذلك في رسالتين مهمتين بعثهما لى المبشر الامريكي في اورميه الدكتور كوهران الذي كان على افضل علاقة به[٤٥]. فقد ذكر الشيخ في اولى رسالتيه التي تحمل تأريخ ٢٥ أيلول ١٨٨٠[٤٦] ان شجاع السلطنة نفذ حكم الموت بحق خمسين من اتباعه عام ١٨٧٩، والحق به من الاضرار مايربو قيمتها على ١٠٠ ألف تومان[٤٧]، كما عذب رجال الحكم الشخصية المعروفة في المنطقة فرج الله خان حتى الموت، وفرضوا غرامة قدرها ٢٠ ألف تومان على عبدالله خان وابراهيم خان من اشنو، واهانوا النساء. وردا على ذلك اعلن الشيخ انه ارسل «ابناءه على رأس قواته الى

---

(43) G N. Curzon, Persia and the Persian question, Vol I, P 553

(٤٤) للتفصيل حول الموصوع راجع:

J Jalil, Op Cit, PP 52-72

(45) G N Curzon, Op Cit, P 554

(٤٦) للتفصيل عنهما راجع:

J Jalil, Op Cit, PP 75-76, 105-107

(٤٧) مبلغ ضخم للغاية حسب القوه الشرائيه السائدة انذاك

ايران» للثأر عما لحق باخوانه من أضرار[٤٨].

لعب الـوضـع الاقتصـادي المـزري دورا غير قليـل في إثـارة الاكراد. فقد تحدثت التقـاريـر الـدبلومـاسية الروسية عشية انتفاضة الشيخ عبيدالله عن «الوضع المرعب» و «البـؤس الكبـير» الـذي دفـع النـاس في كردستان الى ان «يقتاتوا على البلوط واوراق الشجر»، بل وحتى «على لحم الحمير»، مما جعل الدبلوماسيين يتوقعون «اضطرابات شعبية جدية» في المنطقة يكون الجوع أقوى دافع لها[٤٩].

وبحكم هذه العـوامـل، وغـيرهـا، ارتفع عدد المتذمرين الذين التفوا حول الشيخ عبيـدالله بسـرعـة. وقـد جاء في تقرير خاص رفعه القنصل العام الروسي في تبريز الى وزارة الخـارجيـة ببطـرسبـورغ ان اكـراد ايـران «المعـذبـين والمسحوقين من قبل الادارة الفـارسيـة... يستقبلون الشيـخ باذرع ممدودة لمعـانقتـه باعتباره محررا، وينتقلون الى جانبه افواجا»[٥٠]. لذا لم يكن غريبا ان ارتفع عدد انصار الشيخ عبيدالله في فترة وجيزة من حوالي ٣ ـ ٥ الاف شخص في البـدايـة الى اضعـاف مضـاعفـة[٥١]. وكـما يشـير الدكتور ن. أ. خالفين، مستندا في ذلك الى التقارير الدبلوماسية الخاصة التي تعود الى مطلع العقـد التـاسـع من القرن التاسع عشر، ان بعض الاوساط العربية، بما في ذلك شريف مكة وخديوي مصر، أيدوا، كما اشيع، الشيخ عبيدالله الذي قيل عنه انه يمثل دور وهابي في المنطقة[٥٢]. وتشير تقارير اخرى الى تأييد بعض رؤساء العشائر العربية للشيخ عبيدالله[٥٣].

تمكن الثوار من تحرير لاهيجان وسردشت في النصف الاول من ايلول عام ١٨٨٠. وبعد ذلك توجهوا نحو مهاباد[٥٤]، التي حرروها ايضا. وفي ٢٣ أيلول دخلوا اوشنو، ثم دخلوا عشتـاروخ بعـد اربعـة ايـام فقـط. وبعـد ان حرروا منـاطق اخرى بضمنها اورمية، اصبح الثوار على ابواب تبريز، مقر ولي العهد، فدب الذعر بين أهلها الذين

---

(48) N A Khalphin, Op. Cit. P 124

(49) Ibid, PP 108 - 111

(50) Ibid P 125

(51) Ibid, P 127 J Jalil, Op Cit. P 77, M S Lazarev, Kurdski vopros 1891 - 1917, Moscow, 1972, P 34

م س. لازاريف، المسألة الكردية ١٨٩١ ـ ١٩١٧، موسكو، ١٩٧٢، ص ٣٤

(52) N A Khalphin, Op Cit. P 116

(53) Ibid, P. 126, J Jalil, Op Cit, P 91

(٥٤) كانت مدينة مهاباد تسمى يومذاك صاوجبولاق.

عانـوا من الجـوع بسبب انقطـاعهـا عن المناطق المجاورة، ونتيجة لجوء اعداد كبيرة من الناس اليها[٥٥].

ان ناصر الدين شاه الذي كان يخشى توجه الثوار صوب العاصمة طهران، استعان بالـروس والـبر يطـانيـين والعثمانيين لنجدته . . وكان القيصر الروسي سباقا للاستجابة لطلبـه، فامـر بتـوجيـه قطعـات من جيشه الى منطقة نخجوان على الحدود مع ايران. وبطلب من الروس والبر يطانيين ركز الباب العالي ايضا بعض القطعات على الحدود الايـرانيـة[٥٦]. ورغم كل ذلـك كانت صحـافة لندن تؤكد ان انتفاضة الشيخ عبيدالله هي من عمل يد الروس، فيما كانت صحافة بطرسبورغ تؤكد عكس ذلك تماما، وتمد أصابع الاتهام الى البر يطانيين. فان جريدة «ديلي تلغراف» اللندنية المعروفة اكدت في مقـالـة لها بعنوان «لماذا انتفض الكرد» ان «سبب الانتفاضة هوروسيا بالتحديد». بينما كتبت جريدة «قفقاس» الروسية ان الشيخ عبيد الله «نجح في دفع اكراد ايران للوقوف على اقدامهم بفضل تحريض الانكليز له». اما الصحافة الارمنية فانها كانت تؤكد ان الاتراك هم الذين يقفون وراء الانتفاضة الكردية[٥٧].

كرست طهـران جيشـا كبـيرا قوامـه ٢٠ ألف رجل، ومزود بالمدافع، للقضاء على انتفـاضـة الشيـخ عبيـد الله[٥٨]. وفي الاخـير حقق الايـرانيون مبتغاهم بفضل تعاون الاجانب، وعدد كبير من الخونة المحليين معهم، فضلا عن ضعف التنظيم والتماسك في صفـوف الثـوار انفسهم. وقـد لجأت قوات الشـاه الى ابشع اساليب الارهاب بحق الاكـراد اينـما حلت. وهنا نكتفي بترجمة ماورد في تقرير دبلوماسي سري بهذا الصدد، اكـد على ان قمـع الانتفـاضـة رافقتـه مذابـح دموية في كردستان ايران، مما ادى الى «مقتـل الاف من الاكـراد دون اعتبـار للعمر والجنس، والى نهب وحرق اكثر من ٢٠٠ قرية كردية»[٥٩].

بعـد فشـل الانتفـاضـة انسحب الشيـخ عبيد الله الى داخل الاراضي العثمانية، و

---

(٥٥) بروفيسور و. مينورسكي، تاريخ تبريز، ترحمة وتحشيه عبدالعلي كارنكَ، ص ٧١؛

N.A. Khalphin, Op. Cit., P. 127

(56) J. Jalil, Op. Cit., P. 84.

(57) Ibid, PP. 99 - 100.

(58) G.N. Curzon, Op. Cit., Vol. I, P. 554.

(٥٩) مقتبس من:

N.A. Khalphin, Op. Cit., P. 133.

«تحت ضغط اوروبي على الباب العالي» نقل الى استانبول في تموز عام ١٨٨١[٦٠].
ولكن رغم ذلك انه استقبل بحفاوة في العاصمة العثمانية، فقد خرج المسؤ ولون للقائه، وامتلأت الشوارع بالناس، واطلقت المدافع بالمناسبة. الا ان الشيخ سرعان مافهم انه ليس ضيفا على السلطان، بل اسير لديه حسب تعبير س. ولسن[٦١].

وعلى هذا الأساس استمر الشيخ عبيد الله في اتصالاته السرية، خصوصا وانه كان يعلم ان الظروف ماتزال مواتية لمواصلة نضاله. فان عوامل الاستياء والتذمر بين الشعب الكردي في ايران ازدادت بعد القضاء على حركته، وذلك بسبب قصر النظر السياسي لاوساطها الحاكمة. وربما يكفي ان نورد هنا ماورد في البرقية التي بعثها السفير الروسي في استانبول الى خارجية بلاده بصدد ذلك، فقد ذكر مانصه:

> ان الحكومة الايرانية «ليست فقط لم تتخذ اي اجراء من شأنه التخفيف عن كاهل السكان الاكراد الذين ساء وضعهم بسبب الانتفاضة الاخيرة، بل انها تنوي فرض ضرائب جديدة عليهم»[٦٢]

دبر الشيخ عبيد الله امر هربه من استانبول بذكاء. فقد تحين فرصة حلول عيد الفطر، واعلن انه ينوي الاعتكاف للتعبد في غرفته طيلة فترة العيد، لذا لايرغب في ان يتصل احد به، فيما انتقل سرا في اواسط آب ١٨٨٢[٦٣] بواسطة سفينة فرنسية، وجواز سفر مزور، وبملابس تاجر تركي، الى ميناء بوتي الجورجي في طريق عودته الى كردستان. ولكن الشيخ لم يحالفه النجاح هذه المرة ايضا، فقد اسر ثانية بعد مرور أشهر على هربه. واستجابة لطلب ناصر الدين شاه قرر السلطان عبد الحميد نفيه، مع افراد اسرته، الى مكة حيث وافاه الأجل في تشرين الاول عام ١٨٨٣[٦٤].

---

(60) G.N. Curzon, Op. Cit., Vol. I, P. 554.

(٦١) للتفصيل راجع:

J Jalil, Op. Cit., P. 93.

(62) N.A. Khalphin, Op. Cit., P. 134.

(٦٣) يشير كرزن الى ان الشيخ عبيدالله هرب من استانبول في آب عام ١٨٨٢، فيما يؤكد الدكتور جليلى جليل، مستندا الى مايذكره س. ولسن، ان الشيخ قد هرب في اواخر تموز من ذلك العام. وبما ان اليوم الاول لعيد الفطر عام ١٢٩٩ يصادف يوم السادس عشر من آب عام ١٨٨٢، لذا يكون التأريخ الاول هو الصحيح.

(64) G.N Curzon, Op Cit, Vol. I, P 554.

حسب مصادر اخرى ان الشيخ توفي في المدينة المنورة (راجع: الدكتور بله ج شيركوه، القضية الكردية. ماضي الكرد وحاضرهم، القاهرة، ١٩٣٠، ص ٤٨). وقد وقع باسيل نيكيتين في خطأ كبير عندما كتب ان الشيخ ظل على قيد الحياة، وعاد للعيش مع نجله الشيخ عبدالقادر بعد انتصار ثورة الاتحاديين عام ١٩٠٨ (B. Nikitine, Op. Cit, P. 289)

لم يضع اختفاء الشيخ عبيد الله عن المسرح نهاية للنضال التحرري الكردي، الذي اشتد اواره ثانية بعد مرور سنوات قليلة فقط، وذلك «ردا على محاولات طهران للضغط على استقلالية الوطنيين الاكراد، والتشديد في استغلالهم الاقتصادي»[٦٥]. فقد ثار أبناء عشيرة دشت ضد تصرفات حاكم اورميه الامير جهانسوز مرزا، وكان يقودهم حسو بيك وبدر بيك ولدي حسن بيك الذي لقي حتفه في السجن. وامتد لهيب انتفاضة دشت بسرعة الى مناطق واسعة في مهاباد وسردشت التي اضطر حاكمها الفارسي عزت الله خان الى ترك المدينة. كما هدد الثوار مدينة اورمية. وفشلت محاولات السلطات الايرانية في وضع حد لمقاومة الثوار الذين استمر نشاطهم لغاية أواخر عام ١٨٨٧. فاضطرت حكومة ناصر الدين شاه الى الاستجابة لمطاليبهم، فابعدت عزت الله خان، حاكم سردشت، وعينت مكانه أحمد بيك المكري، كما نقلت الامير جهانسوز مرزا من اورميه وعينت مكانه حاكما من اهل المنطقة نفسها[٦٦].

وكان للكرد ايضا دورهم في أحداث الثورة الدستورية الايرانية ١٩٠٥ - ١٩١١، الامر الذي انعكس في واقعين متناقضين التقيا، مع ذلك، في نقاط اساسية من حيث دوافعهما الكامنة. فان الجماهير الكردية وقفت في اكثريتها الساحقة الى جانب الثورة، فيما وقفت اوساط كردية اخرى، لها وزنها وتأثيرها، في خندق آخر، نحاول فيما يلي تقديم فكرة مركزة عنهما.

لم يكن بالامكان ان تبقى القوى الوطنية الكردية المتذمرة دون حدود، بعيدة عن آثار حركة ثورية استهدفت النظام القاجاري المتخلف. فتشير احدى وثائق «ارشيف سياسة روسيا الخارجية» التي تعود الى العام ١٩٠٧، الى اشتراك حوالي ٣٠ ألف مقاتل كردي في منطقتي خوي وماكو ضد العصابات التي شكلها اعداء الثورة هناك بقصد ضربها. وتشير وثيقة اخرى من المجموعة نفسها الى «المساعدات الكبيرة» التي «قدمها الاكراد للثوار العاملين في مناطق اورميه وساوجبولاق (مهاباد) وسلماس»[٦٧]، وهي جميعها مناطق كردية. واسس الدستوريون عددا من الانجمنات في المدن الكردية كرمنشاه ومهاباد وسنندج وسقز وبوكان وغيرها. وكان انجمن سقز من انشطها في ميدان المطالبة بالحقوق القومية للاكراد في ايران.

---

(65) N A Khalphin, Op. Cit., P. 145.

(66) Ibid, PP 145 - 146.

(67) M S Lazarev, Kurdistan i Kyrdskaya problema (90 - e godi XIX veka - 1917), Moscow, 1964, P. 118.

م. س. لازاريف، كردستان والمشكلة الكردية (من تسعينات القرن التاسع عشر حتى العام ١٩١٧)، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٦٤، ص ١١٨. حول الموضوع راجع ايضا:

عبدالله رازي، تاريخ مفصل ايران از تاسيس سلسلهء ماد ...، ص ٥١٨ - ٥١٩.

ولكن في الوقت نفسه تمكن اعداء الثورة من كسب قطاع كردي مهم الى جانبهم. ففي صراعه المستمر من اجل العرش استغل سالار الدولة، شقيق محمد علي شاه المخلوع، علاقاته التي كونها في فترة ولايته لسنندج ايام حكم والده مظفر الدين شاه، مع عدد من رؤساء عشائر كلهر وسنجاوى والجاف والزنكنه والمكري وغيرها.

طالب سالار الدولة بالعرش مرتين، الاولى عندما وافى الاجل والده عام ١٩٠٧، والثانية بعد الاضطرابات الواسعة التي أثارتها عودة شقيقه المخلوع من المنفى في المرحلة الاخيرة من عمر الثورة الدستورية. وفي المرة الثانية كان جل اعتماد سالار الدولة على عدة الاف من المسلحين الكرد من اتباع داود خان كلهر وعلي خان اللرستاني وغيرهما[٦٨]. فاستقر في البداية في همدان. واتخذ لنفسه لقب ابو الفتح شاه قاجار، وأخبر السلطان العثماني بذلك[٦٩]، وأصدر أوامره للجميع بقطع علاقاتهم مع طهران التي هدد بالزحف عليها. وعندما اندحر امام البختياريين، المؤيدين للثورة، توجه مع أنصاره الى كردستان، حيث احتل مدينة سنندج التي اضطر حاكمها عبد الحسين مرزا فرمان فرما ورجاله الى الانسحاب منها الى كرمنشاه. وفي ٣ أيلول ١٩١٢ أجبر سالار الدولة المسؤولين الايرانيين من انصار أحمد شاه، فضلا عن الدستوريين، على ترك كرمنشاه ايضا، او اللجوء الى بناية القنصلية التركية في المدينة[٧٠]. وعندما يأس فرمان فرما من وضع حد لتحركات سالار الدولة واتباعه استقال من منصبه برقيا[٧١].

أثارت نشاطات سالار الدولة في كردستان الروس والبريطانيين الذين طلبوا منه ان

---

(٦٨) للتفصيل راجع:

دكتر نورالله دانشور علوي (مجاهد السلطان) تاريخ مشروطهء ايران. جنبش وطن برستان اصفهان وبختياري، تهران، ١٣٣٥، ص ٨٦ - ١١٣.

(٦٩) بعث سالار الدولة برقية الى السلطان العثماني يخبره بانه اعلن نفسه شاها على ايران، الا ان السلطان لم يرد على برقيته: راجع:

«وزارة الخارجية. العلاقات الدولية في عصر الامبريالية. وثائق ارشيفات الحكومة القيصرية والحكومة المؤقتة ١٨٧٨ - ١٩١٧»، باللغة الروسية، التسلسل الثاني، المجلد العشرون، الجزء الاول (١٤ ايار - ١٣ آب ١٩١٢)، موسكو - لينينغراد، ١٩٣٩، ص ٢٢.

(٧٠) استمرت تحركات سالار الدولة في كردستان لفترة اخرى بعد القضاء على الثورة الدستورية.

(٧١) «وزارة الخارجية. وثائق ارشيفات الحكومة القيصرية والحكومة المؤقتة ١٨٧٨ - ١٩١٧»، التسلسل الثاني، المجلد العشرون، الجزء الثاني (١٤ آب - ١٧ تشرين الاول ١٩١٢)، موسكو - لينينغراد، ١٩٤٠، الوثيقة رقم ٨٢١.

يلقي السلاح، الا انه رفض الاستجابة لطلبهم[٧٢]، واستمر في نشاطه لفترة اخرى من الزمن، الى ان اجبرته القوات الايرانية على ترك كرمنشاه، ثم سنندج وبقية المناطق الكردية، واضطر في الاخير الى ان يلقي السلاح، ويهرب الى داخل الاراضي الروسية[٧٣].

ولكن يجب ان نشير هنا الى ان التفاف عدد كبير من رجال العشائر الكردية حول سالار الدولة لم يكن نتيجة علاقاته السابقة برؤسائها حسب، بل ان الامر كان يعكس بقدر اكبر من ذلك واقع الاستياء الكردي من النظام القاجاري. فان العديد انضموا الى جانب سالار الدولة لمجرد انه دعا الى الامتناع عن دفع الضرائب الحكومية، وخصوصا ضريبة الملح الممقوتة التي فرضتها طهران في العام ١٩١٠ بصورة غبية بمعنى الكلمة. فقد بلغ مقدار الضريبة الجديدة المفروضة على الانتاج المحلي من الملح حوالي ست مرات اكثر مما كان مفروضا على الملح المستورد. وحسب تعليق الخبير المالي الامريكي مورغان شوستر الذي استعانت به طهران لاصلاح وضع البلاد الاقتصادي المزري، لم يجن الفوائد من ضريبة الملح سوى «الجباة الذين سمنوا على حسابها»، ذلك لان ماجمعه هؤلاء كان اكثر بمقدار خمس مرات من الحد المقرر قانونا[٧٤].

يورد لنا فرامرز بزركَر اسماعيل رائين، الذي كان مفتشا ماليا في كردستان ايران قبل الحرب العالمية الاولى، معلومات لها مغزاها لما نحن بصدد توضيحه هنا. فهويقول ان الناس غدوا يفضلون عدم استخدام الملح «على الرضوخ لهذا القانون المجحف»، بحيث ان مقدار مابيع من الملح قد تقلص في بعض المناطق الى حد كبير جدا. ويؤكد المسؤول الايراني ان الاستياء من ضريبة الملح كان واحدا من العوامل الاساسية التي دفعت الناس في كردستان الى مناهضة الحكومة، والاشتراك في حركة سالار الدولة «دون خوف أو إجبار». واخيرا يؤكد فرامرز بزركَر ان الاكراد لم يعتبروا قرار طهران بصدد الغاء ضريبة الملح بناء على اقتراح شوستر، مكسبا للمشروطية، بل «تصوروها نتيجة لسيرهم وراء سالار الدولة الذي أعفى الرعية من دفع الضرائب المالية الجديدة

---

(٧٢) المصدر نفسه، التسلسل الثاني، المجلد التاسع عشر، الجزء الثاني (١٤ كانون الثاني - ١٣ ايار ١٩١٢)، موسكو - لنينغراد، ١٩٣٨، ص ٤٥٣ - ٤٥٤، الوثيقة رقم ٥٠٨.

(٧٣) دكتر نورالله دانشور علوي، تاريخ مشروطهء ايران، ص ١٢٥.

(74) W.M. Shuster, The Strangling of Persia, PP 33 - 34

للمصالح . . . وكانوا يبدون ارتياحهم من نفوذه كانسان معتد بذاته»[٧٥] .

ومما يؤسف له حقا ان يبريم خان ، الزعيم الارمني البارز[٧٦] ، وأحد أجرأ قادة الثورة الدستورية الذي لعب دورا اكبر من الجميع في خلع محمد علي شاه ، لقي حتفه على يد رجال العشائر الكردية من انصار سالار الدولة ، وذلك في معركة وقعت بين الطرفين يوم ١٩ أيار عام ١٩١٢ ، الامر الذي ترك صدى كبيرا داخل ايران ، بل وحتى في الخارج ايضا[٧٧] .

ورغم القضاء على الثورة الدستورية ، وانتهاء حركات سالار الدولة ، الا ان الاستقرار لم يعد الى المناطق الكردية الايرانية عشية الحرب العالمية الاولى . وربما يكفي ان نشير هنا الى ان الحاكم الجديد الذي عينته طهران في اورميه بعد القضاء على المشروطية ، لم يستطع ان يلتحق بمقر وظيفته من تبريز على مدى ثلاثة اشهر بسبب الفوضى التي كانت تسود المنطقة يومذاك[٧٨] .

وفي تلك الفترة ايضا ظهر فوق المسرح السياسي والثقافي لكردستان ايران الشخصية البارزة عبدالرزاق بدرخان الذي تحول ديوانه العامر الى منتدى أدبي ، ومركز التقاء الوطنيين[٧٩] . ففي اوائل العام ١٩١٣ اسس جمعية ثقافية في مدينة خوي ، قامت بفتح اول مدرسة كردية في ايران من المبالغ التي تبرع بها اهالي المنطقة انفسهم . وقد

---

(٧٥) راجع :
موركَان شوستر، اختناق ايران ، ترجمه ابو الحسن موسوى شوشترى، با تصحيح ومقدمه وحواشي واسناد محرمانه منتشر نشده در ايران توسط : فرامرز برزكَر اسماعيل رائين ، جاب دوم ، تهران ، ١٣٥١ ، ص ٩٣ - ٩٤ .

(٧٦) يبريم (اويفريم) خان كان من ارمن تركيا ، لجأ الى رشت في ايران حيث امتهن التجارة . انضم الى صفوف الثوار ايام المشروطية بحماس . كان قوي التأثير، متواضعا، كثير الاطلاع ، وجريئا للغاية .

(٧٧) «وزارة الخارجية . وثائق ارشيفات الحكومة القيصرية والحكومة المؤقتة ١٨٧٨ - ١٩١٧» ، المجلد العشرون ، الجزء الاول ، ص ٢٢ ، ٨٩ - ٩١ ، الوثيقة رقم ١٠٢ ؛
W.M. Shuster, Op. Cit., PP. 81, 86 - 87

(٧٨) راجع :
Academic V.A. Gardlevski, Izbranie sochinenia, T I, Moscow, 1960, PP. 174 - 175.
الاكاديمي ف . أ. كَردليفسكي ، الاعمال المختارة ، باللغة الروسية،المجلد الاول ، موسكو ، ١٩٦٠ ، ص ١٧٤ - ١٧٥ .

(٧٩) للتفصيل عنه ، وعن نشاطه راجع كتابنا المعنون «كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى» ، ترجمة محمد الملا عبدالكريم ، الطبعة الثانية ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٥٠ ، ٦٤ ، ١٠٢ - ١٠٤

حاول عبـد الـرزاق بدرخـان مرارا ان يحصـل على مسـانـدة الـروس في صراعـه ضد القاجاريين والعثمانيين الذين اضطر تحت ضغطهم ان يلجأ الى تبليس بجورجيا، ومن ثم الى باريس.

في سنوات الحرب العالمية الاولى حاول الجميع، وكل باسلوبه الخاص، استغلال الاستيـاء الكـردي لصـالحـه. فان رجـال المخابرات الالمان شيونمان ونيدرماير وزوغماير زاولوا نشاطا واسعا بين اكراد ايران، وحققوا نجاحا ملموسا بينهم «لكونهم اكثر مسسمي تلك البلاد تحمسا للدولة العثمانية بدافع مذهبي» على حد تعبير جورج لنشـوفسكي[80]. ومن جملة اجـراءات الالمـان لكسب الاكـراد انهم بدأوا يسعون أثناء الحرب لنشر بيانات دعاة الجامعة الاسلامية، وسائر مطبوعاتهم في جميع ارجاء كردستان الايرانية[81]. ومن الجدير بالذكر ان الروس كانوا يتابعون نشاط شيونمان بصورة خاصـة، وحـاولـوا الضغـط عليـه بواسطـة اعـوانهم من المسؤولين الايرانيين ورؤساء العشـائـر قبـل ان تنـدلـع نيران الحرب[82]. وفي سنوات الحرب ضاعفوا من متابعتهم لنشـاطـات شيمـونـمان في منطقـة كرمنشـاه، وقد شاطرهم في ذلك حلفاؤهم الانكليز ايضا، اذ قدم السفيران الروسي والبريطاني طلبا مشتركا للسلطات الايرانية للقبض عليه[83]. وكان عملاء المانيا، المزودين بعملات مختلفة من نقد ايراني واجنبي، يجرون الاتصـال بكبـار الشخصيات، ورؤساء العشائر، ويصرفون لهم بسخاء، فتمكنوا من كسب العديد من الساسة من امثال مستوفي الممالك الذي وعد بالعمل من أجل وضع جيش ايـراني تحت اشـراف المـارشال الالماني فون دير غولتز (Von der Goltz) الذي عين قائدا عاما للقوات التركية العاملة في العراق في أواخر عام ١٩١٥. وقد زار غولتز بنفسه المنطقة الكردية الايرانية في كانون الثاني عام ١٩١٦، وذلك لما كان يعلقه من آمال على الجيش الايراني الموعود[84]. وفي الوقت نفسه بلغت الدعاية التركية بين عشائر كاشان

---

(80) G Lenczowski, Russia and the West in Iran 1918 1948, New York, 1949, P 150.

(٨١) كان عملاء المانيا المنبثون في كل انحاء ايران يؤكدون في حملتهم الدعائيه التضليليه على تمسك الشعب الالماني وامبراطورهم «الحاج وليم!» بتعاليم الاسلام راجع:
P Sykes, Op Cit, PP 442-443

(٨٢) «وزارة الخـارجيـة. وثائق ارشيفات الحكومة القيصرية والحكومه المؤقتة ١٨٧٨ - ١٩١٧»، المجلد التاسع عشر، الجزء الاول، ص ٣٠٩، الوثيقة رقم ٣٣٤.

(٨٣) المصـدر نفسـه، التسلسـل الثـالث (١٩١٤ - ١٩١٧)، المجلد السابع، الجزء الاول (١٤ كانون الثاني - ٢٣ ايار ١٩١٥)، موسكو-لينينغراد، ١٩٣٥، ص ٥٢١-٥٢٢، الوثيقة رقم ٣٩٥

(84) P Sykes, Op Cit, PP 543-544

وكردستان حدا اثارت قلق المسؤولين الايرانيين[٨٥].

ولكن لم يكن الاستياء الكردي المشروع بحاجة الى مثل هذه الانشطة حتى يعبر عن ذاته في الفرصة الجديدة التي واتت مع اندلاع نيران الحرب العالمية الاولى. ففي تلك السنوات خاض اكراد ايران حومة النضال بحماس، ورفعوا السلاح ضد السلطات الايرانية والمحتلين الاجانب في العديد من المناطق. وقد برز في ميدان النشاط الوطني انذاك بعض المثقفين الكرد الايرانيين، منهم افراد اسرة قاضي المعروفة في مهاباد، والشاعر الشيخ بابا الغوث ابادي الذي اسس جمعية صغيرة وحاول الاتصال بالروس، ولكن نشاط جمعيته ظل محصورا في نطاق ضيق لم يتعد الشاعر، والبعض من أصدقائه المقربين.

ومن جهة اخرى خلقت مظالم المحتلين[٨٦]، بمختلف فصائلهم، ردود فعل كبيرة بين اوساط كردية ايرانية مختلفة، اضطرت للجوء الى السلاح دفاعا عن كرامتها. فقد قاوم سكان منطقة مهاباد الجيش العثماني، ثم الجيش الروسي بنشاط، تقودهم الشخصية المعروفة القاضي فتاح (١٨٣٢ - ١٩١٦)، الاخ الاصغر لجد القاضي محمد المعروف.

وفي سنوات الحرب، وبعدها مباشرة، لعب الوطنيون الكرد دورا بارزا في الحركة الثورية التي انفجرت في منطقة كَيلان، الواقعة في شمالي ايران، بقيادة مرزا كوجك خان، والتي دخلت التأريخ باسم «حركة الجنكَليين»، اي الغابيين، فقد اتخذ الثوار من غابات كَيلان الكثيفة مركزا لنشاطهم.

كانت قيادة الحركة الجنكَلية، وقاعدتها تتألف من انتماءات قومية مختلفة. ففضلا

---

(٨٥) «وزارة الخارجيه وثائق ارشيفات الحكومه القيصرية والحكومة المؤقتة ١٨٧٨ - ١٩١٧»، التسلسل الثالث، المجلد السابع، الجزء الاول، ص ٢٠٦ - ٢٠٧، الوثيقة رقم ١٥٨.

(٨٦) رغم اعلان ايران الحياد، الا ان اراضيها تحولت طيله سنوات الحرب العالمية الاولى الى ساحة قتال بين جيوش الجبهتين المتحاربتين، بما في ذلك اراضي كردستان ايران التي إنطلقت منها الشرارة الاولى للحرب في ميدان الشرق الاوسط، وقبل البحر الاسود، حسب رأي المستشرق الدكتور م س لازاريف (M S Lazarev, Kurdistan , P 299)

عن الكَيلانيين[٨٧]، اشترك في صفوفها عدد كبير من المتطوعين الذين اتوا من المدن والمناطق الاخرى، بما فيها العاصمة طهران، ومدينة تبريز الاذربيجانية، وبعض المناطق الكردية، وغيرها. وقد جمعت هؤلاء أهداف مشتركة تركزت خلال سنوات الحرب العالمية الاولى في النضال ضد المستعمرين والمحتلين، وفي مقدمتهم الروس والانكَليز، ومن أجل ضمان الاستقلال السياسي الناجز لايران. فاقسم المشتركون في الحركة ان لايحلقوا لحاهم حتى يتحقق مبتغاهم، مما تحول الى تقليد غالبا ماالتجأ اليه الثوريون الايرانيون فيم بعد[٨٨].

ومما كان يدفع الناس، وبشكل خاص الفلاحين، للالتفاف حول الحركة تأكيد قادتها على ضرورة العودة الى القيم الاسلامية الاصيلة، وتحويلها الى سلاح ماض للنضال ضد المحتلين الاجانب، والى حد أقل ضد المستغلين في الداخل. وقد الف الجنكَليون منذ أواخر العام ١٩١٧ لجنة خاصة للاشراف على حركتهم باسم «اتحاد اسلام». ومن الجدير بالذكر ان الالمان والعثمانيين عملوا بنشاط في سنوات الحرب من أجل اذكاء الدعاية للجامعة الاسلامية في منطقة كَيلان، لانهم كانوا يدركون امكانية توجيه ضربات الى اعدائهم الروس والانكَليز بواسطة الجنكَليين، فبعثوا عددا من الضباط الى منطقتهم كان من بينهم الضابط العثماني المقدم حسين افندي التبريزي الذي كان مطلعا على المناطق والشؤون الكردية، خاصة لاشتراكه في المعارك الحربية التي وقعت بين القوات الروسية والعثمانية في كردستان[٨٩]. وقد تمكن الاتحاديون

---

(٨٧) يحتل اقليم كَيلان المناطق المشرفة على السواحل الجنوبية الغربية لبحر قزوين. تبلغ مساحته حوالي ١٥ ألف كم^2. يبلغ عدد سكان الاقليم اكثر من مليوني نسمة (حسب احصاء عام ١٩٦٦ بلغ تعدادهم مليونا و٧٥٤ ألفا). تعتبر رشت ولاهيجان من أهم مدن كَيلان، التي تشغل غاباتها مساحة تربو على مليون ونصف مليون هكتار تنتمي الكَيلانية الى مجموعة اللغات الهندو-اوروبية. في الفترة من عام ١٣٧٠ حتى القرن السادس عشر كانت الاقسام الشرقية من كَيلان تؤلف دولة مستقلة. في العام ١٥٩٢ تمكن الصفويون من فرض سيطرتهم الفعلية على الاقليم. انتفض اهل كَيلان ضد الحكم الصفوي مرارا (في السنوات ١٥٧٠ - ١٥٧١ و١٥٩٢ و١٦٢٩). اشترك الكَيلانيون بحماس في الثورة الدستورية في ٥ حزيران عام ١٩٢٠ اعلن عن تأسيس جمهورية كَيلان في مدينة رشت، والتي قضت عليها القوات الايرانية في ٢٩ أيلول ١٩٢١.

(٨٨) للتفصيل عن الحركة الجنكَلية راجع.

ابراهيم فخرائي، ميرزا كوجك خان سردار جنكَل، تهران، ١٣٤٤ شمسي؛

M.S. Ivanov, Ochirk. , PP 259 - 269, 279 - 285, 293 - 299.

(89) M N Ivanova, Natsionalno - osvoboditelnaya dvijenie v Irane, Moscow, 1961, P 18.

م. ن. إيفانوفا، حركة التحرر الوطني في ايران، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٦١، ص ١٨.

والالمان فعلا من الاستفادة الى حد ما من الحركة الجنكَلية، حتى ان مرزا كوجك خان ارسل مجموعات من المجاهدين لمعاونة القوات التركية والالمانية في المناطق الاخرى، بما فيها منطقة كرمنشاه الكردية.

اشترك عدد غير قليل من الفلاحين الكرد بحماس في الحركة الجنكَلية، وتقاطرت مجموعات منهم على مركز الحركة مع اندلاع نيران الحرب مباشرة، وتحول خالوقوربان الى واحد من ابرز قادة الحركة المقربين من مرزا كوجك خان، كما برز عدد اخر من الاكراد في صفوف الجنكَليين، منهم كريم خان وقنبر خان وخالوحشمت وبابا خان الذي كان ينتمي الى خالوقوربان بصلة القرابة. وقد علا شأن خالوقوربان نفسه في صفوف الجنكَليين، حتى انه بلغ منصب قوميسير، أوما يوازي درجة وزير الحربية، ولكنه انفصل في النهاية عن الحركة، ودخل سوق المساومات الرائجة آنذاك، وقتل اثناء اشتراكه في العمليات العسكرية التي جرت ضد سمكو، وهوشخصية بارزة اخرى لعبت دورا كبيرا في النضال التحرري الكردي الايراني بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى، الموضوع الذي نعود الى تفاصيله فيما بعد.

دخلت الحركة الجنكَلية مرحلة جديدة بعد انتصار ثورة اكتوبر، وانتهاء الحرب العالمية الاولى. فتم في الخامس من حزيران عام ١٩٢٠ تأليف جمهورية كَيلان. وبعد تنظيم صفوفهم تقدم الثوار الجنكَليون باتجاه قزوين. فاصدرت طهران الاوامر للقوزاق بمهاجمة الجنكَليين، الا انهم اندحروا أمامهم، واضطروا الى التراجع والتفرق في قرى قزوين. واقترب الخطر من العاصمة، حتى ان السفارة البريطانية إتخذت الاجراءات اللازمة لنقل مقراتها الى اصفهان، واغلق المصرف الشاهنشاهي فروعه في رشت وتبريز. ولكن القوات البريطانية المتمركزة في قزوين هي التي حالت دون تقدم الجنكَليين نحو العاصمة طهران[٩٠]. وفضلا عن ذلك فان ضعف التحالف بين القوى الوطنية لمختلف القوميات الايرانية، أحدث ثغرة كبيرة في جبهة الجنكَليين، مما مكن من القضاء على حركتهم وجمهوريتهم في تشرين الاول عام ١٩٢١. ولقي مرزا كوجك خان مصرعه في جبال طالش، وذلك اثناء مطاردته من قبل القوات الحكومية في أواخر تشرين الثاني من عام ١٩٢١، وقد قطع رأسه وجلب الى العاصمة طهران[٩١].

لم يقتصر اشتراك الاكراد الايرانيين في حياة البلاد السياسية اثناء الحرب على

---

(٩٠) للتفصيل راجع:
حسن اعظام قدسي (اعظام الوزارة)، كتاب خاطرات من يا روشن شدن تاريخ صد ساله، جلد دوم، تهران، ص ١٠ - ١٣.

(٩١) المصدر نفسه، ص ٧.

الحـركـة الجنكليـة ، بل انهم اسهموا كذلك ، وباشكال مختلفة في نضالات الايرانيين . فعنـدمـا احتـدم صراع القـوى الـوطنيـة ضد حكـومـة وثـوق الدولة التي الفت في آب ١٩١٦ ، وعـرفت بمـوالاتهـا للانكليـز. ومن أجـل اجبـار تلك الحكـومـة على اجراء انتخـابـات جديـدة ، ودعـوة المجلس للانعقـاد ، عقدت اجتماعات جماهيرية في مدينة كرمنشـاه ، رفعت فيهـا شعـارات بهذا المعنى ، وقـد لعب الشـاعـر المعروف ، الكردي القومية ، ابو القاسم لاهوتي دورا بارزا في تلك الاجتماعات[٩٢] .

إثـر انتصـار ثورة اكتـوبـر الاشـتراكيـة ، وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى ، دخل النضـال التحـرري لشعـوب ايـران مرحلة جديـدة أنضج من السابق[٩٣] ، بما في ذلك النضـال التحـرري الكردي الذي تجسد يومذاك في سلسلة من الحركات والانتفاضات الجـديـدة انصبت ، كالسـابق ، في مجريين متناقضين في الاهداف ، ومتحدين من حيث العـوامـل المحـركـة الكـامنـة . فبعد الحرب ظهر سالار الدولة فوق المسرح من جديد ، ولكن لم يقابل هذه المرة بنفس الحماس السابق من قبل حلفائه رؤساء العشائر الكردية ، فأندحر امام القوات الايرانية ، وهرب الى داخل الاراضي العراقية حيث اعتقل وابعد الى حيفا بناء على طلب الحكومة الايرانية التي وافقت على تزويده باموالة[٩٤] .

وقبـل ان تضـع الحـرب اوزارهـا تحرك سردار رشيـد ، أحـد احفـاد امـان الله خان الشهـير ، في منطقـة اردلان . فاجتمـع حولـه عدد كبـير من رؤسـاء عشـائـر موكريان وهـورامـان ، والمنـاطق الكـرديـة الاخـرى ، كما اقـام الصـلات مع الـروس وسـالار الـدولـة[٩٥] . وبسـرعـة امتد نفوذ سردار رشيد واعوانه الى كرمنشاه وسنندج ، وأصقاع اخـرى من كردستـان ايـران . ولكن الايـرانيين تمكنوا من اعتقاله في شباط عام ١٩٢٠ بفضـل مكيـدة دبـرها له شريف الدولة ، حاكم سنندج انذاك . وفيما بعد ظهرت فرص جديدة امام سردار رشيد ، لكنه لم يستطع ان يلعب دورا ملموسا في النضال التحرري الكردي في ايران الذي تجسد بعد الحرب بصورة خاصة في الانتفاضة الكبيرة التي قادها سمكو.

يرجـع تأريـخ بروز اسـماعيـل اغـا شكـاك ، المعـروف بسمكو، الى سنوات ماقبل الحـرب العـالميـة الاولى ، ولاسيما بعد ان قتلت السلطات الايرانية شقيقه الاكبر جعفر

---

(٩٢) راجع .

M.N Ivanova, Op Cit., PP 22 - 23

(٩٣) راجع موضوع «حقائق عن النضال التحرري الاذربيجاني في ايران» .

(94) P Sykes, Op. Cit., PP 430 - 431, 554

(٩٥) للتفصيل حول الموضوع راجع . علاء الدين سجادي ، شورشه كانى كورد وه كوردو كومارى عيراق (الثورات الكرديه والكرد والجمهورية العراقية) ، بغداد ، ١٩٥٩ ، ص ٧١ ـ ٧٧

اغا غيلة في العام ١٩٠٥ لاتصاله بالثوريين الايرانيين. فمنذ ذلك الوقت أصبح سمكو على اتصال وثيق بعبد الرزاق بدرخان، وبالروس الذين أشاروا الى اسمه، ونشاطاته في وثائقهم الدبلوماسية مرارا[٩٦]. وقد ورد عنه مانصه في تقرير روسي خاص:

«تقريبا منذ العام ١٩١٤ أصبح اسم سمكو معروفا على نطاق واسع في االدوائر الدبلوماسية الروسية والبريطانية والايرانية والتركية. ففي سفارة كل واحدة من هذه الاقطار، وكذلك في وزاراتها الخارجية، يوجد ملف كبير عن سمكو»[٩٧].

ومن اجل «ان تبقى الابواب جميعها مفتوحة امامه»، حسب تعبير مارتن فان برونسن، تبنى سمكو في سنوات الحرب العالمية الاولى سياسة تميزت بهدوء نسبي[٩٨]. ولكن بعد انتهاء الحرب تحول سمكو الى ابرز عنصر في النضال التحرري الكردي الايراني الذي تعمق مضمونه، وتحددت أهدافه اكثر، ليتحول الى ظاهرة بارزة في تأريخ ايران السياسي، خصوصا بعد ظهور رضا خان (الشاه فيما بعد) فوق المسرح، والذي تبنى سياسة لاديمقراطية تجاه المسألة القومية الملتهبة دائما بحكم واقع ايران.

رغم الاخطاء التي ارتكبها سمكو بحق الاثوريين والاذربيجانيين[٩٩]، الا انه كان واضحا في موقفه من الحقوق المشروعة لابناء جلدته، الأمر الذي جعله في خندق معاد لطهران بصورة ثابتة. وان الاسم الذي اختاره لجريدته التي كان يصدرها في اورميه يغنينا عن الخوض في تفاصيل هذا الجانب من الموضوع، فقد سماها نصا «روز كرد شه و عه جه م»، اي «نهار الكرد ليل العجم»[١٠٠].

---

(٩٦) راجع على سبيل المثال:

«وزارة الخارجية. وثائق ارشيفات الحكومة القيصرية والحكومة المؤقتة»، التسلسل الثاني. المجلد العشرون، الجزء الاول، ص ٥٥، ٧٧، الوثيقتان ٦٢ و ٨٠.

(97) «Ismail Aga Simko i plemia Shkak», P. 1

«اسماعيل اغا سمكو وعشيرة شكاك»، تقرير خاص باللغة الروسية، ص ١. في العام ١٩٦٨ زودني الاخ الدكتور علي كَلاويز، القابع الان في السجون الايرانية، بنسخة من هذا التقرير.

(98) M. Van Bruinessen, Kurdish Tribes and the State of Iran. The case of Simko's Revolt, P. 18

(٩٩) قتل البطريرك الاثوري ماربنيامين شمعون مع عدد كبير من رجاله بعد اللقاء به يوم ٣ آذار عام ١٩١٨، كما تصرف بقسوة مع الاذربيجانيين في بعض المناطق.

(١٠٠) غير سمكو اسم الجريدة فيما بعد الى «روز كرد» (نهار او شمس الكرد)، ثم الى «كرد» وحده. وقد كتب فوق اسم الجريدة «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا». للتفصيل عن الموضوع راجع:

محمد تمدن، اوضاع ايران درجنگ أول. تاريخ رضائية، تهران، ص ٣٧١ - ٣٧٢.

باشر سمكو حركاته الفعلية منذ اواسط العام ١٩٢١ ، وقد شملت منطقة واسعة في غربي بحيرة اورميه . وفي البداية تمكن سمكو من فرض سيطرته على مدينه اورميه التي تحولت عمليا الى مقر له . بعد ذلك توجهت قوات سمكو الى مدينة مهاباد التي دخلتها يوم السابع من تشرين الاول بعد ان تمكنت من دحر قوة كبيرة من الجندرمة كان يقودها ملك زاده . وفي غضون فترة وجيزة حرر الثوار مدن سلماس وخوي وسلدز وسقز وبانه ، وغيرها من المناطق[١٠١] .

وبما ان طهران لم يكن بوسعها القضاء على انتفاضة سمكو بواسطة قواتها الخاصة ، لذا استعانت ببعض المتنفذين لتحقيق ذلك ، منهم خالو قوربان الذي تمكن رضا خان من شراء ذمته ، ومنهم ايضا الامير الكردي الموالي لطهران أمير أرشد الذي منحه رضا خان لقب سردار ، اي العميد او الزعيم . وقد توجه الاخير على رأس عدة الاف من المرتزقة المسلحين نحو مهاباد ، وانتصر في عدد من المعارك التي خاضها ضد الثوار في تشرين الثاني ١٩٢١ . وفي ١٥ كانون الاول تمكنت قوة مشتركة من اتباع امير ارشد والجندرمة والقوزاق من اعادة احتلال مهاباد . وبعد مرور عشرة ايام فقط شن الثوار هجوما مضادا واسعا ، فاستعادوا كل المناطق التي فقدوها ، واوقعوا خسائر جسيمة بالقوات المعادية ، كما لقي أمير ارشد جزاءه في المعارك الاخيرة[١٠٢] . وفيما بعد قتل خالو قوربان ايضا على يد انصار سمكو[١٠٣] .

وعلى هذا المنوال استمر الصدام بين الطرفين حتى اواسط تموز من العام التالي ، عندما تمكنت القوات الحكومية من الحاق الهزيمة بالثوار ، واحتلال مقرهم الرئيس في جهريق ، فلجأ سمكو الى داخل الاراضي التركية ، ومن ثم الى داخل الاراضي العراقية ، حيث أجرى اتصالا مباشرا بالبريطانيين الذين يستحق موقفهم من سمكو

---

(١٠١) أحمد شريفي ، عشاير شكاك وشرح زندكى انها به رهبرى اسماعيل اغا سمكو، تهران ، ١٣٤٨ . ص ٤٢ - ٤٣ ؛

D N Wilber Riza Shah Pahlavi Ressurrection and reconstruction of Iran, New York, 1975, P 59.

(102) D N Wilber, Op Cit , P 59; «The Near East and India», London, Vol xxl, No 556, January 5, 1922, PP 2 - 3, No 557, January 12, 1922, PP 38 - 39

(١٠٣) ابراهيم فخرائي ، مرزا كوجك خان سردار حنكل ، ص ٣٤٧ ، عه لى سه نحه رى ، له بياوه ناوداره كانى كورد ميرزا كوجك خان ، - جريدة «زين» ، السليمانيه ، العدد ٣٢ ، تموز ١٩٧١

بعض التمعن. فقبـل كل شيء ان الصحـافة البريطانية التي كانت تعتبر مكوروين هود الشرق، ولصا[١٠٤]، رحبت بانتصار القوات الايرانية عليه[١٠٥]. ولكن التعبير عن موقف الانكليز المناور جاء بصورة ادق على لسان أدموندس، الذي كان يومذاك حاكم كركوك السياسي، وجرى الاتصال بسمكو عن طريقه. فقد كتب أدموندس فيما بعد يقول:

• «. . . انـه انـدهش لمدى اهتمامنا بالفرس، رغم انهم كانوا يتعاونون على طول الحـدود مع الاتـراك الـذين طردونـا من راونـدوز ورانيه، والذين كانوا لايزالون يحاربوننا علنا. وفي حالة عكس ذلك انه ماكان يرغب في طلب اللجوء، بل كان يرجع الى عشائره ليعمل بوحده»[١٠٦].

وهذا ماحصل فعلا. فان سمكو الذي اصيب بخيبة كبيرة من سياسة البريطانيين[١٠٧]، عاد الى كردستان ايران في العام ١٩٢٤، ليوالي صراعه من جديد، وعلى مدى أشهـر، اضطـر بعـدها الى ترك المنطقة ثانية تحت ضغط القوات الايرانية، لتنتهي بذلـك المـرحلة الاولى من حركـات سمكـو التي كلفت طهـران ثمنـا غاليـا جدا[١٠٨]. ولم يكن عبثـا ان رضـا شاه لم يستطـع ان ينسى طيلة حيـاتـه «الاكـراد العنودين. . . وقائدهم سمكو الذي قدر له ان يكافح ضده في مجرى صراعه من اجل السلطة» على حد تعبير بيتر افرى[١٠٩].

---

(١٠٤) راجع. «The Near East and India», Vol. xxx III, No. 868, January 5. 1928, P 2

(١٠٥) راجع:

«The Near East and India», Vol xxl, No 557, January 12, 1922, P 39

(106) C J Edonds, Kurds, Turks and Arabs Politics travel and research in North - Eastern Iraq, London, 1957, P 307

(١٠٧) راجع عن رأي سمكو الشخصي في الانكلير، وعدم ثقته بهم في مذكرات أحمد تقي الدين رافقـه لفتـرة من الـرمن «حـه باتى كه لى كورد له يا دداشتـه كانى ئه حمـه ته فى دا. لاسه ره يه ك له شورشه كانى شيخ محمود وسمكو وهه ستانه كه ى ره واندز»، ريكخستن وئاماده كردنى بوجاب حه لال ته فى، به غدا، ١٩٧٠، ص ٧٠).

(108) «THE Near East and India», Vol xxll, No. 588, August 17 1922, P 202, No. 591, September 7, 1922, P 307; O S. Melikov, Ustonovlenie dictaturi Riza Shaha v Irane, Moscow, 1961, PP. 88, 90.
أ. س. ميليكوف، اقامة دكتاتورية رضا ساه في ايران، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٦١، ص ٨٨، ٩٠.

(109) P A very, Modern Iran, P 387

استمرت حركات سمكو بين مد وجزر لمدة ست سنوات اخرى، رافقتها تحركات موضعية اخرى كانت تعكس بدورها التذمر الشديد من اجراءات طهران اللاديمقراطية. ففي أواخر آذار ١٩٢٩ وقعت اضطرابات قرب مهاباد احتجاجا ضد «محاولة حكومة ايران ارغام الكرد على ارتداء الملابس الافرنجية، ولبس القبعة البهلوية» حسبما أفادت الصحف الاجنبية. وقد اضطر رضا شاه الى ارسال قوة قوامها اربعة الاف رجل للقضاء على معارضة المهاباديين الذين تمكنوا من اصابة قائد الحامية الايرانية في اذربيجان. وقد تمكنت القوات الايرانية من قمع الحركة التي اضطر عدد من قادتها الى اللجوء للاراضي العراقية[١١٠]. وتمادت سلطات الشاه في سياستها الارهابية في كل مكان، وتمكنت في الاخير من تدبير مؤامرة بمدينة اشنو في اواسط تموز سنة ١٩٣٠ أودت بحياة سمكو مع عشرة من اعوانه[١١١]. وفيما بعد نقلت رفاته الى قرية جهريق التي اندلعت منها الشرارة الاولى لانتفاضته[١١٢].

بعد القضاء على انتفاضة سمكو اعلن احد مقربي رضا شاه، المدعو علي دشتي، امام البرلمان الايراني انه «لاتوجد في ايران مشكلة باسم المشكلة الكردية، فان الاكراد هنا لايعاملون كأقلية قومية»[١١٣]. ومنذ ذلك الوقت بدأت فترة جزر في النضال التحرري الكردي. فان كردستان ايران لم تشهد على مدى العقد التالي سوى بعض الحركات المسلحة الصغيرة، منها، مثلا، الحركة التي قادها جعفر سلطان الذي اضطر

(110) «Report by His Majesty's Government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the administration of Iraq for the year 1929», London, 1930, PP. 39 - 40;

«العالم العربي» (جريدة)، بغداد، ٣ نيسان ١٩٢٩.

(١١١) «العالم العربي»، ٢٣ تموز ١٩٣٠.

(١١٢) يتمتع سمكو بحب كبير بين الاكراد. ومن الجدير بالذكر ان احد فصائل الانصار في كردستان الايرانية حاليا تحمل اسم سمكو، ويقودها نجله طاهر خان الذي يبلغ من العمر حوالي ٧٠ عاما.

(١١٣) «محضر المجلس الايراني في ٢٢ تشرين الاول ١٩٣٠» (مقتبس من:

R.Qazı, Kurdıstan democrat partıacı Iran Kurdıstanında Kurd Khalgının millı azadlıg harakatinin rahbarı va tashkilatıcı 1945 - 1946, Baku, 1954, P. 107

رحيم قاضي، الحزب الديمقراطي الكردستاني منظم وقائد حركة التحرر الوطني للشعب الكردي في كردستان ايران، باللغة الاذربيجانية مع ملخص باللغة الروسية، رسالة دكتوراه، باكو، ١٩٥٤، ص ١٠١).

الى اللجوء الى داخل الاراضى العراقية في اواسط كانون الثاني عام ١٩٣٢[١١٤].

في العقد الرابع، عندما تمكن رضاه شاه من تثبيت دعائم نظامه الدكتاتوري، تفاقمت شوفينية طهران تجاه الشعوب غير الفارسية، بضمنها الشعب الكردي، فامتلأت سجون البلاد بالوطنيين، بمن فيهم عدد من رؤساء العشائر ممن وقفوا، بصورة او باخرى، ضد الحكم البهلوي الجديد الذي كان إمتدادا للحكم القاجاري في العديد من النقاط والامور[١١٥]. ولاينكر ان اهم عامل دفع رؤساء العشائر الى الجبهة المعادية للسلطة كان يكمن في استيائهم الشديد من السياسة المركزية الجديدة للسلطة، الا ان الشعور القومي لعب ايضا دوره بالنسبة لقسم منهم، والا فان النظام البهلوي احتفظ بجوانب اساسية من العلاقات الاقطاعية السابقة. فان قانون الارض الذي صدر عام ١٩٢٨ رغم ماتركه من آثار مباشرة على كيان النظام العشيري، الا انه ثبت في الوقت نفسه سيطرة الملاكين على الارض، ولم يؤثر الا في حدود ضيقة على علاقات الملكية، واساليب استغلال الارض التي كانت قائمة قبل ذلك التأريخ. ثم ان سياسة رضا شاه هذه، التي عرفت بـ «تخته قابو»، استهدفت القضاء على حياة التنقل بين العشائر الايرانية، فافقدت الرعاة جانبا كبيرا من قطعانهم، بل ان قسما منهم فقدوا الحياة بسبب الصعوبات التي جابهتهم، لذا نراهم يتحولون الى وقود لكل حركة تعادي عرش الشاه. وفعلا شهدت الارياف التابعة لسنندج وهورامان ومريوان سلسلة من الانتفاضات الفلاحية الموضعية في الفترة الممتدة بين عامي ١٩٣٦ و ١٩٣٩، والتي كان ينقصها التنظيم والترابط فيما بينها، مما سهل امر القضاء عليها من جانب القوات الايرانية بقيادة الجنرال أمير أحمدي، الذي لم يتوان في اراقة دماء الابرياء دون هوادة[١١٦].

وكما تشير بعض المصادر[١١٧] قامت السلطات الايرانية بشنق مالايقل عن ١٢٠ كرديا داخل السجون في الفترة الممتدة بين عامي ١٩٣٤ و ١٩٤٠. وقد انعكست اثار هذه السياسة الشوفينية على الوضع الثقافي والصحي والاجتماعي للشعب الكردي في ايران. فلغاية الحرب العالمية الثانية لم توجد في جميع الاقسام الشمالية

---

(١١٤) راجع: «العراق» (جريدة)، بغداد، ٢٩ كانون الثاني ١٩٣٢.

(١١٥) للتفصيل راجع موضوع «رضا المازندراني والعرش الايراني».

(116) R. Qazi, Op. Cit, P. 111

(١١٧) في ذكر الحقائق المتعلقة بالاضطهاد القومي الذي عاناه الشعب الكردي في ايران قبل تأسيس «جمهورية مهاباد ذات الحكم الذاتي» استندنا بالاساس الى اطروحة الدكتور رحيم قاضي التي ورد ذكر تفاصيلها في الهامش رقم ١١٣.

من اقليم كردستان، التي تتألف من مدن سردشت وسقز وبانه ومهاباد واشنو ولاهيجان ونغدة وبوكان وغيرها، اكثر من مدرسة ثانوية واحدة، مع ان عدد سكان هذه المنطقة الـواسعـة كان يربـو آنـذاك على حوالي مليـون شخص. امـا في منطقة مهاباد وقراها الستمائة والخمسين فكانت توجد خمس مدارس ابتدائية فقط.

ولم تكن الحـالـة الصحيـة في كردستـان ايـران أحسن من وضعهـا الثقافي. فقد خصص لجميـع سكـان منطقـة مهـابـاد، البـالـغ تعدادهم انذاك حوالي ٢٠٠ ألف نسمة، مستشفى واحد، بلغ عدد اسرته ٢٠ سريرا فقط. وباعتراف صحيفة «كيهان» شبه الرسمية في كانون الثاني عام ١٩٥١ بلغ عدد اسرة مستشفيات منطقة كرمنشاه، اكثـر منـاطق كردستان الايرانية تطورا، حوالي عشر الحاجة الفعلية للمنطقة على اكثر تقـديـر. ولم يكن ذلـك سوى نتيجـة طبيعيـة لسيـاسـة التمييـز المتبعة تجاه الانسان الكردي الذي بلغ نصيبه من المخصصات الصحية، باعتراف الصحيفة نفسها، ١٪ فقط من نصيب الفرد في بعض المناطق المتطورة من ايران. لذا لم يكن اعتباطا ان اعتـرفت صحيفـة «سنندج» في عددها الصادر يوم ٢٢ خرداد ١٣٣١ انه «لم يطرأ اي تغييـر على وضـع كردستـان قيـاسـا مع ماكـانت عليـه قبل ٦٠ عاما». وهذا لايعني، بالطبـع، ان الـوضـع كان افضل بالنسبة للاذربيجانيين، أو العرب والبلوج وغيرهم. ومن المفيد ان نشير بهذا الخصوص الى انه لغاية عام ١٩٤١ لم توجد في ايران وزارة للصحة، بل ان مديرية تابعة لوزارة الداخلية هي التي كانت تشرف على كل مايتعلق بالامور الصحية لايران التي قدرت إمكاناتها الطبية بأقل من ١٪ من الحاجة الفعلية للسكان(١١٨).

وفي عهـد رضـا شاه مارست السلطـات الايـرانيـة سياسة التهجير بالنسبة لاقسام مهمة من ابناء عشائر كَلباغي وجلالي وبيران، وغيرهم، الذين نقلوا الى سلطان آباد وكـرمـان وشيـراز في العـام ١٩٣٥. وكـان يجـري نقـل هؤلاء في أسـوأ الظـروف. فبـاعتـراف الضـابـط الذي أشرف على نقل أفراد عشيرة كَلباغي القاطنة في المنطقة الواقعة بين سنندج وسقز، لقي جميع الاطفال والنساء، وعدد كبير من الرجال حتفهم في الطريق(١١٩).

وفي السنـوات الاخيـرة من حكم رضـا شاه اشتد الاضطهاد القومي بالنسبة لسائر شعـوب ايـران غيـر الفارسية. ففي كردستان، مثلا، حاولت السلطات منع استخدام اللغة الكردية، خاصة داخل المدارس، وفي الدوائر الحكومية، كما جرت محاولات

---

(118) «Sovrimenay Iran», P. 519.

(١١٩) «كردستان» (جريدة)، مهاباد، ١٩ ايار ١٩٤٦.

تسـريـة لمنـع ارتداء الملابس القومية، فكان رجال الشرطة يداهمون حتى المساجد لاجبـار القـرويين على ترك ملابسهم القـومية. كما غيرت اسماء عدد كبير من المدن والقـرى الكـردية الى اسمـاء فارسية، فغير اسم مدينة اورميه المعروفة الى رضائية، وسلماس الى شاهبور، وسايه نقه لا الى شاهيندير، وجومى جه غه توالى زرينه رود.

امتـدت اثـار هذه السياسـة المتعصبة الى الناحية الاقتصادية ايضا. فقد اتبعت طهـران سيـاسـة تمييـز واضحـة المعـالم في الحقل الاقتصادي بالنسبة للمناطق غير الفارسية من ايران. ففي السنوات العشر الاخيرة من حكم رضا شاه جرى تأسيس ٤٠ معمـلا للغـزل والنسيج، و٨ معامل لصناعة السكر، وعدد كبير من المحالج ومعامل تنظيف الحبـوب، وصنـاعـة السكائر، وغير ذلك لم يكن نصيب اذربيجان وكردستان منها سوى معملين صغيرين لصناعة السكر، اسس احدهما في مياندواو، والاخر في شاهاباد، هذا مع ان هذين الجزئين من البلاد كانا، ولايزالان يحتلان مكان الصدارة من حيث الانتاج الزراعي، كما تأتي كردستان على رأس المناطق المنتجة للتبوغ في ايـران. ومن الجـديـر بالـذكر ان رضا شاه نفسه كان يمتلك اراضي زراعية واسعة في مياندواو وشاهاباد والمناطق المجاورة لهما.

أثـارت سيـاسـة الاوسـاط االحـاكمـة جميـع الطبقـات والفئـات الاجتماعية في كردستـان ايـران، وتحـول ذلـك الى العـامـل الاهم لتحديد ابعاد النضال التحرري الكـردي في تلك المـرحلة التأريخيـة من تطوره. وقد عبر قاضي محمد فيما بعد عن ذلك بجلاء في العديد من خطبه ومقالاته[١٢٠].

وهكذا كانت جميع عوامل التحرك، والانفجار الداخلية متوفرة في كردستان ايران عشية اندلاع نيران الحرب العالمية الثانية، ولكن الحكم الدكتاتوري البهلوي حدد من امكـانيـة بروز نتـائجهـا فوق السطح الى أقصى حد. ولم يقتصر ذلك على اقليم كردستان، بل تحول الى ظاهرة عامة امتدت اثارها الى ايران باسرها، إذ لم يبق في أي جزء منها أدنى مجال للنضال السياسي العلني، وحتى السري، بحيث اضطرت القوى الوطنية للاختفاء عن المسرح السياسي خلال هذه الفترة. ففي كردستان ايران لم تظهـر خلال عقـدين من الـزمن سوى منظمـة صغيـرة باسم «حيـزبى ئازاديخـواى كوردستـان» (حـزب التحـرر الكردستانى) التي تزعمها عزيز زندي الذي كان من ابرز مثقفي كردستـان ايـران يومـذاك. إتصـل زنـدي بعدد من رؤساء العشائر الليبراليين، ومثقفي منطقة مهاباد، وحاول الاتفاق مع ارامنة تبريز للاستفادة من تجاربهم الغنية.

---

(١٢٠) راجع مثلا: «كردستان»، ٢٩ ايار ١٩٤٦.

ولكن بحكم طبيعة تكونها، وفي ظروف الارهاب السائد، لم تستطع هذه المنظمة التغلغل في صفوف الجماهير الكردية. فاقتصر نشاطها المحدود على مدينة مهاباد، وهي لم تستطع، بحكم ذلك، التأثير على سير الأحداث في كردستان ايران، فاختفت عن المسرح بعد نشاط لم يستمر اكثر من عامين فقط (من ١٩٣٩ حتى ١٩٤١).

ولكن ظهرت في هذه الفترة بالذات عوامل خارجية معينة رافقت السنوات الحاسمة في تاريخ الحرب العالمية الثانية، وتفاعلت نتائجها بصورة مباشرة مع الواقع الداخلي، فتمخض عن احداث سياسية كبرى تعدت اثارها ايران لتمتد الى مناطق حساسة من الشرق الاوسط. ففي الخامس والعشرين من آب عام ١٩٤١ دخلت القوات السوفيتية من الشمال، والقوات البريطانية من الغرب والجنوب الى داخل الاراضي الايرانية، فاستقالت وزارة علي منصور الموالية لألمانيا الهتلرية بعد يومين، واضطر رضا شاه للتنازل عن العرش لصالح نجله محمد في ١٦ أيلول من العام نفسه، لتنتهي بذلك دكتاتوريته التي استمرت دون انقطاع لمدة عقدين كاملين. وقد هيأت هذه الاحداث ظروفا مناسبة لنشاط المعارضة، ولنضال القوميات المضطهدة في ايران، فتحركت القوى الوطنية في طهران وكبرى المدن الايرانية، وتحرك الاذربيجانيون والاكراد بصورة خاصة.

خلقت هذه الاحداث ظروفا خاصة، ومتناقضة الى حد ما في كردستان ايران. فقد أصبح القسم الجنوبي منها (منطقة كرمنشاه ولغاية سنندج) خاضعا للنفوذ البريطاني، والقسم الشمالي منها (المنطقة الممتدة الى الشمال من مهاباد) اصبح خاضعا للنفوذ السوفيتي، فيما بقيت المنطقة الممتدة بينهما، بما فيها مدينة مهاباد، محايدة تتبع اسميا للسلطة المركزية في طهران، بينما اضطر كبار المسؤولين الايرانيين الى ترك مراكزهم في معظم المناطق الكردية التي توالت الاحداث فيها بسرعة. ففي ١٦ أيلول عام ١٩٤٢ تأسست «كومه له ى زيانه وه ى كورد»[١٢١] (جمعية بعث أو إحياء الكرد)[١٢٢] التي باشرت في أيار عام ١٩٤٣ باصدار لسان حالها مجلة «نيشتمان» (الوطن).

---

(١٢١) تعرف عادة باسم «ز. ك.» او مجرد «كومه له».

(١٢٢) يشير الدكتور رحيم قاضي في الصفحة ١٥٠ ـ ١٥١ من رسالته التي قدمها لنيل شهادة الدكتوراه (راجع الهامش رقم ١١٣) الى ان جمعية «ز. ك.» قد تأسست في حزيران عام ١٩٣٨، عادت الى النشاط في سنوات الحرب. اغلب الظن ان المؤلف اعتبر تأسيس حزب «ئازاديخواى كوردستان» بداية لظهور الجمعية

اسس جمعية «ز. ك .» ممثلو الفئة المثقفة الكردية، وحملة افكارها، وانحصرت قيادتها في البداية بأيدي هؤلاء، فيما ضمت قاعدتها فضلا عن المثقفين ممثلين عن الفلاحين الذين اولتهم الجمعية اهتماما نوعيا جديدا. وحسبما ورد في العدد الخامس من مجلة «نيشتمان» ان الجمعية تمكنت لغاية صيف عام ١٩٤٣ من تأسيس تنظيماتها في معظم انحاء كردستان ايران، خصوصا بعد ان كسبت عددا من الملاكين ورؤساء العشائر الليبراليين. واستطاعت قيادة الجمعية اقناع الشخصية الكردية المعروفة قاضي محمد بالانضمام اليها في أواخر عام ١٩٤٤.

ينتمي قاضي محمد الى اسرة معروفة في منطقة موكريان. ولد في ربيع عام ١٩٠٠ بمدينة مهاباد، ودرس علوم الدين على يد والده مرزا علي الذي أصبح قاضيا لمنطقة موكريان. كان قاضي محمد مولعا بالادب منذ صغره، وتأثر بقصائد الشاعر المجدد الحاج قادر كويي. وبعد ان تعلم الفارسية والعربية اولى اداب الشرق جانبا كبيرا من اهتمامه. وفيما بعد تعلم اللغات التركية والانكليزية والروسية، وتابع العلوم التاريخية والجغرافية والرياضية. وتأثر قاضي محمد بافكار ونضال الشاعر قاضي فتاح، الشقيق الاصغر لجده، والذي ناهض الحكم القاجاري، وقاوم الاحتلال العثماني والروسي لكردستان ايران، فاستشهد اثناء مقاومته للقوات القيصرية، كما المحنا الى ذلك من قبل. كانت اولى تجربة سياسية في حياة قاضي محمد انضمامه الى صفوف المقاومين من مهاباد ضد القوات العثمانية الغازية عام ١٩١٥، وهو لم يبلغ انذاك الخامسة عشرة من عمره. كما تأثر ايضا بالافكار الديمقراطية التي اصبحت رائجة بفضل الثورة الدستورية. وحسبما تؤكد «دائرة المعارف السوفيتية الكبرى» فقد كان قاضي محمد على اتصال بالخلايا البلشفية التي كانت تعمل بين صفوف القوات القيصرية العاملة في ايران خلال سنوات الحرب العالمية الاولى[١٢٣]. زاول قاضي محمد منذ عام ١٩٢٢ التدريس الى ان عين في عام ١٩٢٦ مديرا للمعارف في مهاباد، حيث بذل جهودا كبيرة لفتح عدد من المدارس، بما فيها اول مدرسة للبنات في المنطقة. وفي العام ١٩٣١ نقل قاضي محمد الى منصب قاضي موكريان، وبقي في منصبه الأخير حتى نهاية الحرب.

أدى كسب قاضي محمد الى توسيع قاعدة جمعية «ز. ك .» بصورة ملحوظة، خصوصا انه بعد سقوط رضا شاه مباشرة بدأ بالتجوال بين عشائر موكريان، وجمع في اواخر كانون الاول عام ١٩٤١ عددا كبيرا من رؤسائها في مهاباد في اشبه مايكون

---

(١٢٣) «الموسوعة السوفيتية الكبرى»، باللغة الروسية، الطبعة الثانية، المجلد الثامن والعشرون، ص ٤٦٠.

بمؤتمر استمر لمدة عدة ايام بذل خلالها جهودا كبيرة لجمع شملهم، وتوحيد كلمتهم. وللغرض نفسه عقد مؤتمرا أوسع في تشرين الثاني عام ١٩٤٢ جمع فيه هذه المرة بين رؤساء العشائر الليبراليين والمثقفين الثوريين. ومن الجدير بالذكر ان قاضي محمد الف في تلك الايام قصة بعنوان «صلاح الدين»، حولها عدد من مثقفي مهاباد الى مسرحية لقي عرضها نجاحا كبيرا[١٢٤].

كان إنتقال زعامة جمعية «ز. ك.» الى قاضي محمد، الذي اصبح اسمه ا' عزبي «بينايى»، استجابة طبيعية لواقع تناسب القوى داخل النضال التحرري الكردي في ايران يومذاك. ومن هذا التأريخ انتقلت الجمعية عمليا الى النشاط العلني، وزار قاضي محمد العاصمة طهران مرتين، عرض خلالهما مطاليب الشعب الكردي على الشاه، وكما افاد بنفسه فيما بعد انه طلب منه «الاهتمام بشؤون الكرد الثقافية والصحية بدل ارسال المدافع والدبابات ضدهم»[١٢٥].

استمرت جمعية «ز. ك.» في اواخر الحرب تعمل بنشاط من اجل توسيع قاعدتها، وتثبيتها، ولرفع الوعي في صفوف الجماهير، ففتحت بذلك افاقا جديدة امام النضال التحرري الكردي في ايران الذي انعكس عليه ايضا المد الديمقراطي الجديد في ايران، وكل الشرق الاوسط الذي رافق القضاء على النازية وانتهاء الحرب العالمية الثانية، وتأثر بوجه خاص بالتغييرات الجذرية السريعة التي شهدتها اذربيجان المجاورة[١٢٦]. كما لعب موقف طهران دورا كبيرا في تسريع احداث اذربيجان وكردستان. فبعد فشل زيارات قاضي محمد الى العاصمة، اتخذت الامور مجرى جديدا. ففي ١٦ آب عام ١٩٤٥ نشر في مهاباد بيان يحمل تواقيع ٧١ شخصية، معظمهم كانوا من اعضاء «ز. ك.»، ويمثلون فئات اجتماعية مختلفة، اعلنوا فيه عن تأسيس «الحزب الديمقراطي الكردستاني» في ايران، والذي كان إمتدادا شرعيا لجمعية «ز. ك.».

عقد الحزب الجديد اول مؤتمر له في مهاباد في الفترة من ٢٥ الى ٢٨ تشرين الاول ١٩٤٥، حضره ممثلون عن جميع فروعه ومنظماته. وضع المؤتمر المنهاج

---

(١٢٤) راجع:

O.L Vilchevski, Mukrianski Kurdi (Ethnographicheski ochirk), «Piredneasiatski Ethnographicheski sbornik», T.I, Moscow, 1958, P. 220.

و. ل. فليجيفسكي، اكراد موكريان. ملخص اثنوغرافي، اللغة الروسية، في كتاب «دراسات اثنوغرافية لبلدان اسيا الادنى»، الجزء الاول، موسكو، ١٩٥٨، ص ٢٢٠.

(١٢٥) «كردستان»، العدد الثاني، السبت، ١٣ كانون الثاني ١٩٤٦.

(١٢٦) راجع موضوع «حقائق عن النضال التحرري الاذربيجاني في ايران».

والنظام الداخلي للحزب، وانتخب قاضي محمد رئيسا له بالاجماع. وكان المنهاج يتألف من اربعة فصول مقسمة على ٢٢ مادة[١٢٧] حددت طبيعة الحزب الديمقراطية المستندة الى «الحق والعدل والتمدن» (المادة الثانية). واكد الحزب في منهاجه ان هدفه الاساس هو «ضمان الحقوق القومية لكردستان داخل الحدود الايرانية» (المادة الرابعة)، وبان الحزب «لايكن اي عداء تجاه الحكومة المركزية، إنما ينشد السلم، فالشعب الكردي الذي قاسى الى اليوم من ويلات الاستعمار البغيض. . . يطالب بحقه في الحكم الذاتي» (المادة السادسة). واكدت المادة الخامسة من المنهاج على ضرورة النضال من اجل الديمقراطية والسلم. واعار الحزب في منهاجه، ولاول مرة في كردستان ايران، الاهتمام ببعض القضايا الاجتماعية. فنصت المادة العاشرة من المنهاج على بذل الجهد من أجل توسيع استخدام الوسائل الحديثة في الانتاج، وضمان صرف منتوج الفلاح، وتطوير الريف، ووضع حد لهجرة الفلاحين. ونصت المادة الثانية عشرة من المنهاج على ان الحزب يدافع «عن حياة الكادحين، ومصالحهم السياسية والاقتصادية والصحية، بغض النظر عن انتمائهم العنصري والقومي والديني». واكد المنهاج في بقية مواده على ضرورة توسيع القاعدة الصناعية، وضرب المصالح الاستعمارية، ومنح المرأة حقوقها، وحماية حقوق الاذربيجانيين والارمن والاثوريين.

ان تأسيس «الحزب الديمقراطي الكردستاني» كان نقلة نوعية في النضال التحرري الكردي في ايران، الذي بدأ ينصب في إطار منظم ومحدد. وقد اصدر الحزب جريدته المركزية «كردستان» في ١١ كانون الثاني عام ١٩٤٦، والتي كانت تصدر بين يوم واخر. وقبل ذلك بشهر اصدر مجلة نظرية بالاسم نفسه. كما اصدر فرع الحزب في بوكان مجلة «هه لاله» (الزنبقة)، واصدر اتحاد الشبيبة الديمقراطي الكردستاني مجلة «هاواری نيشتمان» (نداء الوطن). ومن شأن عناوين المواضيع التي عالجتها صحافة الحزب اعطاء فكرة واضحة عن المنطلقات الجديدة للنضال التحرري الكردي في ايران بعد الحرب العالمية الثانية. فقد نشرت «كردستان»، ومجلات «هلاله» و «هاواری نيشتمان»، وغيرها مقالات تحمل مثل هذه العناوين: «ماهي الديمقراطية»، «ماهي الاشتراكية»، «الاشتراكية العلمية»، «من أجل

---

(١٢٧) راجع:
«مه رامنامه ی حزبي ديموكراتي كوردوستان» (منهاج الحزب الديمقراطي الكردستاني)، مهاباد، جابخانه ی كوردوستان، سه رماوه ز ١٣٢٤ شمسی

الخبـز»، «الاتحـاد»، «قبس الحـريـة»، «لمـاذا انتفض الكـرد»، «اللغـة والادب الكردي»، «ابن خلكان»، «في ذكرى تولستوي» وغيرها من المواضيع.

ومنـذ اواخـر عام ١٩٤٥ دخـل النضـال التحـرري الاذربيجـاني والكردي مرحلة دقيقـة. ففي ١٢ كانـون الاول عام ١٩٤٥ اعلن جعفر بيشوري في تبريز عن تأسيس «جمهـوريـة اذربيجـان الـديمقـراطيـة ذات الحكم الذاتي». وفي ٢٢ كانون الثاني ١٩٤٦ اعلن قاضي محمـد في اجتمـاع جمـاهيـري عقـد بمهـابـاد عن تأسيس «جمهـوريـة كردستـان الـديمقـراطية ذات الحكم الذاتي» التي دخلت التأريخ باسم «جمهـوريـة مهـابـاد»[١٢٨]. وقـد اكـد قاضي محمد مرارا على ان حركته لاتستهدف الانفصـال، بل تهـدف الى وضـع نهـايـة لمظـالم طهران، وسياستها الشوفينية تجاه الشعب الكردي، وضمان الحكم الذاتي له.

لجأت حكومة الشاه الى اجراءات مختلفة من أجل القضاء على الحركة الكردية في مرحلتها الجديدة. فقبل كل شيء ان رئيس الوزراء قوام السلطنة حاول بث بذور الشقاق بين الاذريين والاكراد باسلوب مراوغ، كما نشط رجاله باتجاه شراء ذمم عدد من المتنفذين المعروفين في المنطقة.

وعنـدمـا علم قاضي محمـد بنيـة طهـران لارسال قواتها الى اذربيجان وكردستان بحجـة الاشـراف على الانتخـابـات المقبلة عقـد اجتمـاعا لزعماء الحركة في بداية كانـون الاول ١٩٤٦ تقـرر فيـه منـع تلك القـوات من الدخول الى المنطقة الكردية، واتخـاذ الاجـراءات السـريعة لتعزيز مواقع الثوار في سقز وبانه وسرده شت[١٢٩]. وقد اخبر قاضي محمد تبريز بالقرار، وذلك تنفيذا لبنود الاتفاقية التي وقعت بين الطرفين في ٢٣ نيسان عام ١٩٤٦. ولكن خيانة بعض القادة الاذربيجانيين من أمثال جاويد وشبـوستـري ومحمـد بى ريـا (Be Ria) الـذين اصبحوا على اتصال بطهران، أفشلت الخطـة، إذ اخبـر هؤلاء حكـومـة قوام السلطنـة بتفاصيل نوايا مهاباد، كما اذاعوا من طرف واحد بيانا من راديو تبريز اعلنوا فيه باسم حكومة اذربيجان قرار السماح للقوات الايرانية بالتقدم الى حيثما ترغب في المنطقة، الامر الذي احتج ضده قاضي محمد

---

(١٢٨) كتب عنها الكثيرون. للتفصيل عنها راجع.

W. Eagleton, The Kurdish Republic of 1946, London, New York, Toronto, 1963, 142 PP.

(١٢٩) يسود المؤلفات التي تطرقت الى الحركة الكردية في ايران رأي غير صحيح مفاده ان قاضي محمد لم يكن يرغب منذ البداية في ابداء المقاومة للقوات الايرانية.

برقيا في ١١ كانون الاول، اي بعد يوم واحد فقط من اذاعة البيان[١٣٠]

وبتأييد مطلق من واشنطن ولندن تقدمت القوات الايرانية صوب اذربيجان وكردستان من اربع جهات. فقد تقدمت قوة مؤلفة من خمسة الاف رجل باتجاه قزوين وزنجان، وباتجاه تيكان ته به هوشار تقدمت قوة ثانية قوامها ايضا خمسة الاف رجل، وتقدمت قوة ثالثة قوامها الفا رجل باتجاه رشت وبهلوي، اما القوة الاخيرة فانها كانت تتألف من حوالي ١٤ ألف رجل، وقد تقدمت باتجاه سقزوبانه. وان اكثر من نصف هذه القوات توجهت نحو المناطق الكردية، تساندها ١٠٤ مدافع و٥٥ دبابة وعدد من الطائرات[١٣١].

اقترفت القوات الايرانية جرائم بشعة بحق الاذربيجانيين والاكراد[١٣٢]. فكما تؤكد بعض المصادر المطلعة ان عدد الديمقراطيين الذين لقوا حتفهم في تلك الايام العصيبة قد تجاوز ١٥٠ألف شخص[١٣٣]. واعتقل عدد اكبر من ذلك. وبعد محاكمة سرية صورية نفذ حكم الموت صبيحة ٣٠ آذار ١٩٤٧ في قاضي محمد، وشقيقه صدر قاضي، عضو البرلمان الايراني، وابن عمه سيف قاضي. وحسب ماأفادت المعلومات التي اوردتها مجلة «الازمنة الحديثة»[١٣٤] ان عملاء واشنطن ولندن حاولوا عبثا كسب قاضي محمد، الامر الذي اخر تنفيذ حكم الموت فيه، وفي اخوته لمدة تزيد عن ثلاثة اشهر[١٣٥].

جابه قاضي محمد الموت بجرأة. فبعد سنوات كتب العقيد أمير برويز، الذي كان شاهد عيان لتنفيذ حكم الاعدام، كتب يقول ان قاضي محمد رفض ان تعصب عيناه، وفي كلماته الاخيرة اكد على ضرورة الاستمرار في النضال، ودعا اخوته «الى ان لايثقوا بالحكومة الايرانية»[١٣٦].

بعد القضاء على مهاباد بدأت فترة جزر في النضال التحرري الكردي في ايران، شأنه في ذلك شأن النضال التحرري الاذربيجاني. وفي الوقت نفسه لم يطرأ اي تغيير في سياسة الدولة تجاه الشعوب غير الفارسية في عهد محمد رضا شاه، ثاني

---

(١٣٠) الدكتور رحيم قاضي، قاضي محمد، مخطوط، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٧.

(١٣١) المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

(١٣٢) راجع ايضا موضوع «حقائق عن النضال التحرري الاذربيجاني في ايران».

(١٣٣) الدكتور عبدالرحمن قاسملو، كردستان والاكراد، ص ٧٢.

(134) «Novaya Vremia», Moscow, April 15, 1947

(١٣٥) دخلت القوات االايرانية مدينة مهاباد يوم ١٧ كانون الاول عام ١٩٤٦.

(١٣٦) «ئازادى»، ٨ نيسان ١٩٦٠.

وآخـر ملك بهلوي . فرغم زيـادة واردات النفـط ظلت المنطقـة الكردية تعاني من فقر مدقع ، ومن وضع ثقافي وصحي واجتماعي مزرٍ. ففي العام ١٩٦٦ بلغت نسبة الامية بين سكان الريف في كرمنشاه ٢ر٨٨٪ ، وفي سنندج ٩ر٩٢٪ ، وفي سقز ١ر٩٣٪ وفي مهاباد ٩٤٪ . وفي السنة نفسها كانت توجد مناطق كردية في ايران يزيد عدد سكانها عن عشـرين الف نسمـة دون ان يكـون فيهـا طبيب واحـد ، في وقت كان يصيب كل ٤٨٠٠ شخص من سكان ايران طبيب واحد في المعدل . وحسب الاحصاء الرسمي للعام ١٩٦٦ كانت اكثر من ٥٠٪ من الاسر الكردية الايرانية ، التي يتراوح عدد افراد الـواحـدة منهـا بين ٥ و ٦ أشخـاص ، تعيش في غرفـة واحدة ، وفي وضع لم يختلف كثيـرا عن وضـع الاسـرة الكردية الايرانية الذي وصفه لنا الرحالة الفرنسي هنري بندر في العـام ١٨٨٧ . ان دراسـة بسيطـة للمعلومات الاحصائية الرسمية في اواخر العهد البهلوي تبين بوضوح انه قلما توجد في ايران منطقة تضاهي كردستان في التخلف[١٣٧] .

ان هذا الواقع لوحده كان يكفي لدفع الشعب الكردي في ايران الى خندق معاداة طهران ، ولضمان ديمومة نضاله الذي عبر عن نفسه بعد سقوط مهاباد في صور مختلفة ، بعضهـا جديـدة . فسـرعـان ماعـاود الـديمقـراطيـون نشاطهم ، بعد ان اعادوا تنظيم صفوفهم في بعض المناطق . الا ان الاوساط الحاكمة استغلت محاولة اغتيال الشاه يوم ٤ شباط **١٩٤٩** في جامعة طهران لتوجيه ضربة قوية لمجمل الحركة الوطنية في ايران . ففي كردستـان جرى اعتقـال اعـداد كبـيرة من الـديمقراطيين الذين فرضت عليهم احكام جائـرة بالسجن لمدد مختلفـة . وسـرعان ماجاء الرد المنطقي على ذلك . ففي انتخابات عام **١٩٥٢** حصـل مرشـح الحزب الديمقراطي الكردستاني في مهاباد ، والمناطق التابعة لها ، على نسبـة تتراوح بين ٨٠٪ و ٩٩٪ من أصـوات النـاخبـين ، ولكن طهران الغت الانتخابات ، وعينت شخصا اخر مكانه . وفي السنة نفسها انتفض فلاحو منطقة واسعة تمتـد بين بوكـان ومهـابـاد ، استخـدمت القوات الايرانية ضدهم ابشع اساليب القمع والبطش . وعنـدمـا بدأت حركـة مصـدق سانـدهـا الاكـراد الايرانيون بحماس . ففي الاستفتـاء الـذي جرى يوم ٣ آب **١٩٥٣** حول الاقـتراح المتعلق بتحـديد صلاحيات الشـاه ، وقفت الاكثـريـة المطلقـة من المصوتين في كردستان الى جانب الاقتراح . ففي مدينـة مهـابـاد ، مثـلا ، صوت اثنـان فقط لصالح الشاه من أصل خمسة الاف شخص

---

(١٣٧) للتفصيل راجع :

A R Ghassemlou, Iranian Kurdistan, PP. 9 - 11; «Sovrimenay Iran». PP. 378 - 403.

اشتركوا في الاستفتاء[١٣٨].

تفاقم الاتجاه اللاديمقراطي لحكومة الشاه بعد عقد حلف بغداد، الامر الذي ولد رد فعل قويا بين الاوساط الوطنية الايرانية. وقد شهدت كردستان ايران اول انتفاضة مسلحة ضد الحلف المذكور. فان عشيرة جوانرو والتي تقطن في المنطقة الممتدة الى الشمال من كرمنشاه، والتي طالبت في العام ١٩٥٠ بالحكم الذاتي للشعب الكردي في ايران[١٣٩]، انتفضت في مطلع العام ١٩٥٦ ضد طهران، ورفعت شعارات معادية لحلف بغداد. وقد تمتعت الانتفاضة بتأييد بعض العشائر المجاورة. ومنذ الرابع من شباط باشرت القوات الايرانية هجوما كاسحا على المنطقة، فدمرت عددا كبيرا من قراها، وقتلت وجرحت واسرت المئات من الجوانرويين، وشردت الالوف من أطفالهم ونسائهم وشيوخهم[١٤٠]، الامر الذي جلب انظار الصحافة العالمية. ففي عددها الصادر يوم ٢٧ شباط ١٩٥٦ تحدثت «لوموند» الفرنسية عن انتفاضة جوانرو المعادية لحلف بغداد، وعن لجوء القوات الايرانية الى استخدام المدافع لقمعها.

وفي هذه الفترة بالذات ظهر اتجاه جديد في سياسة ايران تجاه القضية الكردية، انصب على محاولة احتوائها للتقليل من انعكاساتها الداخلية. ويؤشر الدكتور عبدالرحمن قاسملو رد الفعل القوي الذي أثاره تأسيس اذاعة كردية في القاهرة عشية ثورة الرابع عشر تموز عام ١٩٥٨ العراقية بداية لمثل ذلك التوجه. وبصدد ذلك يقول الزعيم الكردي الايراني مانصه:

> «وقد بلغ الرعب لدى الحكومة الايرانية مبلغا جعلها تتخذ اجراءات لم يسبق لها مثيل، فقامت الحكومة برحلة دعائية في سائر انحاء كردستان، اعقبتها بتخصيص سبعة ملايين دولار لتعمير المنطقة. واشتدت فعاليات الدعاية الرسمية، وخصصت سبع موجات

---

(١٣٨) للتفصيل راجع:

A.R Ghassemlou, Iranian Kurdistan, PP. 24 - 25

(١٣٩) راجع:

«Moyen - Orient», Paris, October - November 1950.

(١٤٠) للتفصيل عن الانتفاضة، وقمعها، وموقف حكومة نوري السعيد منها راجع.

«انتفاضة العراق الاخيرة»، بلا، ص ٢٧؛

A R Ghassemlou, Iranian Kurdistan, PP 25 - 26; P. Vanly, Aspects de la Question Nationale Kurde en Iran, Paris, 1859. PP. 21 - 22

للاذاعة باللغة الكردية . . .»[١٤١].

لم يكن بوسع السياسة الجديدة التأثير على واقع النضال التحرري الكردي في ايران، الذي ظلت عوامله الاصلية الكامنة قائمة، وتفعل فعلها كالسابق، الامر الذي انعكس في انتفاضة نوعية جديدة انفجرت في شتاء عام ١٩٦٧، والتي لم تستطع سلطات طهران القضاء عليها الا بعد مرور ١٨ شهرا على اندلاعها. وبعد القضاء على الانتفاضة ظلت كردستان ايران تعيش ارهاصا ثوريا فعليا كالسابق. وهكذا فان النضال التحرري الكردي لم يلعب دورا قليلا في زعزعة اسس النظام البهلوي، فقد ظل، ولم يزل، يؤلف رافدا اساسيا في مجرى الحركة الوطنية للشعوب غير الفارسية في ايران.

---

(١٤١) الدكتور عبدالرحمن قاسملو، كردستان والاكراد، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١.

الموضوع الثامن

صفحات من تاريخ العلاقات الايرانية ـ السوڤيتية

لاشك في ضرورة دراسة كل مايتعلق بتاريخ دول المنطقة وشعوبها(*) وذلك لما للامر من اهمية علمية وعملية كبيرة تفرض نفسها بالحاح مع مرور كل يوم جديد على عالمنا المليء بالاحداث والمتغيرات. وتأتي العلاقات التي تربط تلك الدول بالقوتين العظميين ـ الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية ـ على رأس قائمة المواضيع لتي تستحق اهتماما كبيرا من لدن المختصين، ولاسيما ماهو شائع عنها لايتعدى، في اغلب الاحيان، بعض التصورات النابعة من تقييم عام لايخلو من الغموض احيانا، فهي بحاجة قبل كل شيء الى تحديد واضح يستند الى شواهد تاريخية وحقائق مادية ملموسة.

عند تقييم العلاقات الايرانية ـ السوفيتية من الضروري جدا ان نضع نصب أعيننا دائما حقيقة ثابتة تفرض نوعا خاصا من التعامل نابع اساسا من الصراع القائم بين القطبين المناقضين الرئيسيين على صعيد العلاقات الدولية بشكل عام. وترتبط الحقيقة المذكورة بواقع جغرافي تمخضت عنه حدود مشتركة تعتبر من اطول الحدود الدولية لا على صعيد المنطقة نفسها حسب، بل وعلى الصعيد العالي كذلك. فان الحدود الفاصلة بين أيران والاتحاد السوفيتي تبلغ ٢٥٠٠ كم. وتتجسد معاني هذا الرقم اكثر من خلال تحليله. فهو يؤلف حوالي ثلث الحدود الدولية لايران واطول خط يفصل بين الاخيرة وخمس دول تشترك معها في الحدود، وأطول خط يرتبط الاتحاد السوفيتي من خلاله بصورة مباشرة بالشرق الاوسط قلب العالم الحساس.

وأمام هذا الواقع وفي ظل الصراع المصيري القائم بين نظامين متناقضين يكون من الطبيعي جدا ان يحلم الغربيون بنقل سور الصين بايديهم الى تلك الحدود الطويلة لا من اجل صد شعاع مميت بالنسبة لمصالحهم الحيوية فقط، بل وكذلك ليحولوه ـ ان امكن ـ الى نقطة انطلاق للقضاء نهائيا على

(*) القي البحث امام ندوة «ايران الحاضر والمستقبل».

مصـدره الاصلي. والعكس صحيـح بالبـداهـة. وهـذا ما يضفي على علاقات القطبين بايران طابعا حساسا ودقيقا من نوع خاص ولد في مدى اكثر من ستة عقود ظواهر تبدو غريبة في حالات غير قليلة.

تعود بدايات اولى الصلات المعروفة بين دولة موسكو القديمة وايران الى العصر الوسيط. واثر تطور هذه الصلات التي كانت في الاول اقتصادية صرفة كالعادة، ظهرت الحاجة الى تنظيم امورها، ولا سيما بعد ان بدأت تكتسب طابعا سياسيا جديدا مع ظهور الصراع الصفوي العثماني فوق المسرح. ففي وقت مبكر جدا من هذا الصراع بعث الشاه محمد سلطان خودابند (١٥٧٨ ـ ١٥٨٧) بممثل عنه الى القيصر الروسي طالبا منه العون ضد الاتراك مقابل منحه منطقتي باكـو ودربنـد. وفي السنـة الاخيـرة من عهـد الشاه نفسه بدأت العلاقات الدبلوماسية المنظمة بين الطرفين.

ومع ظهور روسيا القيصرية الحديثة بطموحاتها اللامحدودة دخلت العلاقات بين الـدولتين طورا جديـدا له خصـائصـه ومميـزاتـه التي نجمت اسـاسـا عن توجهات الدب الابيض الحثيثة نحو ما يسمى بالمياه الدافئة في الجنوب، ولا سيما بعد ان حققت روسيا اقصى ماكان بمستطاعها من توسع باتجاه الغرب في ظل واقـع تنـاسب القـوى على صعيـد القـارة الاوربيـة يومـذاك. وبحكم التـوسـع الـروسي على حسـاب الاراضي التي كانت تدخـل ضمن الحـدود الرسمية لايران من جهة وجراء اطماع الدول الكبرى الاخرى (فرنسا ولاسيما انكلترا وفيما بعد المانيا والولايات المتحدة الامريكية) في هذا الجناح الشرقي المهم للشرق الاوسط اتسمت العلاقات الايرانية ـ الروسية بطابع المد والجزر الكبيـرين، فانهـا كانت تتـوتـر احيـانـا الى درجـة تبلغ حد اغتيال جميع اركان السفـارة الـروسيـة في طهـران، بمـا في ذلـك شخص السفيـر كمـا وقـع عام ١٨٢٩، وهي على العكس من ذلك كانت تبلغ احيانا درجة من الصفاء بحيث ان الشـاه القـاجـاري مظفـرالـدين كان يسمـح لنفسـه بالتجوال في اوربا على حساب القروض الروسية لاغيرها.

كان من الطبيعي ان تدخل العلاقات بين ايران وروسيا مرحلة خطيرة بعد

انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية واقامة السلطة السوفيتية في الاخيرة. فمنذ الايام الاولى لانتصار ثورة اكتوبر اتخذت الاوساط الحاكمة في ايران موقفا معاديا منها، الامر الذي نجم اولا عن عوامل مختلفة متفاعلة فيما بينها وانعكس ثانيا في ظواهر واجراءات طفت الى السطح بسرعة كبيرة. فقبل كل شيء ارادت الدول الرأسمالية تحويل ايران الى قاعدة ثابتة للتدخل المباشر من اجل القضاء على الوليد البعبع الذي ظهر على حدودها (حدود ايران) الشمالية مباشرة. فلم تمر سوى اشهر قليلة على انتقال السلطة الى ايدي البلاشفة حينما توجهت قوة بريطانية بقيادة الجنرال دنسترفيل (مطلع العام ١٩١٨) الى باكو عاصمة اذربيجان الشمالية وتبليس عاصمة جورجيا عن طريق همدان ـ قزوين ـ رشت وسرعان ما توجهت قوة بريطانية اخرى الى شمال ـ شرقي ايران بقصد احتلال مناطق معينة تشرف على بحر قزوين. وبعد صعوبات غير قليلة وبفضل التعزيزات الجديدة والمساعدة المباشرة للحكومة الايرانية تمكنت القوات الانكليزية اخيرا من دخول مدينة باكو في آب ١٩١٨ حيث نفذت حكم الموت في الحال بحق ٢٦ من ابرز البلاشفة في منطقة القفقاس.

ومما كان يثير فزع حكام ايران اكثر ويدفعهم الى الاشتراك الفعال في الاعمال المعادية للسلطة السوفيتية هو الاتجاه السياسي الجديد الذي بدأ يتبلور ويتحرك في ايران بسرعة اثر انتصار ثورة اكتوبر، الامر الذي انعكس في البداية في الحركة الجنكلية المسلحة في منطقة كيلان وفي اعمال قطاع من المثقفين الثوريين الايرانيين الذين قاموا بنشاط من نوع جديد بلغ حد تأسيس مجالس للسوفيتات اطلقوا عليها اسم «انجمن»، كما حدث في رشت وأنزلي وكرمنشاه وعدد اخر من المدن الايرانية. وقد اثارت انتفاضة الشيخ محمد الخياباني في اذربيجان حفيظة حكام ايران اكثر. فان الخياباني الذي كان واحدا من قادة الثورة الدستورية (١٩٠٥ ـ ١٩١١) والذي مثل تبريز في اول برلمان اسس في البلاد وعاش في سنوات المد الرجعي بعد الثورة في روسيا واصبح على اتصال بالاشتراكيين في القفقاس ظهر نجمه من جديد بعد ثورة اكتوبر، حتى انه تمكن من تنظيم انتفاضة مسلحة في اذربيجان واحتل انصاره

تبريز في مطلع نيسان ١٩٢٠ طاردين منها المسؤولين الايرانيين. وبعد حوالي شهرين فقط جرى عقد مؤتمر بميناء انزلي قرر اعضاؤه تبديل المنظمة الاشتراكية الديمقراطية الايرانية «عدالت» الى حزب شيوعي ايراني.

ومرة اخرى لم يمر سوى شهرين ونيف عندما عقد في الاول من ايلول عام ١٩٢٠ مؤتمر شعوب الشرق في باكو بمبادرة من الكومينتيرن وشخص لينين. وهنا لم يكمن الخطر فقط في ارتفاع صوت اليسار الشرقي على الضفاف المقابلة للسواحل الايرانية المشرفة على بحر قزوين، بل انه تجسد كذلك في الوجود الفارسي في المؤتمر نفسه. فقد بلغ عدد الفرس الذين حضروا مؤتمر شعوب الشرق ٢٠٤ اشخاص ليحتلوا بذلك المرتبة الرابعة عدديا بين القوميات والطوائف الخمس والاربعين الممثلة في المؤتمر. ولم يكن مجرد صدفة ان قامت الطائرات بقصف السفينة التي كانت تقل الوفد الايراني في عرض بحر قزوين مما ادى الى مقتل اثنين من اعضائه وجرح عدد اخر منهم.

اذن فان الخطر كان جديا وكان من النوع الذي ظل يترك بصماته باستمرار وبصورة غير مرئية على العلاقات الايرانية - السوفيتية من منطلقات متباينة. وفي خضم الصراع الدولي عرف الغربيون كيف يستغلون هذا الواقع لصالحهم، الامر الذي بدأ يعطي انعكاساته منذ وقت مبكر جدا. وربما يكفي ان نورد هنا مثلا معبرا واحدا من شأنه توضيح ما نحن بصدده. ففي تموز عام ١٩١٨ توجه اول ممثل دبلوماسي سوفيتي اسمه كليمتسيف الى طهران، ولكن رفض رئيس الوزراء وثوق الدولة - رجل الانكليز الاول في ايران، الاعتراف بالبعثة السوفيتية رسميا. ولم يكتف الانكليز بذلك، بل انهم حرضوا الروس البيض الموجودين في العاصمة الايرانية لتدبير هجوم على بناية السفارة السوفيتية انتهى بالقاء القبض على جميع العاملين فيها (فيما عدا شخص كليمتسيف) وتسليمهم الى السلطات الانكليزية التي نفتهم الى الهند في الحال، اما كليمتسيف فقد تمكن من الاختفاء بين رجال العشائر الكردية الذين ساعدوه على العودة الى بلاده. وبعد مرور عام واحد حينما ارسل

كليمتسيف مرة اخـرى الى طهران اغتيـل في الطريق على يد احـد الـروس البيض وبتحريض مباشر من الانكليز.

وفي السنوات الاولى التي اعقبت انتصار ثورة اكتوبر ظهر عامل آخر له شأنــه في تحـديـد العـلاقـات بين البلدين الجـارين يومـذاك. فقـد بدأ يراود الاوساط الحاكمة في ايران حلم استعادة المناطق التي فقدتها بلادهم جراء توسعـات روسيـا القيصـريـة وحـروبهـا الجنوبية، فاذا بالوفد الايراني يتقدم الى مؤتمــر الصلح بباريس عام ١٩١٩ مذكـرة يطـالب فيهـا بضم كل اذربيجـان الشمالية مع مدينة باكو وارمينيا الغربية مع مدينة يريفان وقره باغ وقسم من داغستان الى ايران، ومن الجدير بالذكر ان ايران طالبت في المذكرة نفسها بضم مناطق واسعة اخرى اليها تمتد الى حد نهر الفرات وتضم، فيما تضم، مدينتي ديـار بكـر والمـوصـل وغيـرهمـا من الاصقـاع التي كانت تدخل ضمن الامبراطورية العثمانية الى وقت قريب.

وبحكم عوامل مختلفة لم تتحول هذه الظواهر، ومحاولات استغلالها من قبـل الاخـرين، الى العـامـل الحـاسم والنهـائي لتحـديـد العلاقات بين ايران والاتحاد السوفيتي، فان عاملا آخر لعب دورا اساسيا في صياغة العلاقات تلك وفي التخفيف بشكـل ملمـوس عن تأثيـرات العـوامـل الاخـرى. ونقصـد بهذا العامل الاساسي الاهم السياسة الخارجية التي كان على الدولة السوفيتية الفتية اتباعها في ظل ظروفها الصعبة، وفي ضوء واقع تناسب القوى على الصعيد الدولي، وازاء عجز الارهاصات الثورية في تغيير شيء في المناطق الشرقية المجاورة، وعلى رأسها ايران بالذات.

لذا كان من الطبيعي ان لايتجـاهـل الاتحـاد السـوفيتي الـواقـع السيـاسي والاجتماعي لبلدان الشرق وان يحاول اقامة علاقات طبيعية معها عبر قنوات دبلومـاسيـة صرفـة رافقتهـا تنـازلات صريحـة غير قليلة بدافع مبدئي او سياسي بحت. ففي ٢٦ حزيران ١٩١٩ وجهت الحكومة السوفيتية مذكرة الى «الشعب الايراني والحكومة الايرانية» اعلنت فيها تنازلها عن جميع الحقوق والامتيازات التي ورثتها عن روسيا القيصرية في ايران، بما في ذلك القروض والسكك والموانيء ودوائر البرق والبريد وغيرها من المؤسسات الاقتصادية والستراتيجية. وقـد تبعت المـذكـرة محـاولات اخـرى مشابهة للتقرب من الحكومة الايرانية،

الامر الـذي تمخض عنـه التـوقيـع في موسكـو على أول معـاهدة بين البلدين بتاريخ ٢٦ شباط ١٩٢١.

نصت بنـود المعـاهـدة على عدم تدخـل اي من الجـانبين في الشؤون الداخليـة للجـانب الاخـر، وعلى الغـاء روسيـا السـوفيتية لجميع المعاهدات والاتفـاقيـات المفـروضـة من جانب القيـاصـرة على ايـران مع مايرتبط بها من امتيازات مختلفة وقروض وفوائد وممتلكات الدولة القيصرية في ايران، بما في ذلك مصرف الائتمان الروسي. ومن المفيد ان نشير الى ان اثمان الممتلكات والمؤسسات التي تنازل عنها الجانب السوفيتي بدون مقابل تقدر باكثر من ١٠٠ مليون روبل ذهب. واعادت بنود المعاهدة الى الجانب الايراني حق الملاحة في بحر قزوين بعد ان حرم منها على مدى سنوات طوال بموجب بند ورد في احدى المعاهدات الروسية ـ الايرانية قبل الحرب العالمية الاولى. وقد تعهدت ايران بالمقابل عدم منح هذه الامتيازات والمؤسسات لدولة ثالثة ممثلة بمصالحها الرسمية او شخصيتها المعنوية ومواطنيها. واكثر من ذلك التزمت ايـران بمـوجب البنـد السـادس من المعـاهـدة بأن لاتسمح لطرف ثالث باقامة قواعد ومؤسسات فوق اراضيها يكون من شأنها تهديد أمن الاتحاد السوفيتي، اما اذا عجزت ايران عن ابعاد خطر كهذا حينذاك «يحق للحكومة الروسية نقل قواتها الى الاراضي الايرانية» واتخاذ «الاجراءات العسكرية الضرورية» للحفاظ على أمنها وسلامتها، كما ورد نصا في البند المذكور.

دشنت هذه المعاهدة بداية مهمة في العلاقات السوفيتية ـ الايرانية اتسمت بنوع من المساومة السياسية التي لم تكن ثابتة في جميع الاحوال. فلم تمر سوى اشهر قليلة على ابرام المعاهدة عندما منحت الحكومة الايرانية شركة ستـانـدرد اويـل الامـريكيـة حق استغـلال حقـول النفط الموجودة في المناطق الشمالية، بما فيها اذربيجان وكيلان ومازندران وغيرها، متجاهلة بذلك روح البنـد الثـالث عشـر من المعـاهـدة الايـرانيـة ـ السوفيتية التي اعطت السوفيت الحجـة الـرسميـة للاحتجـاج بشـدة على القـرار الايـراني، مما اجبر الحكومة الايرانية على التراجع عن موقفها وسحب الامتياز من الشركة الامريكية.

لم يؤثر سقوط الاسرة القاجارية ومجيء رضا شاه البهلوي الى العرش كثيرا على العلاقات بين ايران والاتحاد السوفيتي خلال السنوات الاولى من حكم الشاه الجديد. ففي العام ١٩٢٧ وقعت ايران معاهدة ثنائية جديدة مع الاتحاد السوفيتي ايدت بنودها فحوى معاهدة العام ١٩٢١. ولكن لم يدم هذا التقارب المشوب بالحذر طويلا، اذ ما ان ثبت رضا شاه اقدامه في الحكم حتى بدأ يكشف القناع عن واقع مشاعره تجاه الاتحاد السوفيتي، الامر الذي انعكس بسرعة على العلاقات الاقتصادية بين البلدين. فمن اجل اضعاف الصلات التجارية القوية بين بلاده والاتحاد السوفيتي، باشر رضا شاه في العام ١٩٢٨ بتشييد سكة حديد تربط بين مينائي بندر شاه على بحر قزوين وبندر شاهبور على الخليج العربي، ولم يعر صعوبة انجاز المشروع لمروره بمناطق جبلية وعرة، ولحاجته بسبب ذلك الى مئات الجسور والانفاق على مدى ١٤٠٠ كيلومترا، اهتماما يذكر، بل على العكس من ذلك انه فرض ضرائب اضافية لانجاز المشروع الذي استغرق عقدا كاملا من الزمن. ولتحقيق الهدف نفسه استغل رضا شاه «قانون احتكار التجارة الخارجية» الذي اصدره في شباط عام ١٩٣١.

وعشية الحرب العالمية الثانية بدأت العلاقات السوفيتية ـ الايرانية تعاني من ازمة جدية انعكست في امور مختلفة منها، على سبيل المثال لا الحصر، رفض الشاه عام ١٩٣٨ التوقيع على معاهدة تجارية جديدة مع الاتحاد السوفيتي، مما اثر بصورة جدية على التبادل التجاري بين البلدين بعد ان كان يحتل المرتبة الاولى في قائمة تجارة ايران الخارجية. ففي العام ١٩٣٧ ـ ١٩٣٨ الف التبادل التجاري بينهما ٣٨٪ من كل التجارة الخارجية الايرانية، وفي آذار عام ١٩٣٩ منحت الحكومة الايرانية احدى مؤسسات شركة شيل الهولندية ـ الانكليزية المعروفة امتيازا لاستغلال النفط في المناطق الشمالية، متجاهلة بذلك بنود معاهدة العام ١٩٢١. ومما له مغزاه بهذا الصدد ان ديتيردينغ، الذي عرف بكراهيته الشديدة للاتحاد السوفيتي وبخططه للتدخل في شؤونه بعد انتصار ثورة اكتوبر، كان يقف يومذاك على رأس كونسيرن

شيل، وان الامتياز منح الشركة حق اقامة المطارات وتشييد السكك والطرق ومد خطوط التلفون والتلغراف، بل تأسيس اذاعة مستقلة بالقرب من الحدود السوفيتية.

ويأتي التقرب السريع بين رضا شاه والمانيا الهتلرية على رأس العوامل التي اثارت قلقا كبيرا في موسكو عشية الحرب العالمية الثانية. فان الالمان تمكنوا بفضل الشاه من الضغط حتى على مواقع الانكليز في ايران. وربما يكفي القول ان المانيا بدأت تحتل المرتبة الثانية بعد الاتحاد السوفيتي في قائمة التبادل التجاري لايران في العام ١٩٣٧ - ١٩٣٨، مما جاء على حساب الضغط على التبادل التجاري مع انكلترا والذي هبط في العام المذكور الى درجة لم يؤلف سوى ٧٪ من كل التجارة الخارجية الايرانية مقابل ٢٧٪ لالمانيا. وبعد رفض الشاه التوقيع على معاهدة تجارية جديدة مع الاتحاد السوفيتي ارتفعت حصة المانيا في التجارة الخارجية الايرانية اكثر بحيث اصبحت تحتل المرتبة الاولى في قائمة التبادل الخارجي الايراني وتؤلف ٤١ر٥٪ منه في العام ١٩٣٨ - ١٩٣٩ و ٤٥ر٥٪ في ١٩٤٠ - ١٩٤١. والى جانب ذلك انتشر الخبراء الالمان في طول البلاد وعرضها. واعتمد الايرانيون على الالمان في بناء المطارات وتشييد السكك وشق الطرق وحتى الاشراف على الانتاج الزراعي في بلادهم. ويقدر المختصون عدد الذين كانوا يقومون باعمال تجسسية للهتلريين في ايران، وبشكل خاص في مناطقها الشمالية، بعدة الاف شخص. وقد تمكن الهتلريون باساليب شتى، منها التركيز على الاصل الاري الواحد للالمان، والفرس، من كسب عدد غير قليل من النواب وكبار الضباط والموظفين والصحفيين وغيرهم من الذين كان لهم تأثير كبير على مؤسسات الدولة والرأي العام.

ومع اندلاع نيران الحرب ازداد نشاط الالمان وعملائهم في ايران بصورة ملموسة. وقد تركز جانب كبير من ذلك النشاط على العمل من أجل دفع ايران للانضمام الى المانيا في حربها المنتظرة ضد الاتحاد السوفيتي. وقد بلغ الامر حد التحضير للقيام بانقلاب عسكري في حالة رفض رضا شاه لسبب ما تلبية هذا المطلب الحيوي جدا بالنسبة لمخططات هتلر الستراتيجية. ولهذا الغرض

بالذات بعثت برلين في مطلع آب ١٩٤١ الادميرال كاناريس الى طهران مزودا بكميـات كبـيرة من النقـود المزورة. وفعـلا حدد يوم ٢٢ آب موعـدا لتنفيـذ الانقـلاب الـذي اجـل الى ٢٨ آب. ووضـع الالمـان في الـوقت نفسـه الخطط التفصيلية لنسف كل ما يمكن ان يستفاد منه السوفيت في المناطق الشمالية.

اثار سير الاحداث على الساحة الايرانية قلقا كبيرا لدى الكرملين الذي قدم ثلاث مذكرات احتجاج شديدة اللهجة الى طهران خلال فترة وجيزة (من ٢٦ حزيران حتى ١٦ آب ١٩٤١)، ولكن لم تعر حكومة الشاه هذه المذكرات اي اهتـمام، حينـذاك دخلت القـوات السـوفيتيـة باتفـاق مع الحلفـاء الاراضي الايرانية مستندة في عملها الى البند السادس من معاهدة العام ١٩٢١. وفي الوقت نفسه دخلت القوات الانكليزية ايران من الغرب والجنوب.

وهكـذا تغـير الميـزان في ايـران. ففي الثـامن من ايلول اضطـرت الحكـومة الايرانية الى التوقيع على معاهدة ثلاثية مع الاتحاد السوفيتي وانكلترا نصت بنـودهـا على انسحـاب القـوات الايـرانيـة من منـاطق معينة في الشمال لتدخلها القوات السوفيتية، واخرى في الجنوب الغربي لتدخلها القوات البريطانية. كما الزمت المعاهدة ايران بطرد جميع الالمان الموجودين في البلاد، وبقطع العلاقات الـدبلومـاسيـة مع المـانيـا وايطـاليـا وكـل دولـة مواليـة لهتلر. وحينما حاول الشاه الالتفاف على نصوص المعاهدة اجبر على التنازل عن العرش في ١٠ ايلول ١٩٤١ ليبدأ عهد محمد رضا شاه في ايران.

وبموجب معاهدة جديدة وقعت بين الاطراف الثلاثة في كانون الثاني ١٩٤٢ تعهـدت انكلترا والاتحـاد السـوفيتي بـ «احـترام وحـدة اراضي ايـران وسيـادتهـا واستقـلالهـا السيـاسي» وبسحب قواتهما من ايـران خلال ستـة اشهر بعد انتهاء الحـرب. وبـالمقـابـل حصـل الحلفـاء على حق استخـدام كل المنشآت الايرانية لاغراضهم العسكرية مع ضمان وصول الامدادات الحربية الى الاتحاد السوفيتي عبر الاراضي الايرانية. ولكن بالرغم من كل ذلك لم تعلن ايران الحرب شكليا ضد المانيا الا في ٩ ايلول ١٩٤٣.

لم يكن بوسع التغييرات التي طرأت على الساحة السياسية الايرانية بقوة

السلاح القضاء على الحساسية التي كانت تسود النظرة الرسمية الايرانية الى الجارة الشمالية. ومما له مغزاه الكبير بهذا الصدد هو رفض طهران لطلب حول الاستغلال المشترك لحقول النفط الشمالية تقدم به وفد رسمي سوفيتي وصل العاصمة الايرانية في ايلول ١٩٤٤. ويتجسد الموقف الايراني اكثر من خلال القانون الذي اصدره البرلمان بعد عودة الوفد بفترة وجيزة والذي نص على منع الحكومة حتى من مجرد التفاوض مع جهة اجنبية بهدف منحها امتيازات لاستخراج النفط الايراني. وفي الوقت نفسه تقريبا ضربت الشرطة الايرانية احتفالا اقيم في طهران بمناسبة ذكرى ثورة اكتوبر. وفي سنوات الحرب جرت مضايقات متنوعة بحق المواطنين السوفيت في ايران، بمن فيهم اعضاء السلك الدبلوماسي الذين أهين بعضهم، وتعرض للضرب اخرون منهم. ومن الجدير بالذكر ان هذه الاعمال كانت تجري لابتحريض الالمان وانصارهم من الايرانيين وحدهم، بل ايضا بتحريض حلفاء السوفيت من انكليز وامريكان.

بلغت الحركة الديمقراطية في ايران، ولاسيما حركة التحرر للشعوب غير الفارسية، وبالذات النضال القومي في اذربيجان وكردستان الداخلتين في نطاق وجود القوات السوفيتية، مرحلة جديدة في سنوات الحرب العالمية الثانية، وحد الحسم بعدها مباشرة، مما وجد له انعكاسات واضحة على العلاقات الايرانية - السوفيتية. ولكن الذي برز فوق المسرح هنا ليرسم بريشته الصورة الغريبة للعلاقات الجديدة القصيرة العمر البعيدة المدى هو الداهية باسلوبه الخاص، رجل المكر والمناورة احمد قوام المعروف بلقبه الرفيع قوام السلطنة الذي اصبح في نظر الجميع من اقصى يمين اليمين الى اقصى يسار اليسار - ولكل يعقوب غايته في نفسه - افضل من يتبوأ كرسي رئاسة الوزارة الايرانية في كانون الثاني عام ١٩٤٦. واذا بالحدث يتلو الحدث بسرعة فوق المسرح السياسي لايران في ظل صولجان هذا «الملاك الكيلاني، صاحب حقول الشاي الواسعة قرب مدينة لاهيجان، المعروف بارائه الرجعية وصلاته الحميمة القديمة مع الاستعماريين» حسب الوصف الدقيق لابرز متخصص سوفيتي في تاريخ ايران ماضيا وحاضرا البروفيسور ميخائيل سيرغييفيتش ايفانوف.

فقد تحول قوام بقدرة قادر معروف الى شخص «يعمل في سبيل اجراء تغيير

جذري في سياسة ايران على الصعيدين الخارجي - اجل الخارجي قبلا - والداخلي - بعدا - ». كما ورد نصا على لسان المستشرق نفسه.

وان قوام هذا الذي تقول عنه «الانسكلوبيديا السوفيتية الكبرى» في طبعتها الثالثة نصا: «انه اشترك في القضاء على الثورة الايرانية عام ١٩٠٥ - ١٩١١» (وتقصد بها الثورة الدستورية التي قيمها لينين مرارا كواحد من أهم مؤشرات استيقاظ آسيا قبل الحرب العالمية الاولى)، والذي اشترك ايضا - كما يقول المصدر نفسه - في القضاء «على حركة التحرر الوطني في كَيلان وخراسان في العشرينات»، وهي الحركة التي يعتبرها جميع مؤرخي السوفيت دون استثناء دليلا ساطعا على تحرك الجماهير الشرقية بتأثير من ثورة اكتوبر الاشتراكية، ان قوام السلطنة هذا لم يكتف برفع كل انواع الضغط الواقع على «حزب توده» وبسحب الجندرمة من نواديه ومراكزه الثقافية اينما كانت، بل اصر ايضا على اشتراك ثلاثة من ابرز زعماء توده في وزارته.

واخيرا فان قوام هذا الذي تقول عنه طبعة اخرى هي الثانية من الانسكلوبيديا نفسها مانصه: «شخصية سياسية رجعية ايرانية. في ١٩٢١ - ١٩٢٢ و ١٩٢٢ - ١٩٢٣ عندما كان رئيسا للوزراء قاد الحملة التي قضت على الحركات الثورية... وبدعوة منه وصلت ايران عام ١٩٢٢ بعثة مالية امريكية برئاسة مليسبو والتي وضعت نصب عينيها تحويل ايران الى شبه مستعمرة تابعة للولايات المتحدة الامريكية. وفي ١٩٤٢ - ١٩٤٣ و ١٩٤٦ - ١٩٤٧ شغل من جديد منصب رئيس الوزراء بفضل تأييد الولايات المتحدة. وفي العام ١٩٤٢ دعا قوام مرة اخرى البعثة المالية الامريكية برئاسة مليسبو. وفي العام ١٩٤٣ وبمساعدة من قوام تم التوقيع على معاهدة تجارية جائرة بالنسبة لايران مع الولايات المتحدة»، ان قوام هذا تحول في عشية دون ضحاها الى داعية فريدة للتقارب بين بلاده الحبيبة وجارتها الشمالية العزيزة. وهو لم يقبل لغيره ان يحمل شرف هذه المهمة، فلم يمر على تسنمه لكرسي الرئاسة اكثر من شهر واحد عندما شد الرحال الى موسكو وباشر المفاوضات معها دون تأخير او تأجيل، ومن أجل أن تظهر المسرحية الرومانسية في ثوب واقعي احتاج قوام الى بعض الوقت للتفكير، فدعا وفدا رسميا من البلد الصديق الى طهران لاستئناف

المفاوضات التي اسفرت هذه المرة عن التوقيع على اتفاقية ثنائية في ٤ نيسان ١٩٤٦، نصت بنودها على تكوين شركة سوفيتية - ايرانية مشتركة تقوم باستغلال حقول النفط في المناطق الشمالية من ايران لمدة نصف قرن بالتمام والكمال، مع شرط بسيط هو ان تؤلف حصة السوفيت على مدى ٢٥ سنة الاولى ٥١٪ وحصة ايران ٤٩٪ لتتساوى الحصتان في النصف الثاني من مدة العقد.

تتابعت الاحداث مرة اخرى ولكن بحسم اكيد وسرعة اكبر من قبل:

اولا - انسحب آخر جندي سوفيتي من الاراضي الايرانية بتاريخ ٩ أيار ١٩٤٦.

ثانيا - قبل ان يجف حبر الاتفاقية الوليدة عاودت العصابات المسلحة هجماتها على المنظمات الديمقراطية، وذلك بعد أن اختفت عن المسرح في الفصول الاولى من المسرحية. وأطرف مايستحق الذكر بهذا الصدد هو ان اعمال الشغب الجديدة انفجرت لاول مرة في لاهيجان والمناطق الاخرى من كيلان مركز ممتلكات قوام السلطنة ونفوذه لاغيره.

ثالثا - في تشرين الاول ١٩٤٦ أبعد قوام وزراء توده عن الحكم.

رابعا - في كانون الاول ١٩٤٦ دخلت القوات الايرانية اذربيجان وكردستان من جديد وقضت على جميع المنظمات والمؤسسات والقوى المسلحة فيهما، وشنقت، او في افضل الاحوال اعتقلت كل عنصر يشتبه به في كل شبر من مليون و ٦٤٨ الف كم² هي كل ماتمتلك ايران من أرض الله الوسيعة.

خامسا - جرى في النصف الاول من عام ١٩٤٧ انتخاب اعضاء الدورة الخامسة عشرة للمجلس النيابي في ايران. وفي اليوم السابع عشر من تموز افتتح المجلس الذي رفض بالاجماع التصديق على الاتفاقية الايرانية - السوفيتية، فاعتبرت ملغية بجرة قلم بسيطة وانيقة تفضل بها كاتب محاضر المجلس.

واخيرا تفتقت عبقرية رسام ليصور لنا خاتمة المسرحية على صفحات احدى الجرائد المعروفة في كاريكاتير لقوام السلطنة يقدم فيه للسوفيت حصته من نفط ايران في برميل واحد دون زيادة او نقصان!.

وسرعان ماحددت جريدة «اطلاعات» شبه الرسمية في عددها الصادر يوم

١٤ آب ١٩٤٧ الاطار الواقعي لسياسة ايران تجاه الاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية حينما كتبت تقول بصراحة مابعدها صراحة:

«ومع ان ايران لم تنضم مثل تركيا الى الجبهة المعادية للسوفيت، الا انها تقع في صف واحد مع تركيا والعراق بحكم قربها من الحدود السوفيتية...»

وهكذا قبل ان يضع العقد الخامس وزره الثقيل بعامين وجد الخبراء العسكريون الامريكان طريقهم الى المناطق الشمالية المتاخمة للحدود السوفيتية، مما استدعى مذكرة احتجاج شديدة اللهجة بعثتها موسكو الى طهران على جناح السرعة في ٣١ كانون الثاني عام ١٩٤٨. ولكن كما هو معلوم ان حق الجار على الجار كبير، وفعلا راعى الطرفان، كل من منطلقه، بروتوكول هذا المبدأ بدقة، مما انعكس بصورة خاصة في الزيارات الودية التي قام بها محمد رضا بهلوي بصحبة الشاهبانو الى موسكو واجمل البقاع الموجودة في سدس مساحة العالم الذي يرفرف فوقه العلم الاحمر المزين بمنجل الفلاح ومطرقة العامل. ولايغيض الاستعمار الجديد فيما لو تعدى الامر حدود البروتوكول، وبلغ حد بيع الغاز الايراني للسوفيت، وقيامهم ببناء معمل للصلب في اصفهان، وببيع بعض الاسلحة الى ايران، وباحتلال الاتحاد السوفيتي المرتبة الخامسة في التجارة الخارجية الايرانية، مادام ان ادق الاجهزة الالكترونية الامريكية اصبحت تراقب كل شيء، حتى القوافل التجارية التي تعبر نهر آراس والحنة المهربة المرغوبة جدا لدى الاذربيجانيات في باكو وغيرها.

وعلينا في الختام ان نتذكر مرة اخرى ولاننسى ابدا ان ٢٥٠٠ كم من الحدود، التي هي من اطول الحدود العالمية، تربط بين احدى القوتين العظميين والجناح الشرقي للشرق الاوسط، وبوسع من يرغب ان يضيف الى هذا الرقم الكبير ٨٥٠ كم اخرى هي طول الحد الفاصل بين ايران غربا وافغانستان شرقا.

الموضوع التاسع

تاريخ ايران الحديث والمعاصر في الوثائق الروسية

اضفى الموقع الجغرافي مع التفاوت في التطور الاقتصادي طابعا متميزا على العلاقات بين روسيا وايران في العصر الحديث. فعندما بدأت ايران تعيش فترة اضمحلال وتدهور منذ اواخر العهد الصفوى، دخلت روسيا، البلد الاوروبي الاقرب منها، مرحلة تاريخية جديدة في مجال التطور الاقتصادي والتحول السياسي. وبعد ان بلغ تقدم روسيا غربا مداه تحولت الى الجنوب حيث الامكانات الطائلة والاراضي الشاسعة والمنافذ المهمة في ظل انظمة بدأت تتخلف عن الركب الحضاري بسرعة كبيرة، الامر الذي تحول الى العنصر الاساس في تحديد طبيعة العلاقات الروسية ـ الايرانية الجديدة. فان معظم المناطق الجنوبية التي جلبت انظار القياصرة الروس كانت تخضع لايران، البلاد التي كانت ايضا تؤلف بذاتها ممرا مهما الى المياه الدافئة والهند الغنية ومناطق الشرق الاقصى الواسعة، فقطع أراضيها (اراضي ايران) اول الرحالة الروس المتوجهين الى هناك قبل ان يشرف القرن الخامس عشر على نهايته[1]. وفي اواسط القرن السادس عشر، في عهد ايفان الرهيب، وهو اول قيصر روسي[2]، سيطرت روسيا على مدينة استراخان الواقعة على نهر الفولغا قرب مصبه في بحر قزوين، الامر الذي ادى الى سيطرة الروس على وادي فولغا الاسفل وساعدهم على الوصول الى بحر قزوين وتجارته. وتحول ذلك في مجمله الى بداية طريق روسيا نحو ايران والمناطق التي بحوزتها.

وفضلا عن ذلك كان من مصلحة ايران التي عاشت فترة ازدهار نسبي في

---

(١) للتفصيل راجع: ب.م. دانتسيك، الشرق الادنى في العلم والادب الروسي، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٧٣، ص ٢٠ ـ ٢١؛ ب.م. دانتسيك، الرحالة الروس في الشرق الادنى، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٦٥، ص ٢٣ ـ ٢٤. (راجع كذلك ص ٤٠ ـ ٤١ من تعريب الكتاب الاخير بعنوان «الرحالة الروس في الشرق الاوسط»، بيروت، ١٩٨١ للدكتور معروف خزنه دار).

(٢) في العام ١٥٤٧ اصبح اول قيصر لروسيا، وفي العام ١٥٥٦ استولت بلاده على مدينة استراخان.

عهد العباسيين الاول والثاني (اواخر القرن السادس عشر - اواسط القرن السابع عشر) ان تقيم علاقات اقتصادية لها مع جارتها الشمالية روسيا التي كانت تؤلف، في الوقت نفسه، افضل حلقة وصل تربطها مع اوربا عبر نهر الفولغا وبحر قزوين. وكان من شأن هذا الطريق الجديد ان يساعد ايران على منافسة تركيا التي ظلت تتمتع بفوائد تجارتها مع أوربا عبر الخليج والبحر المتوسط. وعند هذه النقطة التقت مصالح ايران مع روسيا التي كانت ترغب بدورها في اضعاف تركيا يومذاك وتحويل قوافل الشرق التجارية الى اراضيها. وقد تحول هذا الواقع الى اساس مبكر لظهور العلاقات السياسية والتجارية بين روسيا وايران[٣]. فلم ينته القرن السابع عشر حتى اصبح لدى روسيا عدد من السفن في مياه قزوين، وفي العقد الاخير من القرن السابع عشر وصل اصفهان سفير روسي كان هدفه «تحريض الايرانيين على اعلان الحرب ضد تركيا»[٤].

ازداد اهتمام روسيا بايران منذ عهد بطرس الكبير (١٦٨٢ - ١٧٢٥) الذي دفع بلاده الى مصاف الدول الكبرى المعروفة يومذاك. ومع ان اهتمام العاهل الروسي انصب على بحري البلطيق غربا والاسود جنوبا، الا انه لم يتجاهل قزوين، البحر الدافىء الثاني في الجنوب الذي فكر في ربطه باواسط بلاده بواسطة عدد من الانهر والقنوات، واراد تحويله الى منفذ تجاري نشط مع ايران والخليج وما وراء القفقاس واواسط اسيا، بل وحتى مع الهند. لذا لاغرو في ان يضع بعض المؤرخين بحر قزوين على قدم المساواة مع بحر البلطيق والبحر الاسود كمحرك اساس لحروب بطرس الكبير المهمة[٥].

---

(٣) ن. ك. كوكانوفا، موجز تاريخ العلاقات التجارية الروسية الايرانية في القرن السابع عشر- النصف الاول من القرن التاسع عشر، باللغة الروسية، سارانسك، ١٩٧٧، ص ٢٧ - ٦٠، ٢٦٢ - ٢٦٣.

(4) L.Lokhart, The fall of the Safavi Dynasty and the Afghan Occupation of Persia, Cambridge 1958, PP. 61 - 62.

(5) Ibid, P. 59

بلغ اهتمام بطرس الكبير بكل ما يتعلق بايران حد انه ارسل بعثة خاصة من الشباب الروس الى هناك لتعلم اللغة الفارسية [٦]. وفي العام ١٧٠٨ وصل العاصمة الايرانية اصفهان سفيره اسرائيل اوري (I. Ori) الذي اثار مجيئه حفيظة ممثلي جميع الدول الدول الاوربية الاخرى هناك. وبعد تسع سنوات [٧] بعث بطرس بسفير انشط الى البلاط الايراني هو ارتيم فولينسكي (A. P. Volenski) الذي كان يبلغ من العمر ٢٨ عاما فقط، وحدد له شخصيا مهمته بالعمـل من اجـل عقـد معـاهـدة تجـاريـة بين البلدين، واقنـاع المسـؤولين الايرانيين بتحويل طريق تجارتهم مع اوربا من سوريا وتركيا الى الاراضي الروسية، وجمع معلومات تفصيلية عن كل ما يتعلق ببلاد فارس، خاصة عن قوتها العسكرية والطرق التي تربطها بالهند التي كانت تغري الجميع يومذاك لا بامكاناتها حسب، بل ايضا بثقلها الكبير في ميزان الصراع الدولي. ولم يقصـر فولينسكي في اداء مهمتـه على الـوجـه الاكمـل، فتحـولت تقـاريـره ومعلومـاتـه الـدقيقـة الى اسـاس مهم لسيـاسـة بطـرس الـلاحقة تجاه ايران، فاستحق ان يصبح حاكما على استراخان اعتبارا من العام ١٧٢٠ ليراقب احداث ايران من هناك عن كثب، وليبذل، مع غيره، كل ما في وسعه لكسب عطف رعـايـا ايـران، وفي مقـدمتهم الجـورجيون والارمن المسيحيون الذين لم يكونوا في وضع يحسدون عليه [٨].

وعندما انتهى اقوى قياصرة الروس قاطبة من حربه الطويلة مع السويد في الغرب سنة ١٧٢١ [٩] تفرغ للجنوب فتوجه في تموز من العام التالي من استراخان بحرا الى داغستان التي كانت تخضع لايران. تالفت حملة بطرس

---

(٦) ب. م. دانتسيك، الشرق الادنى في العلم والادب الروسي، ص ٥٧.

(٧) تشير بعض المصـادر الغـربية الى ان بطرس الكبير ارسل فولينسكي الى اصفهان عام ١٧١٥، فيما تؤكد المصادر الروسية على ان الامر جرى بعد ذلك التاريخ بسنتين، أي عام ١٧١٧ (عن الاول راجع:

L.Lockhart, Op. Cit., P. 103

وعن الثاني راجع: م. س. ايفانوف موجز تاريخ ايران، باللغة الروسية، موسكو، ١٩٥٢، ص ٨٥-٨٦).

(٨) للتفصيل راجع: م. س. ايفانوف، المصدر السابق، ص ٨٥ - ٨٧، ٩٦؛

L.Lockhart, Op. Cit., PP. 63 - 64 103 - 106, 108, 176.

(٩) وتعرف بـ «الحرب الشمالية» التي بدأت عام ١٧٠٠ وانتهت عام ١٧٢١.

التي تعرف بـ«المسيرة الفارسية ١٧٢٢ ـ ١٧٢٣» من عشرين الف من رجال المشاة نقلتهم ٢٧٤ سفينة الى البر الداغستاني. ولم يتوقف القيصر الروسي في داغستان، بل توغل اكثر باتجاه الجنوب وبلغ دربند في ايلول ١٧٢٢ ومن ثم بعث بكتيبتين من قواته الى كل من انزلي ـ اهم موانىء قزوين، ورشت ـ اهم مدن جيلان التي دخلتها القوات الروسية في كانون الاول. وفي صيف ١٧٢٣ دخل الروس باكو ـ ثاني مدن اذربيجان بعد تبريز وثاني موانىء قزوين بعد انزلي، والميناء الوحيد الصالح للملاحة على طول سواحله الغربية، ومركز المنطقة المعروفة بثروتها النفطية التي جلبت انظار بطرس الكبير بصورة خاصة.

وتحت زخم التقدم الروسي اضطرت الحكومة الايرانية للتوقيع على «معاهدة بطرسبورغ» يوم ١٢ ايلول عام ١٧٢٣ والتي تنازلت بموجب بنودها عن كل من دربند وباكو ومنطقة شيروان وجيلان ومازندران واستراباد لروسيا. وقد ثبتت الاخيرة مكاسبها تلك في معاهدة جديدة ابرمتها مع تركيا في العام التالي والتي تنازل الباب العالي بموجب بنودها عن اطماعها في ايران ومناطق قزوين، الامر الذي يعتبره بعض المؤرخين اول تخطيط لتقسيم ايران [١٠].

دشنت «المسيرة الفارسية» او «حملة بطرس على ايران» بداية مرحلة جديدة للعلاقات بين البلدين المتجاورين اتسمت بتقدم الروس وتراجع الايرانيين في جو متوتر بلغ مداه في ثلاث حروب اشغلت الجزء الاكبر من سنوات العقد الاخير من القرن الثامن عشر والعقود الثلاثة الاولى من القرن التاسع عشر. ففي سنة ١٧٩٥ حاول اغا محمد خان، مؤسس الاسرة القاجارية، استعادة ما فقدته بلاده من اراض في اذربيجان وجورجيا، فتوغل على راس قواته الى حد مدينة تبليس عاصمة جورجيا التي دخلها يوم ١٢ ايلول من العام نفسه واستباح اهلها على مدى ثمانية ايام ونقل منهم ١٦ الفا الى داخل الاراضي الايرانية، الامر الذي دفع جورجيا بقوة الى احضان روسيا، فاعاد الشاه القاجاري حملة ثانية عليها في بداية صيف عام ١٧٩٧، الا انه اغتيل في الطريق على ايدي اثنين من اتباعه وفشلت الحملة بذلك.

---

(١٠) م.س. ايفانوف، المصدر السابق، ص ٨٦ ـ ٨٨؛

G.N. Curzon, Persia and the Persian Question, Vol. I, London, Second Impression, 1966, PP. 734-735 ; L. Lockhart, Op. Cit., PP. 176 - 189, 233 - 235.

ورغم فشل اغا محمد خان في نهاية المطاف الا ان الحملتين هيأتا ظروفا انسب للتغلغل الروسي المتزايد في مناطق ما وراء القفقاس. ففي نيسان عام ١٧٩٦ بدات «المسيرة الفارسية» الثانية للقوات الروسية الى مناطق قزوين عبر داغستان، وفي العاشر من ايار استعادت دربند، وفي الخامس عشر من حزيران سيطرت على باكو ومن ثم استعدت للدخول في الاراضي الايرانية نفسها. وفي العام ١٨٠١ دخلت جورجيا في نطاق الامبراطورية الروسية، وبعد سنتين فقط تحركت القوات الروسية باتجاه المناطق الشرقية لما وراء القفقاس، وفي كانون الثاني ١٨٠٤ فرضت سيطرتها على خانية كنجة.

ادت الاحداث الاخيرة، مع مناورات الدول الكبرى الاخرى وطموحات البلاط الايراني، الى اندلاع حرب كبرى بين روسيا وايران بدات في العام ١٨٠٤ وانتهت بعد تسع سنوات في العام ١٨١٣ بالتوقيع على «معاهدة كلستان» التي ثبتت بنودها اقدام روسيا القيصرية في اجزاء واسعة من ما وراء القفقاس مع بعض المناطق المشرفة على بحر قزوين الى حد كبير، كما ضمنت جانبا اساسيا من مصالحها داخل الاراضي الايرانية. نفسها.

ولكن لم يمر سوى اقل من ثلاثة عشر عاما على عقد «معاهدة كلستان» حتى اندلعت بحكم العوامل ذاتها نيران حرب جديدة بين البلدين سنة ١٨٢٦ لتنتهي هذه المرة في غضون اقل من عامين باندحار اكبر من السابق لايران التي اضطرت للتوقيع في العاشر من شباط عام ١٨٢٨ على «معاهدة تركمانجاي»، مقدمة بنودها تنازلات جديدة لروسيا، منها حق احتكار الملاحة وصيد الاسماك في بحر قزوين[١١].

وبعد ابرام «معاهدة تركمانجاي» تمكنت روسيا القيصرية من فرض نفوذها الى حد كبير على البلاط الايراني وعلى الاجنحة السياسية التقليدية في طهران فضلا عن مختلف المرافق الاقتصادية الحيوية في كل البلاد. وقد بلغت المصالح الروسية في ايران حد ان اجبرت لندن على اقرارها في ظروف دولية متشابكة عشية الحرب العالمية الاولى، فجاءت اتفاقية عام

---

(١١) تطرقنا الى تفاصيل هذه القضايا باسهاب ضمن الموضوع الاول من هذا الكتاب.

١٩٠٧ المعروفة التي قسمت ايران الى منطقتي نفوذ شمالية روسية وجنوبية بريطانية مع منطقة ثالثة محايدة تفصل بينهما وتخضع لهما في ان واحد.

وازداد تدخل روسيا في ايران وتشعبت مصالحها هناك في ظل الظروف التي استجدت مع اندلاع الحرب العالمية الاولى عندما اصبحت ايران تفصل جزءا حساسا من الحدود الدولية الفاصلة بين الخندقين المتقابلين في بقعة ملتهبة من ميادين القتال الشرقية. واخيرا حدث تغيير نوعي في النظرة الى موقع ايران واهميتها من منطلقات متناقضة بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية في روسيا عام ١٩١٧.

وقد رافق كل ذلك، وبخط متواز، تطور ملموس في العلاقات الاقتصادية بين ايران وروسيا في العصر الحديث. فقد ارتفعت قيمة مجمل التبادل التجاري بين ايران وروسيا خلال السنوات الخمس الاخيرة فقط من العقد الثاني من القرن التاسع عشر بمقدار مرتين ونصف المرة (من مليون و ٨٠٠ الف روبل الى اربعة ملايين و ٢٥٠ الف روبل). وخلال الفترة الواقعة بين عامي ١٨٠٢ و ١٨٢٧ ارتفعت صادرات روسيا الى ايران بمقدار تسع مرات[١٢]. واحتلت روسا بعد ذلك، وفي فترات مختلفة، المكانة الاولى في لوحة تجارة ايران الخارجية.

وجدت هذه الامور، وكل مايتعلق بها، مع غيرها من القضايا الايرانية المهمة، انعكاسات واضحة لها في سيل التقارير الدبلوماسية والمكاتبات السرية والدراسات الروسية الخاصة، وهي في مجملها تتضمن اندر الوثائق التي تؤلف مجلدات ضخمة تضم دفتا كل واحد منها ادق المعلومات المفيدة التي بوسعها القاء الضوء على شتى جوانب تاريخ ايران الحديث والمعاصر. وباجماع الاراء تؤلف الوثائق الدبلوماسية مصادر اصيلة لا غنى عنها لكل بحث علمي رصين يتصدى لمعالجة موضوع تاريخي حديث. ويضفي طابعها الموضوعي بحكم سريتها والغرض الذي استوجب وضعها قبل عشرات السنين اهمية استثنائية على الوثائق تلك.

---

(١٢) ن.ك. كوكونوفا، المصدر السابق، ص ٢٦٧.

اولى الروس حفظ الوثائق جانبا كبيرا من اهتمامهم منذ عهد بطرس الكبير الذي اسس قبل وفاته بفترة وجيزة اول ارشيف تاريخي في بطرسبورغ باسم «الارشيف الرئيس لشؤون الدولة القديمة». وبعد وفاته بثلاثة اعوام اسس في العاصمة الروسية اول ارشيف اكاديمي تحول فيما بعد الى نواة «ارشيف اكاديمية العلوم السوفييتية». وبعد ذلك التاريخ ظهر تباعا عدد كبير من مراكز حفظ الوثائق في مختلف مدن روسيا. وفي الوقت الحاضر يوجد في الاتحاد السوفيتي ما لا يقل عن عشرة مراكز رئيسة لحفظ الوثائق التي يخص قسم كبير منها مختلف قضايا الشرق . ويتميز «ارشيف سياسة روسيا الخارجية» بثروته الوثائقية الغنية والنادرة في هذا الميدان. وينطبق القول نفسه على الوثائق المحفوظة في «الارشيف الحربي - التاريخي المركزي الحكومي»، وعلى محتويات عدد من المراكز الفرعية لحفظ الوثائق، ياتي في مقدمتها «الارشيف التاريخي الحكومي المركزي» في مدينة تبليس عاصمة جورجيا السوفيتية، و «الارشيف الحكومي المركزي». بمدينة لينينغراد.

ومن المفيد ان نشير الى ان التقارير والوثائق المحفوظة في هذه المراكز تحتوي على معلومات مهمة ومتنوعة تخص سياسة روسيا والدول الكبرى الاخرى تجاه ايران، ونصوص المعاهدات والاتفاقيات المختلفة التي عقدتها ايران مع الدول الاجنبية، ونشاطات العملاء الاجانب والبعثات التبشيرية والمؤسسات الاقتصادية والقوى السياسية هناك، وعلى تفاصيل دقيقة عن العشائر الايرانية ورؤسائها وتحركاتها وامكاناتها الحربي، وعن الزعماء السياسيين والدينيين وغير ذلك من الامور التي تدخل في اعداد المصادر الاصيلة المهمة بالنسبة للمؤرخ. ومن المهم ن نشير ايضا الى ان عددا من اصحاب تلك التقارير تحولوا فيما بعد الى علماء لهم باع طويل في عالم الاستشراق، منهم البروفيسور المعروف مينورسكي وباسيل نيكيتين وغيرهما.

في ٨ تشرين الثاني عام ١٩١٧، اي بعد مرور يوم واحد على انتصار ثورة اكتوبر في روسيا، تعهد النظام السوفيتي الجديد بنشر جميع المعاهدات والاتفاقات السرية التي عقدتها الحكومة القيصرية السابقة مع الدول الكبرى وغيرها، مما دشن بداية للكشف عن جانب مهم من محتويات الارشيفات

الروسية الخاصة. وعلى هذا الاساس تألفت لجنة خاصة لدراسة المعاهدات والمراسلات السرية لروسيا القيصرية تمهيدا لنشرها. وبعد حل رموزها الذي استغرق حوالي ستة اسابيع من العمل المتواصل تم نشر حوالي مائة معاهدة وعدد كبير من الوثائق والمراسلات الدبلوماسية السرية في الصحف المحلية كان يتعلق قسم غير قليل منها بايران منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ويومذاك ايضا كشف لاول مرة عن مضمون اتفاقية عام ١٩٠٧ حول تقسيم ايران بين روسيا والمملكة المتحدة مع كل مايتعلق بها. كما كشف النقاب لاول مرة عن اتفاقية اخرى وقعتها الدولتان في سنوات الحرب العالمية الاولى وافقت روسيا بموجب بنودها على ان يمتد النفوذ البريطاني في ايران ليشمل المنطقة التي اعتبرتها اتفاقية ١٩٠٧ محايدة، وبالمقابل تعهدت المملكة المتحدة بضمان طموحات روسيا في مضائق البسفور والدردنيل. وبعد ذلك نشرت سبعة مجلدات بمضامين المعاهدات والوثائق نفسها تحت عنوان «مجموعة الوثائق السرية في ارشيف وزارة الخارجية السابقة» وردت في بعضها وثائق ومعلومات مهمة تخص ايران [١٣].

تتابع بعد ذلك نشر مجموعات اخرى من وثائق الارشيفات الروسية التي يضم جميعها معلومات نادرة، بعضها في غاية الاهمية، عن تاريخ ايران الحديث. ففي الفترة الواقعة بين عامي ١٩٣١ و ١٩٤٠ نشرت باشراف لجنة من المتخصصين مجموعة كبيرة جدا من وثائق الحكومة القيصرية والحكومة المؤقتة[١٤] في مجلدات تحمل عنوان «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية. وثائق ارشيفات الحكومة القيصرية والحكومة المؤقتة ١٨٧٨ - ١٩١٧». تتضمن السلسلتان الثانية والثالثة من المجموعة المذكورة مراسلات القيصر والخارجية والجهات العليا الروسية الاخرى مع سفراء روسيا في مختلف اقطار العالم فضلا عن عدد كبير جدا من التقارير القنصلية والوثائق

(١٣) «تاريخ الدبلوماسية»، باللغة الروسية، الجزء الثاني، موسكو- لينينغراد، ١٩٤٥، ص ٣٨٤ - ٣٨٥.

(١٤) يقصد بها الحكومة التي تألفت اثر انتصار ثورة شباط ١٩١٧ وسقوط النظام القيصري في روسيا، وقد استمرت في الوجود لغاية انتصار ثورة اكتوبر في العام نفسه.

الدبلوماسية والمعلومات الصحفية وغيرها من المواد الارشيفية التي تعود الى الفترة الواقعة بين ايار ١٩١١ حتى تشرين الاول ١٩١٢ وكانون الثاني ١٩١٤ حتى نيسان ١٩١٦، وهي فترة تمثل احدى ذروات الصراع الدولي عشية الحرب العالمية الاولى وفي سنواتها [١٥]. وتحتوي هذه المجموعة على عدد كبير من الوثائق المدونة بلغات اخرى نشرت بنصوصها الاصلية مع ترجمتها الروسية. والمجلدات العشرة من «العلاقات الدولية» التي احتوت الفترة الواقعة بين كانون الثاني ١٩١٤ ونيسان ١٩١٦ تضمنت اخطر الوثائق السرية التي نشرت لاول مرة في التاريخ، وقد اعترف العلماء باهميتها القصوى، كما ترجم جزء منها الى اللغة الالمانية. لذا فان وثائق «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية» تؤلف معينا مهما للمؤرخين الغربيين والشرقيين على حد سواء[١٦].

تحوي جميع أجزاء «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية» على وثائق ومعلومات مختلفة تخص ايران وتؤلف مصدرا اصيلا ومهما لدراسة تاريخها الحديث. فعلى سبيل المثال ان المعلومات التفصيلية التي وردت في عدد من أجزائها بصدد اعمال الخبير الامريكي مورغان شوستر الذي استخدمته الحكومة الايرانية عشية الحرب العالمية الاولى، والازمة السياسية الحادة التي نجمت عن ذلك وكل مارافقتها من صراع دولى وسياسي داخلي وغير ذلك

---

(١٥) كان من المقرر أن تتألف سلسلة «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية» من عدد اكبر من المجلدات تعود وثائقها الى العقد الثامن من القرن التاسع عشر، الا ان ظروف الحرب العالمية الثانية حالت دون اكمال نشرها، وبعد الحرب استعيض عنها بمنشورات وثائقية اخرى.

(١٦) لايقتصر ذلك على المؤرخين السوفيت، فان وثائق «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية» تحولت الى مصدر مهم بالنسبة لغيرهم ايضا، بمن فيهم بعض المؤرخين الايرانيين الذين قدموا دراسات رصينة في مجال بحثهم (راجع على سبيل المثال:

Hossein Nazem, Russia and Great Britain in Iran, 1900 - 1914. Based on British, French, German, Iranian, Russian and United States Oiplomatic Oocuments, Teheran, 1975).

من مواضيع مهمة[١٧]، تفوق في نقاط عديدة ما ورد في مذكرات شوستر نفسه التي نشرها تحت عنوان «اختناق ايران»[١٨]. ولتوضيح هذه الحقيقة اكثر نشير الى ان ٨٩ وثيقة من اصل ٣٤٤ وثيقة وردت في الجزء الاول من المجلد التاسع عشر من «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية» (اكثر من ٢٥٠ صفحة) تخص فقط موضوع الانذار الذي وجهته الحكومة القيصرية الى الحكومة الايرانية بصدد طرد شوستر من منصبه وابعاده من ايران، فيما تخص الوثائق المتبقية، ومجموعها ٢٥٥ وثيقة فقط، علاقات روسيا القيصرية ببقية اجزاء العالم [١٩].

وعلى الغرار نفسه تتوفر معلومات دقيقة جدا في مجلدات «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية» عن مؤامرات الدول الاستعمارية في ايران عشية الحرب العالمية الاولى وفي سنواتها، وعن النشاطات المتشعبة لعملاء تلك الدول، ووقائع الحرب نفسها على الساحة الايرانية، وعن كل مايتعلق بنشاطات الشاه المخلوع محمد علي مرزا الذي يشغل عهده [٢٠] ومن ثم

---

(١٧) راجع على سبيل المثال: «وزارة الخارجية. العلاقات الدولية في عصر الامبريالية. وثائق ارشيفات الحكومة القيصرية والحكومة المؤقتة ١٨٧٨ - ١٩١٧»، التسلسل الثاني (١٩٠٠ - ١٩١٣)، المجلد الثامن عشر، الجزء الاول (١٤ أيار ١٩١١ - ١٣ أيلول ١٩١١)، لينينغراد، ١٩٣٨، الوثائق ١٨٠ و١٩١ و٣٠٨ و٣١٦ و٤١١ و٤١٩ و٤٢٦ وغيرها؛ المجلد الثامن عشر، الجزء الثاني (١٤ أيلول ١٩١١ - ١٣ تشرين الثاني ١٩١١)، موسكو - لينينغراد، ١٩٣٨، الوثائق ٦٠٣ و٦٧٤ و٨٥٢ و٨٣٠ وغيرها؛ المجلد التاسع عشر، الجزء الاول (١٤ تشرين الثاني ١٩١١ - ١٣ كانون الثاني ١٩١٢)، موسكو - لينينغراد، ١٩٣٨، الوثائق ١٥ و٢٦ و٨٧ و١٧٥ و١٩٩ و٢٣٨ و٢٥٨ و٢٧٤ و٣٣٤ وغيرها.

(18) W.M. Shuster, The Strangling of Persia. Story of the European diplomacy and oriental intrigue that resulted in the denationalization of twelve million Mohammedans. A Personal narrative, New York, 1912.

(١٩) «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية...»، المجلد التاسع عشر، الجزء الاول (١٤ تشرين الثاني ١٩١١ - ١٣ كانون الثاني ١٩١٢)، موسكو - لينينغراد، ١٩٣٨. يقع المجلد في اكثر من ٢٥٠ صفحة.

(٢٠) جاء الى العرش بعد وفاة والده مظفرالدين شاه في كانون الثاني عام ١٩٠٧.

مؤامراته بعد خلعه في تموز عام ١٩٠٩ حيزا مهما من تاريخ ايران الحديث رافق ذروة ايام الثورة الدستورية (١٩٠٥ - ١٩١١). وفي الواقع قلما يوجد مصدر اصيل آخر، بما في ذلك المصادر الفارسية نفسها، يضاهي الوثائق التي وردت في عدد من مجلدات «العلاقات الدولية» بصدد الموضوع الاخير[٢١].

ومن المهم بالنسبة لنا ان نشير الى ان بعض مجلدات «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية» تتضمن مجموعة من اندر الوثائق تخص العلاقات الايرانية - العراقية في سنوات الحرب العالمية الاولى عندما حاولت بعض الاطراف الدولية تحويل العراق الى احدى ادوات مساوماتها السياسية في تلك المرحلة التأريخية الحرجة التي شهدت تقرير مصير العديد من شعوب المنطقة حسب اهواء الدول الكبرى، الموضوع الذي كرسنا له موضوعا اخر من مواضيع هذا الكتاب[٢٢]. فحسبما يبدو من وثائق المجلدات السابع والثامن والتاسع من التسلسل الثالث لـ «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية» ان سازانوف وزير خارجية روسيا القيصرية دخل اثناء الحرب في مفاوضات سرية مع نظيره البريطاني السر ادوارد غراي بصدد «منح مدينتي النجف وكربلاء» الى ايران لابعادها، مقابل ذلك، عن المانيا والدولة العثمانية وتدفعها الى جبهة الحلفاء[٢٣].

باشرت وزارة الخارجية السوفيتية منذ عام ١٩٦٠ نشر مجموعات جديدة من وثائق روسيا القيصرية تحت عنوان « السياسة الخارجية لروسيا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وثائق وزارة الخارجية الروسية»، وهي

---

(٢١) راجع على سبيل المثال: «العلاقات الدولية فى عصر الامبريالية . . .»، المجلد الثامن عشر، الجزء الاول، الوثائق ١٣٣ و ١٥١ و ٢٠٠ و٣٥٧ و٤١٨ و ٤٣٦ وغيرها.

(٢٢) راجع موضوع «العراق وايران بين سازانوف وغراي. وثائق جديدة».

(٢٣) راجع: «العلاقات الدولية في عصر الامبريالية . . .»، التسلسل الثالث (١٩١٤ - ١٩١٧)، المجلد السابع، الجزء الاول (١٤ كانون الثاني - ٢٣ آذار ١٩١٥)، الوثائق ٥٥ و١٣٤ و٣٥٢ و٣٦٧ و ٤٠٠ وغيرها؛ المجلد الثامن، الجزء الثاني (٢٤ أيار - ١٦ تشرين الاول ١٩١٥)، الوثائق ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٣٩ و٦٨٨ و ٧٣٩ وغيرها؛ المجلد التاسع (١٧ تشرين الاول ١٩١٥ - ١٣ كانون الثاني ١٩١٦)، الوثائق ١٦٥ ٢٤١ و ٣٨١ وغيرها.

تتضمن المراسلات والتقارير ونصوص المعاهدات والاتفاقيات وغيرها من الوثائق الدبلوماسية منذ ان تأسست اول وزارة للخارجية الروسية في العام ١٨٠٢، وتتألف من ست مجموعات طبعت منها حتى الان المجموعتان الاولى والثانية ضمن «التسلسل الاول» ويحتوي وثائق الفترة الواقعة بين عامي ١٨٠١ و ١٨١٥ و «التسلسل الثاني» ويحتوي وثائق الفترة الواقعة بين عامي ١٨١٥ و ١٨٣٠. اما المجموعات الاربع المتبقية فمن المقرر ان تتضمن وثائق الفترة الممتدة بين عامي ١٨٣٠ و ١٩١٧.

تحتوي المجلدات المنشورة من «السياسة الخارجية لروسيا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين» على مئات الوثائق السرية بخصوص ايران، مما يؤلف ثروة هائلة بالنسبة لكل من يتصدى لاهم مواضيع تاريخها منذ اوائل القرن الماضي. فمن الصفحات الاولى من المجلد الاول يبدأ اسم ايران بالظهور عندما تتحدث اولى الوثائق الروسية عن هجوم آغا محمد خان، مؤسس الاسرة القاجارية، على جورجيا[٢٤].

تتضمن مجلدات «التسلسل الاول» من «السياسة الخارجية لروسيا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين» معلومات مفصلة ودقيقة عن اوضاع الارمن والجورجيين والاذربيجانيين في ظل الحكم القاجاري، وعن الصراع الدولي على ايران اثناء حروب نابليون بونابارت وخططه الطموحة لغزو الهند، وعن سياسة القياصرة الروس تجاه المنطقة، وعن الاوضاع الداخلية في ايران ومواضيع اخرى مشابهة. ولا يوجد مصدر اصيل اخر يضاهي مجلدات «التسلسل الاول» لتوضيح وقائع الحرب الايرانية - الروسية في ١٨٠٤ - ١٨١٣ وكل ما رافقها من احداث وماتبعها من نتائج كرست لها عشرات الوثائق ومقدار اكبر من صفحات المجلدات التسعة الاخيرة من «التسلسل الاول»[٢٥]. وعلى الغرار نفسه تؤلف مجلدات «التسلسل الثاني» افضل

(٢٤) راجع: «وزارة الخارجية. السياسة الخارجية لروسيا في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. وثائق وزارة الخارجية الروسية»، التسلسل الاول (١٨٠١ - ١٨١٥)، المجلد الاول (آذار ١٨٠١ - نيسان ١٨٠٤)، موسكو، ١٩٦٠، الوثيقتان ٧ و١٧، ص ٢٤ - ٢٦، ٧٢ - ٧٧.
(٢٥) نشر المجلد العاشر والاخير من «التسلسل الاول» في العام ١٩٧٦.

مصدر لدراسة كل مايتعلق بالحرب الروسية ـ الايرانية في ١٨٢٦ ـ ١٨٢٨، كما انها تأتي في مقدمة المصادر المهمة لتوضيح شتى جوانب الحياة السياسية والاقتصادية لايران خلال العقدين الثاني والثالث من القرن التاسع عشر[٢٦].

ومنذ العام ١٩٥٧ باشرت وزارة الخارجية السوفيتية نشر «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي» في مجلدات حسب التسلسل الزمني. وتتضمن المجلدات الاولى من المجموعة الوثائقية الروسية الجديدة اعدادا كبيرة جدا من الوثائق عن العلاقات الايراينة ـ السوفيتية ايام ثورة اكتوبر وما بعدها وفي فترة الازمة السياسية في ايران (١٩٢١ ـ ١٩٢٥) التي اسفرت اخيرا عن سقوط الاسرة القاجارية وتأسيس الاسرة البهلوية اواسط العقد الثالث[٢٧]. ولاتكمن اهمية معظم الوثائق المذكورة في محتوياتها حسب، بل نكمن ايضا في كونها تنشر لاول مرة وبوسعها ان تلقي الضوء على جوانب مختلفة من تاريخ ايران الحديث والمعاصر. فقد وردت في المجلدات الاولى من «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي» حقائق مذهلة عن محاولات الدول الكبرى لتحويل ايران الى احدى قواعد التدخل للقضاء على السلطة السوفينية الجديدة في روسيا، وعن نشاط رجال الحرس الابيض والداشناقيين الارمن وغيرهم في ايرن. فان اراضي اذربيجان الايرانية قد تحولت، مثلا، الى مقر فعلي للحكومة التي اسسها الداشناق في المنفى، الامر الذي اثار الاتحاد السوفيتي الى حد كبير[٢٨].

وكما يبدو واضحا من عشرات المذكرات والنداءات التي وجهتها الخارجيه السوفبتية الى الحكومة الايرانية ان قادة النظام الجديد في روسيا كانوا مهنمين

---

(٢٦) تسنى لي الاطلاع على المجلدات الاربعة الاولى من «التسلسل الثاني» من «السياسة الخارجية لروسيا في القرن التاسع عشروبداية القرن العشرين». يتضمن المجلد الرابع من التسلسل المذكور الوثائق التي تعود الى الفترة الواقعة بين آذار ١٨٢١ وكانون الاول ١٨٢٢، وقد طبع عام ١٩٨٠.

(٢٧) في موضوع «رضا المازندراني والعرش الايراني ـ من تاريخ تأسيس الاسرة البهلوية والخيوط الاولى لسياسة الاستعمار الجديد في الشرق الاوسط» اشرت الى عدد من تلك الوثائق.

(٢٨) «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي»، المجلد الخامس (كانون الثاني ١٩٢٢ ـ ١٩ تشرين الثاني ١٩٢٢)، موسكو، ١٩٦١، الوثيقتان ١٠٥ و٢٨٧ والملاحظة رقم ٥٣، ص ١٨٦ ـ ١٨٨، ٦٢٨ ـ ٦٢٩، ٧٢٨ ـ ٧٢٩ وغيرها.

جدا باقامة علاقات حسن جوار طيبة مع ايران منذ الايام الاولى لانتصار ثورة اكتوبر جريا على منطلقاتهم الجديدة، وليضمنوا بذلك ايضا أمن جزء حساس من حدود بلادهم الجنوبية، وليحافظوا على العلاقات الاقتصادبة التقليديه التي كانت تسود البلدين قبل الثورة، وليجعلوا من صلاتهم مع ايران انموذجا يدفع بدول المنطقة الاخرى الى ان تحذو حذوها. ولتحقيق كل ذلك قدمت روسيا السوفيتية تنازلات كثيرة لايران وردت تفاصيلها موثقة في المجلدات الاولى من «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي»[29]. ولكن رغم ذلك ساد التوتر علاقات الدولتين على مدى سنوات طويلة، وهي غالبا ماتسمت بالمد المصطنع والجزر المدبر الى ان اتخذت طابعا جديدا الى حد ما في عهد رضا شاه بهلوي، الامور التي يجد المؤرخ تفاصيل دقيقة بصددها وبصدد غيرها من المواضيع التي تخص تاريخ ايران المعاصر في المجلدات المنشورة من «وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي».

وفي الواقع قلما توجد مجموعة وثائقية سوفيتية عامة تخلو من امور تخص تاريخ ايران الحديث بصورة مباشرة أو غير مباشرة. فعلى سبيل المثال اعيد نشر النص الكامل لاتفاقية تقسيم ايران للعام ١٩٠٧ في «العلاقات الدولية والسياسية الخارجية للاتحاد السوفيتي. مجموعة وثائق ١٨٧١ - ١٩٥٧»[30]. كما تتضمن مؤلفات المؤرخين السوفيت الكثيرة عن تاريخ ايران الحديث معلومات وثائقية مختلفة استقاها اصحابها من مظا نها الاصلية. وفضلا عن كل ذلك لاتـزال الارشيفـات السوفيتيـة نفسهـا تحتـوي على اعـداد هائلة من الوثائق المهمة التي تخص شتى اوجه تاريخ ايران الحديث، ونحن من احوج الناس الى الاطلاع على مضامينها، الامر الذي يدعو الى اهتمام خاص من لدن المؤسسات التي تعني بالدراسات التاريخية في بلادنا.

---

(٢٩) راجع على سبيل المثال:

«وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي»، المجلد الاول (٧ تشرين الثاني ١٩١٧ - ٣١ كانون الاول ١٩١٨) موسكو، ١٩٥٧، الوثائق ١٨ و٢٧ و٤٠ و٥٤ وغيرها؛ المجلد الثاني (١ كانون الثاني ١٩١٩ - ٣٠ حزيران ١٩٢٠)، موسكو، ١٩٥٨، الوثائق ١٢٩ و٣٥٤ و٣٧٣ وغيرها.

(٣٠) «العلاقات الدولية والسياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي. مجموعة وثائق ١٨٧١ - ١٩٥٧»، موسكو، ١٩٥٧، ص ٣٩ - ٤٢.

فهرست الاعلام

اعـــلام الاشخاص[1]

ـ أ ـ

ابراهيم تيموری ۷۳ .

ابراهيم خان ۲۳۷ ـ ۲۳۸ .

ابراهيم خان الافشاري ۱۹۷ .

ابراهيم خليل خان ۱۹۸ .

ابن خلكان ۲٦۰ .

ابو الفتح خان ۲۳ (هـ) .

ابو الفتح شاه ۲٤۲ .

ابو الفضل قاسمي ۱٤۱ .

ابو القاسم لاهوتي ۲٤۹ .

أتابك أعظم ۱۰۳، ۲۰۲ (هـ)، ۲۰۳ .

«اتحاد اسلام» ۲٤۷ .

«اتحاد الشبيبة الديمقراطي الكردستاني» ۲٦۰ .

«اتحاد العشائر الجنوبية» ۱٥۲ .

الاتحاديون ۲۱۲، ۲٤۸ .

الاتراك ۱٤ (هـ)، ۱۸، ۲۰، ۳٥، ٤۸، ۸۲، ۹۰، ۹۲، ۹۳، ۹٥، ۹٦، ۹۹، ۲۱٤، ۲۱٥، ۲۳۹، ۲٥۲، ۲۷۰ .

«إتفاقية ۱۹۰۷» ۹٤ (هـ)، ۲۸۹ ـ ۲۹۰، ۲۹۸ .

الاثوريون ۱۸۳، ۲۳۷، ۲٥۰، ۲٦۰ .

«اجتماعيون عاميون» ۲۰۱ .

احسان خان ۷۰ .

احمد بيك المكري ۲٤۱ .

احمد آغا خان ۱٥۹ .

احمد باشا، الصدر الاعظم ٤۸ .

احمد تقي ۲٥۲ (هـ) .

احمد شاه ۱۰ (هـ)، ۹۳ ـ ۹٤، ۱۱۰، ۱۱۱، ۱۱٥، ۱۲۲، ۱۳۰ (م.هـ.)، ۱٤۱، ۱٤۹، ۱٥۲، ۱٥۳ (م.هـ.)، ۱٥٥، ۱٥۸، ۱٦۳، ۱٦٤، ۱٦٥، ۱٦۷، ۱٦۸، ۱۷۰، ۱۷۱، ۲۱۰، ۲۱۱، ۲۱۸، ۲٤۲ .

احمد عثمان ابو بكر، الدكتور ۲۳٦ (هـ) .

احمد قوام راجع : قوام السلطنة .

الاخمينيون ۱۹۳ (بلاد)، ۲۲۸

---

(۱) نحيط القارىء الكريم علما بأننا دأبنا في هذا الكشف العام عن الاعلام الواردة في الكتاب على تقسيمه الى قسمين، قسم يشمل أعلام الاشخاص من حقيقية وحكمية مع بعض الاحداث. اما القسم الثاني فيشمل أعلام الاماكن من قرى ومدن وبلدان ومناطق وقارات، وكل ما يدخل ضمن الاطار الجغرافي .

ونظرا لكثرة تكرر بعض الاعلام الرئيسة في الكتاب، فاننا لم نشر اليها. ونذكر ان حرف (م) يرمز الى المتن، وحرف (هـ) الى الهامش، وحرف (ع) الى العشيرة .

(م. هـ.).
ادر ٤٧ .
ادموند ايرونسايد، الجنرال ١١٦، ١٣٤ .
ادموندس ٢١٧، ٢٥٢ .
ادوارد غراي، السـر ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٤، ٩٧، ٢٩٥ .
اديب السلطنة ١٤١ .
الاذربيجانيون ـ الاذريون ١٠، ٢٨، ١٣٦، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠ (م. هـ.)، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٠ (الفدائيون)، ٢١١ (الوطنيون)، ٢١٢، ٢١٤، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٥٠ (م. هـ.)، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٤، ٢٩٦ .
ارازمس ٧٨ (هـ).
اردشير ٢٢٨ .
الارشاكيون ٢٢٨ (م. هـ.).
«ارشيف اكاديمية العلوم السوفيتية» ٢٩١ .
«الارشيف الحربي ـ التأريخي المركزي الحكومي» ٢٩١ .
«الارشيف الرئيس لشؤون الدولة القديمة» ٢٩١ .
«ارشيف سياسة روسيا الخارجية» ٢٩١ .
الارمن ١٠، ١٥ (التجار)، ١٦، ١٨، ٣١، ٣٤، ٤٢، ٤٩، ٥٠، ٦٥، ٦٩، ٧٩، ٨١، ١٣٦، ١٨٣، ٢٣٧، ٢٤٤ (هـ)، ٢٥٧، ٢٦٠، ٢٨٧، ٢٩٦، ٢٩٧ .
اريستوف، الجنرال ٧٠ .
«ازاديستان» ١٢١، ٢١٧ .
اسرائيل اورى ١٥، ٢٨٧ .
الاسرة القاجارية راجع: القاجاريون.
«اسرة قاضي» ٢٤٦ .
اسرة هيراكلي ٦٥ .
اسكالن، المستشرق ٤٠ .
اسكندر الاول ٣١، ٣٢، ٣٦، ٣٧، ٤٣، ٤٦، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٤ .
اسكندر ماوك أنطونيو ٢٢٨ .
اسكندر مرزا ٦٥ .
اسكندر المقدوني ٢٢٨ .
اسكندر منشي ٢٣٠ (م. هـ.).
اسكويت ٨٨ .
اسماعيل آغا شكاك راجع: سمكو.
اسماعيل أمير خيزي ٢٠٧ .
اسماعيل بيك ١٩ .
اسماعيل الصفوي، الشاه ٢٦، ١٩٤، ١٩٥، ٢٢٩ ـ ٢٣٠ .
اسماعيل مرزا ٦٦ .
الاشتراكيون ـ الديمقراطيون ٢١٤ .
«الاشتراكيون المستقلون»، حزب ١٤٣ .
اشرف شاه الافغاني ٤ (هـ).
اصف الدولة، الله يار خان ٥٨، ٧٠، ٨٠، ٨١ .

آغا جبار ٤٣ .
آغـا محمـد خان ١٠ (هـ)، ٢٣ ، ٢٤ (م.هـ.)، ٢٥ ، ٢٦ (م.هـ.)، ٢٧ ، ٢٨ (م.هـ.)، ٢٩ (م.هـ.)، ٣٨ ، ١٩٨ (م.هـ.)، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٦ .
آغا محمد شاه راجع: آغا محمد خان.
اغاييف س.ل.، الدكتور راجع: اكاييف.
الافشار (ع) ٤ (م.هـ.)، ٢٠ ، ١٩٦ .
الافغـان ١٠ ، ١٧ (هـ)، ١٩ ، ٢٠ ، ٣٩ ، ٥٩ ، ١٣٦ ، ١٩٦ .
أفناسي نيكيتين ١٢ .
إقبال ١٨٩ .
إقتدار الدولة ١٤٣ .
آق قوينلو ١٩٢ .
اكاييف س.ل. ١٢٧ (هـ)، ١٢٩ .
الكسندر الاول راجع: اسكندر الاول.
الكسيى ميخائيلو فيتش، القيصر ١٣ .
الالـمـان ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١١١ ، ١١٦ ، ١٤١ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ . ٢٧٨ .
إمارة اردلان ٢٣٢ .
الامارة الراودية ٢٢٩ (م.هـ.).
الامارة السالارية ١٩٤ .
الامارة الشدادية ١٩٤ ، ٢٢٩ .
إمارة شوانكاره ٢٢٩ .
الامام رضا ١٨٤ ، ١٨٦ .
الامام علي ١٥٨ .
امان الله خان ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٩ .
الامبراطورية الروسية ٢٨٩ .
الامبراطورية العثمانية ٢٧٣ .
الامـريـكـان ١١١ ، ١٢٠ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٤٤ (م.هـ.)، ١٤٧ ، ١٥٨ ، ٢٧٨ ، ٢٨١ .
أمير أحمدي ١٣٠ ، ٢٥٤ .
أمير أرشد ٢٥١ .
أمير برويز، العقيد ٢٦٢ .
أمير تومان كاظم خان، الجنرال ١١٤ .
أمير خان ٢٣١ .
«أناباسيـس» ٢٢٨ .
«إنتفاضة اذربيجان» ١٠٩ ، ١١٠ .
«إنتفاضة تبريز» ١٩٥ ـ ١٩٦ .
«إنتفاضة جوانرو» ٢٦٤ (م.هـ.).
«إنتفاضة خراسان» ١٠٩ .
«إنتفاضة خياباني» ٢١٦ ، ٢١٨ ، ٢٧١ .
«إنتفاضة دشـت» ٢٤١ .
«إنتفـاضـة الشيـخ عبيـد الله» ٢٣٦ (هـ)، ٢٣٧ ، ٢٣٩ .
«إنتفاضة طالش ١٥٩٣» ٢٣١ .
«إنتفاضة عربستان ١٥٩٦» ٢٣١ .
«إنتفاضة كردستان» ١٠٩ .
«إنتفاضة كيلان» ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٤٢ .

«الانتلجتس سيرفيس» ١١٦ .
«انجمن تبريز» ٢٠٣ ـ ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ .
«انجمن ملى» ٢٠٣ .
«إنقلاب حزيران ١٩٠٨» ٢٠٥ .
«إنقلاب حوت» ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٧٤ ، ١٧٦ .
«إنقلاب شباط ١٩٢١» ١١١ ، ١١٦ .
«إنقلاب محمد علي شاه» ـ «إنقلاب حزيران ١٩٠٨» ٢٠٤ ، ٢٠٧ .
الانكليز ٣٠ ، ٣١ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٦ ، ١١١ ، ١١٦ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٩ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٨ ، ١٦١ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ٢١٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٢ (م. هـ.)، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ .
انور باشا ٩٢ .
اورديخان جليلوف، الدكتور ٢٣١ (هـ).
الاوروبيون ٢٣٣ .
اوشاكوف ٩٥ .
اوطميش، السلطان ١٨ .
اوليفييه ٢٧ .
إيفان الرابع ـ ايفان الرهيب ١٣ ، ٢٨٥ (م. هـ.).
إيفانوف م. س. ، البروفيسور ٢٦ ، ٤٥ ، ١٢٧ (هـ)، ١٩٥ ، ٢١٩ ، ٢٧٨ .

ـ ب ـ

بابا خان ٢٩ ، ٣٨ ، ٥٥ (م. هـ.)، ٢٤٨ .
«الباب العالي» ١٨ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٦٤ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٨٠ ، ٩٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٨٨ .
«الباب المفتوح»، مبدأ ١٤٤ (م. هـ.)، ١٤٦ .
بابوف ٥١ .
باسكوفيتش، الجنرال ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٩ ، ٨٢ .
باسيل نيكيتين ٢٣٤ ، ٢٣٩ (هـ)، ٢٩١ .
باقر بيك ٣٨ .
باقر خان ٢٠٤ (م. هـ.)، ٢٠٥ (م. هـ.)، ٢٠٨ (م. هـ.).
باقروف ٢٢٣ .
بالانـي (ع) ١١٣ .
بالايان ب. ب. ، الدكتور ٨٠ .
البختياريون ٩٢ ، ١٤٢ ، ٢٤٢ .
بدر بيك ٢٤١ .
البرادوستيون ٢٣١ .
برونييه ٢٧ .
البريطانيون ١٦ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩١ ، ٩٢ ،

٩٣، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٣ (م.هـ.)، ١٣٧، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٥، ١٤٨، ١٤٩، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٣ (المسؤولون)، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٨، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٥٢.
«بعث الامة»، لجنة ٩٣.
بطرس الكبير ١٠، ١١، ١٣، ١٤ (م.هـ.)، ١٥، ١٦ - ١٧ (م.هـ.)، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٨٦، ٢٨٧ (م هـ.)، ٢٨٨، ٢٩١.
بكر صدقي ١٧٥.
بلباس (ع) ٢٢٧.
البلاشفة، البلشفية ١٢٣، ١٢٥، (دعاية)، ١٢٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٢، ٢٧١.
البلوش - البلوج ١٨٣، ٢٥٥.
بلينسكي ٧٨.
بوشكين ٧٨.
بول (بافل) الاول ٢٧، ٢٩ (م.هـ.)، ٣٠.
البهائية ١٨٦.
البهلويون، الاسرة البهلوية ٤، ١٠١، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٦٤، ١٧٠، ١٧١، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٣، (العهد)، ١٨٤ (هـ)، ١٨٧، ١٨٨، ٢١٩، ٢٢٣، ٢٢٧، ٥٥٤، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٩٧.
بيتر افرى ٢١٩، ٢٥٢.
بيران (ع) ٢٥٥.
بيرسي سايكس، السر ٩٠، ١١٦، ٢٣٥.
بيرسي كوكس ١١٧.
بيريا ٢٢٣ (هـ).
البيزنطيون ٢٢٨.
بينايي ٢٥٩.
بينيامين س. ١٠٤.
بيوتر بيبغانوف، البروفيسور ١٤.

- ت -

تاج ملك ١١٤.
تاليران، شارل موريس ٣٤.
التبريزيون ٢٠١، ٢٠٩.
التتر ١١.
«التجار الشباب» ١٦٧.
تجدد، حزب ١٥١، ١٥٤، ١٥٦، ١٦٧، ١٦٩ (رئيس).
«تخته قابو» ٢٥٤.
التركمان ١٠، ٥٠ (إنتفاضة)، ٦٢، ١٨٣.
تريزل، المارشال ٤٠.
تسيتسيانوف، الجنرال ٣٣.
تشرشل ١٢٨.
تشمبرلن، اوستن ١٦٣، ١٦٨ - ١٦٩، ١٧٢، ١٧٣.
«تعاسة من العقل»، رواية ٧٨.
تقي خان راجع: محمد تقي خان

تقي زاده ١٧٠ :
«تودة» راجع : «حزب توده».
تورمسوف أ. ب. ، الجنرال ٤٦، ٤٧
توسنوي ٢٦١ .
تيمور خان مير بنج ١٤٤ .
تيمورلنك ٢٣٠ .

- ث -

ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ٢٦٤ .
«ثـورة الاتحـاديين ١٩٠٨» ٢٠٨، ٢٤٠ (هـ).
«ثـورة اكتـوبـر العظمى عام ١٩١٧» ٧٣، ٨٨، ١١٢، ١١٥، ١٢٨، ٢١٣ (هـ)، ٢١٤، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٧١، ٢٧٣، ٢٧٥، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٧، ٢٩٨
«الثـورة الايـرانيـة ١٩٠٥ ـ ١٩١١» راجع : «الثورة الدستورية».
الثـورة الـدستـوريـة ١٠٦، ١٠٩، ١١٥، ١٢٧، ١٥٠ (هـ)، ١٥٣ (هـ)، ١٥٩ (عـصـر)، ١٦٧ (هـ)، ١٨٦، ١٨٧ (إنتصار)، ١٨٩، ٢٠١ ـ ٢٠٢، ٢٠٣ (هـ)، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٤١ (م. هـ.)، ٢٤٤، ٢٤٧، (هـ)، ٢٥٨، ٢٧١، ٢٧٩، ٢٩٥ .
«ثورة شباط» ٢٩٢ (هـ) .
«ثورة شباط ١٩١٧» ٨٨، ١٢٨ .

- ج -

الجـاف (ع) ٢٤٢ .
جاويـد ٢٦١ .
«جامعة اذربيجان الحكومية» ٢٢٢ .
جان فرانسوا روسو ٣٤ .
جريكوف ٢١٠ .
جعفر آغا ٢٥٠ .
جعفـر بيشـوري ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٢٣ (م. هـ.)، ٢٦١ .
جعفر خان ٢٣ (هـ) .
جعفر سلطان ٢٥٣ ـ ٢٥٤ .
جعفر قلي خان ٢٣٤ .
جلال أحمد تقي ٢٣٦ (هـ).
جلالي (ع) ٢٢٧، ٢٥٥ .
جليلى جليل، الدكتور ٢٤٠ (هـ).
جهانسوز مرزا ٢٤١ .
«الجمعية الاسيوية المركزية الملكية» ١٧٣ .
«الجمعيـة الخيـريـة للايـرانيـات المقيمات باستانبول» ٢٠٧ .
«جمعية نشر المعارف» ٢١٢ .
«جمهورية اذربيجان» ٢١٢ .
«جمهورية اذربيجان الديمقراطية ذات الحكم الذاتي» ٢٦١ .
«جمهورية كـلان» ٢٤٧ (هـ)، ٢٤٨ .
«جمهـورية كردستان الديمقراطية ذات الحكم الذاتي» ٢٦١ .
«جـمهـوريـة مهـابـاد ذات الحكم

الذاتي» ٢٥٤ (هـ)، ٢٦١ .
الجنكليون ١١٠ (إنتفاضة)، ٢٤٨ .
جوانرو(ع) ٢٢٧، ٢٦٤ .
الجوانرويون ٢٦٤ .
جوبير ٣٤، ٣٥.
جورج الثالث ٤٥ .
جورج كاتنغ ٤٤ .
جورج لنشوفسكي ٢٤٥ .
الجورجيون ١٠، ١٨، ٢٤، ٢٨، ٣٢، ٦٥، ١٠٠، ١٩٨، ٢٣٥، ٢٨٧، ٢٩٦ .
جون مالكولم ٣٠، ٤٤، ٤٨، ٢٣٥ .
جون مكدونالد، السر ٧١ ـ ٧٢.

ـ ح ـ

الحاج سيد احمد ٥٠ .
الحاج فرهاد مرزا معتمد الدولة ٢٣٦ .
الحاج قادر كويى ٢٥٨ .
الحاج مرزا مسيح، المجتهد ٨١، ٨٢ .
الحاج مرزا يوسف التبريزى، المجتهد ٧٠ .
«الحاج وليم (*)» ٢٤٥ .
«حرب البوير» ٨٨ .
«الحرب الشمالية» ١٤، ١٧، ٢٨٧ (هـ).
الحرب العالمية الاولى ٨٧، ٨٨، ٩٨ ـ ٩٠، ٩١، ٩٤، ٩٨، ٩٩ ـ ١٠٠، ١٠٩، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١٢٣ (هـ)، ١٢٧، ١٢٨، ١٤٠، ٤١، ١٤٤(ـ)، ١٦٢، ١٧٤، ١٨٦، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦ (م.هـ.)، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥٨، ٢٧٤، ٢٧٩، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥ .
الحرب العالمية الثانية ١٨٧، ٢٢٠، (م.هـ.)، ٢٢١ (م.هـ.)، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩ (انتهاء)، ٢٦٨، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨١ .
حربي محمد ٩ (هـ).
الحركة البابية ١٠٧، ١٨٦ .
«حركة الجنكليين» ـ «الحركة الجنكلية» ٢٤٦، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٧١ .
حركة مصدق ٢٦٣ .
الحرب الايرانية ـ الروسية ٧ ـ ٧٣، ٧٧، ١٩٨، ٢٩٦، ٢٩٧ .
الحروب البلقانية ٨٧ .
«حزب الاحرار» ٨٨، ٨٩ .
«الحزب الاشتراكي الديمقراطي» ١٤٣ .
«حزب التحرر الكردستاني» ٢٥٦ .
«حزب توده» ٢٧٩، ٢٨٠ .

(*) يقصد به وليم الثاني، امبراطور المانيا يومذاك

«الحزب الجمهوري» ١٥٣ .
«حزب الجمهوريين» ١٥٣ .
الحزب الديمقراطي الاذربيجاني ٢١٤ ـ ٢١٥، ٢٢١، ٢٢٢ (هـ).
«الحزب الديمقراطي الكردستاني» ٢٦٠، ٢٦٣ .
«الحزب الديمقراطي المستقل» ١٥٣ ـ ١٥٤ .
الحزب الشيوعي الاذربيجاني السوفيتي ٢٢٣ (هـ).
«حزب مجاهدي اذربيجان» ٢١١ .
حسن بيك ٢٤١ .
حسن تقي زادة ٢١٢ .
حسو بيك ٢٤١ .
حسين أفندي التبريزي، المقدم ٢٤٧ .
حسين خان علاء ١٤٤ .
حسين قلي خان ٦ ، ـ ـ
حسين مكي ١٣٠ .
«الحصار القاري» ٤٩ .
«حكومة اذربيجان ذات الحكم الداتي» ٢٢١ ـ ٢٢٢ .
«حكومة بيشوري» ٢٢٢ ، ٢٢٣ (القضاء على).
«حكومة المساواة الاذربيجانية» ١٢٨
«الحكومة المؤفتة» ٢٩٢ (م . هـ .).
الحلفاء ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٢١٢، ٢٧٧ .
«حلف بغداد» ٢٦٤ .
«حملة بطرس علي ايران» ١٨، ٢٨٨ .
«الحكومة الوطنية المؤقتة» ٩٣ .
حكيم الدولة ١٤١ .
حيدرخان ١٩٧ .
«حيزبى ئازاديخواى كوردستان» ٢٥٦ .

ـ خ ـ

خالفين ن . أ . ، الدكتور ٢٣٨ .
خالوحشمت ٢٤٨ .
خالوقوزبان ٢٤٨، ٢٥١ .
خان أحمد خان ٢٣٢ .
خانية اوردوباد ٧٢ .
خانية نخجوان ٧٢ .
خانية طالش ٥٠، ٥١ ـ ٥٢، ٥٥ (هـ)، ٥٧، ٢٨٩ .
خانية كنجة ٢٨٩ .
خانية بريفان ٧٢ .
خديوي مصر ٢٣٨ .
خسروخان ٢٣٥ ، ٢٣٦ .
خسرومرزا ٨٢ (م . هـ .)، ٨٣ .
خميني ١٨٩ (أنصار).
خياباني راجع : محمد خياباني .

ـ د ـ

الداشناقيون ٢٩٧ .
داود خان ٦٧ .
داود خان كلهر ٢٤٢ .

الـدستـوريـون ١٨٩، ٢٠٨، ٢٠٩
(زعماء)، ٢٤١، ٢٤٢.
دشـت (ع) ٢٤١.
«الدفاع عن استغلال ايران»، لجنة ٩١.
دنبلـي (ع) ٢٣٠، ٢٣٢.
دنسترفيل، الجنرال ٢٧١.
الدنبليون ٢٣٠.
دوبليانسكي ٣٨.
دوزداب ١٦٢.
«دوق يريفان» ٧٠.
الـدولـة الصفـويـة، العهـد الصفـوي ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ٢٣٢، ٢٨٥.
الـدولـة القـاجـارية ـ العهد القاجاري ٢٤، ١٩٨، ٢٣٣، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٩٧.
دولة المغول ١٩٤.
دونالد ستيوارت ٩٨.
دونالد ولبر ١٢٧ (هـ)، ١٣٣ ـ ١٣٤، ١٣٥، ١٣٨.
ديبوكرى (ع) ٢٢٧.
ديتيردينغ ٢٧٥.
الديسمبريون ٦٤، ٧٨ (م. هـ.)، ٨٢.
الديكابريون ٦٤، ٧٨ (م. هـ.).

ـ ذ ـ

ذكاء الملك راجع: فروغي

ـ ر ـ

رتيـشيـف ن. ف.، الـجـنـرال ٥١ (م. هـ.)، ٥٤. ٥٥، ٥٦.
رحيم خان ٢٠٨، ٢٠٩.
رحيم قاضي، الدكتور ٢٥٤ (هـ).
رشيد ياسمي ٢٢٨ (هـ).
رضا اراسته ١٧٧.
رضا بهلوي راجع: رضا شاه.
رضا خان راجع: رضا شاه.
رضـا شاه ٤، ١٠١، ١٠٣، ١١٣ ـ ١١٥، ١٢٧ ـ ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥ (هـ)، ١٣٦، ١٣٨ ـ ١٤١، ١٤٣ ـ ١٤٥، ١٤٨ ـ ١٥٦، ١٥٨ ـ ١٦٤، ١٦٧ ـ ١٧٢، ١٧٥، ١٧٦ (م. هـ.)، ١٧٨، ١٨٥، ١٨٧ ـ ١٨٨، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١ (هـ)، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥ (عهـد)، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩ (سقوط)، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٩٨
رضا قولي ١٩٦.
رضا المازندرانى راجع: رضا شاه.
روبرت إيمبري ١٦١.
روبن هود ٢٥٢.
«روداميست وزنوبيا»، رواية ٧٩.
«روزى كورد، شه وى عه جه م» ١٠٩، ٢٥١.
الـروس ٣، ١٢، ١٣، ١٧، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٧، ٣١.

۳۲، ۳۵، ۳٦، ۳۹، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٨، ٥٠، ٥٣، ٥٥ (م. هـ.)، ٥٦، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧٠، ٧٢، ٧٧، ٨١، ٨٢، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ١٠٦، ١١١، ١١٢، ١١٦، ١٢٣، ١٣٢، ١٣٦، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠١ (الاشتراكيون)، ٢٠٤، (هـ)، ٢٠٦ (المسؤولون)، ٢٠٨ (المستعمرون)، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٨٥ (القياصرة)، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٦.

الروس البيض ١١٥، ٢٧٢، ٢٧٣.

الرومان ٢٢٨.

رومانوف، اسرة ١٠.

روميانتسيف ٤٢، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٤.

روميو ٣٥.

رويتر، البارون دی ٤.

- ز -

زند (ع) ٢٣٣ (م. هـ.).

الزنديون ٤ (م. هـ.)، ١٠، ٢٣ (م. هـ.)، ٤٤، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥.

الزنكنه (ع) ٢٤٢.

«الزوجات الشابات»، رواية ٧٨.

زوغماير ٢٤٥.

زينفون ٢٢٨.

- س -

سازانوف، سيرغيي ديمترييفتش ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ٢٩٥.

الساسانيون ١٩٤، ٢٢٨ (م. هـ.).

سالار الدولة ١١٥، ٢٤٢ (م. هـ.)، ٢٤٣ - ٢٤٤، ٢٤٩.

«سالار ملي» ٢٠٥.

سباهدار اعظم - سبهدار ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧ (وزارة)، ١٣١، ١٧٤ (هـ).

ستار خان ٢٠٤ (م. هـ.)، ٢٠٥ (م. هـ.)، ٢٠٧، ٢٠٨ (م. هـ.).

ستيبانوف، الميجر ٣٨.

سردار اسد ١٥٩.

سردار رشيد ٢٤٩.

«سردار ملی» ٢٠٥.

سردار يريفان ٦٥، ٦٦.

«سفرة الى ضواحي المدينة»، رواية ٧٨.

السلجوق - السلاجقة ١٩٣، ١٩٤ (غزو).

سعيد نفيسى ٣٣، ٣٤، ٢٣٤.

السلطان حسين الصفوي ٩، ١٧.

سليمان مرزا اسكندري ١٤٣، ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢ (زعيم الاشتراكيين)، ١٥٤، ١٥٩، ١٧٢.

سليم واكيم ٤.

سمــث ١٣٤ .
سمكــو ١٠٩ ، ١٦٣ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ - ٢٥٠ ، ٢٥١ (م.هـ.)، ٢٥٢ (م.هـ.)، ٢٥٣ (م.هـ.).
«سمير اميس الشمال» ١١ .
سميون مازاروفيتش ٦١ .
سنارسكي ، الجنرال ٢٠٨ .
سنجاوى (ع) ٢٢٧ ، ٢٤٢ .
«السوربون» ١٧٠ .
الســوفـيـت ١٤٦ ، ١٧٨ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ (مؤرخو)، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٩٣ (هـ).
سيد ضياء الدين راجع : ضياء الدين طباطبائي .
سيف قاضي ٢٦٢ .
سيمون افراموف ١٦ .

- ش -

شارموا ٢٢٨ .
شاهبور ٢٢٨ .
شاه رخ ٢٣٣ (هـ).
الشاه صفي ٢٣٢ .
شبوسترى ٢٦١ .
شجاع الدولة ٢١١ .
شجاع السلطنة ٢٣٧ .
شرف خان البدليسي ٢٣٢ .
«شرفنامه» ٢٢٨ .
«شركة تالبوت» ١٠٦ ، ٢٠١ .
«شـركة ستاندرد اويل» ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٦٠ ، ٢٧٤ .
«شركة سنكلر» ١٦٠ ، ١٦١ .
«شركة شيل» ٢٧٥ ، ٢٧٦ .
«شـركة النفط الانكلو- ايرانية» ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٦٠ ، ١٦٢ .
«شركة الهند الشرقية» ٦١ ، ١٠٦ .
شريف الدولة ٢٤٩ .
شريف مكة ٢٣٨ .
شكاك (ع) ٢٨ ، ٢٢٧ ، ٢٣٥ .
شوستر، مورغان ٢٠٩ ، ٢٤٣ ، ٢٩٣ - ٢٩٤ .
الشيخ بابا الغوث ابادي ٢٤٦ .
الشيخ خزعل ٥، ١٥٢، ١٦٢، ١٦٣ .
الشيخ عبدالقادر ٢٣٩ (هـ)، ٢٤١ (هـ).
الـشـيـخ عبيـد الله بن الـسيـد طه الـشـمـزيـني ٢٣٦ (م.هـ)، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ (م.هـ.)، ٢٤١ (م.هـ.).
الشيخ علي خان ٣٦ .
الشيعـة ١٨٣ ، ١٩٠ .
شيونمان ٢٤٥ .

- ص -

صاحــب ٥٧ .
صادق خان الشكاكي ٢٨ (م.هـ.)، ٥٢ ، ٢٣٥ .
صدر قاضي ٢٦٢ .

الصفـويون ـ الأسرة الصفوية ٤ (هـ)، ٩، ١٥، ١٦، ٢٣ (م. هـ.)، ١٧٦، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٧، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١ (الملوك)، ٢٤٧ (هـ).
«صلاح الدين»، مسرحية ٢٥٩.
صور اسرافيل ١٥٠.

ـ ض ـ

ضيـاء الـدين طباطبائي ١١٥، ١١٨، ١٢٧ (م. هـ.)، ١٢٨، ١٢٩ (مجموعة)، ١٣٠ (م. هـ.)،١٣٢، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، (وزارة)، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٥، ١٧٤ (م. هـ.)، ١٧٨.

ـ ط ـ

طالش، شعب ٢٦ (م. هـ.).
طاهر خان ٢٥٣ (هـ).
طهمـاسب الاول، الشـاه ١٩، ٢٠، ١٩٥، ٢٣٠.

ـ ظ ـ

ظل السلطان ١٠٣.

ـ ع ـ

عادل شاه ٤ (هـ).
عارف قزويني ١٢٨.
عاصم بيـك ٢١٠.
عباس آغا ٢٠٢ (هـ).
عبـاس الاول، الشـاه ١٩٥، ١٩٦، ٢٣٠ (هـ)، ٢٣١ (م. هـ.)، ٢٣٢، ٢٨٦.
عباس الثاني، الشاه ١٣، ٢٨٥.
عباسس قلي خان ١١٣، ١١٤.
عبـاس مرزا ٣، ٣٢ (م. هـ.)، ٣٣، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٤٦، ٤٧، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢ (قـوات)، ٥٣، ٥٥، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨ (م. هـ.)، ٦٩، ٧٠، ٧٣، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ١٩٩، ٢٣٦.
عبـدالحسين مرزا فرمـان فرما راجع: فرمان فرما.
عبدالحميد، السلطان ٢٤٠.
عبـدالـرحمن قاسملو، الدكتور ٢٢٧، ٢٦٤ ـ ٢٦٥.
عبد الرزاق بدرخان ٢٤٤، ٢٥٠.
عبدالرزاق الحسني ١٧٥.
عبد الغني الخطيب ٤ ـ ٥.
عبد الله خان ٢٣٧.
عبد الله رازي ١٦٤.
العـثـمـانيـون ٧١، ٢١٢، ٢٣٠، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٧٠.
«عدالت»، منظمة ٢٧٢.
العراقيون ٨٠، ٩٤.
العرب ١٨٣، ١٩٠، ٢٥٥.

عرب شميلوف ٢٣١ (هـ).
«عرش طاوس» ١٧ (م.هـ.)، ١١٦.
عزت الله خان ٢٤١.
عزيز زندي ٢٥٦ ـ ٢٥٧.
عشقي ميرزاده ١٢٨، ١٥٥
«عصبية مكافحة الامبريالية» ٢١٩.
«عصيان التبغ» ١٠٦.
علي آذري ٢١٧.
علي بينا، الدكتور ٣٥، ٤٤، ٦٩.
علي خان ١١٤.
علي خان اللرستاني ٢٤٢.
علي خان مرند ٦٧.
علي دشتي ٢٥٣.
علي قلي مرزا أفشار ٤ (هـ).
علي كلاويز، الدكتور ٢٥٠ (هـ).
علي محمد الشيرازي ١٨٦.
علي مراد خان ٢٣ (هـ)، ٢٣٣.
علي منصور ٢٥٧.
عميد السلطنة ١٤١.
عيسى ١٨.

ـ غ ـ

غاردان، الجنرال راجع: كلود ماثيو غاردان.
غاريبالدي ٢٠٥.
غراي راجع: ادوارد غراي.
غودوفينش، الجنرال ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٢، ٤٣.
غور وزلي ٤٨، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٨.
غوغول ٧٩.
غريبويدوف، الكسندر سيرغييفتش ٦٩، ٧٧، ٨٣.

ـ ف ـ

فابوييه ٤٩.
الفاشية ٢٢٣.
فاطمة ١٥٧.
فاليرى زوبوف، الجنرال ٢٦.
فتح علي شاه ٣، ١٠ (هـ)، ١٧ (هـ)، ٢٩ (م.هـ.)، ٣٠، ٣٢ (م.هـ.)، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٥٠، ٥٣ (هـ)، ٥٥ (م.هـ.)، ٥٦، ٥٧، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٦٧ (م.هـ.)، ٦٩، ٧١، ٧٧ (حكومة)، ٨٠، ٨١، ٨٢ (م.هـ.)، ٨٣، ١١٤، ٢٣٥، ٢٣٦.
فرامرز بزركر ٢٤٣.
فرانس فيرديناند ٨٧.
الفرث ٢٢٨ (م.هـ.).
فرج الله خان ٢٣٧.
الفرس ١٧، ٢٢٧، ٢٥٢، ٢٧٢، ٢٧٦.
«الفرقة الاسلامية» ١٩٠.
«فرقه ء ديمقرات أذربيجان» ٢٢١.

فرمان فرما، الأمير ١١١، ٢٠٤، ٢٤٢.
الفرنسيون ٢٠، ٢٧، ٢٩، ٣٠، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٨، ٤٢، ٤٣، ٤٦، ١٣٢، ١٣٧.
فروغي، محمد علي ١٤٦، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٩، ١٧٢.
فريبغانغ ٥١.
فوربانوف، الجنرال ٢٠٩.
فولينسكي، ارتيم بيتروفيتش ١٥، ١٦ (م. هـ.)، ٢٨٧ (م. هـ.).
فون دير غولتز، المارشال ٢٤٥
فيروز نصرت الدولة، الأمير ١٢٦.
فيشر ل. ١٤٢
فيصل الاول ١٧٦ (هـ).
«في مديح الغباوة»، رواية ٧٨ (هـ).

- ق -

القاجاريون، آل قاجار، الاسرة القاجارية ٣، ١٠، ٢٣ (م. هـ.)، ٢٩، ٣٢ (هـ)، ٤٩، ٥٠، ٦٢، (الامراء)، ٦٩، ٧٠، ٨٢، (هـ)، ٩٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٢، ١٢٧، ١٥١ (حكم)، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٧ (حكم)، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٩٨، ٢١٨، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٥، ٢٧٥، ٢٩٧
القاضي فتاح ٢٤٦، ٢٥٨.
القاضي محمد ـ قاضي محمد ٢٤٦، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١ (م. هـ.)، ٢٦٢.
القره باغيون ١٩٨.
قرة العين ١٨٦.
قره قوينلو ١٩٤.
القزلباش ٢٠، ٢٢٩.
قسطنطين ٦٤.
قشقائي (ع) ١٤٢.
قنبر خان ٢٤٨.
قوام الدولة ١٦٢.
قوام السلطنة ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، (هـ)، ١٧٤ (هـ)، ٢٢٢ (حكومة)، ٢٢٣، ٢٦١، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠.
القوزاق ١٣، ٣٠، ٩٥ (كتيبة)، ٩٨، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١٢٩ (ضباط)، ١٣٠ (م. هـ.)، ١٣١، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٩، ٢١٨، ٢٠٤ (م. هـ.)، ٢٤٨، ٢٥١.

- ك -

كاترين الثانية ١١، ٢٧، ٣١.
كارتلي فاختانغ السادس ١٨ (م. هـ.)، ٢١، ٢٢.
كاسلريه ٦٠.
كاظم خان سياح، الكولونيل ١٣٠،

. ١٣٤
كامبــل بانرمــن ٨٨.
كاناريس، الأدميرال ٢٧٧ .
«كــاوه» ٢١٢ .
«الكتلة الوطنية» ١٤٣، ١٤٥، ١٤٧، ١٤٨، ١٥١ .
كتليارفسكي، الجنرال ٥٥ (م. هـ.) .
كرابوتكين، الجنرال ٢٢ .
«كراى اوف فالودون» ٨٨.
الكـرد ـ الاكراد ١٠، ٩٢ ـ ٩٣، ٩٩، ١٨٣، ٢٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣١ (م. هـ.)، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٦ ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٣ (م. هـ.)، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٧٢ .
«كردستــان» ٢٦٠، ٢٦١ .
كرزن، الــلورد ٢٠، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٢، ١٦١، ٢٣٦، ٢٤٠ (هـ) .
الكرملين ٢٧٧ .
كريبابيدوف راجع: غريبويدوف.
كريم خان ٢٤٨ .
كريم خان الزند ١٠ (هـ)، ٢٣ (هـ)، ١٩٨، ٢٣٣ (م. هـ.)، ٢٣٤ .
كلباغــي (ع) ٢٥٥ .
كلود ماثيـوغاردان، الجنـرال ٣٩ ـ ٤٠ (م. هـ.)، ٤١، ٤٢، ٤٣ (بعثـة)، ٤٤، ٤٥، ٤٩ (بعثة).
كلوديوس جيمس ريج ٥٣، ٢٣٥ .
كلهور ـ كلهر (ع) ٢٢٧، ٢٤٢ .
كليفورد ادموند بوسورث ٢٢٩ (هـ) .
كليمتسيف ٢٧٢ ـ ٢٧٣ .
«كمسيون جنك» ٢٠٦ .
«كوجك ـ كينارجى»، معاهدة ١٤ (هـ) .
كودوفيتش راجع: غودوفيتش.
كوران (ع) ٢٢٧ .
كوراوغلــو ٢٣١ .
كورف، البارون ٢٩ .
كوجك خان، مرزا ٤، ١٠٩، ١١٠، ١٢١، ٢٤٦، ٢٤٨ .
الكولونيل هاوس ١٢٠ .
«كــومــه له ى زيــانــه وه ى كورد» ـ «ز. ك.» ٢٥٨ (م. هـ.)، ٢٥٩، ٢٦٠ .
«الكومينتيرن» ٢٧٢ .
كوهران، الدكتور ٢٣٧ .
الكئيانيــون ١٥٣ .
الكيلانيــون ٢٤٧ (م. هـ.) .
كيروف ٢١ (هـ).

ـ ل ـ

لازاريف م. س.، الدكتور ٢٤٦ (هـ) .
«لجان الحركة الوطنية» ١٦٧ .

اللزكين ١٧ (م. هـ.)، ١٨.
لطف علي خان ٢٣ (هـ)، ٢٣٤.
اللــر ٩٥.
لورين، بيرسى ١٤٢، ١٤٩، ١٦٣، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦.
لوكخارت ل. ١٧ (هـ).
لويد جورج ٨٩.
«ليالي جورجيا»، رواية ٧٩.
لينين ٧٨، ٢٧٢، ٢٧٩.
ليونارد بندر ١٧٨.

- م -

ماتيوشكين م. أ.، الجنرال ١٩.
مار بنيامين شمعون ٢٥٠ (هـ).
مارتن فان برونسن ٢٥٠.
مالكولم راجع. جون مالكولم.
مترنيــخ ٣٣، ٦٧.
المتنبــي ٧٩.
«المجموعة الارمنية» ١٦٧.
«المجموعة الزرادشتية» ١٦٧.
«المجموعة اليهودية» ١٦٧.
محتشم السلطنة ١٢٦، ١٤١.
محمد أمين زكي ٢٢٩ (م. هـ.)، ٢٣٢.
محمـد بن الحاج عبدالحميد راجع: محمد خياباني.
محمد بن ريا ٢٦١.
محمد تدين ١٥١، ١٥٤، ١٦٩، ١٧٠.
محمد تقي خان ١٠٩، ١٢٨
محمد حسين خان ١٧ (هـ)، ٦٥.
محمد خياباني، الشيخ ١٠٩، ١٢١، ١٥٥، ١٨٦، ٢١٢ - ٢١٤، ٢١٦ (م. هـ.)، ٢١٧، ٢١٨، ٢٧١.
محمد رضا شاه ١٥٥، ١٧٠، ١٨٤، ١٨٧، ١٨٨، ٢٢٠، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٧٧، ٢٨١.
محمد سلذطان خودابند، الشاه ٢٧٠.
محمد شاه ١٠ (هـ).
محمد علي خان الزند ٤٤، ٢١٢.
محمد علي شاه ١٠ (هـ)، ٦٢، ٦٣، ١١٥، ١٥٣ (م. هـ.)، ٢٠٣ (م. هـ.)، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٠، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٩٤ (م. هـ.).
محمد علي مرزا راجع: محمد علي شاه.
محمد كاظم ١٩٧.
محمد كريم خان راجع: كريم خان زند.
محمد مرزا ٦٦ - ٦٧ (م. هـ.).
محمد الهاشمي ٤، ١٧٦.
محمود شاه الافغاني ٤ (هـ)، ١٧.
محمود علي الداود، الدكتور ٩ (هـ).
محمود غني زادة ٢١٢.
محمودي (ع) ٢٣٠.
مخبر السلطنة ١٢٣، ١٢٤، ٢١٧، ٢١٨.

مختار السلطنة ١١٠ .
المدرس ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٤، ١٧٠ .
المذهب السني ١٨٣ .
مرزا ابو الحسن خان ٥٦، ٥٨ (م. هـ.) .
مرزا بزرك ٣٨ .
مرزا حسن مشاور ١٦٨، ١٦٩ .
مرزا رحيم طالبوف ٢١٣ .
مرزا رضا خان تربيت ٢١٢ .
مرزا شفيع ٣٨، ٤٠ .
مرزا صالح ٦٨ .
مرزا علي ٢٥٨ .
مرزا فتح علمي، المجتهد ٧٠ .
مرزا فتح علي اخندوف ٢٠١ (م. هـ.) .
مرزا فيض الله ١٩٩ .
مرزا محمد رضا خان ٣٨ .
مرزا محمد علي ٦٧، ٦٨ .
المرنديون ٧٠ .
مستشار الدولة ١٤١، ١٥٩ .
مستوفي الممالك ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٦، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٤١، ١٤٨، ١٥٩، ٢٤٥ .
مسعود خان كيهان، الميجر ١٣٠، ١٣٤ .
«المسيرة الفارسية الاولى» ١٤، ١٨ (الحملة) .
«المسيرة الفارسية ١٧٢٢ - ١٧٢٤» ٢٨٨ .
مشاور الدولة ١٥٩ .
مشاور السلطنة ١٤١ .
«المشروطية» ١٠٨، ١٠٩، ٢٤٤ (م. هـ.) .
مشير الدولة ٩٣، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤ (وزارة)، ١٢٥، ١٤١، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٩ .
مشاور السلطنة ١٤١ .
مصدق، الدكتور ١٢٤، ١٤٣، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٩، ١٧٠، ١٨٨ .
مصدق السلطنة راجع: الدكتور مصدق .
مصطفى بيك ٢٣٠ .
مصطفى خان الشيرواني ٦٥ .
مصطفى صالح كريم ٢٣١ (هـ) .
مصطفى كمال أتاتورك ١٥٢، ١٥٤، ١٧٦ (هـ) .
مظفر الدين شاه ٤، ١٠ (هـ)، ١٥٣ (م. هـ.)، ٢٠٣ (م. هـ.)، ٢٤٢، ٢٧٠، ٢٩٤ (هـ) .
«معاهدة استانبول» ٢٢ (هـ) .
«معاهدة ١٩١٩» ١٧٧ - ١٣٧، ١٦٢، ٢١٥، ٢١٧ .
«معاهدة بطرسبورغ» ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٨٨ .
«معاهدة تركمانجاي» ٧٢ - ٧٣، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٣، ١٠٦، ١١٤، ٢٠٩، ٢٨٩ .
«معاهدة رشت» ٢١ .
«معاهدة سايكس - بيكو» ٨٧، ٨٩، ٩٤ .

«المعاهدة السوفيتية ـ الايراينة» ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .
«معاهدة صلح بخارست» ٤٩ .
«معـاهـدة صلح تلست» ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ .
«معـاهدة الصلح والصداقة بين روسيا وايران» ٥٦ ـ ٥٧ .
«معاهدة فنكنشتاين» ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ .
«معـاهـد كلستـان» ٥٦ ـ ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٢٨٩ .
«معاهدة كنجه» ٢١ ، ٢٢ (هـ) .
«معاهدة لندن» ٨٩ .
معتضد السلطنة ١٥٩ .
«معركة عباس آباد» ٦٨ .
المغول ١٩٤ (غزو) .
«مقتل الوزير المختا» ، رواية ٨٣ (م . هـ .) .
«مكتبة صفي الدين» ٧١ .
ملتسوف ٨١ .
ملك زاده ٢٥١ .
ملك المتكلمين ٢٠٤ .
ملك الشعراء بهار ١١٣ ، ١٥٥ .
مليسبو ٢٧٩ .
مليكوف أو. س. ١٢٧ (هـ) .
«من الشقيق ، من الشقيقة» ، رواية ٧٨ .
«مؤتمر آخن» ٦٤ .
«مؤتمر شعوب الشرق» ٢٧٢ .
«مؤتمر الصلح بباريس» ٨٨ ، ١١٨ ، ٢٧٣ .
مؤتمن الملك ١٢٤ .
«المؤسسة الدينية» ١٧٩ ، ١٨٣ ـ ١٩٠ .
موكري ـ مكري (ع) ٢٢٧ ، ٢٣١ ، ٢٤٢ .
المهاباديون ٢٥٣ .
مهدي خان شمخال ٣٦
المهدي المنتظر ١٨٦ .
ميرحسن خان الطالشي ٦٥ .
مير مصطفى خان ٥٢ .
مينتشيكوف ، الامير ٦٣ ، ٦٤ .
مينورسكى ٢٩١ .
نابليـون بونابارت ٢٩ ، ٣٣ (حروب) ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٣٨ ـ ٣٩ ، ٤٠ (الامبـراطور) ، ٤١ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٣ (م . هـ .) ، ٥٤ ، ٧٨ ، ١٧٣ ، ٢٩٦ (حروب) .
نادر شاه الافشاري ٤ (هـ) ، ١٠ ، ٢٠ (م . هـ .) ، ٢١ ، ٢٢ (هـ) ، ٢٣ ، ٨٣ (مـاسة) ، ١٧٥ ـ ١٧٦ ، ١٩٦ ، ١٩٧ (م . هـ .) ، ٢٣٢ (م . هـ .) ، ٢٣٣ (م . هـ .) ، ٢٣٤ .
النازيـة ٢٥٩ .
ناصـر الـديـن شاه ١٠ (هـ) ١٠٨ ، ٢٠١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ (حكومة) .
نالي ١١٣ (هـ) .
«النجمة البختيارية» ، حزب ١٤٢ .

نزار عبد اللطيف الحديثي، الدكتور ١٨٣ (هـ).
نسلرود ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٧، ٨٠ .
نصرت الدولة ١٤٥، ١٦٢ .
النمساويون ٣٧، ٦٧ .
نورثمبرلند، دوقية ٨٩ .
نورمن هـ. ١١٦، ١٢١، ١٢٢ - ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٢، ١٧٧ .
نوري السعيد ١٢٧، ٢٦٤ (هـ).
نوش آفرين ١١٤ .
«نهضت روحانيات» ١٩٠ .
نيدرماير ٢٤٥ .
«نيشتمان» ٢٥٨ .
نيقولا الاول ٦٤، ٧١، ٧٨، ٨٠، ٨٢، ٨٣ .
نيقولاس (نيكولاس) الثاني ٨٧، ٢٠٧ .

- و -

وثوق الدولة ١١٧، ١١٩ (حكومة)، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤ (وزارة)، ١٢٨ (وزارة)، ١٣١، ١٤١، ١٦٢، ٢١٥، ٢١٦ (وزارة)، ٢١٨ (سقوط)، ٢٤٩ (حكومة)، ٢٧٢ .
«الوحدة الاسلامية» ٢١٢ .
«الوحدة الطورانية» ٢١٢ .
وحيد الملك ١٢٦ .
ولسن، الرئيس الامريكي ١٢٠ .
ولسن س. ٢٤٠ (م. هـ.).
ولفرد كناب ١٣٤ .
الوهابيون ٤٤ .
وليه خانم ٢٣٦ .

- هـ -

هارفرد جونس، السر ٣٣، ٣٥، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٤٨ .
هاكوب ق. توريانتز ٤، ٥ .
«هاواري نيشتمان» ٢٦٠، ٢٦١ .
هتلر ١٨٩، ٢٧٦، ٢٧٧ .
الهتلريون ٢٧٦ .
هرمن نورمن راجع: نورمن هـ.
«هه لا له» ٢٦٠، ٢٦١ .
هه لو خان ٢٣٢ .
هنري بندر ٢٦٣ .
هنري ويلولك ٦٣ .
الهنود ٣١، ٢٣٥ .
هولاكو ٢٣٠ .
هيراكلي الثاني ٢٢ (م. هـ.)، ٢٤، ٢٥، ٢٧ .
هيكان، اسرة ٢٢٨ .

- ي -

يـ سين الهاشمي ١٧٦ .
يبريم خان ١٤٢ (م. هـ.).
يرمالوف أ. ب.، الجنرال ٦٠

(م. هـ.)، ٦١ (م. هـ.)، ٦٣، ٦٥، ٧٩.
يزيد ١٨٩.
يورنييف ك. ك. ١٧٣
يوري تينيانوف ٨٣.
يوسف ابراهيم يزبك ٥.
اليونان ٢٢٨.
اليهود ١٨٣، ١٨٦.

اعلام الأماكن

- أ -

الاتحاد السوفيتي ٣، ١٦، ١٣٥. ١٣٦، ١٣٩، ١٦٣، ١٧٣، ١٩٣ (م. هـ.)، ٢٠٠ (هـ)، ٢٦٩، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨١، ٢٩١، ٢٩٧، ٢٩٨
اتروباتين - اتروباتينا ١٩٣ (م. هـ.).
اجمادزين ٣٣، ٤٢ (قلعة)، ٦٨.
اذربيجان ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣ (هـ)، ٢٦، ٣١، ٣٦، ٥٨، ٦٩، ٧٠، ٧٣، ٧٧، ٩١، ٩٦، ١٠٩، ١٢١، ١٢٣، ١٤٣، ١٦٥، ١٩٣ (م. هـ.)، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨ (ثوار)، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧ (م. هـ.)، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠ (هـ)، ٢٣١، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٢ (حكومة)، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٨.
اذربيجان الايرانية ٢٠، ٩١، ١٩٩، ٢١١، ٢١٤ (مثقفو)، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٩٧.
اذربيجان الجنوبية ١٩٨، ٢٠٠، ٢١٠، ٢٢٧.
اذربيجان السوفيتية ١٣ (هـ)، ٢١ (هـ)، ٢٦، (جنوب)، ٢٢٣.
اذربيجان الشمالية ٣، ١٧، ١٨، ٢٥، ٣٢، ٦٥، ٢٠٠، ٢٧١، ٢٧٣.
اذرشهر ٧١.
اراس، نهر ٢٧، ٣٦، ٤٦، ٤٩، ٥٠، ٥٥ (هـ)، ٦٢، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٢، ٢٨١.
أربتشاى - أربجاى، نهر ٤٦، ٥٠، ٥٥ (هـ).
اربيل ٢٣٢.
ارجيش ٢٣٠.

اردبيل ٢٦ ، ٦٥ ، ٧١ ، ١٥٠ ، ١٩٤ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٨ (ولاية) ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ (ولاية) ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٤ .
اردلان ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٩ .
ارضروم ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٨ .
ارمينيا ٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٧ (هضبة) ، ٣١ ، ٣٢ ، ٤٥ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ١٩٣ .
ارمينيا الداشناقية ١٢٨ .
ارمينيا الغربية ٢٧٣ .
ارمينيا الشرقية ٦٥ .
آزوف ١٤ (م . هـ .) .
اسبانيا ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ .
استانبول ٢٠ ، ٢١ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٤٠ (م . هـ .) .
استر ١٩٧ .
استراباد ١٠ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٣٠ ، ١٠٤ ، ١٩٨ ، ٢٨٨ .
استراخان ١٣ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣٦ ، ٢٨٥ ، ٢٨٧ .
اسلاندوز ٥٣ ، ٥٩ ، ٦٧ .
اسيا ٢٧٣ .
اسيا الوسطى ٢٩ ، ٧١ ، ١١٢ .
اشنو ٢٣٨ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ .
اصفهان ١٣ ، ١٥ ، ١٧ (م . هـ .) ، ٢٠ ، ٤١ ، ٤٩ ، ٩٤ ، ١٠٨ ، ١٦٧ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، ٢٣٤ ، ٢٤٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ (م . هـ .) .
اغار ٦٥ .
افغانستان ٢٣ ، ٣٠ ، ٣١ ، ١١٤ ، ٢٨١ .
آق صو ١٩٩ .
البانيا القفقاسية ١٩٣ (م . هـ .) .
الشت ١١٤ .
المانيا ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٢٣ (هـ) ، ١٤٠ ، ٢٤٥ (م . هـ .) ، ٢٥٧ (الهتلرية) ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ (الهتلرية) ، ٢٧٧ .
أنزلي ٢٢ ، ١٢٣ (هـ) ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٨ .
انكلترا ٢٩ (هـ) ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٩ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٩ ، ٦٨ (هـ) ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٤ (م . هـ .) ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ .
اواسط اسيا ٩ ، ١٥ ، ٢٨٦ .
اوردوباد ٧١ .
اورمية بحيرة ٢٥١ .
اورمية ، مدينة ٩٢ ، ١٠٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٦ .
اوروبا ٩ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ٣٣ ، ٣٧ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٨٧ ، ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٤٠ ، ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٨٦ ، ٢٧٠ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧

اوشاكان ٧٠ .
باســه ٢٥١، ٢٥٥، ٢٦١، ٢٦٢ .
بايزيد ٣٧، ٣٨ .
بحر الابيض المتوسط ٩٩، ٢٨٦ .
بحر الاسود ١٠، ١١، ١٤ (م. هـ.). ٢٩، ٢٤٦ (م. هـ.)، ٢٨٦ .
بحر البلطيق ١١، ١٤، ٢٨٦ .
بحــر قزويــن ١٠، ١١، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، (ســواحــل)، ١٧ (م. هـ.)، ٢٢، ٣٠، ٣٥، ٤٦، ٥٠، ٥٢، ٥٧، ٥٨، ٧١، ٧٢، ١١٢، (مـاوراء)، ١٩٣، (م. هـ.)، ٢٤٧، (هـ)، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٤،
اوكرانيا ٦٤ .
ايطاليا ٨٩، ١٧٥، ٢٧١ .

- ب -

باريس ٤١، ٤٢، ٤٣، ٨٧، ١٠٨، ١٢٠، ١٢٧، ١٧٤، ٢٤٥، ٢٧٣ .
باش اباران ٦٦ .
باكــو ١٧ (م. هـ.)، ١٨، ١٩، ٢١ (هـ)، ٢٦، ٣٦، ٥٧، ٦٧، ١٩٤، ١٩٨، ١٩٩ (حقــول نفـط)، ٢٠٠، (م. هـ.)، ٢٠١، ٢١٢، ٢٢٣ (هـ)، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٨١، ٢٨٨، ٢٨٩ .
بالغ لو ٦٣ .
٢٧٥، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٨، ٢٨٩ .
بحيرة مريوان ٢٣٢ .
بخارى ١٤ .
بدليس ٢٣٠ .
برده ١٩٤ .
برلين ٩٠، ٢١٢ .
بــرو ٢٢٧ .
بروسيا ٥٢ .
بروسيا الشرقية ٣٩ .
بريطانيا ٤٥، ٩٤، ١١٢ (العظمى)، ١١٨، ١٢٣، ١٣٣، (الـعظـمـى)، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٧، ١٤٩، ١٦٠، ١٧٥ .
البسفور ٢٩٢ .
بشت كوه ٤ .
البصرة ٤٤ .
بطــرســبــورغ ١١، ١٤، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٦، ٢٨، ٣١، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٤، ٥٥، ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٧١، ٧٢، ٧٧ (حكــومــة)، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨٢، ٨٣، ٨٧، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٤، ٩٧، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢٣٨، ٢٣٩ (صحافة)، ٢٩١ .
بغــداد ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٤٠، ٤٤، ٥٣، ٩٦، ١٢٤، ١٤٠، ١٤٥، ١٧٠، ١٧٤ .
بلاد الرافدين ١١٩ .

بلاد مابين النهرين ٨٠، ٩٥.
بلجيكا ١٧٤.
البلقان ٧١، ٨٧.
بندر عباس، ميناء ١٣، ٢٠٧.
بندر شاه، ميناء ٢٧٥.
بندر شاهبور راجع: شاهبور.
بوتان ٢٣٢.
بوتي ٢٤٠.
البوسنة والهرسك ٩٦.
بوشهر ٤٤، ٢٠٧.
بوكان ٢٤٢، ٢٦٠، ٢٦٣.
بولونيا ٦٧.
بهلوي ٢٦٢.
بيتروفسك ٢١٣.

- ت -

تبريز ١٢، ٢٧، ٣٨، ٤٢، ٤٧، ٥١ (م.هـ.)، ٥٢، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٥، ٦٧، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٩٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٢١، ١٢٥، ١٦٧، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨ (م.هـ.)، ٢٠٩، ٢١٠ (مشكلة)، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦ (م.هـ.)، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١ (م.هـ.)، ٢٢٢، ٢٢٩، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٨٨
تبليس ١٨، ١٩، ٢٣، ٢٥ (م.هـ.)، ٦٣، ٦٥، ٦٦، ٦٨، ٦٩، ٨٣، ٢٠١، ٢٤٥، ٢٧١، ٢٨٦، ٢٩١.
تركستان ١٤١.
تركمانجاى ٧٢.
تركمانيا ٢٣ (سهوب).
تركيا ١١، ١٢، ١٤ (هـ)، ١٥، ١٧، (هـ)، ١٩، ٢٠، ٢١ (م.هـ.)، ٢٢ (م.هـ.)، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٥٨، ٦٢، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٧، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٨، ٩٩، ١٥٢، ١٥٤، ١٩٣، ٢١٠، ٢١٢، ٢٤٤، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨.
تساليان ٣٦.
تلست ٤٣، ٤٤.
تيكان ته به هوشار ٢٦٠.

- ج -

جبل داود ٨٣.
جلفا ٢٠٨.
جورجيا ٣، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٥ - ٢٦، ٢٧، ٣١، ٣٢، ٣٥، ٣٦، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٦، ٥٣، ٥٤، ٥٧، ٦٠ (م.هـ.)، ٦٥،

٧٩، ٨٣، ١٩٣، ٢٣٠ (هـ)، ٢٣٥، ٢٤٥، ٢٧١، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٦.
جورجيا الشرقية ١٨ (هـ)، ٢١، ٢٢ (هـ)، ٢٣١.
جورجيا المنشفية ١٢٨.
جومی جه غه تو ٢٥٦.
جهريق ٢٥١، ٢٥٣.
جيلان راجع: كيلان.

- ح -

حكاري ٢٣٦ (هـ).
حلب ١٥، ٣٥.
حيفا ٢٤٩.

- خ

خامنثي ٢١٢.
خانقين ٩٢، ١١٣ (هـ).
خراسان ٤ (هـ)، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٥٠، ٥٩، ١١٥، ١٤٢، ٢٢٧، ٢٣١، ٢٣٣ (اكراد)، ٢٣٥، ٢٧٩.
خرج، جزيرة ٤٠، ٤٤.
خلخال ٧٠.
الخليج العربي ١٣، ٤٠، ١٠٠، ٢٧٥، ٢٨٦.
خنزيرك ٦٦.
خوارزم ٦١.
خوى ٧٠، ٩٢، ٢٢٩، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٥، ٢٥١.
خيوه ١٤.

- د -

داغستان ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٦، ٣٦، ٤٢، ٥٧، ١٩٣، ١٩٧، ٢١٣ (م.هـ.)، ٢٧٣، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩.
داله هو ٢٢٧.
دربند ١٨، ١٩، ٢٢، ٢٦، ٣٦، ٥٧، ١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، ٢٨٨، ٢٨٩.
دجلة ١٩٧ (هـ).
الدردنيل ٢٩٢.
الدون، نهر ١٤ (م.هـ.)، ٢٩، ٤٨.
ديار بكر ٢٣٠، ٢٧٣.
ديلمان ٢١٩.

- ر -

رانية ٢٥٢.
راوندوز ٢٥٢.
رشت ١٦، ١٨، ١٩، ٢١، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٨، ١٢١، ٢٠٩، ٢٤٤ (هـ)، ٢٤٧ (م.هـ.)، ٢٤٨، ٢٦٢، ٢٧١، ٢٨٨.

رضائية ٢٥٦ .
روسيـا ٣، ٤، ٩، ١٠، ١١، ١٣، ١٤ (م.هـ.)، ١٥ (اواسـط)، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١ (م.هـ.)، ٢٢، (م.هـ.)، ٢٣، ٢٤، ٢٦، ٢٨، ٢٩ (هـ)، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩ (م.هـ.)، ٥٠، ٥٢، ٥٣ (م.هـ.)، ٥٥، ٥٦ (هـ)، ٥٧، ٥٩، ٦٠، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٧٢، ٧٣، ٧٧، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٤ (م.هـ.)، ٩٧، ١٠٠، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٩، ١٤١، ١٦٠، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، (حـكـام)، ٢١١، ٢١٣، (حـكـام)، ٢١٥، ٢٣٩، ٢٧٠، ٢٧٣، ٢٨٥ (م.هـ.)، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٨ .
روسيـا السـوفيتية ٨٨، ١١٨، ١٢٤، ١٣٣، ١٣٤، ٢٧٤، ٢٩٨ .
روسيا القيصرية راجع : روسيا.
ريزان ٨٧.

- ز -

زرينة رود ٢٥٦ .
زنجان ١٠٧، ٢٦٢ .

- س -

سايه نقه لا ٢٥٦ .
سراب ٢٣٥ .
سزدار آباد، قلعة ٦٨ .
سردشت ٢٣٨، ٢٤١، ٢٥٥، ٢٦١ .
سقـز ٢٢٧، ٢٤٢، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٦١، ٢٦٣ .
سلدز ٢٥١ .
سلطان ٢٥٥ .
السلطانية ٦٣، ٦٥، ٦٩ .
سلماس ٧٠، ٢٣٢، ٢٤١، ٢٥١، ٢٥٦ .
سميرنا ١٥ .
السنة ١٩٧ (هـ).
سنندج ٢٢٧، ٢٣٥، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٣ .
سوادكوه ١١٣ .
سوره خانى ١٧ (هـ).
سوريا ١٥، ٢٨٧ .
السـويـد ١٤، ١٧، ٤٦، ٥٢، ٩٨، ١٣٧، ٢٨٧ .
سويسرا ١٤٠ .
سيرابيفو ٨٧.
سيستان ١٠ .

- ش -

شابران ١٩٤ ، ١٩٥
شاهاباد ١١٥ ، ١٣٠ ، ٢٥٦ .
شاهبور ٢١٩ ، ٢٥٦ ، ٢٧٥ .
شاهو ٢٢٧ .
شاهيندير ٢٥٦ .
شبه الجزيرة العربية ١١٩ .
شدلو ٢٣٣ .
الشرق الاقصى ٩، ١٢، ٢٨٥ .
الشرق الاوسط ٩، ١٢، ٨٧، ٨٩، ١٠١، ١٠٣، ١١٣، ١١٨، ٢٤٦ (هـ)، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٨١ .
شكي ٥٧، ١٩٢، ١٩٧، ١٩٩ (خانية) .
شماخا، شماخي ١٣، ١٧، ١٩٤ .
شمخور ٦٦، ٦٧، ١٩٤ .
شمدينان ٢٣٦ (هـ)، ٢٣٧ .
شوش ٢٧، ٢٨ (م . هـ .)، ٦٥، ٦٦ (قلعة)، ٦٧، ١٩٨، ٢٣٥ .
شيراز ٩٢، ١٤٢، ٢٣٤، ٢٥٥ .
شيروان ١٣، ١٨، ٢٠، ٢٦، ٥٧، ٦٦، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ٢٣٠ (هـ)، ٢٨٨ .

- ص -

صاوجبولاق ٢٣٨ (هـ)، ٢٤١ .
«الصليب المقدس»، حصن ١٩ .
الصين ٥٩، ١٤٤ (هـ)، ٢٦٩ .

- ط -

طالش، مقاطعة ٤٨، ٥٠، ٥٢ (ساحل)، ٦٥، ٧١، ١٩٦، ٢٤٨ (جبال) .
طهران ٢٥، ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٤، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٩، ٦١، ٦٤، ٦٨، ٧١، ٧٢، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٦، ٩٧، ٩٩، ١٠٤، ١٠٨، ١١٠، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ١٣٠ (م . هـ .)، ١٣١، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٧، ١٤٠، ١٤٥، ١٤٧، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٨، ١٥٩، ١٦١، ٦٧، ١٦٩، ١٧١، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٠ (إذاعة)، ١٩٨، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٨، ٢١٠، ٢١١، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٠، ٢٢١ (هـ)، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٧، ٢٢٨ (هـ)، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٧،

٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٩.

- ظ -

ظفرانلو ٢٣٣.

- ع -

عباس اباد، قلعة ٦٨ (م.هـ.)،
العراق ٨٥، ٨٩، ٩٤، ٩٥، ٩٧، ١٠٠، ١٣٣ (هـ)، ١٤٢، ١٧٠، ١٧٥، ١٧٧، ٢٤٥، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٨١، ٢٩٥.
عربستان ١٦٥.
عسكران، قلعة ٤٧، ٤٨، ١٩٨.
عشتاروخ ٢٣٨.
عمان ١٩٠.

- ف -

فارس، ١٠، ١٠٨، ١١١، ٢٢٩ (إقليم).
فالودون ٨٩.
الفرات ٢٧٣.
فرنسا ٢٩ (هـ)، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٥٢، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٤، ٩٧، ١٧٥، ٢٧٠.
فلسطين ١٤٠.
فنكنشتاين ٣٩.
الفولغا، نهر ١٣ (م.هـ.)، ١٨، ٢٩، ٢٨٥، ٢٨٦.

- ق -

قارص ٣٧، ٢١٤.
قافلان كو ٧١.
القاهرة ١٦٢، ٢٦٤.
القدس ١٤٠.
القرم ١١.
قره باغ ٢٥، ٢٦، ٣١، ٣٢، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٦، ٥٧، (خانية)، ٦٥، ٦٦، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ٢٧٣.
قره داغ ١٩٨.
قزلر ٢٦.
قزوين، مدينة ٢٠، ١٠٨، ١١٦، ١٢٩، ١٣٠ (م.هـ.)، ١٣٤، ٢٠٩، ٢٣٥، ٢٤٨، ٢٦٢، ٢٧١.
قصر شيرين ١١٣ (هـ).
القفقاس ٩، ١٠، ١١، ١٧ (هـ)، ١٨، ٢١ (هـ)، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣٦، ٤٦، ٥١، ٥٢، ٥٤،

٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٩، ٨١، ١١٢، ١٩٧، (هـ)، ٢٠٨، ٢٧١ .
قلعة دمدم ٢٣١ .
قم ٥٧، ٩٣، ١٥٦، ١٥٧، ١٨٤، ١٨٩ .
قندهار ٣٩.
قومرى ٦٥.

- ك -

كارون ٤ .
كاشان ١٨٤، ٢٤٦ .
كبالا ١٩٤ .
كراتشي ١٦٤ .
كربلاء ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٥٨، ١٦٣، ٢٩٥ .
كرجستان ٣ .
كردستان ٢٠، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٧٠ (أراضي)، ٧٧، ١٠٩، ١١٥، ١٦٣، ١٩٣، ٢٢٣ (م.هـ.)، ٢٢٨، ٢٣٠ (م.هـ.)، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٥ (اقليم)، ٢٥٦، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٨، ٢٨٠ .
كردستان الايرانية - كردستان ايران ٢٠، ٢٢٧، ٢٣٠ (هـ)، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٤٥، ٢٤٦، (هـ)، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٣ (م.هـ.)، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦٤، ٢٦٥ .
كركوك ٢٥٢ .
كرمان ١٠، ٧٧، ٢٢٧، ٢٥٥ .
كرمانشاه، كرمنشاه ٢٠، ٩٢، ٩٥، ٩٦، ٩٩، ١١٥، ١٥٠، ٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٤. ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥ (منطقة)، ٢٤٨ (منطقة)، ٢٤٩، ٢٥٥ (منطقة)، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧١ .
كرومرود ٧٠، ٢٣٥ .
كلستان ٥٦.
كنجه ٢١ (م.هـ.)، ٣٢، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ١٩٤، ١٩٨ .
كوبا ٢٦، ٣٦، ٥٧، ٦٧، ١٩٨ .
كوت ٩٢.
كورا، نهر ٢١، ٢٤، ٢٧، ٣٦، ٤٦، ٥٠، ٥٥ (هـ) .
كوكجه، بحيرة ٦٣ .
كيروفاباد ٢١ (هـ) .
كيلان - جيلان ١٦، ١٩، ٢١، ٢٢، ٣٦، ١٠٤ (الشمالية)، ١٠٩، ١٢١، ١٥٠، ١٩٨، ٢٠٧، ٢٢٧، ٢٤٦، ٢٤٧ (م.هـ.)، ٢٧١، ٢٧٤، ٢٨٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٨ .

- ل -

لاهيجان ٢٣٨، ٢٤٧ (هـ)، ٢٥٥، ٢٧٨، ٢٨٠ .
لبنان ١٩٠ (شيعة).

لنــدن ٣٠، ٣٤، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥٨ (هـ)، ٥٩، ٦٤، ٦٨، ٧١، ٨١، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩٤، ١١٢، ١١٦، ١٢٠، ١٢٥، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٧، ١٤٢، ١٤٦، ١٦٠، ١٦٢، ١٦٩، ١٧٣، ١٧٧، ٢٠٨، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٢، ٢٣٩ (صحافة)، ٢٦٢، ٢٨٩.

لنكران ٥٢، ٦٦ (ميناء)، ٦٧.

لورستان ١١٥، ١٤٢.

لينينغراد ٢٩١.

لينينكان ٦٥ (هـ).

مازنــدران ١٣، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٣ (هـ)، ١١٣، ١١٤، ١٤٣، ١٩٨، ٢١٩، ٢٧٤، ٢٨٨.

ماكو ٢٢٧، ٢٣٠ (قلعة)، ٢٤١.

مالطا ٢٩ (هـ).

ماوراء القفقــاس ٩، ١٥، ١٧ (هـ)، ١٨، ١٩، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٣١، ٣٧، ٤٢، ١٢٨ (م.ه.)، ١٩٣ (م.هـ.)، ١٩٩، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٨٦، ٢٨٩.

محج قلا ٢١٣ (م.هـ.).

المحيط الهندي ٩٩.

المدينة المنورة ٢٤٠ (هـ).

مراغه ٧٠، ١٩٨.

مرند ٧٠.

مريوان ٢٥٤.

مسنجد سليمان ٥.

مشكين ٧٠.

مشهد ١٤١، ١٨٤، ١٨٨.

مصر ٣٤، ٣٩، ٩٦، ١١٩.

المغرب ٢٠٧.

مكة ٢٤١.

المملكة المتحدة ٨٧، ٨٨، ٢٩٢.

موســكــو ٢٢، ٧٧، ٨٣، ١٢٣، ١٤٨، ١٦٣، ٢٠٧، ٢٧٠ (دولــة). ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨١.

موش ٢٣٠.

الموصل ٢٣٢، ٢٧٣.

موغان ـ مغان ٣٦، ٧١.

موكريان ٢٣٢، ٢٤٩، ٢٥٨، ٢٥٩ (عشائر).

مهاباد ٢٢٧، ٢٣٦، ٢٣٨ (م.هـ.)، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٧ (منطقة)، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢ (م.هـ.)، ٢٦١.

مهراباد ١٣٠، ١٣٣.

مياندواو ٢٥٦.

ميانه ٧٠.

ميسوبوتاميا ٩٥، ٩٧.

ميعرى، قلعة ٤٨.

ـ ن ـ

النجف ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٥٨

١٦٣، ٢٩٥ .
نخجوان ٣٦، ٤٥، ٧١، ٧٢
٢٣٩ .
نغده ٢٢٧، ٢٥٥ .
النمسا ٢٩ (هـ)، ٣٣، ٤٤، ٤٦،
٩٦.
النمسا ـ المجر ٨٧، ٩٠، ٩١.
نوخا ٢٦ .
نيس ٨٨.

ـ و ـ

وادي اراس ٦٨ .
واشنطن ١١٩، ١٤٦، ٢٢٣، ٢٦٢ .
وان ٢٣٦ .
الـولايات المتحدة الامريكية ٣، ٨٩، ١٠٤، ١١٤، ١١٩، ١٢٠، ١٢٥، ١٣٩، ١٤٤ (م.هـ.)، ١٦٠، ١٦١، ١٧٤، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٩ .

ـ هـ ـ

هرات ٢٣، ٣٠، ١١٤ .
همـدان ٢٠، ٩٢، ١١٥، ٢٢٧، ٢٤٢، ٢٧١ .
الـهـنـد ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ٢٢، ٢٩، ٣٠، ٣٤، ٣٩، ٤٢، ٤٤، ٥٤، ٥٩، ٧١، ١١٨، ١٣٣ (هـ)، ١٤٢، ١٩٧، ٢٠٨، ٢٧٢، ٢٨٥، ٢٨٦ .
هوراماn ٢٣٦، ٢٤٩، ٢٥٤ .

ـ ي ـ

اليابان ٨٧ .
يريـفـان ٣١، ٣٢، ٣٦، ٣٧، ٤٢ (قلعة)، ٤٦، ٤٧، ٦٣، ٦٨، ٧٠، ٧١، ٢٧٣ .
يزد ٩٤، ١٢٧ .

جـدول الخطـأ والصـواب

بالرغم من الجهود التي بذلناه ليأتي الكتاب دونما أخطاء، ماأمكن، فقد حدثت بعض الاخطاء نذكر فيما يلي أهمها مع تصحيحها:

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٣٤	٢٠	وعداً	واعداً
٥٢	٣	القياة	القيادة
٥٧	٢	دربندو	دربند
٨١	٩	ارفيتين	أرمنيتين
٨٩	٣	ال	الى
١٠٣	٢٠	شائعة	شاسعة
١٠٦	٢٤	توزيع	توزيع المقاعد الستين المخصصة
١٢٢	١٣	خلق	خلقت
١٣٠	٩	شاهابا	شاهاباد
١٣٥	٩	ليساسة	لسياسة
١٤٥	٩	منه	منها
١٥٠	٧	الخلفاء	الخفاء
١٥٥	٥	عى	على
١٥٦	٢٧	D8	D.
١٦٤	٧	بيتاريخ	بتأريخ
٢٠٨	٢٩	Oynasty	Dynasty

٢٣٥ تضاف العبارة التالية الى مابعد السطر ١٩ : غير قصر الشاه. وبما انه كان يمتلك «عدداً كبيراً من الرجال الشجعان والخيول

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٤٧	٧	فيم	فيما
٢٥٨	١٧	من	عن
٢٦١	٢	نولستوى	تولستوى
٢٦٩	١١	المناقضين	المتناقضين
٢٦٩	١٤	العالي	العالمي
٢٩١	١٩	الحربي	الحربية

٢٩١	٢٠	اعداد	عداد
٢٩٣	الأخير	Olplomatic Oocuments	Diplomatic Documents
٢٩٦	٧	المتتدة	الممتدة
٢٩٨	١٦	والسياسية	والسياسة
٢٩٨	١٩	الوفيتية	السوفيتية

الفهرست

المقدمــة	٣ ـ ٥
الموضوع الأول:	
مـن تأريخ الحروب الايرانية الروسيـة (صفحـة مـن العلاقات الدولية في الشرق الاوسط قبل ظهور الامبريالية)	٧ ـ ٧٣
الموضوع الثاني:	
مذبحة السفارة الروسية في طهران	٧٥ ـ ٨٣
الموضوع الثالث:	
العراق وايران بين سازانوف وغراى (وثائق جديدة)	٨٥ ـ ١٠٠
الموضوع الرابع:	
رضا المازندراني والعرش الايراني من تأريخ تأسيس الاسـرة البهلوية والخيـوط الاولى لسياسـة الاستعمار الجديـد فـي الشـرق الاوسـط	١٠١ ـ ١٧٩
الموضوع الخامس:-	
حقائق عن «المؤسسة الدينية» في ايران	١٨١ ـ ١٩٠
الموضوع السادس:	
حقائق عن النضال التحرري الاذربيجاني في ايران	١٩١ ـ ٢٢٣
الموضوع السابع:	
حقائق عن النضال التحرري الكردي في ايران	٢٢٥ ـ ٢٦٥

الموضوع الثامن :
صفحات من تأريخ العلاقات الايرانية ـ السوفيتية ٢٦٧ ـ ٢٨١

الموضوع التاسع :
تأريخ ايران الحديث والمعاصر في الوثائق الروسية ٢٨٣ ـ ٢٩٨
فهرســـت الاعــــلام ٢٩٩ ـ ٣٣٠
جـدول الخطـأ والصـواب ٣٣١

شكر وتقدير

أقـدم جزيـل شكـري لكـل من أسهم في تسهيل أمر صدور هذا الكتـاب ، وأخص منهم بالـذكر السادة الامين العام للثقافة والشباب لمنطقة كردستان للحكم الذاتي محمد أمين محمد أحمد ، ومحمد المـلا عبـدالكـريم المـدرس وسـردار ميـران وجعفـر قادر البرزنجي ويـاسين حميـد السـامـرائي صاحب «مطبعـة اركان» والاخوين وليد وقـصي السـامـرائيين ، والاخ جورج اسطيفـان ، والاخت بتـول ملكزدوق يوسف .

وأود أن اسجـل إمتنـاني بصـورة خاصة للاخ الفنان جمال حسن علي الذي صمم غلاف هذا الكتاب ، وأنقذ بصبره وإخلاصه وتأنيه جهدي هذا من محنة حقيقية لا يتصورها الا من عاش مآسيها !

المؤلف



رقم الايداع ١١٢٥ في المكتبة الوطنية ـ بغداد ـ لسنة ١٩٨٥

سعر الكتاب: ثلاثة دنانير

مطبعة اركان ـ بغداد ـ هاتف ٨٨٨٩٤٣٧

توزيـــع
مكتبــة اليقظــة العربيــة
بغـداد ـ شـارع الرشيـد ـ السنـك

سعر الكتا[illegible]انير

رقم الايداع ١١٢٥ في المكتبة الوطنية ـ بغداد ـ لسنة ١٩٨٥

مطبعة اركان ـ بغداد ـ هاتف ٨٨٨٩٤٤٢٧